



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين
عليهم يا صابغين

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

سَبِيحَةُ الْحَمْدِ

وَاصُولُ الدِّينِ

بِإِذْنِ الْمَوْلَانِ
الْمَوْلَانِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْمَوْلَانِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْمَوْلَانِ مُحَمَّدِ بْنِ

١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبيل النجاه في اصول الدين

كاتب:

السيد عبدالحسين طيب الاصفهاني

نشرت في الطباعة:

دليل ما

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
13	سبيل النجاه في اصول الدين
13	اشارة
14	اشارة
18	فهرس الموضوعات
31	المقدمة
37	ترجمة المؤلف
37	اسمه ونسبه:
39	الإطراء عليه:
40	أدوار تحصيله:
41	مشايخه في تحصيل العلوم:
42	مشايخه في الرواية:
43	تأليفه القيّمة:
45	ولادته ووفاته:
47	المجلد الأول
47	اشارة
49	الجزء الأول: في الايمان والتقوي
49	اشارة
54	المقصد الأول
54	اشارة
54	المطلب الأول: في فضل الايمان و الفرق بينه وبين الإسلام ومراتبه
56	المطلب الثاني: في وجوب المعرفة
57	المطلب الثالث: في إثبات الصانع وتوحيده وصفاته

57	اشارة
57	الأمر الأول: في إثبات وجوده
64	الأمر الثاني: في توحيدهِ
67	الأمر الثالث: في صفاته
67	اشارة
76	الصفات الجمالية
76	اشارة
77	الأمر الأول: تزييف قاعدة الواحد لا يصدر منه إلا الواحد
78	الأمر الثاني: في قدم العالم وحدوثه
79	الأمر الثالث: هل الإرادة من صفات الذات أو من صفات الفعل
84	الأمر الرابع: القدمات الثمانية
84	الأمر الخامس: في أفعال العباد
84	اشارة
84	المسلك الأول
85	المسلك الثاني
85	المسلك الثالث
86	الأمر السادس: في التوفيق والتأييد
87	الأمر السابع: في البدء
88	الأمر الثامن: في التوحيد الأفعالي
89	الأمر التاسع: في التوحيد العبادتي
91	الأمر العاشر: في لزوم التكليف
93	المطلب الرابع: في النبوة
93	اشارة
93	المبحث الأول: في إثبات النبوة العامة
93	المبحث الثاني: في نسخ الشرائع

94	المبحث الثالث: في اشتراط العصمة والأكملة والمعجزة ..
101	المبحث الرابع: في موانع النبوة ..
102	المبحث الخامس: في وجوب النظر ..
102	المبحث السادس: في التواتر ..
103	المبحث السابع: في نبوة موسى (عليه السلام) ..
103	و كتابه التي عليه اليهود ..
105	المبحث الثامن: في نبوة عيسى (عليه السلام) ..
105	و كتابه التي عليها النصاري و ادّعوا تواترها ..
107	المبحث التاسع: في نبوة نبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم) ..
114	الجزء الثاني: النبوة الخاصّة في بحث المعاجز القرآنية ..
114	اشارة ..
123	الأمر الاول ..
131	الأمر الثاني: في المعراج الجسماني ..
137	الأمر الثالث: في الخاتمية ..
139	الأمر الرابع: في أفضليته (صلي الله عليه وآله وسلم) و أكملته ..
139	و أشرفيته و أقدميته علي جميع ما سوي الله تعالى ..
148	الجزء الثالث ..
148	اشارة ..
148	الكلام في الإمامة ..
148	اشارة ..
148	المقصد الأول: في كبرى المسألة ..
148	اشارة ..
149	المقام الأول: في معني الإمامة ..
153	المقام الثاني: في بيان احتياج الأمة إلي الإمام ..
162	المقام الثالث: في لزوم نصب الإمام (عليه السلام) علي الله تبارك و تعالي ..

162 و تعيينه و ليس للأمة جعله و نصبه
165 المقام الرابع: في لزوم جعل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الخليفة
169 المقام الخامس: في الشرائط المعتمدة في الإمام
169 اشارة
169 الشرط الأول: العصمة بالمعنيين
190 الشرط الثاني: الأكمالية والأفضلية
200 الشرط الثالث: في لزوم كون الإمام (عليه السلام) صاحب المعجزة
203 المقام السادس: في بيان الموانع
203 التي تدلّ علي عدم قابلية واجدها للإمامة
205 المقام السابع: مسألة الإمامة من المسائل الأصولية الاعتقادية
209 المقام الثامن: في شؤون الإمامة وفضائل الإمام
214 المقصد الثاني: في صغري المسألة
214 اشارة
214 المقام الأول: في إبطال خلافة أبي بكر وأخويه
214 و بني أمية و بني العباس وغيرهم من خلفاء الجور
229 المجلد الثاني
229 اشارة
238 ما ورد في خلافة أبي بكر
257 ما ورد في خلافة عمر بن الخطّاب
269 ما ورد في خلافة عثمان
278 المقام الثاني: في إثبات خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
278 اشارة
285 المطلب الأول: في شأن نزول الآيتين
288 المطلب الثاني: في دلالة الآية السابعة علي المطلوب
289 المطلب الثالث: في دلالة الآية الثامنة علي المرام

- 311المقام الثالث: في شؤونهم وفضائلهم
- 312المقام الرابع: في معجزتهم
- 313المقام الخامس: في غيبة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
- 313 اشارة
- 313المطلب الاول
- 313 اشارة
- 330 إشكال و دفع:
- 337المطلب الثاني:
- 359المطلب الثالث: في علانم ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
- 363المطلب الرابع: في نوابه الخاصة والعامة في غيبته الصغرى والكبرى
- 370المطلب الخامس: في كيفية ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
- 375خاتمة: في الرجعة
- 375 اشارة
- 375المطلب الأول: في إثبات كونها من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية
- 385المطلب الثاني: في ثبوت الرجعة في الأمم السالفة كما تنادي بها الآيات الكثيرة
- 386المطلب الثالث: في دفع شبهات منكري الرجعة
- 387المطلب الرابع: في من يرجع
- 387 اشارة
- 388 لفت نظر:
- 391الكلام في المعاد
- 391 اشارة
- 392الأمر الأول
- 397الأمر الثاني
- 399الأمر الثالث: دفع شبهة الأكل و المأكل
- 403الأمر الرابع: دفع شبهة إعادة المعدوم

403	اشارة
403	المقام الأول: في عدم ابتناء المعاد علي ذلك
406	المقام الثاني: في أصل المسألة
409	الأمر الخامس: في إبطال التناسخو القائلين به علي مذاهب أربعة: نسخ، و مسخ، و فسخ، و رسخ.
412	الأمر السادس: في إثبات المعاد بنحو الاجمال
412	اشارة
429	المقام الأول: في حقيقة الموت و أسبابه و أنحائه
429	اشارة
430	أسباب الموت
431	كيفية الموت
433	المقام الثاني: في ذكر ملك الموت و أعوانه و كيفية قبضه الأرواح
433	اشارة
440	حضور إبليس عند المحتضر
442	حضور الأعمال و الأموال و الأولاد عند المحتضر
442	المقام الثالث: في الهول المطمع
442	اشارة
445	تعلق الروح بعد مفارقة البدن إلي القالب المثالي
446	ما يرد علي الإنسان في عالم البرزخ
446	حال ضعفاء العقول و المجانين و القاصرين في البرزخ
447	السؤال في القبر
447	ما يجب الاعتقاد به
448	الأمر الثابتة بضرورة الدين
449	المقام الرابع: في شروط الساعة و علامات القيامة
453	المقام الخامس: في أسامي يوم القيامة المذكورة في القرآن المجيد
464	المقام السادس: في ذكر مقدار يوم القيامة و مواقفه

- 466المقام السابع: في كيفية خروج الخلائق من القبور وورودهم في المحشر وأوضاعه.
- 470المقام الثامن: في تطاير الكتب ونشر الصحف.
- 472المقام التاسع: في محاسبة يوم القيامة.
- 472إشارة
- 473المطلب الأول
- 474المطلب الثاني
- 475المطلب الثالث
- 475المطلب الرابع
- 476المطلب الخامس
- 477المقام العاشر: في الميزان
- 477إشارة
- 477المطلب الأول
- 478المطلب الثاني
- 479المطلب الثالث
- 480المطلب الرابع
- 481المطلب الخامس
- 481المطلب السادس
- 482المطلب السابع: في الإحباط والتكفير
- 484المقام الحادي عشر: فيما يسأل عنه يوم القيامة.
- 487المقام الثاني عشر: في الصراط
- 490المقام الثالث عشر: في أصحاب الأعراف والأطفال والمستضعفين والمجانين وأولاد الزنا والمرجّين لأمر الله.
- 494المقام الرابع عشر: في الجنة والنار.
- 494إشارة
- 494المبحث الأول: في كونهما مخلوقان الآن.
- 499المبحث الثاني: في أوصاف الجنة و نعمائها ولذائنها وأهلها.

510	المبحث الثالث: في أوصاف جهنّم وعقوباتها أعاذنا الله منها برحمته ..
520	المبحث الرابع: في الخلود والتسرد ..
530	خاتمة
530	فيما يوجب الخوف والرجاء ..
549	إشكال و دفع ..
555	المقام الأوّل: في إثبات الشفاعة ..
558	المقام الثاني: في معني الشفاعة و حقيقتها و مراتبها ..
559	المقام الثالث ..
559	المقام الرابع: في شرائط الشافع و المشقّع له ..
562	فهرس المصادر و المراجع ..
571	تعريف مركز ..

سر شناسه: طيب اصفهاني، سيد عبدالحسين، 1214 - 1314 ق.

عنوان و نام پديد آور: سبيل النجاه في اصول الدين / السيد عبدالحسين طيب الاصفهاني؛ حقه السيد مهدي الرجائي؛ علق عليه السيد قاسم علي احمدي.

مشخصات نشر: تهران: دليل ما ، 1441 ق.= 1399.

مشخصات ظاهري: 2 ج. (550 ص.).

شابك: 700000 ريال: 9-442207-600-978

وضيقت فهرست نويسي: فايا

يادداشت: عربي.

يادداشت: كتابنامه.

موضوع: شيعه -- اصول دين

موضوع: Shi'ah -- *Pillars of Islam

موضوع: كلام شيعه اماميه

موضوع: Imamite Shiites theology*

موضوع: شيعه -- عقايد

موضوع: Shia'h -- Doctrines

شناسه افزوده: رجائي، سيد مهدي، 1336 -

شناسه افزوده: علي احمدي، سيد قاسم، 1345 -

رده بندي كنگره: BP211/5

رده بندي ديويي: 297/4172

شماره کتابشناسي ملي: 6152185

اطلاعات رکورد کتابشناسي: فاپا

ص: 1

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات... 5

المقدمة. 13

ترجمة المؤلف... 19

اسمه ونسبه: 19

الإطراء عليه: 21

أدوار تحصيله: 22

مشايخه في تحصيل العلوم: 23

مشايخه في الرواية: 24

تأليفه القيّمة: 25

ولادته ووفاته: 27

الصفحة الأولى من الكتاب بخط مؤلفه. 28

سبيل النجاة. 29

الجزء الأول.. 29

المقصد الأول.. 36

المطلب الأول.. 36

في فضل الإيمان والفرق بينه وبين الإسلام ومراتبه. 36

المطلب الثاني.. 38

ص: 5

في وجوب المعرفة. 38

المطلب الثالث... 39

في إثبات الصانع و توحيدهِ و صفاته. 39

الأمر الأوّل: في إثبات وجوده. 39

الأمر الثاني: في توحيدهِ. 46

الأمر الثالث: في صفاته. 49

الصفات الجماليّة. 58

الأمر الأوّل: تزييف قاعدة الواحد لا يصدر منه إلا الواحد.. 59

الأمر الثاني: في قدم العالم و حدوثهِ. 60

الأمر الثالث: هل الإرادة من صفات الذات أو من صفات الفعل.. 61

الأمر الرابع: القدماء الثمانية. 65

الأمر الخامس: في أفعال العباد. 65

المسلك الأوّل.. 65

المسلك الثاني.. 66

المسلك الثالث... 66

الأمر السادس: في التوفيق و التأييد.. 67

الأمر السابع: في البدء. 68

الأمر الثامن: في التوحيد الأفعالي.. 69

الأمر التاسع: في التوحيد العبادتي.. 70

الأمر العاشر: في لزوم التكليف... 72

المطلب الرابع.. 74

في النبوة. 74

المبحث الأول: في إثبات النبوة العامة. 74

المبحث الثاني: في نسخ الشرائع.. 74

المبحث الثالث: في اشتراط العصمة و الأكملية و المعجزة. 75

المبحث الرابع: في موانع النبوة. 82

ص: 6

المبحث الخامس: في وجوب النظر. 83

المبحث السادس: في التواتر. 83

المبحث السابع: في نبوة موسى (عليه السلام). 84

و كتابه التي عليه اليهود. 84

المبحث الثامن: في نبوة عيسى (عليه السلام). 86

و كتابه التي عليها النصاري و ادعوا تواترها 86

المبحث التاسع: في نبوة نبينا (صلي الله عليه وآله وسلم). 88

الجزء الثاني.. 95

النبوة الخاصة في بحث المعاجز القرآنية. 95

الأمر الثاني: في المعراج الجسماني.. 112

الأمر الثالث: في الخاتمية. 118

الأمر الرابع: في أفضليته (صلي الله عليه وآله وسلم) و أكمليته. 120

و أشرفيته و أقدميته علي جميع ما سوي الله تعالى.. 120

الجزء الثالث... 129

الكلام في الإمامة. 129

المقام الأول: في معني الإمامة. 130

المقام الثاني: في بيان احتياج الأمة إلي الإمام. 134

المقام الثالث: في لزوم نصب الإمام (عليه السلام) علي الله تبارك و تعالي... 143

و تعيينه و ليس للأمة جعله و نصبه. 143

المقام الرابع: في لزوم جعل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الخليفة. 146

المقام الخامس: في الشرائط المعتمدة في الإمام. 150

الأول: العصمة بالمعنيين.. 150

الثاني: الأكمالية والأفضلية. 171

الشرط الثالث: في لزوم كون الإمام (عليه السلام) صاحب المعجزة. 181

المقام السادس: في بيان الموانع.. 184

التي تدلّ علي عدم قابلية واجدها للإمامة. 184

ص: 7

المقام السابع: مسألة الإمامة من المسائل الأصولية الاعتقادية. 186

المقام الثامن: في شؤون الإمامة وفضائل الإمام. 190

المقصد الثاني.. 195

في صغري المسألة. 195

المقام الأول: في إبطال خلافة أبي بكر وأخويه. 195

وبني أمية وبني العباس وغيرهم من خلفاء الجور. 195

المجلد الثاني.. 209

ما ورد في خلافة أبي بكر. 218

ما ورد في خلافة عمر بن الخطاب... 237

ما ورد في خلافة عثمان.. 249

المقام الثاني: في إثبات خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام). 258

المطلب الثاني: في دلالة الآية السابعة علي المطلوب... 268

المطلب الثالث: في دلالة الآية الثامنة علي المرام. 269

المقام الثالث: في شؤونهم وفضائلهم.. 291

المقام الرابع: في معاجزهم.. 292

المقام الخامس: في غيبة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف). 293

إشكال و دفع: 310

المطلب الثاني: في الأخبار الواردة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وعن آبائه الطيبين.. 317

في إمامته وغيبته واسمه الشريف واسم أمه زائداً علي ما تقدّم في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر 317

المطلب الثالث: في علائم ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف). 339

المطلب الرابع: في توابه الخاصة والعامة في غيبته الصغري والكبرى... 343

المطلب الخامس: في كيفية ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف) . 350

خاتمة: في الرجعة. 355

المطلب الأول: في إثبات كونها من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية. 355

ص: 8

المطلب الثاني: في ثبوت الرجعة في الأمم السالفة كما تنادي بها الآيات الكثيرة. 365

المطلب الثالث: في دفع شبهات منكري الرجعة. 366

المطلب الرابع: في من يرجع.. 367

لفت نظر: 368

الكلام في المعاد. 371

الأمر الأول.. 372

الأمر الثاني.. 377

الأمر الثالث: دفع شبهة الآكل والمأكول.. 379

الأمر الرابع: دفع شبهة إعادة المعدوم. 383

الأول: في عدم ابتناء المعاد علي ذلك.... 383

المقام الثاني: في أصل المسألة. 386

الأمر الخامس: في إبطال التناسخ... 389

الأمر السادس: في إثبات المعاد بنحو الاجمال.. 392

المقام الأول: في حقيقة الموت وأسبابه وأنحائه. 409

أسباب الموت... 410

كيفية الموت... 411

المقام الثاني: في ذكر ملك الموت وأعوانه وكيفية قبضه الأرواح.. 413

حضور إبليس عند المحتضر. 420

حضور الأعمال والأموال والأولاد عند المحتضر. 422

المقام الثالث: في الهول المطلع.. 422

تعلق الروح بعد مفارقة البدن إلي القالب المثالي.. 425

ما يرد علي الإنسان في عالم البرزخ.. 426

حال ضعفاء العقول و المجانين و القاصرين في البرزخ.. 426

السؤال في القبر. 427

ما يجب الاعتقاد به. 427

ص: 9

المقام الرابع: في أشرط الساعة وعلامات القيامة. 429

المقام الخامس: في أسامي يوم القيامة المذكورة في القرآن المجيد.. 433

المقام السادس: في ذكر مقدار يوم القيامة وواقفه. 444

المقام السابع: في كيفية خروج الخلائق من القبور وورودهم في المحشر وأوضاعه 446

المقام الثامن: في تطاير الكتب ونشر الصحف.... 450

المقام التاسع: في محاسبة يوم القيامة. 453

المطلب الأول: فيمن يحاسب.... 453

المطلب الثاني.. 454

المطلب الثالث.... 455

المطلب الرابع.. 455

المطلب الخامس.... 456

المقام العاشر: في الميزان.. 457

المطلب الأول.. 457

المطلب الثاني.. 458

المطلب الثالث.... 459

المطلب الرابع.. 460

المطلب الخامس.... 461

المطلب السادس.... 461

المطلب السابع: في الإحباط والتكفير. 462

المقام الحادي عشر: فيما يسأل عنه يوم القيامة. 464

المقام الثاني عشر: في الصراط... 467

المقام الثالث عشر: في أصحاب الأعراف و الأطفال و المستضعفين و المجانين و أولاد الزنا و المرجين لأمر الله 470

المقام الرابع عشر: في الجنة و النار. 474

ص: 10

المبحث الأول: في كونهما مخلوقان الآن.. 474

المبحث الثاني: في أوصاف الجنة ونعماتها ولذائدها وأهلها 479

المبحث الثالث: في أوصاف جهنم وعقوباتها أعاذنا الله منها برحمته. 490

المبحث الرابع: في الخلود والتسرد.. 500

خاتمة: 510

فيما يوجب الخوف و الرجاء. 510

إشكال و دفع.. 529

المقام الأول: في إثبات الشفاعة. 535

المقام الثاني: في معني الشفاعة و حقيقتها و مراتبها 538

المقام الثالث.... 539

المقام الرابع: في شرائط الشافع و المشفّع له. 539

فهرس المصادر و المراجع.. 542

ص: 11

لسماحة آية الله السيد محمود بحر العلوم الميردامادي دام ظلّه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي محمد وآله الطاهرين، سيّما بقيّة الله في الأرضين، ولعنة الله علي أعدائهم أجمعين.

لا تخفي ضرورة الاهتمام بالعقائد الحقّة علي العلماء وأصحاب الرؤية الثابتة، لا سيّما في هذا العصر حيث تتعرّض العقيدة الإسلامية إلي هجمة شرسة من قبل الأعداء، ويسعي الاستعمار - من خلال تأسيسه للمذاهب المختلفة وبتّ الشبهات - إلي إضعاف الدّين الحنيف و شريعة خاتم المرسلين (صلي الله عليه وآله وسلم). وكما نري فإن منشأ هذه الشبهات في بعض الأحيان عبارة عن مغالطات لا تقوم علي مقدمات صحيحة، أو أنها تقوم علي صغريات وكبريات غير منطقية، ويتم التسويق لها باسم المعقول تارة وباسم الكشف والكرامات و العرفان تارة أخرى.

الأمر الآخر هو أن الوقاية خير من العلاج، ويجب اللجوء إليها قبل أن يداهمنا الوباء؛ و من هنا يجب علي الحوزات العلمية أن تعمل علي تسليح وبناء طلاب العلوم الدينية من خلال التدريس الاستدلالي للعقائد الحقّة، قبل أن

تتسلل الأحزاب الشيطانية و التيارات المنحرفة إلى دائرة العقائد الإسلامية. في حين لا نري من الحوزات العلمية في الغالب غير الاهتمام بالفقه و الفروع الشرعية، و لا يتم تدريس العقائد و لا شرح مباني القرآن الكريم و العترة الأطهار (عليهم السلام) في العقائد كما ينبغي.

و كانت نتيجة هذا الإهمال، أن فقد تدريس الكلام و العقيدة مكانته الرفيعة، الأمر الذي قلل من فرص نجاح طلاب العلوم الدينية في الدفاع عن العقائد الحقّة.

ألم يأمر القرآن الكريم بفقه أصول العقائد و الدفاع عن المعتقدات الحقّة؟ إذن ما هو الموضوع الذي عناه الله سبحانه و تعالي بقوله: {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}؟ بالالتفات إلى هذه الآية الكريمة يتضح أن الكلام فيها يشمل جميع أبعاد الدين و مسائله، و {الدِّين} يشمل جميع الأصول و الفروع، و علينا أن نعلم أن الأصل مقدّم علي الفرع، و أن معرفة المكلف تأتي قبل معرفة التكليف.

لا- يخفي علي المحققين أن الإنذار يتجه بالدرجة الأولى إلي الغافلين عن المبدأ و المعاد، أو الذين يعانون ضعفاً في الاعتقاد بالنبوة و الإمامة و التوجّه إلي واسطة الفيض الإلهي و نعني به إمام العصر و الزّمان (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، و نتيجة لذلك فإن التفقه الذي يريده القرآن الكريم أولاً: هو التفقه في أصول العقائد، و ثانياً: هو الذي يشمل العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيليّة.

و قد كان حفظ الثغور من قبل علماء و فقهاء الشيعة و كبار المذهب فيالسابق ينصبّ أولاً علي أصول الدين و قواعده و جذوره.

و لهذا كان فقدان هؤلاء العظام يترك ثلماً لا يمكن جبرانها، و خسارة لا

يمكن التعويض عنها، و تورث في قلوب المؤمنين حرقه لا تنطفئ.

لا شك في أن الموقف هنا بحاجة إلي صائن للدين، مخالف للهوي، وإلي فقيه عظيم مخلص، لا يعمل إلا لله، يعتلي المنبر وأن يخطب و يكتب في الحوزة «سبيل النجاة» وأن يبين «الكلم الطيب» للجامعيين.

إن مؤلف هذا الكتاب بالإضافة إلي تدريس خارج الفقه والأصول في الحوزة العلمية، كان له حلقة درس بين الناس وطبقة الأطباء و المهندسين، حيث يلقي عليهم دروساً في العقائد والتفسير، ويدافع مخلصاً عن حياض الدين الحنيف وعقائده.

كنت ألتقيه في الحوزة العلمية، وأستفيد - في الوقت نفسه - من حلاوة كلماته التي كان يلقيها علي المنابر.

لقد كان مجتهداً مخلصاً يحمل هموم عقائد الناس، ويفكر في تربية وهداية الأشخاص - ولا سيما منهم شريحة طلاب الجامعات - إلي الصراط المستقيم ومفاهيم القرآن و معارف العترة الأطهار (عليهم السلام).

كان صاحب تفسير «أطيب البيان»، الذائب في حبّ الإمام صاحب العصر و الزّمان (عجل الله تعالي فرجه الشريف) العالم العامل آية الله الراحل الحاج السيد عبد الحسين الطيّب (قدس سره) من خرّيجي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، و من مفاخر الحوزة العلمية فياصفهان، و كان قبل ذلك قد انتهل من معين كبار الأساتذة، و قد بذل مجهوداً كبيراً في طلب العلم، و كان لكلامه العذب في المجالس الدينيّة التي تنعقد في مدينته تأثير بليغ و بيان أسر، يستمدّ عذوبته و حلاوته من خلال الاستعانة بالروايات المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام)، و هو يعمل علي تفسير القرآن الكريم، و

في الختام يقرأ المأتم في بيان مصائب أجداده الميامين.

لقد كان فارس الأدب و الأخلاق، و كان عالماً غيوراً يقظاً، و قد اخص بعلاقة قلبية مع سيدنا و مولانا الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، و مشمولاً لخاصة دعوات مولاه، و قد شمر عن ساعديه ليكتب في التفسير برعاية خاصة من إمام زمانه.

إني و منذ أن تشرفت بالذهاب إلي النجف الأشرف (حوالي عام 1430 للهجرة)، كنت بالإضافة إلي بحث و تدريس الفقه و الأصول، أمضي جلّ وقتي في تدريس العقائد الحقّة، و كانت الثمرة الأولى التي أفرزتها تلك الأبحاث عبارة عن كتاب «آفاق الولاية في فقه الإمامة»، حيث تولي بعض الفضلاء مهمة تقريره و نشره.

و في تلك الأعوام اطلعت علي مختلف الكتب في حقل العقائد، و من بينها كتاب «الكلم الطيّب» لمؤلفه آية الله الطيّب (قدس سره) باللغة الفارسيّة، و قد سبق لي أن قرأته فوجدته بعد التدقيق مفيداً جداً للطلاب، فقامت بتشجيع بعض الفضلاء علي تعريبه؛ فشمّلنا أطراف الله في حينها، حيث بشّرنا نجله فضيلة الدكتور السيد محمد تقي الطيّب (دام بقاءه) بأن كتاب «سبيل النجاة» باللغة العربيّة يفي بدور «الكلم الطيّب»؛ فاتضح عندها أن «سبيل النجاة» قد كتبه المرحوم آية الله الطيّب (قدس سره) باللغة العربيّة في نفس موضوع «الكلم الطيّب»، و لكنّه كان لا يزال حتي ذلك الحين محفوظاً عند نجله المحترم، دون أن يأخذ طريقه إلي الطبع.

و قد شمل توفيق هذه الخدمة الجليلة، و نعني بها طباعة و نشر هذا الكتاب، قسم الهيئة العلميّة و التحقيقيّة في مركز وليّ العصر العالمي؛ حيث تمّ إعداده للطبع بعد تحقيقه من قبل الأستاذ المحقق سماحة الحاج السيد

مهدي الرجائي (دام بقاءه). كما لا ننسى مساهمة الأستاذ المحقق سماحة الحاج الشيخ علي أكبر مهدي بور (دام بقاءه)، و الفاضل الأريب فضيلة السيد قياض حسين الحسيني (دام بقاءه) في تحقيق هذا الكتاب. وقد كتب الأستاذ المحقق سماحة الحاج السيد قاسم علي أحمددي (دام بقاءه) بعض التعليقات علي هذا الكتاب، (رمزه: عا) حيث تفتح هذه الخدمة باب البحث العلمي في الحوزة العلمية.

فأتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء الذين تقدّمت أسماؤهم، كما أشكر كل من كانت له مساهمة في هذا المشروع، وأخصّ منهم بالذكر كلاً من نجل المؤلّف (دام بقاءه)، و الفاضل الأريب فضيلة الحاج السيد محمد مهدي التجويدي (دام بقاءه)، و الفاضل الأريب فضيلة الحاج السيد محمد جعفر الروضاتي (دام بقاءه)، إذ كان لكل واحد منهم إسهام في تدليل الطريق أمام نشر هذا الأثر العلمي و الديني. و السلام عليهم ورحمة الله و بركاته

النجف الأشرف - السيد محمود بحر العلوم الميردامادي

رجب الأصب 1441 للهجرة

ص: 17

ذكر المؤلف _ (قدس سره) _ تفصيل سلسلة نسبه الشريف الي الإمام المعصوم (عليه السلام) في خاتمة تفسيره الشريف أطيّب البيان في تفسير القرآن، قال ما هذا لفظه:

السيد عبدالحسين المعروف و المدعوّ بالطيّب ابن السيد الجليل و العالم النبيل المير محمدتقي ابن السيد الجليل المير أبي القاسم ابن السيد الأجلّ المير علينقي ابن المير محمّدباقر، و هو من أجلاء علماء عصره، و كانت داره ملجأً للفقراء و ذوي الحاجات، و هو إمام المسجد الجديد العبّاسي المعروف بمسجد شاه، و كان مدرّساً في مدرسة الميرزا مهدي في بيدآباد، بل بناء المدرسة كان لأجله و بأمره، كما يستفاد من عبارة «الوقف نامه» بل يستفاد منه أنّه كان صاحب الكرامات، و مستجاب الدعوة، و كان علماء عصره كلّهم منقادين له، و من الطاف الله سبحانه في حقّه: إنّّه كان له أبناء سبعة كلّهم فريد عصره و وحيد دهره، و كان هو صاحب العطايا الكثيرة.

ابن المير إسماعيل كان عالماً مشغولاً بالوعظ و التدريس، و إماماً في المسجد السلطاني العبّاسي، و له تصانيف كثيرة.

ابن المير أبي صالح، كان عالماً و إماماً في المسجد المتقدّم ذكره، فيارشاد

المسلمين: نقل عن الحاج محمد إبراهيم الكلباسي (قدس سره) أنه قال: تشرفت في صغر سني مع والدي بخدمة المير محمدباقر اللنباي، و كان يقول: إن المير أبصالح كان سيداً جليلاً، وقد كتب الكلباسي (قدس سره) في حاشية شجره نامه ما يدل علي علو شأن السيد المذكور.

ابن المير عبدالرزاق هو صاحب الكرامات و المقامات العالية، خرج من سبزوار الي اصفهان، و توطن فيها قبل تسلط الأفغان علي إيران بسنة، و كان من علماء عصر الصفوية.

ابن السيد محمد، كان من علماء سبزوار، معروفاً بالزهد و الورع، و قبره الآن في سبزوار.

ابن المير أبي المعالي، كان نقيباً في العراق، و عند اختلاف الصفوية مع الدولة العثمانية وقع انقلاب شديد في العراق، فقوض السيد المومني اليه النقابة إلي بني أعمامه، و خرج من العراق إلي سبزوار و توطن فيها.

هو ابن السيد محمد، كان في ابتداء زمانه في سبزوار، و كانت إيران في ذلك الزمان منقلباً لظهور الدولة الصفوية، فخرج السيد الي بغداد و توطن فيها، و توجه إليه وجه الشيعة في العراق، و كان و الي العراق في ذلك الزمان «بازيك بيك» فلمّا توجه الشاه إسماعيل الصفوي إلي بغداد و حاصرها خاف الوالي من السيد محمد، فحبسه في مطمورة السجن، فلمّا تسلط الشاه إسماعيل علي بغداد و فتحها أخرج السيد من الحبس و أرسله بإجلال مع الخدم و الحشمالي النجف الأشرف، و فوض إليه سدنة الروضة كما كانت لأبائه من قبل، نقل ذلك عن المجالس.

و هو ابن السيد عبدالرضا، بن أبي الفتح السيد محمّد بن السيد مهدي بن السيد تاج الدين علي بن السيد شمس الدين بن ناصرالدين أحمد بن السيد شمس الدين محمّد بن السيد شمس الدين علي، بن السيد عميدالدين عبدالمطلب بن السيد أبي نصر إبراهيم جلال الدين بن عميد الملة و الدين عبدالمطلب بن السيد شمس الدين علي بن السيد تاج الدين حسن بن شمس الدين علي بن السيد عميدالدين أبي جعفر بن أبي نزار عدنان بن عبيدالله الرابع بن أبي علي المختار بن أبي مسلم الأحول بن أبي الفتح محمّد بن أبي القاسم محمّد الأشتر بن عبيدالله الثالث بن علي بن عبيدالله الثاني بن أبي الحسن علي الزوج الصالح بن أبي علي عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام). (1)

الإطراء عليه:

كان عالماً محققاً جامعاً فاضلاً فقيهاً أصولياً مجتهداً كاملاً مفسراً متكلماً زاهداً عابداً خدوماً ساعياً في قضاء حوائج الناس، و كان له محافل قيّمة في بيان المعارف الدينية، تربّي و تخرّج منها كثير من العلماء و الفضلاء و الأخيار، و كان يقيم صلاة الجماعة في أوقاتها الثلاثة، مواظباً عليها، رأيته كثيراً بأصفهان متصلباً في دينه، و كان يدرّس الدروس العالية في مدرسة الصدر بأصفهان، و كان معروفاً بالمواظبة علي إتيان المستحبات و الأوراد الواردة في الأشهر الثلاثة و غيرها، و مواظباً علي الأدعية و الزيارات، و كان مواظباً أيضاً علي قراءة القرآن دائماً، و قراءة زيارة العاشوراء مع آدابه، و مواظباً أيضاً علي الصلوات

ص: 21

1- _ أطيّب البيان، ج 23، ص 499_ 510 مختصراً.

المستحبة و صلاة الليل في طول عمره الشريف، و الحاصل كان موقفاً علماً و عملاً، فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

أدوار تحصيله:

قال المؤلف في خاتمة تفسيره أطيب البيان في ترجمته: إنني أنا العبد الفقير الذليل المستكين السيد عبدالحسين الطيب غفر الله له، قد درست قسماً من المقدمات في مدرسة الميرزا مهدي، و أكملتها خلال ثلاث سنين عند المرحوم الحاج الآخوند زفره اي.

ثم تتلمذت في مدرسة الصدر مدة عشر سنوات في دراسة السطوح و الخارج عند أساتيد العظام، و انشغلت كذلك في إقامة الجماعة مدة عشرين سنة، أمضيت قسماً من تلك المدة في مدرسة الجدة الكبرى و الصغرى، و مدرسة شاه زاده ها، و مدرسة چهارباغ.

ثم تشرفت في مدرسة الصدر في النجف الأشرف عند الأساتيد العظام المذكورين لحضور البحث الخارج.

و بعد الفراغ من التحصيل الدراسي الحوزوي رجعت إلي اصفهان للاشتغال بالتدريس في مدرسة الصدر و إقامة الجماعة. ثم بني لي مسجد، و هو المسمي بمسجد الطيب لإقامة الجماعة و بيان المواعظ و الأحكام، و لي هناك مجالس معينة في ليالي الأسبوع، و محاضرات في بيان الأخبار و تفسير الآيات و مكارم الأخلاق و الأحكام.

ولما خرب المسجد و صار في الطريق المسمي بشارع مسجد السيد بني لي مسجد آخر سمي بمسجد الأتقي في باب القصر، ثم بني لي المسجد الأعظم في

خيابان المير «المسجد الكازروني» و بقيت إلي الآن مقيماً في المسجدين لإقامة الجماعة و بيان المسائل المهمّة المبتلي بها... إلي آخر كلامه (1).

مشايخه في تحصيل العلوم:

ذكر المؤلف مشايخه الذين استفاد منهم العلوم و المعارف الدينية، و هم:

- 1 _ المرحوم الملاّ عبدالجواد.
- 2 _ الحاج الآخوند زفره اي، قرأ عليه من أوّل السطح إلي المعالم.
- 3 _ السيد آقا جان، درس عليه المطوّل.
- 4 _ السيد أحمد الخوانساري، درس عليه المعالم.
- 5 _ الشيخ علي اليزدي، درس عليه شرح اللمعة.
- 6 _ الشيخ أسدالله القمشه اي، درس عليه الحكمة و الحساب و الجبر و المقابلة و الهيئة و النجوم. 7 _ الشيخ حسن اليزدي، درس عليه المنطق.
- 8 _ السيد مهدي الدرچه اي، درس عليه القوانين و الكفاية.
- 9 _ الملاّ عبدالكريم الغزي، درس عليه المتاجر للشيخ.
- 10 _ المير محمّدصادق المدرّس، درس عليه الفرائد و خارج الأصول.
- 11 _ الشيخ محمّدعلي الدزفولي، درس عليه الكفاية.

ص: 23

- 12 _ السيد أبو القاسم الدهكردى، درس عليه خارج الفقه.
- 13 _ المير محمد تقى المدرّس، درس عليه خارج الأصول.
- 14 _ السيد محمّد باقر الدرّجّه اى، درس عليه خارج الفقه في أحد عشر سنة.
- 15 _ الشيخ عبدالكريم الحائري، درس عليه في قم خارج الفقه.
- 16 _ الشيخ جواد البلاغى.
- 17 _ السيد أبو تراب الخوانسارى، درس عليه الرجال و الدرّاية.
- 18 _ الشيخ آقا ضياء الدين العراقى، درس عليه منجّزات المريّض.
- 19 _ الشيخ محمّد حسين الاصفهانى، درس عليه خارج الأصول.
- 20 _ السيد أبو الحسن الاصفهانى، درس عليه خارج الفقه.
- 21 _ الميرزا محمّد حسين النائينى، درس عليه خارج الفقه و الأصول.
- 22 _ السيد حسين المعروف بـ «بلند» و هو أخ جدّنا السيد محمّد باقر الراجائى، درس عليه خارج الأصول.
- 23 _ السيد إسماعيل الرىزى، درس عليه خارج الفقه.

مشايخه في الرواية:

و أمّا مشايخه في الرواية و الدرّاية، فهم:

1 _ الميرزا محمّد حسين النائينى.

2 _ السيد أبو الحسن الاصفهانى.

- 3_ الشيخ ضياء الدين العراقي.
- 4_ الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي.
- 5_ الحاج آقا حسين القمي.
- 6_ الميرزا آقا الاصطهباناتي.
- 7_ الشيخ محمد كاظم الشيرازي.
- 8_ الشيخ محمود الرازي الطهراني.
- 9_ الشيخ محمد حسين الفشاركي.
- 10_ السيد محمد باقر الدرجه اي. (1)

تأليفه القيمة:

وله (قدس سره) تأليف قيمة في التفسير و الفقه و الأصول و المعارف و العقائد، وهي.

- 1_ أطيب البيان في تفسير القرآن، باللغة الفارسية طبع أولاً في 14 مجلد، ثم طبع أخيراً مع تحقيق كامل في 23 مجلد.
- 2_ الكلم الطيب في العقائد، مطبوع.
- 3_ العمل الصالح في العقائد و الأخلاق و المعاصي الكبار.
- 4_ سبيل النجاة في العقائد، و هو هذا الكتاب بين يديك، حققت و قابلت الكتاب علي نسخة الأصل بخط مؤلفه.

ص: 25

1- _ أطيب البيان، ج 23، ص 211_ 512.

- 5_ تقريرات أبحاث السيد محمدباقر الدرجه اي في الفقه و الأصول.
- 6_ تقريرات أبحاث السيد المير محمد الصادقي في الأصول.
- 7_ تقريرات أبحاث الميرزا محمد حسين النائيني.
- 8_ تقريرات أبحاث الآقا ضياء الدين العراقي.
- 9_ تقريرات أبحاث السيد أبي الحسن الاصفهاني في الفقه.
- 10_ تقريرات أبحاث الشيخ محمد حسين الاصفهاني في الأصول.
- 11_ تقريرات أبحاث السيد حسين المعروف بـ «بلند».
- 12_ تقريرات السيد إسماعيل الريزي.
- 13_ تقريرات السيد أبي تراب الخوانساري. 14_ تقريرات الشيخ عبدالكريم الحائري.
- 15_ تقريرات المير محمد تقى المدرّس.
- 16_ حاشية علي لباس المشكوك للمحقق النائيني.
- 17_ حاشية علي لباس المشكوك للمحقق العراقي.
- 18_ حاشية علي الاستصحاب للمحقق النائيني.
- 19_ رسالة في صلاة الجمعة في عصر الغيبة.
- 20_ رسالة في شرائط صلاة الجمعة إقامة الإمام و المأذون منه.

ولادته و وفاته:

ولد في سنة 1312 هـ ق باصفهان، و توفي والده في الثاني عشر من عمره الشريف، و تكفلته أمه، و اشتغل من صباه بتحصيل العلوم و المعارف، و درس عند أكابر علماء اصفهان آنذاك، و كان أكثر تحصيله في السطوح عند العالم الحاج الشيخ أبي القاسم الزفره اي، و درس الحكمة و المعقول عند العالم الشيخ أسد الله القمشه اي. ثم حضر في الفقه بمدة أحد عشر سنة عند العالم الفقيه الأصولي المجتهد السيد محمّدباقر الدرچه اي، كما أشار إليه في كتابه هذا.

ثم هاجر في طلب العلم إلي قم، و حضر مدة سنة كاملة عند العالم الفقيهالحاج الشيخ عبدالكريم الحائري، ثم سافر في طلب العلم إلي العتبات المقدّسة، و استفاد من أعلامها، إلي أن بلغ مرتبة الاجتهاد و الاستنباط، و أجازته جمع من الأعلام و الفقهاء العظام.

و توفي بعد مضي قرن كامل من عمره الشريف في تاسع محرّم الحرام سنة (1412) هـ ق، و دفن في المسجد الكازروني الذي كان يقيم الصلاة جماعة فيه.

و في الختام أقدم ثنائي العاطر لفضيلة العلامة السيد محمود بحر العلوم الميردامادي حفظه الله و رعاه لعنايته لنشر هذا الأثر القيم و الخالد، و إخراجه من الزوايا إلي عالم النور، فجزاه الله خير جزاء المحسنين، و الحمد لله رب العالمين.

السيد مهدي الرجائي

خامس شعبان المعظم سنة (1440) هـ ق

ص: 27

مسئلة الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين وصلى الله محمد وآله الطيبين والمؤمنين
ألقى المدعو بطيب حشره الرفع اجلدها الطيبين هذه وصلة ما سبقته ولا يخفى ان العجب من المطالع المسمى
الدارين وحصيل سعاده الشان منوط بامر من اعدوا العلم بطرق الوصول اليها والثاني المشي في الطريق
المطلوب حتى يصل الى ما هو المقصود المعبر عنه بالعمل فالنجات تخصص بالعالج العامل عما انما يلزمه والجايل العامل
او العالم الذي ان نجات له اصلا لما يكون الامر كل من الطرق الحسية وهذا واضح بالبرهان العقلي من دون حاجة
اثباته بالكتاب والسنة والعلية بالطرق محتاج الى وجوده في معلم غير بالطرق من جانب الله من هنا ولما بان
ارسال الرسل وانزال الكتب واجب على الله تعالى ونحن نحتاج اليه وبدونه يلزم العيش في الخلق في البرهان من هنا
لانه اعلم بطرق الخير والعبادة والنجات من جميع الانبياء والملائكة والخلق جميعا ولا صلوا عليه اللهم زمان حين
لامنة الى يوم القيمة سبعين ووسيلة الى هداية امته وما كتاب الله وحشرته فقال صلى الله عليه وسلم ارسلا من الزهراء
انني انزل فيكم التقلين كتاب الله وعشر الذين يفرقة في برادها لمدى ما انتم عليه من اهل البيت
وقدرت انما انما اتمتم باسما متعددة تزيد على سبعين في صناديقها طرق وسطه فوالله وصيحي منكم
والثانية بطريقين وامن المعاني التي في مجموعها ما وجد في الدنيا من غير ما وجد في الجنة
بمسألة جديدة اخرى والسما في مسائل الصعبة بواجده وصدقه الاثمة الظاهر في رزق من نفاق في الحدوث والحمية في
ابراهيم بثمانية ولسعد وثلاثة والخميس وصاحب السكرة والزهر والبن المجرى صفة عظمه باسناد مشكورة في غير ذلك
ثم ان هذه في التقلين تطابق ان النجات منوط بامر من الايمان والتمسك بالامانة عن الاعتراف
الحقة الثابتة بالدولة العقلية من المعرفة بالله وصفاته وافعاله وبمراة توحده ويعبد له ويعتقد انبيائه و
وغيره يتصاها وانما كنهه والتصديق بجميع ما جاء به من عند ربه وامامة الاثمة الاثني عشر وسنة من فضائلهم
وغيره فاشهر وظهور ونما بعد رجعت الاثمة وبالمرحمة وما بعد من خصائص العباد وجميع تلك الحقائق تتلغ
ضمن وجهها الاطلاق الا لا بد من وجهها الى جهة بل التلك في وجه التوحيد والنبوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والعلمية والخفية والعلنية والباطنية والظاهرة والباطنية والجليلة والذليلة والعلوية والظلمية والظلمية والظلمية والظلمية والظلمية

سبيل النجاة

«في أصول الدين»

للمتكلّم المفسّر الفقيه العلامة

آية الله الحاج السيد عبدالحسين الطيّب الاصفهاني (قدس سره)

1312 _ 1412 هـ - ق

المجلّد الأوّل

إشارة

ص: 29

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الحمد لله رب العالمين، و صلّي الله علي محمّد و آله أجمعين، و اللعنة علي أعدائهم أعداء الدين.

و بعد: يقول العبد الآثم الجاني عبدالحسين بن محمّد تقي المدعوّ بـ«الطيب» حشرهما الله مع أجدادهما الطيبين: هذه و جيزة في سبل النجاة.

و لا يخفي أنّ النجاة من المهالك في الدارين، و تحصيل سعادة النشأتين، منوط بأمرين:

أحدهما: العلم بطرق الوصول إليها.

و الثاني: المشي في الطريق المعلوم، حتّي يصل إلي ما هو المقصود المعبر عنه بالعمل.

فالنجاة مختصّة بالعالم العامل. و أمّا الجاهل التارك، أو الجاهل العامل، أو العالم التارك، فلا نجاة له أصلاً، كما يكون الأمر كذلك في الطرق الحسيّة، و هذا واضح بالبرهان العقلي من دون حاجة إلي إثباته بالكتاب و السنّة.

و العلم بالطرق يحتاج إلي وجود هادٍ و معلّمٍ خبير بالطرق من جانب الله، و من هنا قلنا بأنّ إرسال الرسل و إنزال الكتب واجب علي الله تعالى، و نحن نحتاج إليه، و بدونه يلزم العبث في الخلقة.

فخير الهادين نبينا (صلي الله عليه و آله و سلم)؛ لأنه أعلم بطرق الخير و السعادة و النجاة من جميع الأنبياء و الملائكة و الخلق أجمعين.

و أنه (صلي الله عليه و آله و سلم) في زمان حياته جعل لأُمَّته إلي يوم القيامة سببين و وسيلتين إلي هداية أُمَّته، و هما كتاب الله و عترته، فقال (صلي الله عليه و آله و سلم) بالسند المتواتر بين الفريقين: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي، لن يفترقا حتّي يردا عليّ الحوض، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبدا. (1)

و قد رواه العامة في كتبهم بأسناد متعدّدة تزيد علي سبعين.

ففي مسند حنبل بأربعة طرق (2)، و سبطه بواحد، و صحيح مسلم بأربعة (3)،

و الثعلبي بطريقين، و ابن المغازلي الشافعي بخمسة (4)، و أبو الحسن الأندلسي

ص: 32

1- _ حديث صحيح متواتر، رواه الفريقان في معاجمهم الحديثية، قد صدر هذا الحديث منه (صلي الله عليه و آله و سلم) في مواضع، منها يوم عرفة علي ناقته القصوي، و في مسجد خيف، و في خطبة يوم الغدير في حجّة الوداع، و يوم قبض في خطبته علي المنبر، و غيرها.

2- _ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج 2، ص 585، ح 990؛ مسند أحمد بن حنبل، ج 17، ص 170 و ص 309 و ج 18، ص 114 و ج 32، ص 64.

3- _ صحيح مسلم، ج 7، ص 122 و 123.

4- _ المناقب لابن المغازلي، ص 140 و ص 214 و 215.

في جامعه(1)

عن صحيح الترمذي(2)

وأبي داود، وأيضاً ابن المغازلي بأسناد جديدة أخرى، والسمعاني في فضائل الصحابة بواحد، و صدر الأئمة أخطب الخوارزمي موفق بن أحمد بثلاثة(3).

والحموي بني محمد بن إبراهيم بثمانية(4)،

والمسعودي بثلاثة، والحميدي(5)

و صاحب المشكاة(6)

والزهري، وابن الحجر في صواعقه(7)

بأسناد متكررة، إلي غير ذلك في كتبهم(8).

ثم إن هذين الثقلين تطابقا علي أنّ النجاة منوط بأمرين: الإيمان، والتقوي.

ص: 33

1- إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، ج9، ص324 عنه.

2- صحيح الترمذي، ج13، ص199_200.

3- مقتل الحسين للخوارزمي، ج1، ص156 و ص239.

4- فرائد السمطين للحموي، ج1، ص317 و ج2، ص142_147.

5- إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، ج9، ص323 عنه.

6- مشكاة المصابيح، ج3، ص258.

7- الصواعق المحرقة، ص262.

8- راجع: إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، ج9، ص309_375.

بالعقائد الحقّة الثابتة بالأدلة العقلية(2) من المعرفة باللّه و صفاته و أفعاله، و بمراتب توحيده، و بعدله، و نبوّة أنبيائه، و نبوّة نبينا (صلي الله عليه و آله و سلم) و خاتمته، و التصديق بجميع ما جاء به من عند ربّه، و إمامة الأئمّة الإثني عشر، و شؤونهم و فضائلهم، و غيبة قائمهم و ظهوره فيما بعد، و

ص: 34

1- _ و يعتبر فيه أمور أربعة، الأوّل: اليقين و العلم، فلا يكفي الظنّ و الشكّ، فلو دخل في شيء من العقائد شبهة، أو تزلزل، أو اضطراب لكان صدق الإيمان عليه مشكك. الثاني: الإقرار باللسان، فاليقين بلا إقرار لا يكفي في الإيمان. الثالث: عقد القلب و إطلاق الاعتقاد عليه من هذه الجهة، و هو المعبر عنه بالفارسية بدل بستن. الرابع: التسليم و الانقياد و الرضا «منه» غفر له.

2- _ الأدلّة التي استدلّ بها في باب العقائد المفيدة للعلم علي أصناف ثمانية: الأوّل: الأدلّة العقلية المحضّة، المعبر عنها بالعقل المستقلّ، كإثبات الصانع و توحيده، و بعض صفاته، و سلب النقائص عنه، و النبوّة العامّة و نحوه كالعدل. الثاني: العقلية الغير المحضّة المعبر عنه بغير المستقلّ، و هي ما يحتاج في إثباته بالعقل من انضمام أمر خارجي إليه، كالنبوّة الخاصّة حيث يحتاج في حكم العقل بها من إثبات دعوي النبوّة و واجديته للشرائط، و فقدان موانع النبوّة، و الإتيان بالمعجزة، فالعقل يحكم بأنّه نبي، و كذا إثبات الإمامة بالأكمالية أو بالمعجزة. الثالث: نصّ الكتاب. الرابع: نصّ الخبر المتواتر في جميع الطبقات. الخامس: غير المتواتر المحفوف بالقرائن القطعية. السادس: ضرورة الدين. السابع: ضرورة المذهب. الثامن: إجماع علماء الشيعة، فالعدلية منحصرة بذلك و غيرها لا يفيد علماً، و لا يكفي به في باب العقائد «منه» غفر له.

رجعة الأئمة، و بالموت و ما بعده من خصوصيات المعاد.

و مجموع تلك العقائد تبلغ خمسين، و يجمعها الأخلاق الإسلامي، و مرجعها إلى خمسة بل ثلاثة، و هي: التوحيد، و النبوة، و الإقرار (1) بما جاء به النبي (صلي الله عليه و آله و سلم).

و التقوي عبارة عن فعل الطاعة و ترك المعصية، و هما علي قسمين: الطاعات، و المعاصي الظاهرية الجوارحية، و الطاعات و المعاصي القلبية الباطنية التي عبارة عن التخلُّق بمحامد الأخلاق، و التنزّه عن رذائلها.

فمقاصد هذه الكتاب ثلاثة: الأول في الإيمان، و الثاني في تقوي الظاهر، و الثالث في تقوي الباطن، و إرجاع كلّ إلي الآخر ممكن.

مثلاً يمكن إدخال التقوي بالمعنيين؛ لكون الإيمان مبثوث علي الجوارح، كما ورد علي ذلك أخبار. (2)

و يمكن إدخال كلّ في طاعة الجوارح و معصيتها؛ لأنّ الإيمان و محامد

ص: 35

1- قوله «و الإقرار» أقول: ما نسب إلي النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في هذا الدين علي ثلاثة أصناف: الأول: ما هو قطعي الصدور منه (صلي الله عليه و آله و سلم) بأحد من الأدلة المتقدّمة العلمية، و هذا يجب الإقرار به تفصيلاً، و لا يجوز إنكاره؛ لأنّ إنكاره يرجع إلي إنكار الرسالة و يوجب الكفر أو الارتداد، و يجري عليه أحكام الكفر و الارتداد. الثاني: ما هو قطعي الخلاف، بحيث يعلم بعدم صدوره، كالبدع التي أوردتها المبدعون في الدين، و هذا يجب إنكاره و الاعتقاد بخلافه. الثالث: ما لم يعلم صدوره و لا عدمه، فإن لم يقم دليل ظني عليه من الأخبار و غيرها، فيجب السكوت عنه؛ لما قد ورد من أنّه أسكتوا عمّا سكت الله عنه، و إن قام دليل غير علمي علي أحد طرفيه، فيجب الإقرار و الاعتقاد به اجمالاً، و علي ما هو عليه، و لا تعتقد بشيء لم يصل عنهم، و لا تنكر شيئاً معتبراً «منه» غفر له.

2- بحار الأنوار، ج66، ص23، ح6؛ الكافي، ج2، ص33، ح1.

الأخلاق أعظم الطاعات لأعظم الجوارح، وهو القلب، وكذلك الكفر وذنابل الأخلاق أشد المعاصي.

ويمكن إدخال كل في طاعة الباطن؛ لأن الإيمان والتقوي من أعظم محامد الأخلاق، والكفر والفسوق من أشد الرذائل، وحينئذ نقول:
أمّا

المقصد الأول

إشارة

ففيه مطالب:

المطلب الأول: في فضل الإيمان و الفرق بينه وبين الإسلام و مراتبه

أمّا فضله، فكفي فيه كون النجاة في الآخرة منوطه به، وهو شرط في صحّة جميع الأعمال، حتّى أنّ من عبد الله طول الدهر بدون الإيمان ما كان له علي الله ثواب، وأن مات مؤمناً لنجا، ولو جاء يوم القيامة بذنوب أهل الدنيا.

و أمّا الفرق بينه وبين الإسلام (1)،

فبالعموم المطلق، و الإسلام إنّما يفيد في

ص: 36

1- قد ذكر في الفرق بينهما وجوه أربعة، الأول: أنّ الإسلام مجرد الإقرار باللسان دون القلب، و الإيمان هو مع الاعتقاد القلبي، و استدللّ علي ذلك بقوله تعالي: «قالت الأعراب»، «الحجرات: 14» الآية. الثاني: أنّ الإسلام هو الاعتقاد الغير الراسخ، و الإيمان هو الراسخ منه، و استدللّ لذلك بالآية المتقدمة، بدعوي أنّ المراد من قوله: «وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» عدم رسوخه، لا عدم دخوله أصلاً؛ لأنّه كفرّ و نفاق، لا إسلام. الثالث: أنّ الإسلام هو مجرد الاعتقاد من دون عمل، و الإيمان هو الاعتقاد مع العمل، و استدللّ علي ذلك بأخبار كثيرة مذكورة في باب الإيمان و الكفر، من أنّ الإيمان عمل كلّ. الرابع: أنّ الإسلام عبارة عن الإقرار بالتوحيد و النبوة و سائر ضروريات الدين، التي إنكاره يورث الكفر و الارتداد، و الإيمان هو ذلك مع الاعتقاد بالعدل و الولاية و سائر ضروريات المذهب التي إنكاره يورث الضلالة . ثمّ إنّ هنا خلاف آخر، و هو أنّ الإيمان هل هو مجرد الإقرار باللسان، أو الاعتقاد بالجنان، أو هما معاً، أو هما مع العمل بالأركان، أو الإقرار و العمل و الاعتقاد مع العمل، أو العمل المجرد؟ فيه احتمالات، بل أقوال، و الحقّ أنّه مجرد الاعتقاد و الإقرار كاشف عنه، و العمل مكمل له، و بذلك تقدر علي الجمع بين الأخبار المختلفة، و التفصيل موكول إلي محلّه، و لا يسع هذا المختصر أبسط من ذلك «منه» غفر له.

الدنيا في إجراء أحكامه عليه.

وأما الآخرة، فحكم المسلم غير المؤمن حكم الكافر، بل أشد منه.

وأما مراتبه ودرجاته، فكثيرة بل غير متناهية، فأين درجة إيمان أمير المؤمنين (عليه السلام) مع إيمان أضعف الشيعة.

وتعدّد درجات الإيمان: تارة من حيث الاعتقاد قوّةً وضعفاً، كلاًّ وبعضاً.

وأخري من حيث الأعمال صحّةً وفساداً، كثرةً وقلةً، خالصّةً ومشوبةً.

وثالثة: من حيث الأخلاق كثرةً وقلةً، شدّةً وخفّةً، وكلّ ذلك غير محصور. فكلّ من قوي اعتقاده، وحسن أخلاقه، وخلص أعماله، كان إيمانه أقوى، وكلّما ضعف ذلك، ضعف إيمانه.

وبهذا تقدر علي الجمع بين الأخبار في تعيين مراتبها، حيث عيّن في بعضها سبعة، وفي بعضها عشرة، وفي بعضها تسع وأربعين جزءاً، و جعل لكلّ جزءٍ أعشاراً، وفي بعضها أطلق الدرجات والمراتب كالسُّلّم والمِرْقَاة، و

ص: 37

في بعضها جعل قسمين: مستقرّ، و مستودع.

فينبغي للإنسان أن لا يكتفي بما عنده، بل كان في مقام الزيادة و التكميل في تمام عمره، بل جعل فوق الإيمان في بعض الأخبار التقوي؛ لأنه إيمان مع العمل، و فوق التقوي اليقين.

و جعل لليقين أيضاً في بعض الأخبار مراتب: علم اليقين، و عين اليقين، و حقّ اليقين، فمن شدّة يقينه يري نفسه في الجنّة و النار، و كونه حاضراً عند الله، و أنّ ما يصدر في العالم فمن الله، و أنّ الأسباب و الوسائط كلّها مقهورة تحت قدرته، حتّي في مثل أفعال العباد الصادرة عنهم باختيارهم. (1)

المطلب الثاني: في وجوب المعرفة

و قد استدلّ بذلك تارةً بقاعدة دفع الضرر المحتمل، بل المظنون، بل المقطوع، كمن احتمل السمّ في شربه أو أكله، أو السبع في طريقه، أو العقرب في لباسه.

و أخرى بقاعدة شكر المنعم، و قبح كفرانه، نظير من ضلّ في الطريق و لم يكن له مأكل و مشرب، و مرض مرضاً شديداً أشرف علي الهلاك آيساً من جميع الأسباب، فجاء رجل أنعم عليه و أحسن إليه، و آواه و داواه حتّي برأ، و

ص: 38

1- أقول: فللعباد الإختيار في الفعل و الترك و أنه لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، فالقول بأنّ العباد مجبورون في أفعالهم يستلزم الظلم و القول بأن لا مدخل لله تعالي مطلقاً في أفعال العباد كفرّ، بل لله تعالي مدخل بالهدايات و التوفيقات و تركها _ المعبرّ في عرف الشرع بالإضلال _ و لا- بصير العبد بتلك التوفيقات مجبوراً بالفعل و لا بتركها في الترك كما أفادة العلامة المجلسي (رحمة الله) في إعتقاداته و علي هذا فإن كان مراد المؤلّف ما ذكرناه فهو المطلوب و الّا ففيه اشكال. (عا)

أعطي إليه من المال أكثر ما يتصوّر، وأرسله إليّ وطنه.

فهل يحكم العقل بأنّ الواجب عليّ هذا الرجل شكر نعم منعمه، أو كفرانه بالمساعدة مع أعدائه، والخروج إليّ حربته ومقاتلته؟ و شكر كلّ منعم ما يليق بمقامه، و هو موقوف عليّ المعرفة به و بمقامه.

المطلب الثالث: في إثبات الصانع و توحيدهِ و صفاته

إشارة

وفيه أمور:

الأمر الأوّل: في إثبات وجوده

وقد ذهب جماعة إليّ كونه من البديهيّات الأوّلية غير المحتاجة إليّ الاستدال.

قال الله تعالى: { أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ } (1).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) في دعاء العرفة المنسوب اليه: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وَجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيْ كُنْ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ مَتَى غَبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَيَّ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَ مَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الأَثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيباً. (2)

أقول: يؤيد ذلك بل يدلّ عليه أنّ جميع المهيّات الممكنة ظهورها

ص: 39

1- سورة إبراهيم: 10.

2- إقبال الأعمال، ج 1، ص 349؛ بحار الأنوار، ج 64، ص 142 و ج 95، ص 226.

1- أقول: القول بأن الذات الإلهية المقدسة مساوية للوجود و انه لا يصدر منها إلا الوجود وأنه صرف الوجود وأن بسيط الحقيقة كل الأشياء و ... واضح البطلان؛ فإن لفظة «الله» اسم علم للذات الإلهية المقدسة المباشرة لغيرها من الموجودات. و أما كلمة «الوجود» فهي لغة و عرفاً تعني التحقق و الثبوت و عليه فلا ربط بين لفظة الجلالة و بين كلمة «الوجود» فهما من المعاني المتخالفة مثل زيد و الشجاعة. بيان آخر: فد يراد من كلمة «الوجود» المعني الحرفي الرابط و الذي يرادفه في الفارسية (است) و قد يراد به المعني المصدر المتضمن للنسبة إلي الفاعل و الذي يرادفه في الفارسية (بودن) و قد يراد به اسم المصدر الفاقد في نفس مفهومه للنسبة إلي الفاعل و الذي يرادفه في الفارسية (هستي)، و هذه الاصطلاحات الثلاثة مستعملة في العرف و اللغة. و قد يراد بكلمة «الوجود» نفس الحقيقة العينية و الذي يحكي عنها بهذا المفهوم العام. و يعبر عنها في كلماتهم «بالحقيقة البسيطة النورية التي حيثية ذاتها حيثية الإباء عن العدم و منشئية الآثار» و يعبر عنها أيضاً في لسان القوم «بحقيقة الوجود» و هي التي اختلفت في أصلتها و عدمها. فهذا المعني لكلمة «الوجود» مجرد اصطلاح مبني علي الإدعاء و فاسد بالأدلة العقلية و النقلية و لا ربط له بكلمة «الوجود» عرفاً و لغةً و عقلاً. و علي هذا، فالقول بأن الله تعالي هو الوجود - مضافاً إلي ما ذكر - إخبار عن حقيقة ذاته تعالي و تعيين كنهه سبحانه بحقيقة الوجود التي هي حقيقة جميع الأشياء عندهم - بالرشح و الفيضان أو التطور و التجلي - و هو ممنوع عقلاً و شرعاً. لا يخفي أنه فرق بين القول بأنه تعالي «موجود ثابت محقق» كما في الأخبار، و بين القول بأنه سبحانه «وجود»؛ لأن الأول إخبار عن كونه تعالي شيئاً حقيقياً لا موهوماً و لا باطلاً، بخلاف الثاني فإنه إخبار عن معرفة كنهه و حقيقة ذاته سبحانه و إن لم يفهم حقيقة الوجود و اعترف بعجزه عن درك حقيقة الوجود و قال: «بأن كنهه لا يدرك»، إلا أن يراد من القول «بأنه تعالي وجود» أنه ثابت و متحقق و موجود. (عا)

الوجود نور، و المهية ظلمة،(1) وإتما يظهر بالنور الظلمة، فهو تعالي ظاهر بذاته مظهر لغيره، كما هو معني النور {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} (2).

وقال أمير المؤمنين: يا نورُ يا قدوس. (3)

و ذهب جماعة أخرى إلي كونه نظرياً، و استدللّ عليه: تارةً بتقسيم الوجود إلي الواجب و الممكن، و كلّ ممكن لا بدّ و أن ينتهي إلي الواجب، و إلاّ لزم الدور أو التسلسل، و كلاهما محال باطل.

و أخرى بالتقسيم إلي القديم و الحادث، و أنّ كلّ حادث يحتاج في وجوده إلي محدث حتّي ينتهي إلي القديم، و إلاّ لدار أو تسلسل.

ص: 41

1- أقول: أنّ هذا الكلام مبني علي أصالة الوجود و إعتبارية الماهية مع أنّ ما إستدلّوا بها لأصالة الوجود كلّها مبتنية علي مقدمات غير مسلّمة او مصادرة علي المطلوب. و المراد من الوجود عند القائلين بأصالة الوجود ليس المعني الكلّي الإنتزاعي و المحمول علي الأشياء و هو الذي يعدّ من المعقولات الفلسفية الثابّة، بل المقصود من الوجود هو نفس الحقيقة العينية و هو المعني الذي جاء به ملا صدرا. فالقول بأصالة الوجود معناه: أنّه لا تحصّل للأشياء حقيقةً و إنما الثابت في الخارج وجود محض، فما نراه و نسمّيه شجراً و حجراً و انساناً و أرضاً و سماءً ... كلّهم و خيال علي هذا المبني، لأنّ الذي متحصّل في الخارج إنّما هو الوجود فقط و الوجود شئ واحد لا تمايز و لا تفاوت فيه. و اما القائلون بأصالة الماهية فمرادهم من الماهية هو: ما به الشئ هو هو، لا القلب الذهني و لا الحد العقلي المنتزع من الأشياء و إلاّ فالماهية بمعني القلب الذهني و الحد العقلي لا شكّ في إعتباريتها حتي عند القائلين بأصالة الماهية. (عا)

2- سورة النور: 35.

3- إقبال الأعمال، ج 2، ص 707؛ مصباح المتهدد و سلاح المتعبد، ج 2، ص 844.

و ثلاثة بدلالة الآثار علي المؤثر، كما نطقت به الكتاب و السنة. (1)

أما الكتاب، فكثير:

منها قوله تعالي في سورة البقرة: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (2)

و منها قوله تعالي في سورة الأنعام: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَائِي تُوفِّكُونَ}، {فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسبانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}، {وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، {وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمَسَّ مَقَرًّا وَ مُسَدًّا قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}، {وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراَ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دَانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَغْتابٍ وَ الزَّيْتُونِ وَ الرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُشْتَبِهٍ

ص: 42

- 1- _ تنبيه: أنّ طريق معرفته تعالي بإدراك العقل هو الإستدلال عليه بآياته و آثاره و أفعاله تعالي. و البرهان الممكن إقامته علي إثبات الواجب تعالي هو البرهان الإتي الذي ينتقل فيه من المصنوع الي الصانع «و المعلول إلي العلة» لإثنا نستدلّ من المصنوع الذي هو المعلول علي الصانع الذي هو العلة بملاحظة الصنع و الإبداع و التكوين و لا يمكن إقامة البرهان اللّمي الذي ينتقل فيه من العلة إلي المعلول، اذ لا علة له تعالي. و لا يخفي أن البرهانين المذكورين في المتن يرجعان الي هذا البرهان. (عا)
- 2- _ سورة البقرة: 164.

انظُرُوا إِلَيَّ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}. (1)

ومنها قوله تعالى في سورة يونس: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}. (2)

ومنها قوله تعالى في سورة الرعد: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرٌ صِنْوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. (3)

ومنها قوله تعالى في سورة النحل: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}، {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}، {ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً

ص: 43

1- سورة الأنعام: 95_99.

2- سورة يونس: 5_6.

3- سورة الرعد: 3_4.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (1) ومنها قوله تعالى في سورة النحل أيضاً: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّدُ كُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (2)

ومنها قوله تعالى في سورة الروم: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْأَمُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} (3) إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الستة، فهي أيضاً كثيرة:

منها: ما عن التوحيد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث سئل: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِفَسْخِ الْعِزْمِ، وَنَقْضِ الْهِمَمِ، لَمَّا أَنْ هَمَمْتُ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَمِّي، وَعَزَمْتُ فَخَالَفَ الْقَضَاءُ عِزْمِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُدْبِرَ غَيْرِي. (4)

ص: 44

1- سورة النحل: 66_69.

2- سورة النحل: 79.

3- سورة الروم: 20_25.

4- بحار الأنوار، ج 3، ص 42، ح 17؛ التوحيد للشيخ الصدوق، ص 288، ح 6.

ومنها: ما عن الصادق (عليه السلام) حيث سئل عن الله، فقال للسائل: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ (عليه السلام): فَهَلْ كُسِدَتْ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةٌ تُنَجِّيكَ وَلَا سِدٌّ بِأَحَاةٍ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ (عليه السلام): فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئاً مِّنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرَطَّتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الصَّادِقُ (عليه السلام): فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَيَّ الْإِنجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِي، وَعَلَيَّ الْإِغَاةَ حَيْثُ لَا مُغِيثَ. (1)

ومنها: ما عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، حيث قيل له: مَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ حَدَّثَ (2)

العَالِمِ؟ قَالَ: أَنْتَ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ كُنْتَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُكُونَ نَفْسَكَ وَلَا كَوْنَكَ مِنْ هُوَ مِثْلِكَ. (3)

إلي غير ذلك من الأخبار.

ولقد أحسن الأعرابي، حيث قال: البعرة تدلُّ علي البعير، و أثر الأقدام علي المسير، أفسماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج لا تدلان علي الصانع اللطيف الخبير؟ (4)

وسئل عارف بم عرفته ربك؟ فقال: بواردات ترد علي القلوب، و تعجز

ص: 45

-
- 1- بحار الأنوار، ج 3، ص 41، ح 16؛ التفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ص 22، ح 6؛ معاني الأخبار، ص 4، ح 2.
 - 2- في الأصل: حدوث، وفي نسخة من كتاب التوحيد: «حدث».
 - 3- التوحيد للشيخ الصدوق، ص 293؛ كشف الغمّة، ج 2، ص 286.
 - 4- بحار الأنوار، ج 66، ص 134.

أقول: معرفة الصانع جبلي حتى في الحيوانات، كما يشاهد ذلك عند اضطرابه.

الأمر الثاني: في توحيده

عن كتاب التوحيد: بإسناده عن شريح بن هانيء، عن أبيه، قال: إِنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ؟ قَالَتْ فَحَمَلِ النَّاسَ عَلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَعْرَابِي! أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسُّمِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): دَعُوهُ فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَعْرَابِي! إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ عَلَيَّ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ، فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزَانِ عَلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَجْهَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ.

فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ، فَقَوْلُ الْقَائِلِ وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ مَا لَا ثَانِيَّ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ، أَمَا مَا تَرَى أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ، وَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ بِهِ النَّوعَ مِنَ الْجِنْسِ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَشْبِيهُ وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ، فَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ شِبْهُ كَذَلِكَ رَبُّنَا، وَقَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدِي الْمَعْنَى، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلِ وَلَا وَهْمٍ كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ. (2)

ص: 46

1- _ المحجبة البيضاء في تهذيب الإحياء للفيض الكاشاني، ج 1، ص 209.

2- _ بحار الأنوار، ج 3، ص 206، ح 1؛ التوحيد للشيخ الصدوق، ص 83، ح 3؛ الخصال ج 1، ص 2، ح 1.

أقول: توضيح الكلام في المقام: أنه تعالي صرف الوجود، وبحث الوجود، (1)

ولا ماهية له، أي: لا حد له؛ لأنّ الماهية عبارة عن حدّ الوجود، ولا يعقل التعدّد في صرف الوجود؛ لأنّ التعدّد إنّما هو في الماهيات، حيث يكون لكلّ منهما حدّ من الوجود لم يكن في الآخر، فيلزم التركّب من الوجود والماهية، فيلبس لباس الإمكان، ويحتاج في وجوده إليّ موجد، وإليّ بقاء وجوده، وإليّ نفس وجوده.

وبهذا البيان ظهر أنه تعالي ليس له الوحدة العددية؛ لأنّ الواحد بالعدد ممّا تقبل التعدّد فيه، وقد ظهر أنه من المستحيل.

ص: 47

1- أقول: قد قلنا فيما تقدّم أنّ اطلاق «الوجود» عليه تعالي والقول بأنّ ذاته سبحانه مساوية للوجود فاسد من الأساس كما أنّ القول بأنّ الماهية عبارة عن حدّ الوجود هو مبنيّ عليّ القول بأصالة الوجود وإعتباريّة الماهية والمستفاد من الكتاب والسنة والعقل هو أنّه تعالي لا تدرك ذاته ولا صفاته ومباين لمخلوقاته ومنزه عن الإدراك والتصور والتوهّم مع أنّ له تحقّق وثبوت في الخارج، وليست مباينته تعالي للأشياء من جهت الأمر الإعتباري «أي الماهية» ببيان أنّ الممكن زوج تركيبّي له ماهية وجود وهو تعالي منزه عن الماهية، وأما في حقيقة الوجود فهو متحدّ مع سائر الأشياء. وبعبارة أخرى: كان الله تعالي متعالياً عن ملاك المصنوعية والمخلوقية وهو قابلية الوجود والعدم والزيادة والنقصان وكونه ذا جزء وعدّ ومقدار وزمان ومكان وليس هو تعالي حقيقة الوجود التي تشترك فيها الممكنات أو مصداقاً لمفهوم يطلق عليّ الأمور المشتركة في حقيقة الوجود. فما ذكره الماتن (رحمة الله): «أنه تعالي صرف الوجود... ولا يعقل التعدّد في صرف الوجود...» مبنيّ عليّ أساس غير صحيح وهو القول بأصالة الوجود وثبوت الحقيقة البسيطة النورية التي حيثية ذاتها حيثية الإباء عن العدم، وقد تقدّم بطلانه. فبعد قيام الأدلة القطعية الدالة عليّ تنزهه سبحانه عن كلّ ما يتّصف به المخلوقات من قبيل الزمان والمكان والشبه والمثل وغيرها من الأوصاف التي تجري عليّ المخلوقات وقيام الأدلة عليّ أنّه تعالي يكون ذاتاً منفرداً متوحّداً منزهاً عن كلّ ما سواه، لا وجه لما ذكره الماتن (رحمة الله): «من أنّه لو لم يكن الله تعالي صرف الوجود يلزم تركّبه تعالي من الوجود والماهية وتلبّسه بلباس الإمكان». (عا)

و منه ظهر أن قول النصاري أنه تعالي ثالث ثلاثة (1)

كفر، لا من جهة الشرك فقط، بل من جهة فرض قابلية التعدد، وإثبات الماهية له تعالي. (2)

و أيضاً ظهر أنه تعالي ليس واحداً بالنوع، كالكوكب النهاري؛ لأن النوع ممّا يقبل الصدق علي الكثيرين، فيمكن فرض المثل و الشبيه له، مضافاً إلي أن الفرد من النوع مركّب من الحقيقة النوعية مع الخصوصيات الفردية، فهذان الوجهان اللذان لا يجوز عليه تعالي.

و أما الواحد بمعني أنه لا شبيه له و لا نظير، فهو كذلك؛ لأن صرف الوجود لا

ص: 48

1- _ إشارة إلي قوله تعالي: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } المائدة: 73.

2- _ أقول: إن الذي ظهر من كلامه هو: «أن تعدد صرف الوجود مستحيل؛ لأنه...» و قد قلنا إن المبني باطل و خلاف المعارف الأوليّة الدينية. نعم لا شك أن الواجب تعالي ليس مورداً للوحدة العددية حتّي نحتاج في نفي التعدد إلي الدليل؛ لأن الوحدة العددية لا يتطرق إلا فيما أمكن له الثاني، و ما هو مورد للتعدد ممّا هو داخل في جامع. الله تعالي واحد بمعني أنه لا تتطرق فيه التعدد و الكثرة و أنه أحدي المعني أي لا ينقسم لا عقلاً و لا وهماً و لا خارجاً، و لا يشاركه مع المخلوقات في شئ و ليس له شبه في الأشياء، بل كل ما يمكن في الخلق يمتنع من صانعه و لا يجري عليه ما هو أجراه علي خلقه. كما عن مولانا الصادق (عليه السلام): «لَا يَلِيقُ بِالَّذِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لِكُلِّ شَيْءٍ مُتَعَالِيًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى»، و عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ تَنَاهَهُ وَ مَنْ تَنَاهَهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ»، و عنه (عليه السلام): «مَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ». و الحاصل، أن وحدته تعالي ليست من سنخ سائر الموجودات، فوحدتها عددية قابلة للتكرّر و التكرّر بخلاف وحدته تعالي؛ فإنها ليست من باب الأعداد فهو لا- يتشّي و لا- يمكن أن يكون له ثانٍ فلا شبيه له و لا نظير، فأی تسانخ بينه سبحانه و بين سائر الموجودات بعد عدم إمكان الشبيه و الممثل له. (عا)

بل كل موجود سواء مركب من الوجود والماهية، فليس شبيهاً له.

وأما بمعنى أحدي الذات؛ فلأن كل موجود سواء؛ إما مركب في الخارج كالأجسام من الأجزاء، أو في العقل كالنوع المركب من الجنس و الفصل، أو في الوهم كالتركيب بين الوجود والماهية، وأنه تعالى لا جزء له ولا جنس ولا فصل ولا ماهية له، فاحفظ ذلك، فإنك تحتاج إليه فيما بعد.

الأمر الثالث: في صفاته

إشارة

وهي علي أقسام: الكمالية، والجلالية، والجمالية. لا يخفي أن ذاته المقدسة كما عرفت صرف الوجود، وبحث الوجود، ولا ماهية له، ولا حد لوجوده، فوجوده تام فوق التمام، بحيث لا نهاية لوجوده، بل هو تعالى واجد لجميع مراتب الوجود، (2) فكل صفة يكون فقدانها موجباً لفاقدته

ص: 49

1- أقول: لا شك في أنه تعالى لا شبيه له ولا نظير، ولكن الاخبار عن كنه ذاته تعالى بأنه سبحانه ((وجوداً أو حقيقة الوجود أو صرف الوجود أو كل الوجود)) اخبار عن حقيقة ذاته وإن لم يفهم ولم يدرك حقيقة الوجود، وهو ممنوع عقلاً وشرعاً. كما أنه تشبيه بالمخلوق و تنظير له _ لوقلنا بأصالة الوجود و وحدته _ وهو في الحقيقة إثبات للمثل و الشبه له تعالى و هو المنفي بقوله سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» و غير ذلك من الأدلة النقلية و العقلية. (عا)

2- أقول: هذا الكلام كله يبتني علي مباني فاسدة نذكر بعضها علي سبيل التنبيه و التذكّر: منها: أن الأصل الأصيل و المتحقق في الخارج هو الوجود لا الأشياء الخارجيّة، و هو مردود بأن مفهوم الوجود من المفاهيم العامّة الانتزاعيّة التي ينتزع فيها معني عام من أمور متباينة من جهة واحدة و هو طرد العدم كمفاهيم الثبوت و الكون و الماهية و ... و لا يجب أن تكون المفاهيم العامّة من الأمور المتأصّلة بل تكون من المفاهيم العامّة المنتزعة و المعقولات الثانية التي يكون العروض فيها في الذهن و الإصّاف في الخارج. منها كون الوجود ذي مراتب علي مراتبها هو الواجب و المرتبة الضعيفة هو المخلوق و القول بذلك يستلزم توالي فاسده كثيره: الف) إشتراك الخالق و المخلوق في حقيقة الذات و السنخية بينهما. ب) يلزم كون الحقيقة الواحدة واجبة الوجود في مرتبة عالية و ممكنة الوجود في مرتبة ضعيفة، فالحقيقة الواحدة (أي الوجود الذي عندهم بسيط لا جزء ولا جنس و لا فصل له فيرجع ما به الإمتياز فيه إلي ما به الإشتراك) واجبة و ممكنة و هو إجتماع النقيضين. ج) يلزم واجديته تعالى لجميع مراتب الوجود و إحاطته سبحانه لذاته و لوجوده، لكل شئ و هذا يستلزم الشمول و الحواية و وحدة الوجود ... و غيرها من المفاسد التي لا مجال لبيانها هنا و سيأتي بعضها في التعاليق الآتية. و لاحظ لوضوح ما ذكرناه، كتابنا «تنزيه المعبود في الرد علي وحدة الوجود». (عا)

بعض مراتب الوجود، و محدوديته بحدّ عديم المساوق للماهية؛ لأنّ الماهية عبارة عن حدّ عديمي، فهذه الصفة صفة كمال؛ لأنّ فقده يوجب النقص في بعض مراتب الوجود، فيلزم الاحتياج والتركيب، و هو مناف لوجوب الوجود، و يلزم كونه ممكن الوجود.

كالعلم فإنّ العلم أمر وجودي، و مرتبة من مراتب الوجود،(1)

و الجهل أمر عديمي؛ لأنّّه عبارة عن فقدان العلم ممّن شأنه وجدانه، فلو كان ذاته تعالي جاهلاً، لزم فقدان مرتبة من مراتب الوجود، فيصير محدوداً من حدّين: حدّ وجودي، و حدّ عديمي، و هو الجهل.

و كالقدرة و الحياة و السمع و البصر و الإرادة و الإدراك، و مرجع الأربعة الأخيرة إلي العلم، و كذلك العظمة و الكبرياء و العزّة و القدم و الأبدية و السرمدية و العلوّ و القوّة، و كذلك الحكمة التي مرجعها أيضاً إلي العلم، إلي غير ذلك من صفات الذات؛ لأنّ ضدّ جميعها أمر عديمي، و توجب فقدان مرتبة من مراتب الوجود من العجز و الموت، و عدم العلم بالمسموعات و المبصرات و المدركات و المصالح

ص: 50

1- _ أقول: بما ذكرناه _ في ما تقدّم و نذكره في التعليقات الآتية _ يظهر الإشكال في المقام و نظائره. (عا)

و الحقارة و الصغر و الذلّة و الحدوث و الفناء و الدنوّ و الضعف و نحوها، و يكون جميعها حدود عدمية، تعالي الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و من هذا البيان ظهر لك أمور:

الأول: أنّه لا- نهاية لشيء من تلك الصفات؛ لأنّ الالتزام بنهاية شيء منها يوجب المحذور المذكور، و مساوق مع إنكارها رأساً في ذلك. (1)

الثاني: أنّ هذه الصفات عين ذاته تعالي، و كذلك كلّ واحد منها عين الآخر؛ لما عرفت من أنّ ذاته المقدّسة أعلي مراتب الوجود ببساطتها، فلا يشدّ منه مرتبة من مراتبها من الوجودات المتكثّرة.

و لو أردت المثل لذلك و لله المثل الأعلى، تأمّل في النور، فإنّ أعلا مراتب

ص: 51

1- أقول: لا يخفي أنّ القول بإحاطته تعالي ذاتاً لخلقه و إتصافه سبحانه بلا نهاية، فاسد من أساسها؛ لأنّ القول بالإحاطة الذاتية لخلقه يستلزم الحواية و الشمول. و توصيفه سبحانه بغير المتناهي بمعنى أنّه محيط بوجوده علي ما سواه خلاف البراهين العقلية و النقلية كما مرّ. مضافاً إلي أنّ التناهي و عدمه _ بهذا المعنى _ بالنسبة إلي ذاته سبحانه من ملكات المقدار و المخلوق و لا يتّصف بهما ذاته القدّوس الأزلي. و بعبارة أخرى: أنّ عدم تناهي الذات _ بحيث تحيط و تشمل بوجودها جميع ما سوي الله _ و التناهي من شؤون ذي الأجزاء و ما كان ذا مقدار و عدد و لا- ينسب إلي ما هو مباين و متعال عنه و منزّه عن الزمان و المكان و عن قابليّة الإستعداد الوجودي. و إمكان المزامحة بين الموجود و المخلوق ذي أجزاء و مقدار و عدد و القابل للزيادة و النقيصة ... و بين الموجود المتعالي عن ذلك كله و المبانن عن خلقه، ممنوع؛ إذ ليست النسبة بينه سبحانه و بين خلقه، نسبة القرب و البعد و الدخول و الخروج و النهاية و اللانهاية و ... لأنّها من ملكات المقادير و المخلوقات، و آية المصنوعية و المخلوقية و الإحتياج و لا تتّصف بها ذاته المتعالية عن ذلك كما هو واضح. (عا)

النور نور واحد بسيط، و حاوٍ لجميع ما دونه من المراتب، و عين تلك المراتب،(1)

و ما في بعض الكلمات من التمثيل لذلك برطوبة الماء، و دسومة السمن، و حرارة النار، ففي غاية الفساد؛ لأن هذه من العوارض اللازمة لا عين معروضاتها.

الثالث: أنّ الاختلاف بين تلك الصفات مع الذات و بعضها مع الآخر، إنّما هو في المفهوم، كاختلاف مراتب الوجود كلاً مع الآخر، و من هنا لا يصحّ أنّ يقال: إنّّه تعالي علم و قدرة و حياة و سمع و بصر و هكذا؛ لأنّ كلّ منها مرتبة من

ص: 52

1- أقول: إنّ معني واجدية ذاته سبحانه لمراتب الوجود ثم التمثيل لذلك بالنور و حواية ذلك لجميع مراتب ما دونه بل عين تلك المراتب، هو وحدة الوجود و عينيّة ذاته القدّوس _ العياذ بالله _ لمراتب ما دونه. هذا فساده أظهر من أن يخفي؛ إذ كيف يمكن أن نعتقد أنّه سبحانه مع تنزّهه عن الجزء و الكلّ و المادّة و المقدار و الشبه و المثل و التركيب ... واجد لذلك كلّ بل عين ذلك. و تأويلاتهم الباردة في المقام _ من إرجاع أدلّة التنزيه و الأخبار المذكورة إلي جهة الماهية لا الوجود _ بعد قولهم بأصالة الوجود و إعتبارية الماهية و عدميتها _ واضح البطلان لا يشك فيه ذو مسكة و انصاف. فالإعتقاد بوحدة حقيقة الوجود _ و لو كانت ذات تشكّك و مراتب متفاوتة _ يستلزم عدم تصوّر مرتبة إلّا و هي قابلة للزيادة و الكمال فلا تقف إلي حدّ و مرتبة غير قابلة للاشتداد إلّا و يتصوّر أشدّ و أتمّ منها؛ لأنّ ذلك خلاف ذاتها فلا يمكن _ و الحال هذه _ إثبات الباري تعالي كما لا يخفي. مضافاً إلي أنّ ذلك لا يتصوّر إلّا فيما كانت نسبة الأشياء إلي الخالق تعالي نسبة العينيّة و السنخيّة لا الخالقية و المخلوقية؛ لأنّ تصوّر التفاضل و الإشتداد و عدمهما بين الشيين، فرع السنخية و المشابهة لا البيئونة. فالإعتقاد بكون المخلوق مرتبة من ذات الخالق، ينافي القول بوجود ما سوي الله و مخلوقيته؛ فإنّ ما سوي الله فعل له تعالي اوجده و ابدعه بمشيئته و إرادته لا من شيء أي لا من رشح و إشراق من نفسه و لا من تطوّر و تشوّن في نفسه ... و علي هذا فليس ما سوي صادراً عن ذاته تعالي حتّي يكون جزئه أو كلّه أو مرتبة من مراتب وجوده أو ... بل الله تعالي أحدث و اخترع الخلق بالإرادة و المشيئة لا بالذات. (عا)

مراتب الوجود، وهو تعالي أعلى المراتب. (1)

وكذا لا يصح أن يقال: العلم قدرة، والقدرة حياة وهكذا؛ لأن كل واحد منها مرتبة مخالفة لمرتبة أخرى، بل يقال: إنه تعالي عالم قادر حيّ سميع بصيرٌ وهكذا، وكذلك يقال: العالم قادر، والقادر حيّ، والحيّ سميع وهكذا؛ لأن وجوده تعالي أعلى المراتب، وحاوٍ لجميع المراتب. (2)

الرابع: قد ظهر لك ممّا قدّمنا الخبرين المرويين:

أحدهما عن أمير المؤمنين (عليه السلام): **أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِدْقَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ.** (3)

وثانيهما: عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام): **أَوَّلُ عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالَى مَعْرِفَتُهُ، وَأَصْلُ**

ص: 53

1- أقول: بعد إبطال القول بالمراتب للوجود و بطلان القول بأنّه تعالي أعلى مراتب الوجود، يظهر بطلان ما يتولّد منه و يتفرّع عليه. و لا يلزمنا البحث مفصلاً عن حول صفاته تعالي (كالعلم و القدرة و الحياة ...) بعد وضوح أنّ مذهب اهل البيت (عليهم السلام) في صفاته تعالي أنّ صفات الذات عين الذات، فمن راجع الأخبار يعلم أنّه سبحانه، علم و حياة و قدرة... و ليست هذه الصفات إلا الذات المجرد عن كلّ قيد و تقيّد. (عا)

2- أقول: بالرجوع إلي ما ذكرناه آنفاً يظهر ما في هذه العبارة، مضافاً إلي محاذير أخرى لا مجال لذكرها هنا. (عا)

3- بحار الأنوار، ج 4، ص 247، ح 5 و ج 54، ص 176، ح 136 و ج 74، ص 300، ح 7؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص 39، الخطبة الأولى.

مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَوْحِيدُهُ، وَنِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِدْفَةٍ وَ مَوْصُوفٍ مَخْلُوقٌ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِصِدْفَةٍ وَلَا مَوْصُوفٍ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ صِدْفَةٍ وَ مَوْصُوفٍ بِالِاقْتِرَانِ، وَ شَهَادَةِ الْاِقْتِرَانِ بِالْحُدُوثِ، وَ شَهَادَةِ الْحُدُوثِ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ الْأَزْلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحُدُوثِ. (1)

أقول: توضيح الكلام: أن الصفة بمعناها اللغوي أمر عارض للموصوف وغير الموصوف، مثلاً إذا قيل: زيدٌ عالمٌ، أي: ذات ثبت له العلم، و كذا قدر ذات ثبت لها القدرة وهكذا، فتلك الصفات من عوارض الذات وهي غير الذات، فهما مقرونان معاً، فيوجب الاثنية والتركيب من العارض والمعرض، وكل مركب في تركيبه يحتاج إلى مركب بالكسر، وإلى أجزائه، وكل جزء إلى الآخر، فيلزم الحدوث، وهو محال في حقه تعالى؛ لأنه تعالى لو كان حادثاً يحتاج إلى محدث وموجد، والمفروض أنه ليس له محدث وموجود، فيمتنع وجوده، وقد عرفت أن صفاته تعالى عين وجوده، فليست بصفات، فكمال المعرفة يقتضي نفي الصفات عنه.

بل نقول: لو لم يرد في الشرع إطلاق تلك الصفات عليه، لم يجوز لنا إطلاق شيء منها عليه تعالى لذلك الأمر، و من هنا قلنا: إن أسمائه تعالى توقيفية، فما لم يرد به من الشرع كالعلة ونحوها لا يجوز، و ما ورد فلا بد من معناه بما ذكرنا، فتدبر جيداً.

هذا كله في الصفات الكمالية الثبوتية الذاتية.

ص: 54

1- بحار الأنوار، ج 4، ص 228، ح 3؛ التوحيد (للصدوق)، ص 34، ح 2؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 1، ص 150، ح 51.

وأما الصفات الجلالية، أي: صفات النقص المعبر عنها بالسلبية، أي: سلبالنقائص، وهي كلّ صفة تكون موجبة لمحدودية الذات، و لفاقديتها بعض مراتب الوجود،⁽¹⁾

فهي منفية عن ذاته المقدّسة لعين ما مرّ، كالتركّب والتجسّم والتجوهر والتعرّض، وإمكان الرؤية والتمكّن والتمحّل، و أضداد الصفات الكمالية، كالجهل والعجز والاحتياج

والتغيّر والتبدّل والفناء؛ لأنّ جميع ذلك من صفات الماهية المحدودة، مثلاً التركيب سواء كان خارجياً كالأجسام أصالة و الأعراض تبعاً، أو ذهنياً كالجنس والفصل، أو وهمياً كالوجود و الماهية، كلّ جزء يكون غير الآخر، و كلّ منهما يكون غير المركّب منهما.

و الكلّ غير وجود التركيبين بينهما، فالتركيب من لوازم الماهية، و كلّ واحد من الأجزاء له وجود غير وجود الآخر، فهو فاقد لوجود الآخر، و للمركّب وجود غير وجود كلّ جزء جزء مستقلاً، سواء كان التركيب إنضمامياً أو اتحادياً.

و يكون المركّب من جزئين، مثلاً وجوده محدوداً غير المركّب من أجزاء ثلاثة و هو غير الأربعة، و هكذا إلي غير النهاية، فهكذا المركّب فاقد لمراتب كثيرة من الوجود، و موجب لمحدودية ذاته بهذا الأجزاء، و لا يعقل التركيب في الوجود، و قد عرفت أنّه تعالي صرف الوجود، و بحث الوجود،⁽²⁾

و لا ماهية له و لا حدّ، فلا تركيب.

و منه ظهر عدم كونه تعالي جسماً؛ لأنّ الجسم عبارة عن التركّب من المادّة و الصورة، و مادّة كلّ جسم مركّب من الأجزاء غير المتناهية، و كلّ من المادّة و

ص: 55

1- أقول: قد تقدّم ما في هذه العبارة من الإشكال حيث إنّ فرض أنّ الله تعالي «وجود» و الوجود له مراتب بالشدّة و الضعف و النهاية و اللانهاية. (عا)

2- أقول: قد تقدّم أنّها ما فيه. (عا)

الصورة محتاجة إلي الآخر، شعر:

هيولا در بقا محتاج صورت

تشخص کرده صورت را گرفتار

و كذا ظهر عدم كونه تعالي جوهرأ، و لو كالعقل المجرد عن المادّة ذاتاً و فعلاً: (1) لآته أيضاً مرّكب عن الوجود و الماهية.

ص: 56

1- _ أقول: لا يخفي أنّ المراد من العقل عند الفلاسفة ليس هو العقل الذي نعتقد أنّه من شرائط العائمة للتكليف في كلّ شخص، بل المراد منه هو العقول العشرة ... و هو ما يسمي في الشرع _ عندهم _ بالملائكة و قد ذكر جمع و منهم صاحب الشوارق بأنّ المراد من العقل العاشر (أي العقل الفعّال) هو جبرائيل، و هو مجرد ذاتاً و فعلاً عندهم. و المصنف و إن كان قائلاً بتجرد العقل و لكن اعترف في بحث المعاد بجسمانية الملائكة تبعاً للأخبار و الآثار، لعله لا يخضع للإصطلاح التي عندهم. علي كلّ حال، أنّ الاعتقاد بوجود الموجود البسيط و عالم المجردات من الأوهام و لا دليل عليه، و يدلّ علي ما ذكرناه طوائف من الأخبار المتواترة: منها: أنّ الائمة (عليهم السلام) اكتفوا في مقام بيان وصفه تعالي و حصر عنوان الخالق و المعبود بنفي الجسميّة و الصورة و الشبه ... و هذا لا يتمّ إلاّ بإنكار المجردات و إلاّ يلزم دخول المجردات في هذه الأوصاف و عدم حصر الخالق و المعبود فيه تعالي. و منها: ما تدلّ علي التغيّر و التبدّل و الفناء و الزوال و ... لغيره تعالي و هو ينافي الاعتقاد بوجود المخلوق المجرد عن الزمان و المكان و المقدار و ... منها: ما دلّ أنّ ما سوي الله تعالي متجزّي و منقسم بالقلّة و الكثرة. فهذه الأخبار و غيرها تدلّ علي إختصاص تلك الصفات بالله تعالي. و لو قيل بوجود مجرد سوي الله لكانت مشتركة مع الله سبحانه فيها. منها: الأدلّة القطعية الدالّة علي حدوث ما سوي الله تعالي تدلّ علي ذلك؛ لأنّ كلّ من قال بوجود العقل المجرد ذاتاً و فعلاً، قال بقدمه المستلزم لقدم العالم و القائل بالقديم سوي الله و إن كان إمامياً كافر يجمع المسلمين. (فلاحظ رسالتنا: وجود العالم بعد العدم عند الإماميّة) و قد ثبت في محله أنّ النفس و العقل مادية، أجسام لطيفة. (فلاحظ: شرح رسالة إعتقادات علامه مجلسي (رحمة الله عليه)، ص 304 _ 319) و كذا الملائكة التي تسمّي عند الفلاسفة بالعقول، فإنّها اجسام لطيفة نورانية اولي أجنحة مثني و ثلاث و رباع و اكثر قادرون علي التشكل بالاشكال المختلفة و إنّ سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الاشكال و الصور علي حسب الحكم و المصالح و لهم حركات صعوداً و هبوطاً و كانوا يراهم الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) و القول بتجردهم و تأويلهم بالعقول و النفوس الفلكية فاسد باطل و طرح للأخبار المتواترة بلا حجة. (عا)

ولوجوده حدّان: وجودي، وعدمي، وفاقداً لمراتب كثيرة من الوجود؛ لأنّ نسبة المحدود إلي غير المحدود كنسبة المتناهي إلي غير المتناهي، (1) ولذا ظهر عدم كونه عرضاً؛ لأنّه أيضاً مركّب، وله في هويته حدّ محدود، بل هو أدون من الجوهر بمراتب، فإذا ليس تعالي حالاً في شيء، ولا محلاً لشيء، ولا يمكن رؤيته؛ لأنّها من لوازم الجوهرية والعرضية والجسمية، فلا يوصف بأين ولا يكتف بكيف، ولا يتغيّر، ولا يتبدّل، ولا يفني، ولا يحتاج؛ لأنّ الاحتياج أيضاً من جهة فقدان بعض مراتب الوجود ويوجب المحدودية، فيلزم التركيب.

ولعمري أنّ نفي الاحتياج الذي مرجعه إلي الغني الذاتي كاف لنفي جميع تلك الصفات، وقد توهم القوم أنّ الغني مساوق لنفي الاحتياج، وجعلوا الاحتياج أمراً وجودياً، فنفوه عنه تعالي، وعدّوا ذلك في الصفات السلبية.

وهو توهم فاسد، بل الغني أمر وجودي، وهو واجديته لجميع مراتب الوجود، (2)

والاحتياج عبارة عن فقدان بعض المراتب، والغني دليل علي جميع الصفات الكمالية ونفي السلبية، كما عرفت.

كما أنّهم عدّوا الاختيار أيضاً من الصفات، وهو أيضاً فاسد؛ لأنّ مفهوم القدرة مساوق مع الاختيار والفاعل بالطبع، أو الجبر، أو القصر، أو القهر، غير قادر علي فعله.

ص: 57

1- _ أقول: تقدّم ما فيه فيما سبق. (عا)

2- _ أقول: قد مرّ ما فيه. (عا)

و أما الصفات الجمالية التي عبارة عن صفات الفعل، فمجمال الكلام فيها: أنّ الأفعال علي ضريين:

قسم يكون كاشفاً عن صفة كمال في الذات، فهذا ممّا يمكن صدوره، بل يجب صدوره إذا كان تركه كاشفاً عن نقص في الذات، كالخلق و الرزق، و الإمامة و الإحياء، و العزّة و الذلّة، و الغني و الفقر، و الصّحة و المرض، و البلاء و النعمة، و الثواب و العقاب، و العفو و الغفران، و المنع و الإعطاء، و الرحمة و الغضب و الانتقام، و الهداية و الاضلال، و غيرها من أفعاله تعالي إذا كانت موافقةً للحكمة و المصلحة؛ لأنّ تركها كاشف عن عدم العلم بالمصالح، أو عدم القدرة علي الإيجاد، أو عدم مراعاة المصلحة و المفسدة، فيجب صدورها منه.

وقسم يكون كاشفاً عن صفة نقص في الذات، كالفعل القبيح المخالف للحكمة و المصلحة، أو اللغو الخالي عن المصلحة، أو الظلم علي العباد الذي مرجعه إلي فعل القبيح، فهذا ممّا يستحيل صدوره منه تعالي.

و هذا هو معني العدل الذي عليه العدلية من كون أفعاله تعالي تابعة للمصالحو المفسد النفس الأمرية، فما كانت فيه مصلحة يجب صدوره منه تعالي، و ما كانت فيه مفسدة يستحيل صدوره منه تعالي، و ما لم يكن فيه شيء من المصالح و المفسد، فهو أيضاً لغو، و اللغو قبيح، فيستحيل صدوره منه تعالي، و ما كانت فيه المصلحة و المفسدة معاً، فلا بدّ من الكسر و الانكسار، فيترجّح ما هو الأقوي، و مع عدم الترجّح يصير من اللغو المستحيل.

فإن قلت: إنّ تلك المصالح و المفسد إن كانت موجودةً في نفس الأمر،

فهي أيضاً من الممكنات يجب في إيجادها إلي المصلحة، وهكذا إلي غير النهاية، وبالآخرة لابد أن تلتزم إلي القول بصدورها لا عن مصلحة، وإن لم تكن موجودة، فما معني للتبعية.

قلت: المراد من المصالح والمفاسد ما يترتب علي الفعل بعد وجوده، أي: العلة الغائية، فهي مقدمة علي الفعل في الغرض والإرادة و التصور، مؤخرة عنه في الوجود، فمعني التبعية أنه تعالي يعلم أن هذا الفعل يترتب عليه فائدة ومصلحة فيوجدتها، أو لا يترتب عليه بل يترتب عليه المفسدة فلا يوجدتها.

وهذا هو معني الحكمة، فالله تعالي حكيم، أي: عالم بجميع ما يترتب علي الأفعال من المصالح والمفاسد، وعادل أي: يفعل مطابقاً لهذا العلم، فالحكمة من صفات الذات، ومرجعها إلي نوع خاص من العلم، والعدل من صفات الفعل.

هذا ملخص الكلام في باب الصفات. وبقي في المقام أمور، لا بأس في الإشارة إليها:

الأمر الأول: تزييف قاعدة الواحد لا يصدر منه إلا الواحد

إنه ذهب جماعة من الحكماء، أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، وأن الواحد لا يصدر إلا عن الواحد، وهما قاعدتان مسلّمتان عندهم. واستدلوا علي ذلك: بأنه لا بد من مناسبة وربط بين العلة والمعلول، وإلا لزم أن يؤثر كل شيء في كل شيء، وعليه فذاته المقدسة تكون في غاية البساطة والوحدة، ولا ربط بين البسيط والمركب، وبين الواحد والمتعدد.

فإن قلت: إنَّ الصادر الأوَّل أيضاً مرَّكب من الوجود والماهية.

قلت: إنَّ هذا التركيب إنّما نشأ من حدِّ وجوده، وإنَّما هو تركيب وهمي، ثمَّ صدر من هذا المركَّب الكثرات بالترتيب المذكور في كلماتهم علي اختلاف المسلكين: مسلك أفلاطون، وأرسطو، وأتباعهما.

أقول: إطلاق العلة التامة علي الله تعالي غلط صرف؛(1)

لأنَّه يلزم سلب القدرة والاختيار، بل قد عرفت أنّها تبعية أفعاله تعالي للمصالح والمفاسد، فترتب المصلحة علي الفعل جزء لعلّة الصدور، ومن الواضح أنّ مصلحة كلِّ شيء يغاير مصلحة الآخر، فهذا منشأ التعدّد، فالدليل وهو لزوم الربط والمناسبة بين العلة والمعلول لا يثبت المدّعي.

نعم علي مذاقهم من أنّه تعالي عدّة تامّة، وهو العلة الغائية، لكان لما ذكره ووجهه، لكن عرفت فساده، وإنَّما هو علي مذاق الجبرية المنكرة للعدل.

الأمر الثاني: في قدم العالم وحدوثه

إنَّه قد ذهب جماعة من الحكماء بأنَّ العالم قديم زماناً، وإن كان حادثاً ذاتاً

ص: 60

1- أقول: لا يخفي أنّ إطلاق العلة والمعلول بالمعني المصطلح عند الفلاسفة _ علي الله تعالي و خلقه فاسد بالبراهين العقلية و النقلية كما بين في محلّه و اعترف بذلك الماتن (رحمة الله) . و الذي يجب أن يعلم هنا: أنّ الإلتزام بقاعدة «الواحد» موجب لإنكار كثير من ضروريات المذهب و مسلماته كإنكار قدرته تعالي و إختياره و إنكار الخلق و الإيجاد لا من شئ و حدوث العالم و البينونة بينه تعالي و بين خلقه و ...،(فلاحظ شرحنا علي تجريد الإعتقاد) و نعم ما قال العلامة المجلسي (رحمة الله) في هذا المقام: و لعمرى! من قال بأنَّ الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد و ... كيف يؤمن بما أتت به الشرائع و نطقت به الآيات و تواترت به الروايات من اختيار الواجب و أنّه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ... (بحار الأنوار، ج8، ص328). (عا)

أي: تبعاً، واستدلوا لذلك باستحالة تأخر المعلول عن العلة زماناً، والانفكاك بينهما، وإلا لزم خروج العلة التامة عن كونها علة.

ثم ذكروا في بيان ربط الحادث بالقديم وجوه لا نطيل بذكرها.

أقول: قد ظهر لك أنه تعالي لا يطلق عليه العلة، وأنه تعالي قادر، ومعني القدرة إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، فلا بد من مسبوقية فعله بالعدم، وهو مساوق للمحدود الزماني؛ لأن معناه وجوده بعد أن لم يكن، والتخصيص بزمان دون زمان إنما هو جهة اختلاف المصالح والمفاسد.

الأمر الثالث: هل الإرادة من صفات الذات أو من صفات الفعل

قد وقع الاختلاف بين الحكماء والمتكلمين في أن الإرادة هل هي من صفات الذات أو من صفات الفعل؟ بعد تسليم الطرفين بأن الإرادة لا ينفك عن المراد، فمن جعله من صفات الذات ذهب إلى قدم العالم، ومن جعله من صفات الفعل ذهب إلى حدوث العالم.

وذهب بعض إلى كون النزاع لفظياً، بدعوي أن الإرادة بمعنى العلم بالصلاح من صفات الذات، وبمعني المشيئة من صفات الفعل، كما ورد في الأخبار: خلقت الأشياء بالمشيئة، و خلقت المشيئة بنفسها.

أقول: لا يخفي أن مبادي الفعل فينا عبارة عن تصوّره وتصوّر الغاية، والتصديق بكونه أصلح، والعزم والجزم والشوق المؤكّد المحرّك للعضلات، وليس تلك المبادي في حقّ الله تعالي؛ لأنّ التصوّر والتصديق والعزم والجزم والشوق وتحرك العضلات كلّها من صفات الممكن.

و لا يخفي أيضاً أنّ للفعل إطلاقان:

أحدهما: الأمر الحدّثي الربطي بين الفاعل و المفعول المعبّر عنه بالإيجاد، و هو المعني المصدرى.

ثانيهما: ما صدر و ما حدث المعبّر عنه بالموجود، و هو المعني الإسم المصدرى.

و حينئذ نقول: إنّ مبادىء الفعل في حقّه تعالى أنّه يعلم بالعلم الذاتى الأزلى أنّ كلّ فعل في أيّ زمان بأيّ خصوصية يكون الصلاح في إيجاده، بحيث يكون إيجاده في زمانه بخصوصياته حسناً، فيوجدّه في وقته المقرّر، فيصير موجوداً. فهنا أمور ثلاثة: العلم بالصلاح (1) و هو المراد من الإرادة و

ص: 62

1- «العلم بالصلاح» إلي آخره. فإن قلت: علي هذا يلزم أن يكون الإرادة مرادفة للحكمة؛ لأنّها أيضاً عبارة عن العلم بالمصالح و المفساد. قلت: بينهما بون بعيد؛ لأنّ الإرادة هي العلم بالصلاح في الفعل بالمعني المصدرى، أي: الإيجاد في مقابل الكراهة التي هي العلم بالفساد. و الحكمة عبارة عن العلم بالمصلحة في الفعل بمعني الإسم المصدرى، أي: الموجّد بالفتح، هذا بحسب المفهوم. أمّا المصداق، فجميع الصفات الذاتية عين الذات، و الكلّ واحدٌ مصداقاً. فإن قلت: قد ورد في الآيات و الأخبار التعبير عن الإرادة، و لا يمكن حملة علي العلم بالصلاح مثل قوله تعالى: «إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»، «يس: 82» أنّه قبل قوله «كن» لم يكن مريداً، و كذلك يطلق المشيئة علي ما لا يمكن حملة علي الإيجاد مثل قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ»، «النحل: 9» حيث إنّ المعني بهذا يصير هكذا لو أوجد هدايتكم لأوجد عقوبتكم، و هذا في غاية الركاكة. قلت: أولاً لا نضايق عن إطلاق الإرادة علي ذلك، و المشيئة علي العلم و أحياناً بضرب من القيد به. و ثانياً: معني الآية الأولى و الله يعلم أنّ علم الصلاح في كلمة «كن» المعبّر عن الإيجاد و الوجود. و الآية الثانية لو أوجد هدايتكم لتحقق هدايته لكم. فإن قلت: إذا كانت الإرادة بمعني العلم بالصلاح، فما معني القضاء و القدر؟ و هل هما بمعني واحد أو مختلفين؟ قلت: الكلام في القضاء و القدر طويل الذيل من جهتين: الأولى: من حيث شبهة الجبرية، و أنّهما لا ينافي الاختيار. و الثانية: من حيث كونهما من صفات الذات أو صفات الفعل، و قد نهينا عن التكلّم فيهما في الأخبار الكثيرة. مثل ما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث سئل عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه؛ ثمّ سئل ثانياً، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه؛ ثمّ سئل ثالثاً، فقال: سرّ الله فلا تتكلّفه «بحار الأنوار، ج 5، ص 97، ح 22». و في خبر آخر طويل، قال (عليه السلام): بحر زاخر مّواج خالص لله (عز وجل)، عمقه ما بين السماء و الأرض، عرضه ما بين المشرق و المغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات و الحيتان، الخبر «بحار الأنوار، ج 5، ص 97، ح 23». أقول: لعلّ سرّ النهي كثرة الشبهات الواردة في مسألة الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين، و القضاء و القدر، التي هي من مزال أقدام كثير من الناس إلاّ من عصمه الله تعالى. و قد نقل عن المفيد (قدس سره) أنّ تلك الأخبار ضعيفة السند، تورث حرمة التكلّم فيهما. و كيف كان فمجمّل الكلام فيهما: أنّ القضاء في اللغة يطلق علي معانٍ الأولى، الخلق؛ كقوله تعالى: «فَقَضَاهُنَّ سَدِيعَ سَمَاوَاتٍ»، «فصّلت 12». الثاني: الأمر، كقوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»، «الإسراء: 23». الثالث: الإعلام، كقوله تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، «الإسراء: 4». الرابع: الحكم، كقوله تعالى: «وَقَضَيْتُ لِمَنْ يَشَاءُ بِالْحَقِّ»، «الزمر: 69». الخامس: الحتم من الفعل، كقوله تعالى: «فَأَقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ»، «طه: 72». السادس: الإتمام، كقوله تعالى: «فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ»، «القصص: 29». و يمكن إرجاع الآخر إلي الأولى و الخامس، بأن يكون القضاء بجميع معانيه مع صفات الفعل و هو الإيجاد تكويناً أو تشريعاً أو إنشاؤه للحكم. و أمّا القدر، فالظاهر هو العلم بإيقاع كلّ فعل في موقعه، و وضع كلّ في موضعه، و إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، و صدور كلّ شيء من أهله، و وقوعه في محلّه، فهو يرجع إلي الذات و من أقسام العلم. ثمّ إنّ الكاشف عن مقدّرات اللوح بقسميه: المحفوظ، و المحو و الإثبات، و للكلام فيهما

محلّ آخر، فتدبر «الحاج السيد عبدالحسين الطيّب».

الإيجاد، (1) وهو المراد من المشيئة، و الموجد بالفتح وهو المراد من الشيء، ولا نجد أمراً رابعاً نسميه باسم الإرادة أو المشيئة، مضافاً إلي أن ذاته المقدسة ليست محلاً للحوادث، فلا يعرضه شيء. (2)

فقد ظهر بهذا البيان أمور:

الأول: أن الإرادة من صفات الذات، و مرجعها إلي نوع خاص من العلم، (3)

كالسمع و البصر و الإدراك و نحوها.

ص: 64

1- أقول: المستفاد من القرآن و العترة أن الإرادة من الله تعالي هي فعل الله و إحدائه و إيجاده و ليست الإرادة بمعنى الإبتهاج و لا بمعنى المراد و لا بمعنى الإختيار و لا بمعنى العلم. و الأخبار في ذلك كثيرة جداً، منها: ما في صحيح عاصم بن حميد عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمُرَادٍ مَعَهُ بَلْ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا قَادِرًا ثُمَّ أَرَادَ». (التوحيد (للصدوق)، ص 146، ح 15) و منها: ما في صحيح محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام): «الْمَشِيئَةُ مُحَدَّثَةٌ». (همان، ص 147، ح 18) و... (فلاحظ تنزيه المعبود، ص 173 _ 179. عا)

2- أقول: الإرادة و المشيئة من صفات الفعل و الحادث مثل الخلق و الرزق و الكلام و لا يلزم من صفات الفعل و كونها حادثه، عروض شئ عليه تعالي و وقوع ذاته سبحانه محلاً للحوادث كما هو واضح. نعم حدوث صفات الذات عليه تعالي يلزم ما ذكره (رحمة الله). (عا)

3- أقول: كون إرادة الله تعالي من صفات الذات يستلزم المفسدات الكثيرة. (ذكرناها في شرح رسالة إعتقادات علامه مجلسي، ص 175 _ 185، و شرح تجريد الإعتقاد) و نعم ما أفاد القاضي سعيد القمي حيث قال: «أن حدوث الإرادة و المشيئة من مقررات طريقة أهل البيت (عليهم السلام)، بل من ضروريات مذهبهم»، (شرحه علي التوحيد، ج 2، ص 507) و قد سبقه في ذلك الشيخ الكليني و الصدوق و المفيد و الطوسي و الحلبي و... (رحمهم الله). (عا)

الثاني: أنّ المشيئة من صفات الفعل؛ لأنّ الإيجاد كان مسبقاً بالعدم، غاية الأمر جميع الموجودات يوجد بإيجاده تعالى، و الإيجاد يوجد بنفسه لا- بإيجاد آخر، و إلاّ- لتسلسل، و هو المراد ظاهراً من الأخبار «خلقت الأشياء أي: الموجودات بالمشيئة أي: الإيجاد، و خلقت المشيئة بنفسها».

الثالث: أنّ عدم انفكاك المراد عن الإرادة إن كان بمعنى عدم تخلف كالمَراد عن زمانه الذي كان الصلاح في إيجاده في ذلك الزمان، فهو حقّ لا محيص عنه. و إن كان بمعنى عدم انفكاكه عن العلم، فهو غلط واضح، فالقول بكون الإرادة من صفات الذات لا يستلزم الالتزام بالقدم في العالم.

الأمر الرابع: القدماء الثمانية

إنّ الأشاعرة لمّا قالوا في الصفات بزيادتها علي الذات، و قالوا بقدم الصفات، فألزموهم بالقدماء الثمانية: الذات، و الصفات السبعة: العلم، و القدرة، و الحياة، و الإرادة، و الإدراك، و السمع، و البصر.

أقول: صفات الذات ليست منحصرّة بما ذكر كما عرفت، فلا مناص إلاّ عن القول بالعينية كما عرفت؛ لاستحالة تعدّد القدماء، و استحالة حدوث الصفات، فتدبّر.

الأمر الخامس: في أفعال العباد

إشارة

إنّ للمسلمين في أفعال العباد بل كلّ مكلف بل كلّ ذي روح ثلاث مسالك:

المسلك الأوّل

كون العباد مجبورون، فالفعل الصادر من العبد كالإشراق الصادر من

الشمس، والإحراق الصادر من النار، ونحوها، فالعباد أسباب وآلات معدة للإيجاد، و موجدتها هو الله تعالى، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

وهذا مع وضوح فساده بالوجدان؛ لما نرى من الفرق بين حركة يد المرتعش ويد صحيح المزاج، مستلزم محاذير كثيرة، من لغوية إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل التكليف، وقبح تعذيب الكافر والفاسق ونحوها، وهذا يوجب الكفر.

المسلك الثاني

التفويض بمعنى كون تلك الأفعال مفوضة إلي العباد، إن شاؤوا فعلوا، وإن لم يشاؤوا لم يفعلوا، وليس لله تعالى فيها خيرة، نظير ما ذكره اليهود في العالم من أنه تعالى خلق العالم في ستة أيام من الأحد إلي الجمعة، وتعطل يوم السبت.

وهذا أيضاً فاسد؛ لما نرى بالوجدان أن العبد كثيراً ما يريد شيئاً وتهياً جميع أسبابه ومع ذلك تخلف عن مراده، وهذا معنى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): **عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَحَلِّ الْعُقُودِ وَنَقْضِ الْهَمَمِ.** (1)

مع أنه توهين في سلطانه، وتشريك في أفعاله، وتعطيل في قدره وقضائه، وتحديد في صنائعه وفعاله، وهذا معنى قولهم: «لا جبر ولا تفويض» (2).

المسلك الثالث

الاختيار بمعنى أنه تعالى خلق الخلق، وأعطاهم العلم والقدرة والقوة، وهياً

ص: 66

1- بحار الأنوار، ج 5، ص 197، ح 10؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص 511، حكمة 250.

2- الكافي، ج 1، ص 160، ح 13.

لهم جميع أسباب الفعل، وبذل لهم الاختيار، بحيث لو اختاروا فعلاً تمكّنوا من إيجاده، وهم مع علمهم وقدرتهم وقوتهم واختيارهم تحت قدرته تعالي واختياره، نظير العلل الطولية، غاية الأمر الفرق بين العلل أنّها كلّها علل قهرية حتّى عللة العلل كما تقدّم، والمقام علل إختيارية، فالاختيار تحت الاختيار، فالفعل صادر من العبد باختياره، لكن ما لم يشأ الله لم يقدر علي ذلك.

و الحاصل أنّ أفعال الله تعالي علي ضربين: قسم صادر عنه من دون سبب كالإبدائيات، وقسم يكون بأسباب كثيرة، كخلقة النبات الموقوفة علي وجود الأرض، والإشراق من الشمس، وتموّج الهواء، ووصول الماء التي هي عبارة عن العناصر، وهكذا.

فمن الممكن جعل أحد الأسباب في إيجاد بعض الأفعال إختيار العبد، بأن خلق في العبد الاختيار، وعلّق الفعل علي اختياره، مثلاً لخلقة الإنسان أسباب ومعدّات كثيرة، أحدها جماع الرجل والمرأة باختيارهما، وكذا لإيجاد الحبة أسباب، منها زرع الزارع اختياراً وهكذا، فيصح إستناد الفعل إلي الله؛ لأنّ جميع أسبابه تحت قدرته ومشيئته حتّى اختيار العبد واستناده إلي العبد، لصدوره عنه باختياره الذي هو أحد الأسباب التي أوجد الله تعالي،(1)

وهذا معني «لا حول ولا قوّة إلا بالله»(2).

الأمر السادس: في التوفيق والتأييد

إنّه مضافاً إلي جعل الاختيار للعباد أنّ لله تعالي في حقّ بعض العباد أظافاً

ص: 67

1- أقول: قد تقدّم بعض الكلام فيما سبق.(عا)

2- الكافي، ج2، ص521، باب مَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

خاصةً، و عنایات مخصوصة تسمی بالتوفیق والتأييد، و هو عبارة عن تهيأ أسباب الإطاعة مثوبةً لطاعتهم، و في حق آخر عقوبات مخصوصة تسمي بالاضلال و الخذلان عقوبةً لبعض معاصيهم، و كلا الطرفين لا ينافي العدل، و لا يوجب الإلجاء، و لا سلب الاختيار.

الأمر السابع: في البداء

إن البداء في أفعاله تعالي من مسلميات مذهب الشيعة، و قد ورد به أخبار كثيرة (1)،

خلافاً للعامّة العمياء.

و الوجه فيه: أن أفعاله تعالي قد تقدّم أنه موافق للحكم و المصالح بمقتضي عدله، و من الواضح أنها تختلف باختلاف الأشخاص و الأزمان و الحالات، سيما الحالات البشرية (2).

مثلاً العبودية تقتضي نوعاً، و العصيان نوعاً آخر، و هكذا السخاوة و البخل و التواضع و الكبر و نحوها، و ليس معناه ما تخيّله العامّة من كشف بعض المصالح و العلم بها بعد الجهل بها، كما في البدائيات في أفعالنا، تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً، و هذا أيضاً هو السرّ في النسخ في الأحكام؛ لاختلاف المصالح بالنسبة إلي الأشخاص و الأزمان، فالنسخ بداء في التشريعات، و

ص: 68

1- راجع: الكافي، ج 1، ص 146، بابُ البداء.

2- أقول: إن الاعتراف بالبداء يحثّ علي العبادات و يرغب في الصدقات و يوجب التدارك لما فات و الاصلاح لما آت و ... و عليه مدار إستجابة الدعاء و الرغبة و الرهبة الموجبتين للطلب و تحمّل المشقّة و وقوف العبد بين الخوف و الرجاء و طلب السعيد الثبوت علي سعاده و الشقيّ المحو عن الشقاء. (عا)

البدء نسخ في التكوينات.

الأمر الثامن: في التوحيد الأفعالي

إنّه كما يجب الاعتقاد بالتوحيد الذاتي والصفاتية كما تقدّم بيانهما، كذلك يجب الاعتقاد بالتوحيد الأفعالي، أي: جميع أفعال الربوبية صادرة عن ذاته المقدّسة، (1)

ولا شريك له ولا وزير له.

والسرّ في ذلك: ما تقدّم من أنّ الفعل إن كان ذي مصلحة بحيث يصير حسناً يجب صدوره منه تعالى، وإن كان قبيحاً يستحيل.

وحينئذ نقول: إن قلنا بعدم صدور بعض الأفعال منه تعالى بأنّها حسنة، لزم القول بترك فعل الحسن منه، وهو مناف للعدل.

وإن قلنا بأنّها غير حسنة مع قدرته تعالى علي المنع منه، لزم القبح فلا يليق بجنابه، ومع عدم قدرته لزم العجز، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فما ذهب إليه الوثنية من القول بأنّ خالق الخيرات هو اليزدان، وخالق الشرور هو الأهرمن، فاسد، وإثبات فساده مسلكان:

أحدهما: للأفلاطون من الالتزام بأنّ الشرور أعدام، وأنّ جميع ما في العالم خيرات محضنة.

وثانيهما: للأرسطو من الالتزام بأنّ شرور كلّ فعل أقلّ من خيراته، فصدوره

ص: 69

1- أقول: وما قد يسمع من كلام بعضهم في معني التوحيد الأفعالي من «أنّه لا فعل إلاّ فعله تعالى كما لا وجود إلاّ وجوده»، عاطل و باطل بالأدلة العقلية والنقلية القطعية. (عا)

حسن، وليس الشرّ مساوياً أو أكثر، أو شرّاً محضاً، بل إمّا خير محض، أو خير أكثر.

ثمّ للتوحيد الأفعالي مراتب قشر القشر، كإقرار المنافق، أو قشر كإقرار العامة، وليست كإقرار الخواصّ، ولبّ اللبّ وهو المعبرّ عنه بالفناء. (1)

الأمر التاسع: في التوحيد العبادتي

من أقسام التوحيد: التوحيد العبادتي، وهو مفاد الكلمة الطيبة، وإنّ المشركين من عبدة الأوثان، وعبدة الشمس والقمر والنجوم، وعبدة العجل ونحوها إنّما أنكروا هذا القسم من التوحيد.

والدليل عليه بعد إثبات التوحيد الذاتي والصفاتى والأفعالي، من أنّ واجب الوجود منحصر في الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية، (2)

المنزّه عن جميع النقائص الذي اسمه الشريف الله، وأنّ جميع ما في الوجود صادر عنه ليس إلاّ، (3)

وأنّ غيره كائناً من كان فقير محتاج ممكن الذي في ذاته أن يكون ليس، فلا يستحقّ غيره للعبادة، وأنّ العبادة مختصّة به، مضافاً إلي قيام ضرورة الإسلام ونصوص الكتاب والسنة علي ذلك، فهذا التوحيد ثابت

ص: 70

1- أقول: ولا يخفي أنّ الفناء في الله يمكن أن يفسّر بوجه: الأوّل: أنّ العبد يفني هواه في هوي الله تعالي وإرادته في إرادة الله ولا يريد إلاّ ما أراد الله سبحانه وهذا معني صحيح ويسمّي بالفناء الإراديّ. الثاني: بمعني توجّه الإنسان إلي الله تعالي والغفلة عن جميع ما سواه حتّي عن نفسه وهذا أيضاً صحيح ويسمّي بالفناء الحكميّ. الثالث: بمعني الوصول في ذاته سبحانه وفناء العبد في ذاته (عز وجل) وهذا معني فاسد بالأدلة القطعيّة العقليّة والنقليّة وهذا هو مراد القائل بوحدة الوجود من العرفاء والفلاسفة. (عا)

2- أقول: اللاتقة بذاته القدّوس. (عا)

3- أقول: بالإرادة والمشية الحادثة. (عا)

بالأدلة الأربعة القطعية.

ثم إن هنا إشكال في مفاد الكلمة الطيبة، وهو أن «لا» نفي الجنس يقتضي الإسم والخبر، والخبر هنا محذوف، فلا بد إما يقدر موجود أو ممكن، فإن قدر موجود، أي: لا إله موجود إلا الله، فهو لا يقتضي استحالة وجوده، بل ينفي فعلية وجوده. وإن قدر ممكن، فهو وإن اقتضي استحالة وجود الإله له غيره تعالى، إلا أنه لا يثبت وجود الله، بل مجرد إمكانه.

و الجواب: منع إحتياج «لا» نفي الجنس الخبر مطلقاً، بل إذا كان لنفي الحقيقة كما في المقام، فلا يقتضي خبراً، أي: لا حقيقة الألوهية إلا الله، كما في قوله: «لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَفَّارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ» (1)

أي: حقيقة الفتوة منحصرة بعلي، و حقيقة السيف مختصة بذي القفار، و كقولك «لا سخاء إلا في العرب» أي: حقيقة السخاء، إلي غير ذلك من الأمثلة.

ثم إنه يمكن أن يقال بدلالة هذه الكلمة علي التوحيد العبادتي بالمطابقة، و علي سائر أقسام التوحيد بالإلتزام.

بل يمكن دعوي استفادة جميع خصوصيات الإيمان من هذه الكلمة؛ لأنّ المعتقد بكونه تعالى مستجمعاً لجميع الصفات الكمالية يحكم بلزوم بعث الرسل و إنزال الكتب، و بلزوم كون المبعوث جامعاً لصفات الرسالة، و آتياً بالمعجزة، و إن إعطاء المعجزة بيد الكاذب قبيحاً، و يحكم بلزوم جعل الحافظ لدينه و القيم لكتابه في كل عصر.

و لابد أن يكون الحافظ و القيم مستجمعاً لصفات الإمامة و الخلافة، و

ص: 71

يحكم بلزوم البعث والنشر والحساب والجزاء والثواب والعقاب والجدّة والنار؛ لأنّ خلاف شيء منها يورث القبح المنافي للحكمة و العدل، الموجب لعدم كون ذاته مستجمعاً لجميع الكمالات، المستلزم للنقص والاحتياج، المنافي لوجوب الوجود، ولعلّ إلي هذا أشار الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قوله: «بَشْرُوطَهَا وَأَنَا مِنْ شَرْوِطَهَا» في حديث سلسلة الذهب(1)، فتدبّر.

الأمر العاشر: في لزوم التكليف

من شؤون العدالة لزوم التكليف.

و توضيح الكلام: أنّ الحسن و القبح في الأفعال من الأصول المسلّمة عند المسلمين، بل قاطبة الناس، خلافاً للأشاعرة، ويدلّ عليه حسن الإحسان وقبح الظلم، ولو تأملت في ذلك، فراجع المثل الذي ذكرته في وجوب المعرفة بقاعدة شكر المنعم.

و عليه نقول: إنّ الحسن و القبح تابع للمصالح و المفسدات في الأفعال، و أنّ البشر لا يدرك جميع ما فيه صلاحه أو فساده، و ما أدركه العقل أيضاً لا يترتب عليه إلاّ ذمّ العقلاء، و الناس يستسهلون الذمّ في قضاء الوتر.

فالظالم لا- يرتدع بدمّ العقلاء عن ظلمه، فيجب علي الله تعالى جعل التكليف، و إرشاد العبيد إلي ما فيه صلاحهم و فسادهم، و خلق الثواب و العقاب، و الترغيب إلي الثواب، و الإنذار عن العذاب، و إرسال الرسل، و إنزال الكتب.

ص: 72

1- _ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 2، ص 135، ح 4.

و يجب علي العبيد إطاعة أوامره، والانتهاز عن نواهيته، و ترك معصيته و مخالفته، بالوجوب العقلي من جهة درك حسن الأول و قبح الثاني، بمعني أنه لو خالف و وقع في مفسدة لكان عن حجة: { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } (1) نعم قد يكون في بعض الموارد جهاتاً يمنع من التكليف لا- يحيط بها إلاّ علام الغيوب، فلا يمكن الحكم كلية في جميع الموارد حتّي ينتقض بمن لم يبلغ إليه الدعوة أصلاً، و بالجاهل القاصر و أهل الأمر بك و نحوها، و من هنا قلنا بعدم تمامية قاعدة اللطف و نحوها.

ص: 73

1- _ سورة الأنفال: 42.

إشارة

وقد بسطنا الكلام فيها في بعض رسائلنا، ومن أرادها راجعها، وقد قسّمنا المطالب فيها بجزئين، وقد ذكرنا الجزء الثاني في هذه الوجيزة، و الجزء الأول في رسالة أخرى، ولا بأس بالإشارة إلي مطالبها ملخصاً.

فنقول: في هذا المقام مباحث:

المبحث الأول: في إثبات النبوة العامة

بمعني لزوم بعث الرسل، وإنزال الكتب علي الله، واحتياج البشر إلي ذلك، ويدلّ عليه: أنّ دواعي الشهوة والغضب في البشر موجود، و لا يرتدع إلاّ برادع إلهي، وأنّ البشر في مدنيته يحتاج إلي القوانين لحفظ الحقوق، و عقول البشر لا يصل إليها، مضافاً إلي ما تقدّم في لزوم التكليف.

المبحث الثاني: في نسخ الشرائع

إنّ النسخ في الشرائع ممّا لا بدّ منه، و عليه اتّفاق المسلمين، و الآيات و الأخبار و الضرورة، بل برهان العقل، كما تقدّم بيانه في الأمر السابع في مسألة البداء قائم عليه، و كتب العهدين مشحونة به، و إن خالف في ذلك اليهود و النصارى عناداً للإسلام، و قد نقلنا موارد العهدين علي ذلك، و قد أوسط

الأستاذ البلاغي (قدس سره) في الهدى الكلام في ذلك (1).

المبحث الثالث: في اشتراط العصمة و الأكملية و المعجزة

يشترط في النبي المبعوث أمور كثيرة، المهمّ منها ثلاثة: العصمة بالمعنيين من المعاصي و من الخطأ و السهو و النسيان و الشكّ، و الأكملية في جميع الصفات عن جميع الأمة، و الاتيان بالمعجزة.

أمّا العصمة، فالدليل عليه مضافاً إلي لزوم نقض الغرض لو لم يكن معصوماً، و مضافاً إلي أنّ إرسال المعصوم ممكن علي الله تعالى، و فيه صلاح الأمة قطعاً، فكان حسناً، فيجب علي الله بمقتضى عدله قوله تعالى: { لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } (2).

ثمّ الآيات الموهمة في القرآن، مثل قوله: { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } (3).

وقوله: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيماً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (4).

وقوله: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً } (5).

ص: 75

1- _ الهدى إلي دين المصطفى، ص 275_ 340.

2- _ سورة البقرة: 124.

3- _ سورة طه: 121.

4- _ سورة الأعراف: 189.

5- _ سورة نوح: 24.

وقوله: { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذُرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } (1).

وقوله: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } (2).

وقوله: { قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ } (3).

وقوله: { وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَي حِينِ غَفْلَةٍ } (4).

وقوله: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِينَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } (5).

وقوله: { قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ } (6).

وقوله: { وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضًّا بِانْ أَسْفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَ كَادُوا يَمْتَلُونِي فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (7).

ص: 76

1- _ سورة نوح: 26.

2- _ سورة الأنعام: 75.

3- _ سورة الأنبياء: 62.

4- _ سورة القصص: 15.

5- _ سورة الكهف: 65.

6- _ سورة الشعراء: 43.

7- _ سورة الأعراف: 150.

وقوله: { وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } .(1)

وقوله: { وَ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ } .(2)

وقوله: { وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْمَيْنَا عَلَيَّ كُرْسِيَّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ } .(3) وقوله: { وَ ذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } .(4)

وقوله: { وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } .(5)

وقوله: { وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } .(6)

وقوله: { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً } .(7)

وقوله: { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

ص: 77

1- _ سورة ص: 21.

2- _ سورة ص: 30.

3- _ سورة ص: 34.

4- _ سورة الأنبياء: 87.

5- _ سورة الضحى: 7.

6- _ سورة الحج: 52.

7- _ سورة الإسراء: 73.

فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا { (1).

وقوله: { وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (2).

وقوله: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (3) وقوله: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (4).

وقوله: { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا وَ زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (5).

وقوله: { وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ } (6).

وقوله: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ

ص: 78

1- سورة الإسراء: 39.

2- سورة الزمر: 65.

3- سورة الأحزاب: 1.

4- سورة المائدة: 67.

5- سورة الأحزاب: 37.

6- سورة الشرح: 2.

يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} (1).

وقوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مُتَوَكِّمًا} (2).

وقوله: {قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُكُمْ بِشَرِّ مِثْلِكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ إِهْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (3).

وقوله: {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ الَّذِينَ يَعْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (4) و قوله: {وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (5).

وقوله: {وَ أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (6).

وقوله: {وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (7)

ص: 79

1- سورة الفتح: 2.

2- سورة محمد (صلي الله عليه و آله و سلم): 19.

3- سورة الكهف: 110.

4- سورة يونس: 94.

5- سورة يونس: 95.

6- سورة يونس: 105.

7- سورة يونس: 106.

فقط أسطنا الكلام فيها مفصلاً مأخوذاً من تنزيه الأنبياء (1) و الهدي (2).

فراجع.

وأما الأكمليّة، فالمراد منه كون النبي متّصفاً بجمع الخصال الحميدة، منزهاً عن جميع الرذائل، وكان ذلك علي نحو الدوام والثبات، فلا يزول صبره بالمصائب، ولا شكره بالنوائب، ولا رضاه بالنكبات، ولا يقينه بالشبهات، وأن يكون كلّ ذلك موهوباً لا كسبياً.

والدليل عليه: قبح الترجيح من غير مرجح، أو المرجوح علي الراجح، ولزوم نقض الغرض لولاه، وأن بعث هذا النبي الموصوف الكذائي ممكن عليه تعالي، وفيه صلاح الأمة قطعاً، وليس فيه مفسدة أصلاً، فيجب علي الله لحسنه.

تنبيه: ما ورد في ابتلاء أيوب من الجذام والقبح والدود ونحوها لا يطابق أصول مذهبنا (3).

وهو غير ثابت، بل هو من موضوعات بعض مفسري العامة، وقد بين ذلك علم الهدي في تنزيه الأنبياء (4).

وقد ورد الخبر عن الخصال، عن الصادق (عليه السلام): إِنَّ أَيُّوبَ (عليه السلام) مَعَ جَمِيعِ مَا بُلِيَ بِهِ لَمْ يُنَّسَ لَهُ رَائِحَةٌ، وَلَا قَبِيحَةٌ لَهُ صُورَةٌ، وَلَا خَرَجَتْ مِنْهُ مِدَّةٌ مِنْ دَمٍ، وَلَا قَيْحٌ، وَلَا اسْتَقْدَرَهُ أَحَدٌ رَأَهُ، وَلَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ أَحَدٌ شَاهِدَهُ، وَلَا يَدُودٌ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِهِ. (الخبر) (5)

ص: 80

1- _ للسيد الشريف المرتضي علم الهدي.

2- _ للعلامة المحقق الشيخ جواد البلاغي.

3- _ البرهان في تفسير القرآن، ج 4، ص 663، ح 9116.

4- _ تنزيه الأنبياء للشريف المرتضي، ص 59 _ 64.

5- _ الخصال، ج 2، ص 399، ح 108.

فما ورد في بعض الأخبار موافقاً للعامّة يحمل علي التقية.

و من شؤون الأكمليّة لزوم كون النبي عالمّاً بجميع ما يحتاج إليه الأُمّة في عقائدهم، و دفع شبهاتهم، و عالمّاً بالسنتهم و مشكلات علومهم، و إصلاح معادهم و معاشهم و اجتماعياتهم، فالمبعوث علي كافة الجنّ و الإنس لابدّ و أن يكون عالمّاً بلغة الجنّ، و عدم الاستيحاش عنهم، و لذا من كان خليفته أيضاً كذلك.

و من شؤون الأكمليّة عدم نواقص الخلقية، و لا الحسبية، و لا النسبية، و لا يرتكب الأفعال الخسيسة، كالحياسة و الحجامّة و الزبالة و نحوها، و الغرض من ذلك عدم صعوبة الانقياد له علي الأُمّة لا الأكمليّة في ذلك عن جميع الأُمّة؛ لعدم مدخلية ذلك في كمال النفس.

و أمّا المعجزة، فلزومها من جهة أنّ العصمة و الأكمليّة التي قد عرفت شرطيتها لا يكشف كشفاً قطعياً إلاّ للأوحد بعد المعاشرة التامة في مدّة من الزمان؛ لأنّها من الصفات الباطنية، فلا بدّ من قيام دليل قطعي علي كون مدّعي النبوة كذلك، و هو إمّا إخبار معصوم بالنصّ الصريح القطعي علي نبوّته، أو بإتيانه المعجزة؛ لأنّه يمتنع علي الله تعالي في حكمته و عدله إعطاء المعجزة بيد الكاذب في هذه المزلقة العظيمة.

و الدليل علي كون المعجزة دليلاً علي صدق الدعوي لزوم نقض الغرض و إفحام الأنبياء و غيرها، و المراد من المعجزة ما يكون خارجاً عن طوق البشر، و عن حدود قدرتهم، و عن قوانين التعليم و التعلّم، و خارقاً للعادة، فالصنائع الغريبة العصرية و السحر لا يشتهه بالمعجزة؛ لأنّها تحت قدرة البشر، و تحت قوانين العلمية و طبقاً للعادة.

ثمّ يعتبر فيها أن يكون كافيةً قاطعةً للعدر، وكلّ من يرجع إليها يحصل له القطع بصدق الدعوي، سوي المتعصّب المعاند، وإنّ من لم يقدر علي التميز بينها وبين غيرها يجب أن يرجع إلي أهل الصناعة، فقوم موسى (عليه السلام) إلي السحرة، وقوم عيسي (عليه السلام) إلي الأطباء، وقوم محمّد (صلي الله عليه وآله وسلم) إلي الفصحاء والبلغاء، ولا يلزم مشاهدة جميع الأمة حتّي الأجيال المتأخّرة، بل اللازم القطع بصدوره منه ولو بالنصّ المتواتر، ولا يلزم قدرة النبي عليها كلّ حين، ولا تكراره وتعدّده، بل اللازم حصول القطع وتمامية الحجّة.

المبحث الرابع: في موانع النبوة

وهي كثيرة، منها: فقدان الشرائط المتقدّمة من العصمة والأكملية والإتيان بالمعجزة.

ومنها: التناقض في دعاويه وكلماته، كتناقضات الباب.

ومنها: نصّ النبي السابق الثابت نبوته علي كذب مدّعيها، كتصيصنبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم) علي كذب مدّعي النبوة بعده إلي يوم القيامة.

ومنها: تصديقه النبي السابق الناصّ علي كذب المدّعي.

ومنها: إرتكابه بعض القبائح العقلية، أو المحرّمات الشرعية.

ومنها: دعواه ما هو خلاف العقل، كالشرك ونحوه.

ومنها: تناقض أحكامه بحيث لا يرجع إلي النسخ.

ومنها: تناقض احتجاجاته.

المبحث الخامس: في وجوب النظر

لا يخفي أنه قد جاء في هذا العالم رجال ادّعوا النبوة، وهم كلاً أو بعضاً محتمل الصدق أو مظنون الصدق، أو موهوم الصدق، ففي مخالفتهم وعدم تصديقهم مظنة للضرر، أو محتمل الضرر، أو موهوم الضرر، ودفع الضرر المظنون والمحمول والموهوم واجب عقلاً، بمعنى أنه لو خالف ووقع في العذاب الأبد لصحّ ذلك، ولا يقبح العقل العقاب عليه.

نعم بعد الفحص والنظر إن علم الصدق فصدّقه، وإن علم الكذب فكذّبه، وإن لم يعلم شيئاً منهما، فإن كان مقصراً يصحّ عقابه علي تقدير الصدق، وإن كان قاصراً يقبح ذلك، فقاعدة دفع الضرر إنما هو قبل الفحص، وقاعدة قبح العقاب بعد الفحص، فلا تعارض بينهما، كما في باب الأحكام قبل الفحص وبعده بمقدار اللازم.

المبحث السادس: في التواتر

إنّ طريق إثبات النبوات في زماننا هذا منحصر بالتواتر في جميع الطبقات من زمان مدّعي النبوة إلي زماننا، بمعنى نقل جماعة في كلّ طبقة بحيث يستحيل اجتماعهم علي الكذب، ويحصل القطع من قولهم إلا للمبتلي بداء العصبية.

نعم في نبوة نبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم) لما كان القرآن وكذا أحكام شريعته وكذا إخباره ممّا سيأتي معجزة باقية إلي يوم القيامة، قد يتوهم عدم الاحتياج إلي التواتر، لكنّه أيضاً فاسد؛ لأننا نحتاج إلي التواتر في إثبات كون القرآن صادراً منه (صلي الله عليه وآله وسلم)، وكذا الإبقاء منه، وكذا الإخبارات المستقبلية ممّا أخبر النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) به.

ثمّ المعبر قيام التواتر علي كونه مدّعي النبوة، وكونه واجداً لجميع الشرائط

من العصمة والأكمالية وإعطاء المعجزة، وكونه فاقداً لجميع الموانع المتقدمة، ولا سبيل لنا إلى إثبات شيء من ذلك بالنسبة إلى الديانات التي قبل موسى (عليه السلام)، فهو من القسم الثالث الذي لا يقبح العقاب علي مخالفته، بل من القسم الثاني الذي تقطع ببطلانه من جهة نسخ شريعتهم بالشرائع اللاحقة الثابتة بالأدلة القطعية، فنحن نتكلم في نبوة موسى وعيسى (عليهما السلام) و نبي الإسلام محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) كل في بحث مستقل.

المبحث السابع: في نبوة موسى (عليه السلام)

و كتابه التي عليه اليهود

و ادّعوا تواتر كتابه، و دعواه الرسالة، و كونه واجداً لجميع الشرائط المؤيدة بالمعجزات الباهرات، و فاقداً لجميع الموانع، و أيّدوا ذلك بموافقة النصاري و المسلمين.

أقول: أمّا التأييد باطل؛ لانقطاع نبوته عنهم بالتنصّر و الإسلام.

و أمّا تواتر ما ادّعوا، فهو فاسد؛ لانقطاع مستندهم مرّاتاً ثلاثة:

أحدها: من بعد موسى لم يمض سنة إلاّ أشركوا و عبدوا الأثنام، و اشتدّ ذلك فيهم إلى زمان ظهور يوشيا، بحيث جعلوا الأصنام في بيت المقدس و نجسوه و أخربوه، و بقوا مدّة مديدة بلا إله حقّ و لا معلّم و لا شريعة (وفي النسخة العبرانية)(1)

و بلا تورا، حتّي مضى من ملك يوشيا إثني عشر سنة يطلب الحقّ و الشريعة و التورا و لم يجدها، فادّعي حلقيا أنّه وجدها في بيت

ص: 84

1- كذا في الأصل بين الهالين.

الرب، وأخبر شافان كاتب الملك، وقرأ شافان ليوشيا حتّي مزغ يوشيا من شدّة الفرح ثيابه. (1)

فعلي هذا ينتهي تمام سندهم إلي رجل واحد حلقيًا، مع كون آثار الكذب منه ساطعة؛ لأنّ المشركين مع كثرة عنادهم وكفرهم حتّي أخرجوا بيت الربّ ونجّسوه ونهبوا جميع ما فيه، لم يبقوا التوراة سالمة في بيت الربّ.

ثانيها: من بعد ملك يوشيا صاروا أيضاً إلي الشرك وعبادة الأوثان إليسي بابل، وبقوا في السبي مائة سنة حتّي رجعوا من السبي، وطلبوا الشريعة والتوراة تمنّوا من عزرا المعلّم أن يأتي لهم بالشريعة، فأتي عزرا بكتاب التوراة وقرأ عليهم، وهم ألوف بين باكٍ وصارخ في يومين، حتّي وجدوا فيها عمل المظال (2).

فتمام سندهم ينتهي إلي واحد وهو عزرا.

ثالثها: بعد سبي بابل إلي زمان المسيح أفسدوا عهد موسى (عليه السلام)، واحتقر طاسم إله، وحادّوا عن الطريق، وقالوا: عبادة إله باطلة ولا فائدة فيها. (3)

هذا مضافاً إلي أنّ الكتاب المذكور لاشتماله علي ما يخالف العقول في أحوال الأنبياء (عليهم السلام) من قصّة آدم سفر التكوين باب 3، و قصّة نوح سفر المذكور باب 9، و قصّة أبناء نوح سفر المذكور باب 11، و قصّة لوط باب 19، و قصّة يعقوب باب 32 منه، و قصّة موسى سفر الخروج باب 4 و باب 5، و سفر العدد باب 11، و باب 20، و باب 27، و سفر التثنية باب 32 و مز مور 106 آية 33، و

ص: 85

1- راجع: تاريخ الملوك، ج2، باب22 و 23؛ تاريخ الأيام، باب24.

2- راجع: كتاب أرميا، و الباب الثامن من كتاب نحemia.

3- راجع: كتاب الملاخي.

قصة هارون سفر الخروج باب 7 و باب 32، وقصة داود صموئيل الثاني، وقصة سليمان ملوك الأول باب 11، لا يقبل التصديق، وهذه الكفريات من أقوى الأدلة علي بطلان الكتاب.(1)

و مضافاً إلي اشتمال التوراة علي التناقضات و الأحكام المخالفة للعقول التي يأتي ذكرها في بيان معاجز القرآن.

المبحث الثامن: في نبوة عيسى (عليه السلام)

و كتابه التي عليها النصاري و ادعوا تواترها

أقول: أمّا سند أناجيلهم الأربعة ينتهي كل واحد إلي واحد، وهم: متي، ومرقس، ويوحنا، ولوقا، فلم يكن متواتراً عن المسيح، بل اختلاف الأنجيل التي يكذب كل الآخر، و تناقضاتها من أقوى الأدلة علي كذبها.

هذا مضافاً إلي أنه قد ورد في أناجيلهم من ذمّ الحواريين الذين كان سنداً لأناجيل منتهياً إليهم، و كفرهم و عدم إيمانهم ما يغنيننا عن البحث في ذلك، فانظر إنجيل يوحنا باب 2 آية 22، و باب 16 آية 52 و 32، و باب 12 آية 6 و 16، و باب 13 آية 29.

و إنجيل مرقس باب 4 آية 4، و باب 16 آية 52 و 14.

و إنجيل متي باب 20 آية 24، و باب 16 آية 8، و باب 2 آية 20، و باب 2 آية 31 و 36، و باب 6 آية 22، و باب 26 آية 69، و باب 16 آية 21، و باب 17 آية 23، و باب 20 آية 19.

ص: 86

1- _ راجع: الهدي إلي دين المصطفي، ج 1، ص 113_142.

وإنجيل لوقا باب 22 آية 22، و باب 24 آية 11.

وعليه نقول: كيف يمكن الاعتماد بقول هؤلاء؟

وأما تناقضات الأناجيل، فكثيرة:

منها: في نسب المسيح من وجوه بين متي و لوقا. ومنها: في إعطاء المعجزة بيد الكاذب مع كون أساسها علي ذلك.

و منها: بقاء المسيح ثلاثة أيام في الأرض.

و منها: في كون يوحنا هو الإلياء.

و منها: في قبول شهادة المسيح علي نفسه.

و منها: في إطلاق الصالح عليه.

و منها: دعوي كون من ليس معه هو عليه.

و منها: حسن صوم التلاميذ.

و منها: إعطاء المعجزة إليه وعدمه.

إلي غير ذلك من المناقضات، مضافاً إلي اشتمالها علي احتجاجات باطلة، كالاحتجاج لقبول شهادة نفسه، و الاحتجاج لتعدد الآلهة، و للمنع من الطلاق، و منع الزواج في القيامة، و علي التثليث، و للقيام من الموت.

و إلي النسبة إلي المسيح و حاشاه ما لا يليق به:

منها: قصة العرس و صنع الخمر.

و منها: شرب الخمر بل شريب الخمر، أي كثير الشرب.

ص: 87

ومنها: جلوس يوحنا في حجرة و تغنجه.

ومنها: كذبه في عدم الصعود إلي العيد مع أنه صعد. ومنها: قصة المرأة الزانية.

إلي غير ذلك من الموارد، وقد أشبعنا الكلام فيها توضيحاً و محلاً المأخوذ أغلبها من الهدى (1) و آلاء الرحمن (2)، و تطبيق أكثرها مع العهدين الموجود عندي.

المبحث التاسع: في نبوة نبينا (صلي الله عليه و آله و سلم)

لا ينبغي الإشكال في ظهوره (صلي الله عليه و آله و سلم) في السنة المعلومة، و ادّعي الرسالة، و بلغ دعوته إلي أكثر بلاد العالم، و آمن به طوعاً أو كرهاً في زمانه أكثر من مئات الألوف، و لم ينقضوا المسلمين من زمانه إلي زماننا هذا.

فلا سبيل لأحد إنكار التواتر في جميع الطبقات، مع أنه (صلي الله عليه و آله و سلم) في زمان استولي الشرك علي العالم كجدّه إبراهيم (عليه السلام)؛ لأنّ العرب كانوا عبدة الأصنام، و العجم عبدة النار، و الهند عبدة الشمس و القمر و الكواكب و البقر و نحوها، و النصراني القائلين بالتثليث، و اليهود المتقلّبين في الشرك كما عرفت، فهو بنفسه الشريف ظهر و قام و استقام إلي أن مات، و هذا بنفسه دليل مستقلّ علي صدق الدعوي لمن استبصر.

و الاستدلال علي نبوته وجوده كثيرة:

ص: 88

1- راجع: الهدى إلي دين المصطفي، ج 1، ص 143_148.

2- أيضاً للعلامة المحقق الشيخ محمدجواد البلاغي (قدس سره).

منها: بشارات السلف من الأنبياء، وقد جمعها في سيف الأمة⁽¹⁾ إلي تَيْفٍ و سَتَيْنِ من الأصول العبراني، وإن حَرَفَ بعضها المترجمون، و نحن قد ذكرنا منها إثني عشر مورداً فراجع، وقد ذكرنا له (صلي الله عليه و آله و سلم) ثلاثين إسماً مأخوذاً من العهدين. و منها: المعجزات الخاصة الصادرة منه (صلي الله عليه و آله و سلم)، كانشقاق القمر، و تسبيح الحصاة، و مخاطبة البهائم، و تظليل الغمام، و غيرها ممّا لا يخفي كثرةً، و قد نقلنا منها ستاً و ستين معجزةً.

و منها: إخباره (صلي الله عليه و آله و سلم) بالمغيبات و الأمور المستقبلية، كإخباره عن العترة الطاهرة واحداً بعد واحد، و ما جري علي كلّ منهم من القتل و السبي من بني أميّة و بني العبّاس، و عن أهل نهر و ان، و عن وقعة صفّين و قتل عمّار، و أنّه تقتله الفئة الباغية، و آخر شرايه من الدنيا ضياح من لبن، و عن وقعة الجمل، و خروج عائشة علي علي (عليه السلام)، و نياح كلاب الحوئب عليها، و عن دوام ملك النصاري، و عن خلفائه الإثني عشر، و طول غيبة قائمهم.

و عن قتل علي (عليه السلام) بضربة علي أم رأسه في شهر رمضان حين الصلاة فتخضب لحيته، و عمّا جري عليه و علي فاطمة (عليها السلام) بعده، و قتل الحسن (عليه السلام) بالسمّ، و قتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء بعد شهادة أصحابه غريباً و حيداً، و عن دفن الرضا (عليه السلام) في الطوس، و لجابر بملاقاته الباقر (عليه السلام)، و عن موت أبي ذرّ و حيداً فريداً، إلي غير ذلك، و قد عدّدناه إلي خمسة و ثلاثين مورداً.

و منها: إخباره عن الأنبياء السلف، مع أنّه لم يتعلّم عند أحد.

و منها: قوانين شريعته و أحكام ديانته التي هي في غاية المتانة و الحكمة،

ص: 89

1- سيف الأمة و برهان الملة، للشيخ أحمد النراقي، ص 99_169.

بحيث خضع لها المليون بل جميع أهل العالم، مع أنه قد بين فيها جميع ما يحتاج إليه الأمة في نظامهم وسياستهم ومعاشراتهم و معاملاتهم ومواريتهم وأحكامهم، وأمر دينهم وديانهم، بحيث لا يحيط بها إلي الآن عالم ولا يجمعهافاضل، فضلاً عن الإحاطة بحكمها ومصالحها.

ومنها: أخلاقيات الشريعة ومعارفها وعقائدها، وكيفية السلوك مع الأعداء في المجاهدات وغيرها، مع أنه لم يصدر إلا من أمي لا يتعلم الكتب ولا يقرأ ولا يكتب.

ومنها: إخباره (صلي الله عليه وآله وسلم) عن الملاحم.

ومنها: مواعظه والكلمات الصادرة منه (صلي الله عليه وآله وسلم) في الحكم، وقد جمعها العلماء في كتب الروضة، كروضة البحار والوافي وغيرها.

ولنعلم ما قال بعض العلماء: إن من شاهد أحوال نبينا محمد (صلي الله عليه وآله وسلم)، وأصغي إلي سماع أخباره الدالة علي أخلاقه وأفعاله وأحواله وآدابه وعاداته وسجاياه، وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلي ضبطهم والتألف بينهم، وقوده إياهم إلي طاعته، مع ما يحكي من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل مسائل الشرع الذي يعجز الفقهاء والفضلاء عن إدراك دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب.

ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بجيلة يقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية، وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا لملتبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه.

حتي أن العربي الفصح كان يراه، فيقول: والله ما هذا وجه كذاب، فكان يشهد

له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف بمن يشاهد أخلاقه، ويمارسه في جميع مصادره وموارده، وقد آتاه الله جميع ذلك، وهو لم يمارس العلم، ولم يطالع الكتب، ولم يسافر قط في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهال يتيماً ضعيفاً مستضعفاً.

فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب، ومعرفة مصالحي الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم، فضلاً عن معرفته بالله و ملائكته وكتبه ورسله، وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي، وأين لبشر الاستقلال كذلك، فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية. انتهى كلامه رفع شأنه.

ثم أقول: أفضل المعجزات وأشرفها وأعلاها وأبها وأتمها القرآن المجيد، وذلك لأن العرب الذين ابتدأت بهم الدعوة كانوا عن سائر العلوم والمعارف والصنائع عارية، فلا يمتازون حدود ما هو تحت القدرة البشرية عن غيرها، وما هو خارق للعادة عن غيره، فكلماً صدر عن مدعي النبوة من هذا القبيل يحسبون أنه من مهارة أهل البلاد الأجنبية، أو من السحر، فلم يتم عليهم الحجة، بل لما كانت الدعوة ثقيلة عليهم في وثيتهم لأنكروا ذلك وجحدوه ورموه بالسحر.

وأما في فنّ الأدب العربي و علم البلاغة، فقد برعوا وتقدموا غاية البراعة والتقدم، حتى قرروا لذلك المراسم، وعقدوا المحافل للمفاخرة بالرقى وغيرها، وقضية السبعة المعلقة معروفة، فامتازوا غاية التميز مما هو داخل تحت القدرة البشرية، ووفقاً للعادة عن غيره، وأنه من عناية الله الخاصة، فجاء مدعي النبوة بالقرآن بين أظهرهم، و طلب منهم الإتيان بمثله، أو بعشر سور مفتريات، أو بسورة واحدة حتى مثل التوحيد والكوثر، وأمهلهم حتى يدعوا كل من استطاعوا.

مع أن سورة يونس نزلت بمكة، فانظر سورة الإسراء: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ { الآية(1)،

وسورة هود: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} الآية(2)،

وسورة يونس: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} الآية(3)،

وسورة البقرة: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ { (4).

ولم يقدروا علي ذلك، حتّي رضوا بالقتل والسبي، والاستشفاع بأبي طالب، وذلّ المغلوبية، وذلّ العجز، مع أنّ تلك الدعوة شتّت جامعتهم الوثنية، وهددت رئاستهم الوحشية، وفرّقت بين الآباء والأبناء، والإخوان والأقرباء والأصدقاء، والأزواج والزوجات، مع كون أعداء الاسلام من مهرة هذا الفنّ من صدر الاسلام إلي زماننا هذا من اليهود والنصارى والمشركين ما لا يحصي كثرة، الذين ليس لهم همّ إلاّ اضمحلال هذا الدين، فلو كانوا قادرين علي إتيان سورة لكان أسهل الأمور عليهم، ولو أتوا بها لانعقدوا له المحافل والمراسم، و لصار كالنار علي المنار، والشمس في رابعة النهار.

فهذا القرآن معجزة علي العرب لعجزهم عن الإتيان بمثله، و خروجه عن تحت قدرتهم، وعن تحت العادة، و معجزة علي غيرهم من العجم وغيره بتصديق مهرة الفنّ، و عجز أهل الصناعة، كما في قضية العصي، و تصديق السحرة.

ثمّ إنّ هذا القرآن ممتاز عن سائر المعجزات من جهات:

ص: 92

1- _ سورة الإسراء: 9.

2- _ سورة هود: 16.

3- _ سورة يونس: 39.

4- _ سورة البقرة: 21.

الأولي: تكفّله لإثبات جميع المقدمات التي تنتظم منها الحجّة علي الرسالة.

منها: دعوي النبوة و الرسالة.(1)

و منها: الشهادة بنبوته و رسالته.(2)

و منها: التكفل لكلمات المدّعي.(3)

الثانيه: تكفّله لفقدان الموانع للنبوة، حيث ليس فيها ما يخالف العقول من معارفها و أخلاقياتها و اجتماعياتها و سياسياتها و غيرها، قال تعالي في سورة الإسراء: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}.(4)

الثالثة: تكفّله للتحدي في الآيات المتقدمة، كما أشرنا إليه مفصلاً.

ثم لا يخفي أنّ إعجاز القرآن ليس منحصرأ بما ذكر من حسن الأسلوب و الفصاحة و البلاغة، بل هو معجز من وجوه أخر أيضاً:

الأول: من حيث التاريخ، من حيث اشتمال القرآن علي بعض قضايا الأنبياء الذي يشتمل عليها التوراة الراجعة أيضاً، فعند مقايسة ما في القرآن مع الكفريات التي في التوراة نقطع بأنّه وحي إلهي؛ لأنّه لو كان ما فيه مأخوذاً عن التوراة لكان مشتملاً علي كفرياته.

و لو كان مأخوذاً من أفواه الرجال لكان كفرياته أكثر بمراتب، مثل قضية آدم و

ص: 93

1- _ سورة الأعراف: 157.

2- _ سورة النجم: 3_ 5، و سورة الفتح: 29، و سورة الأحزاب: 40.

3- _ سورة القلم: 2 و 3 و 4 و 7، و سورة الأعراف: 156، و سورة الأحزاب: 44.

4- _ سورة الإسراء: 9.

أكل الشجرة وإبليس في سورتي الأعراف وطه، وفي التوراة في الثالث من التكوين، و مثل قضية إبراهيم وأرض سوريا في أواخر البقرة، و في التوراة في الخامس عشر من التكوين، و مثل قضية هلاك قوم لوط و مجيء الملائكة بالبشري في سورتي الهود و الذاريات، و في التوراة في الثامن عشر و التاسع عشر من التكوين، و مثل خطاب موسى من الشجرة في سورة طه و النمل و القصص، و فيها في الثالث من الخروج، و مثل قضية هارون و السامري للعجل في سورتي طه و الأعراف، و فيها في الثاني و الثلاثين من الخروج.

مضافاً إلي اشتمال العهدين علي مزخرفات أخر، كقصة داود و اوريا، و مخادعة يعقوب و مصارعتة و سليمان و المرتفعات و عيسي و العرس و غيرها.

الثاني: من حيث الاحتجاجات علي المعارف لإثبات الإله له و وحدته، و إثبات الصفات، و إثبات النبوة، و كمالات النبي، و إثبات المعاد و خصوصياته، حيث لا تجد في شيء منها خلافاً في الاستدلال، أو بعض مقدماته. (1)

ص: 94

1- أقول: قيس ذلك مع ما في الإنجيل من الاستدلال علي تعدد الآلهة بما في التوراة إله إبراهيم و إله الحق و إله يعقوب، و علي إثبات دعواه بما في التوراة بثبوت الدعوي بشاهدين أنا و أبي شاهدان، و علي منع الطلاق بصيرورة الزوجين جسداً واحداً، إلي غير ذلك. بل لا تجد كتاباً من الفلاسفة و العلماء إلا و فيه خلل كثيرة في استدلالاته. هذا ما أردنا إيراده في الجزء الأول، و بسطنا الكلام فيه في رسالة مستقلة، و أشرنا إلي مطالبها ملخصاً في تلك الأوراق، و يلحق بذلك الجزء الثاني الذي كتبناه في هذه الوجيزة في احدي عشر صفحة قبل تلك الصفحة إلي خمس صفحات بعده الذي أوله قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، إلي قولنا: «إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى» «منه».

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الأطيبين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد: فيقول العبد الجاني ابن محمد تقي الحسيني عبدالحسين: إنّ هذا هو الجزء الثاني من النبوة في النبوة الخاصة في بحث المعاجز القرآنية، سواء الفصاحة والبلاغة، وحسن الأسلوب، من سائر وجوه الإعجاز الذي تقدّم في الجزء الأوّل: الوجه الأوّل، والثاني منها.

وهذا هو الوجه الثالث منه، وهو السلامة من الاختلاف والتناقض الذي لا يخلو منه كتاب، ولو كان من أعظم الحكماء والمتبحرين، قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (1) توضيح الكلام في المقام: إنّ القرآن الكريم مشتمل على فنون علمية من

ص: 95

العلم الإلهي، والفن الأخلاقي، و تشريع الأحكام، و السياسة المدني، و الفن الحربي، و تنظيم المعاش، و إصلاح المعاد، و الترغيب و البشارة، و التهديد و النكال، و الحجج و الأمثال من أبواب الفلسفة و السياسة و الاصلاحات و المواعظ و العبر، كل ذلك علي أحسن أسلوب، و أقوم منهج، مع تكرر كثير من قصصه و مطالبه.

و مع ذلك لا تجد فيه شيئاً من الاختلاف و التناقض و الاضطراب، و فساد المضمون، و سقوط الحجّة، و سخافة البيان، و ينادي فيه بأعلا صوتة: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (1).

مع أنه لم يصدر إلا من الأمي في العصر المظلم الكذائي.

فقايس ذلك مع ما تجد في كتب الفلاسفة و الحكماء و أكابر العلماء، بل قايس مع الكتب المشتملة علي قوانين كل مملكة، مع أنها كتبت تحت نظر عقلاء المملكة و اتفاق آرائهم، فكم فيها من الاختلاف و التناقض، بل من المستحيل صدور كتاب من الإنسان الذي هو محلّ السهو و النسيان سالماً من التناقض و الاختلاف، فيقطع كل عاقل أنه ليس: {إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}، {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (2).

و قايس ذلك مع ما تقدّم في الأناجيل الأربعة عند البحث عن نبوة المسيح من التناقضات الكثيرة، مع صغر الأناجيل، و عدم اشتماله علي مطالب علمية، من الاختلاف في نسب المسيح من وجوه ثلاثة، و من إعطاء المعجزة علي يد الكاذب، و اختلاف في كون المسيح ابن داود النبي.

ص: 96

1- _ سورة الإسراء: 9.

2- _ سورة النجم: 4_ 5.

و الاختلاف في كون المسيح منكرًا إعطاؤه المعجزة إلا القيام من الموت، و دعوي المعجزات الكثيرة.

و الاختلاف في الايلياء المزمع أنه يوحنا النبي، و إنكار كون يوحنا هو الإيلياء.

و الاختلاف في إخباره ببقائه تحت الأرض ثلاثة أيام و ثلاث ليال، و لم يكن كذلك.

و الاختلاف في قبول شهادة نفسه و عدمها، و في إنكار الصالحية و ادّعائها.

و الاختلاف في أنّ من ليس معي فعليّ، و أنّ من ليس عليّ فهو معنا.

و في إنكار حسن صوم التلامذة، و أنّه من أركان الإيمان، إلي غير ذلك من المناقضات، فراجع.

الرابع من وجوه الإعجاز: إعجازه من وجهة الأحكام و التشريع العادل.

و لعمرى أنّ القرآن و الإسلام جاء بشريعة تحيّر جميع العقلاء من الفلاسفة القديمة و الجديدة في مصالحها و فوائدها التي فيها نظام المعاش و المعاد، من الحقوق المدنية و الاجتماعية و السياسية و الحربية، و مراعاة حقوق العائلة و الأرحام و الأزواج، و تدبير المنزل و العبادات و المعاملات و المعاشرات و الموارث و الحدود و الديات، و باب القضاء و الشهادات و غيرها، التي لا يكون شيئاً منها بلا حكمة و لا علي خلاف مصلحة لأفراد البشر فرداً و اجتماعاً.

و قاييس هذا القرآن مع القوانين الصادرة عن أكابر عقلاء الممالك حيث لا يمضي من مدّة جعل كلّ قانون إلا قليلاً، فيدركون فسادها و ينقضونها، ففي كلّ سنة بل شهر يتغيّر تلك القوانين تغييراً فاحشاً، و يجعل مادةً واحدةً تنقضها.

وبعد هذه المقايسة تعرف المجعول من الله، وتمتازه عن المجعول من البشر.

ولا- أقول قايس القرآن مع التوراة الصادرة عن رجل وثنى قاسي القلب، ولا- مع الإنجيل الصادر عن المتغول في الشهوة العاري عن الغضب والغيرة، ولا بأس بالإشارة إلي بعض ما فيهما:

منها: في قضية الحرب والجهد، حيث ذكر في التوراة ستة قبائل من القبائل التي لا يستبقون منها نسمة، ولا ينقطع معهم عهداً، ولا يشفق عليهم، بل يقتلون أطفالهم وبهائمهم. وأما سائر القبائل، فيقتل رجالهم وكل نساءهم وأطفالهم وبهائمهم غنيمة.

أقول: أولاً ما وجه الفرق بين القبائل؟ وثانياً ما وجه هذه القساوة؟ وما تقصير الأطفال والبهائم؟ وثالثاً فما وجه أمر موسى (عليه السلام) في سبي أمر بأن يقتل جميع الذكور والنساء سوي الأبيكار، وهنّ إثنان وثلاثون ألفاً، فكم قتل من الأطفال، وما الفارق بين البكر والثيب.

ومنها: في باب النكاح، فجعل من المحرم نكاحها امرأة الأخ، إلا أنه صرح بأن امرأة إذا مات زوجها ولم يكن له ولد يجب تزويجها علي أخ الزوج، ويجعل الولد الأول الذي ولد منها باسم أخ الميت؛ لأن لا يمحو اسمه، ولو أبي الأخ من تزويجها، فأنت المرأة بها قدام السرائيل، وتخلع نعله، وتبصق في وجهه، ويسمي بيته بيت مخلوع النعل. أقول: لابد من دعة التخصيص، فما وجه هذا العمل الشنيع المنافي للحياء والعفة الموجب للهتك والظلم.

ومنها: ما ذكره من المحرقات في السبت، وفي كل يوم، وفي أول كل شهر،

وفي عيدهم من خامس عشر من نيسان إلي الحادي عشر منه و سائر أعيادهم، بأن يوضع المحرقة تمام الليل أو تمام النهار علي النار توقد حتّي الإلية و الشحم حتّي تصير رماداً، و يسكب عليه الخمر.

أقول: ما الفائدة في هذا العمل الكثيف؟ و ما وجه تسكيب الخمر؟

و منها: ما ذكره في أنّ من تزوّج بنتاً، و ادّعي أنّه لم يجدها بكرةً، فيؤخذ أباهها و أمّها، فإن لم يأت بثوب ملطّخ بدم، فيرجم رجال المدينة المرأة حتّي تموت، و إن أتى بها فيؤدّب الشيوخ الزوج، و يؤخذ منه مائة من الفضة لأبي الزوجة، و ليس له طلاقها أبداً.

أقول: أنظر إلي أطراف هذا الحكم، فأولاً: مجرد عدم إتيان الأب بالثوب الكذائي من أين يثبت كون المرأة زانية؟ أليس يمكن أن تكون بكرةً قد أخفي الزوج الثوب المذكور، أو ذهبت بكارتها بغير طريق الزنا؛ لأنّ البكارة غشاء رقيق في وسطها تقب يخرج منه الحيض، فيمكن ذهابها بالطفرة و الضغطة، أو بخروج الحيض بحرقة شديدة، أو بغير ذلك، فما وجه هذا الرجم؟

و ثانياً: مجرد إتيان الأب بالثوب الكذائي كيف يدلّ علي كونها باكرة؟ فلعلّه دم غير البكارة، أو دم بكارة من غير هذه المرأة، أو من هذه المرأة في غير هذا الموقع، فلعلّه جعل ذلك خدعة لأخذ الفضة، أو لعدم تمكّن الزوج من طلاق بنته، أو لغير ذلك.

و منها: ما ذكره في الميراث، حيث لم يجعل للأبوين شيء من الميراث، و لم يجعل للبنات مع وجود الإبن ميراثاً، و لم يذكر لميراث المرأة شيئاً، فما وجه ذلك مع كون الأبوين أحقّ به حتّي من الأولاد، و أنّ البنات أضعف من الأبناء، و

أنّ حكم ميراث المرأة أيضاً لإسناس غنّة، إلي غير ذلك من أحكام الزكاة و أحكام العبيد، وغيرهما ممّا يطول ذكرها، هذا ما في التوراة.

وأمّا ما في العهد الجديد:

فمنها: أنّه ذكر في الإنجيل أنّه لم يجي ء لينقض الناموس و يحثّ علي العمل به، مع أنّه خالفه في الطلاق، و إباحة ما حرّمته التوراة، و طهارة ما نجّسته، و نسخ الختان، و سائر القيود، و ادّعوا أنّ المسيح فداهم من لعنة الناموس.

و منها: ما ذكره المسيح من أنّه لا تدعوا لكم أباً في الأرض؛ لأنّ أباكم واحد في السماوات، مع أنّ النصاري يدّعون جميع رؤسائهم باسم الأب حتّي سمّي نفس الرؤساء نفسهم بالأب.

و منها: نهى المسيح عن الانتصار و الانتصاف و الدفاع، و عدم مقاومة الشرع، حتّي قال: من لطمك علي خدّك الأيمن فحوّل له الآخر، و من أخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً.

أقول: أليس هذا إلاّ الذلّة و الخفّة، و تشجيع الظالم المعاند، و فيه ذهاب النفوس و الأعراض و الأموال.

و منها: الأمر بإطاعة العبيد لمواليهم و لو كانوا مشركين، و إكرامهم غاية الإكرام، و ليس فيه شيء من أمر الموالي إلي الرفق بالعبيد و الإحسان إليهم و إعتاقهم، مع أنّه أنسب بالذكر، هذا مع أنّ المولي المشرك قد يأمر بالشرك، أو ما هو علي خلاف الشريعة.

و منها: الحثّ الأكيد علي إطاعة السلاطين و إكرامهم، و إعطاء الجزية إليهم و الجباية لهم، مع أنّ سلاطين عصر المسيح كالقيصرية و الأكاسرة كلّهم

ص: 100

مشركين علي خلاف الملة النصرانية، إلي غير ذلك ممّا فيه.

الخامس من وجوه الإعجاز: من حيث الأخلاق، فتدبر في آياته النازلة في ذلك الباب في عصر ليس لهم إلا رذائل الأخلاق، من الكبر و العجب و الحسد و الظلم و متابعة الهوي وغيرها.

قال تعالي في سورة النحل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}. (1)

وقال في سورة الفرقان: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}، {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}، {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}، {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}، {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}، {يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}، {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}، {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}، {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}، {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزِنُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} (2)

وقال تعالي في سورة المعارج في مدح المصلين: {الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}، {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ}، {لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}،

ص: 101

1- سورة النحل: 90.

2- سورة الفرقان: 63_73.

{وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ}، {وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ}، {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ}، {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}، {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}، {فَمَنْ إِنْتَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}، {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}، {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ}، {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، {أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ}. (1)

وقال تعالى في سورة الحجرات: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}. (2)

وقال تعالى في سورة المؤمنون: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (3) الآيات.

إلي غير ذلك من الآيات الأخلاقية التي لا تخلو سورة منها.

و العجب من التوراة حيث أمر بالعدل لقربهم، ونهي عن الحقد علي أبناء

ص: 102

1- سورة المعارج: 23_35.

2- سورة الحجرات: 10_12.

3- سورة المؤمنون: 1_2.

شعبهم، وعن شهادة الزور، والسعاية علي قريتهم، وعن الغدر علي صاحبهم، فيبقي السؤال عن وجه هذا التخصيص، وكان دأب اليهود كذلك.

وقد عرفت من الإنجيل من الاظلام حتّي نهي عن مطالبة من أخذ مالك، ولك العبرة بما في علم الأخلاق من الأخبار الصادرة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في كل باب تعرف حقيقة الحال.

السادس من وجوه الإعجاز: إعجازه من حيث علم الغيب، حيث أخبر في القرآن عمّا سيأتي بما يقتضيه التكهنّ والفراسة خلافة، ففي زمان طغيان الشرك في سورة الحجر المكيّة أمر نبيّه (صلي الله عليه وآله وسلم) بقوله: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}، {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (1)، فانظر كفاية الله تعالى نبيّه و ماذا علم المستهزؤون.

و كذا في سورة الصفّ المكيّة أيضاً: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (2)، فانظر كيف أظهره.

وفي سورة الروم: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، {الم}، {غُلِبَتِ الرُّومُ}، {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}، {فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} (3)، فانظر كيف غلبت الروم علي الفرس قبل عشر سنين و دخلت مملكته.

وفي سورة تبتّ أخبر بأنّ أبا لهب و امرأته يموتان علي الشرك، فلم يسلمتا

ص: 103

1- _ سورة الحجر: 94_96.

2- _ سورة الصفّ: 9.

3- _ سورة الروم: 1_4.

حتّى الظاهري منه، مع أنّهما أقرب بالإسلام من سائر قريش، وأخبر في الكوثر عن أبتريّة شأنى النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، إلي غير ذلك من الموارد.

وقايس ذلك مع ما في إنجيل متي، حيث فيه خبراً واحداً غيبياً أنّه يبقي مدفوناً في قلب الأرض ثلاثة أيام و ثلاث ليال، ثمّ واقف سائر الأناجيل أنّه دفن في آخر يوم الجمعة، و خرج في صبيحة يوم الأحد، فلم يبق إلاّ يوماً كاملاً و ليلتين و جزئي من يومين.

و أنت بعد الإحاطة بما ذكرنا لك من معاجز القرآن لن تجد بداً إلاّ أن تقول: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى}، {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}. (1) هذا كلّ في معجزة القرآن، ثمّ إنّ بقي في مسألة النبوة أمور لا بدّ من الإشارة إليها، فنقول:

الأمر الاول

الأول: أنّ القرآن الكريم قد نزل من الله العزيز الرحيم علي رسوله (صلي الله عليه وآله وسلم) من لدن بعثته إلي حين رحلته نجومياً آية أو آيات أو سورة، و كلّما نزل شيء منها هفت إليه قلوب المسلمين إلي حفظه و ضبطه و كتابته بأحسن الرغبة و الشوق، و أكمل الإقبال، و أشدّ الارتياح، و أثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر؛ لأنّه كان الإسلام و سمة المسلم لكي يتبصّر بحججه و معارفه و شرائعه، و أخلاقه الفاضلة، و تاريخه المجيد، و علمه بها، فكان هو حجّة لدعوتهم، و معجزة لمذهبهم، و لسان عبادة الله، و ترويحاً لنفوسهم، و درراً للكمال، فاتخذوا تلاوته، و استمروا علي ذلك إلي زمان رحلة الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم)، و هم مات أوف بل آلاف أوف.

ص: 104

نعم لم يجتمع في زمانه (صلي الله عليه وآله وسلم) كلّه في مصحف واحد؛ لعدم انقطاع الوحي بعد، وإن كان كلّه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم، وقد قرأوا جماعة كلّه علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وبعد رحلته (صلي الله عليه وآله وسلم) وانقطاع الوحي جمعه بمحضر المسلمين في مصحف واحد، ومن هذا الزمان إلي زماننا هذا كانت المصاحف في كلّ عصر آلاف ألوف، وكذلك الحفاظ في كلّ عصر، وكان الحفاظ رقيةً علي المصاحف، والمصاحف رقيةً علي الحفاظ، والحفاظ والمصاحف المتقدمة رقيةً علي المتأخرة، ولم يتفق لأمر تاريخي هذا النحو من التواتر.

نعم لما كان حين اجتماعه في مصحف واحد متفرقاً لم يراعوا فيه ترتيب النزول، ولا شأن النزول، ولم يميزوا بين ناسخه ومنسوخه، وتفسيره وتأويله، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) لم يرتد برداء إلا للصلاة حتّي جمعه بترتيب النزول، وتقدّم المنسوخ بالناسخ، مع تفسيرها آية وتأويلها وشأن نزولها، فلما جاء به إلي الصلاة رأوا فيه افتضاح جماعة، وتناقح جماعة، وفسق جماعة، فلم يقبلوا منه، وحجوا علم ذلك عن المسلمين، وإن بين الأئمة (عليهم السلام) لشيعتهم أكثر ذلك، وكانت البقية في عهدة ولي الأمر (عجل الله تعالي فرجه الشريف) عند ظهوره، فلم ينقص من القرآن شيء، ولم يزد عليه، ولم يبدل منه حرف.

قال الله تعالي في سورة الحجر: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (1)، وفي سورة القيامة: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (2).

فلا تصغ إلي الأخبار الواردة في تحريفه؛ لأنها مضافاً إلي شذوذها وضعف

ص: 105

1- سورة الحجر: 9.

2- سورة القيامة: 17.

سندها، و معارضتها بعضها مع بعض و مع أخبار آخر، و إعراض المحققين عنها، و مخالفتها مع الضرورة، و صريح الكتاب، جلّها لولا كلّها قابلة للتأويل.

و لا بأس بنقل كلمات بعض الأكابر ليطمئنّ بها النفوس.

فعن الصدوق في كتاب الاعتقاد: إعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله علي نبيّه (صلي الله عليه و آله و سلم) هو ما بين الدفتين، و ليس بأكثر من ذلك، و من نسب إلينا أنّنا نقول: إنّ أكثر من ذلك فهو كاذب. (1) و عن المفيد في كتاب المقالات: إنّ قد قال جماعة من أهل الإمامة: إنّهُ _ أي: القرآن _ لم ينقص من كلمة و لا من آية و لا من سورة، و لكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) من تأويله و تفسير معانيه علي حقيقة تنزيهه. (2)

و عن السيد المرتضي (قدس سره) بعد القول بعدم النقيصة، و أنّ من خالف في ذلك من الإمامية و الحشوية لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك، مضاف إلي قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها. (3)

و عن الطوسي (قدس سره) في تفسير التبيان: و أما الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق به ايضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع علي بطلانها، و النقصان منه، فالظاهر

ص: 106

1- _ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص 84 ، باب 33. قال الشيخ (قدس سره) : اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالي علي نبيّه محمد (صلي الله عليه و آله و سلم) هو ما بين الدفتين، و هو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، و مبلغ سوره عند الناس مائة و أربع عشرة سورة. و عندنا أنّ الضحي و ألم نشرح سورة واحدة، و لإيلاف و ألم تر كيف سورة واحدة. و من نسب إلينا أنّنا نقول إنّهُ أكثر من ذلك فهو كاذب.

2- _ أوائل المقالات، ص 55.

3- _ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج 1، ص 25؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 25.

أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى (1).

ثم ادعى (قدس سره) أنّ الروايات المخالفة لذلك من الخاصّة والعامة، لا توجب علماً ولا عملاً، والأولي الإعراض عنها (2).

إنتهى.

وتبعه علي ذلك الطبرسي في مجمع البيان (3).

وعن كاشف الغطاء في كتاب القرآن: لا ريب أنّه _ أي: القرآن _ محفوظ من نقصان بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن، و إجماع العلماء في كلّ زمان، ولا عبرة بالنادر. وعن قاضي نور الله في مصائب النواصب: ما نسب إلي الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس ممّا قال به جمهور الإمامية، إنّما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم (4).

وعن البهائي (قدس سره): الصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادةً كان أو نقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (5). (6)

ص: 107

1- _ التبيان في تفسير القرآن، ج 1، ص 3.

2- _ همان.

3- _ مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 1، ص 15.

4- _ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج 1، ص 26.

5- _ سورة الحجر: 9.

6- _ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج 1، ص 26.

و عن المحقق الكركي (قدس سره) أنه صنّف في نفي النقيصة رسالة مستقلة.

و عن المقدّس البغدادي في شرح الوافية: و المعروف بين أصحابنا حتّى حكي عليه الإجماع عدم النقيصة أيضاً. (1)

و من أساتيدنا المصرّحين بذلك بل المصرّين عليه سيد أساتيدنا السيد محمّدباقر الدرّجه اي، و شيخ مشايخنا الميرزا النائيني (قدس سرهما)، و أستاذنا البلاغي (قدس سره) في آلاء الرحمن.

و قد تعرّض في آلاء الرحمن ردّاً علي فصل الخطاب و جوهراً و أخباراً كثيرة دالّة علي كون جميع الأخبار الموهمة للتتقيص إنّما هو في باب التفسير و التأويل، فراجع. (2)

ثمّ إنّ لأجل هذه التواتر القطعي من زمان النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) إلي زماننا هذا من حيث كثرة المصاحف و القراء في كلّ طبقة لم يتغيّر صورة القرآن و رسم خطّه، و هذا يكشف كشفاً قطعياً أنّه كان في زمان النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أيضاً كذلك، فلا يصغي إلي الاختلافات الواقعة بين القراء السبع أو العشر أو غيرهم؛ لأنّ هؤلاء السبع كلّ واحد منهم آحاد، و روايته عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أيضاً آحاد، فلا يوصف روايتهم بالصحة سيّما في مذهب الشيعة.

هذا مضافاً إلي أنّ اختلاف رواة القراء عنهم، و كذا اختلاف قراءة بعضهم مع بعض يوهن اعتبارها، فلا يرفع اليد عن المتواترات بين عامّة المسلمين، و هو صورتها الوجه خطّه بهذه الروايات الآحاد آية المعارضة غير المعتمدة، و من

ص: 108

1- _ همان.

2- _ همان.

هنا لم يراع أحداً سواء يصحفه لأجل تلك القرآن عمّا هو المعروف.

فعن بعض العامة في بعض مصاحفه إقتدوا في رسم الخطّ بمصحف عثمان في بعض أغلاطه، كزيادة الألف بين الشيء في قوله تعالى: {وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا} (1) كتبوا لشيء، وكذا في لجنة ونحوهما، وهذا تعصّب منهم.

وما قيل للتشبيث لقراءات السبع جار، وأنه نزل القرآن علي سبعة أحرف.

ففيه مضافاً إلي اختلاف (2) نفس تلك الروايات، وإلي ضعف أسانيدها، وإلي الاختلاف في معني سبعة أحرف، تبلغ أربعين قولاً أو دونه، أنّها معارضة بما روي (3) من طرقنا أنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، والاختلاف جاء منقبل

ص: 109

1- _ سورة الكهف: 23.

2- _ قوله «اختلاف» الخ: ففي بعضها أربعة أحرف وفي بعضها عشرة أحرف، وأما ضعف أسانيدها، فلأنّ كلّها مروية من العامة بأسانيد ضعيفة حتّي علي مذهبهم، وفي بعض الروايات فسّر السبعة بقول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) زاجراً وأمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً، وفي بعضها فسّر سبعة أحرف أمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل، وفي بعضها بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام، وفي بعضها قيّد جواز سبعة أحرف بقوله ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، وفي بعض أخبارها صرّحوا بخلاف ذلك، فعن ابن أنباري مسنداً عن عبدالرحمن السلمي، قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر و عثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة. وعن ابن أبي داود مسنداً عن أنس، قال: صلّيت خلف النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وعمر و عثمان وعلي كلّهم كانوا يقرؤون مالك يوم الدين، وإنّ أوّل من قرأ «ملك» هو مروان بن الحكم، إلي غير ذلك من الاختلافات «منه» غفر له.

3- _ قوله «بما روي» الخ: كما في الكافي مسنداً عن الباقر (عليه السلام) وأرسله الصدوق في اعتقاداته عن الصادق (عليه السلام)، وفي الكافي في الصحيح عن الفضيل، قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَي سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: كَذَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَ لَكِنَّهُ نَزَلَ عَلَي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ الْوَاحِدِ. الكافي، ج2، ص630، ح13، وروي السيارى أيضاً عن الباقر و الصادق (عليهما السلام) كذلك، فتدبّر «منه» غفر له.

الروايات، فلا اعتبار فيما ذكره القراء بما ينتهي إلي روايتهم.

نعم لو كان لهم اجتهاد في كيفية القراءة لما كانوا من أهل الخبرة يجب الرجوع إليهم، كسائر أهل الخبرة بالشرائط المقررة في الرجوع إلي أهل الخبرة.

وأمّا تفسيره، فلا يخفي أنّ ما كان من القرآن نصّاً أو ظاهراً فهو حجة يجب اتّباعه حسب ما بيّناه في باب حجّية الظواهر، وأنّها من المحكمات هنّ أمّ الكتاب، لكن بعد الفحص عن المخصّص والمقيّد، والقرائن الصارفة والناسخ والمنسوخ في الأخبار المعتبرة بحيث حصل بهذا الفحص العلم الإجمالي علي إرادة خلاف الظاهر في بعض ظواهرها المانع عن حجّيتها، وهذا يختصّ بالقادر علي الفحص وهو المجتهد.

وأمّا غير النصوص والظواهر التي هي من المتشابهات المحتاجة في فهم المراد منها إلي التفسير والتأويل، فلا اعتداد فيها إلي قول المفسّرين أصلاً، مثل عكرمة، ومجاهد، وعطاء، والحسن البصري، والضحاك بن مزاحم، وقتادة، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيّان، وغيرهم؛ لأنّهم مضافاً إلي ضعفهم في أنفسهم، كما في رجال العامّة.

أمّا عكرمة، فقد كثر فيه الطعن بأنّه كذاب غير ثقة، وأنّه رأي رأي الخوارج.

وأمّا مجاهد، فعن أعمش أنّه أخذ من أهل الكتاب، ومن منكراته قولهم:

{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً} (1) أنه يجلسه معه علي العرش.

وَأَمَّا عطاء و الحسن، فعن أحمد أنه ليس في المراسيل أضعف من مراسيلهما كانا يأخذان عن كل أحد، وقيل: إن الحسن يدلّس.

وَأَمَّا الضحّاك، فعن يحيى بن سعد: إنه ضعيف عندنا، وإنه يروي عن ابن عباس و ما رآه قطّ.

وَأَمَّا قتادة، فقد ذكروا أنه مدلس.

وَأَمَّا مقاتل بن سليمان، فعن وكيع أنه كان كذاباً، و عن يحيى أن حديثه ليس بشيء، و عن ابن حبان أنه كان يأخذ من اليهود و النصارى من علم القرآن ما يوافق كتبهم.

وَأَمَّا مقاتل بن حبان، فعن وكيع أنه ينسب إلي الكذب، و عن ابن معين أنه ضعيف، و عن أحمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حبان و لا بابن سليمان (2)،

هذا علي مذهبهم.

وَأَمَّا أصول الإمامية، فلا اعتبار بشيء من أقوال العامة رواية و دراية، و مضافاً إلي اشتغال تفاسيرهم علي كفرات كثيرة، مثل خبر تلك خرافتهم العلي منها الشفاعة ترتجي عند نزول آية: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ}، {وَمِنَّا الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} (3)، فاغتم النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) لما قال، فنزلت آية: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

ص: 111

1- _ سورة الإسراء: 79.

2- _ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج 1، ص 46.

3- _ سورة النجم: 19_ 20.

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ { (1)، وفسرته بكون المراد إلقاء الشيطان في قلب النبي ما يوجب إضلاله.

وهذا الكلام منهم يورث ارتفاع الوثوق عن كل نبي في كل كلامه، مع أن تلك الآية من سورة الحجّ مدنية نازلة بعد سورة النجم أكثر من عشرة أعوام، مع أن المراد من إلقاء الشيطان إلقاء ما يصدّ النبي عن إنجاح وظيفته بمخالفة المعاندين والمشركين، إلي غير ذلك من كلماتهم.

وقد ورد في الأخبار المعتبرة أن: مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، (2) فلا- مناص إلا في الرجوع في التفسير إلي أهل البيت بشرط صحّة الاستناد عليهم؛ لحديث الثقلين المتواتر سنده بين الفريقين، وقد ذكر في العبقات لأسانيد هذا الخبر، وفي آلاء الرحمن ذكر بعض مزيّته. (3)

الأمر الثاني: في المعراج الجسماني

وهو من ضروريات دين الإسلام بين جميع المسلمين، و من نصوص الكتاب في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (4).

وفي سورة النجم: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}، {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}،

ص: 112

1- سورة الحجّ: 52.

2- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج 4، ص: 104، ح 154.

3- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج 1، ص 44.

4- سورة الإسراء: 1.

{فَأَوْحِيَ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَى}، {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، {أَفْتَمَارُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى}، {وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أَخْرَى}، {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}،
{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}، {إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى}، {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}، {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}. (1)

و الأخبار الواردة فيه تبلغ حدّ التواتر بل فوقها، فالمنكر للمعراج كافر نجس مرتد؛ لإنكاره الضروري، و تكذيبه القرآن، و ردّه الخبر المتواتر مضموناً.

ثم إن المنكرين للمعراج تمسّكوا تارة بأنّ الجسم الثقيل مائل إلى مركزه، فكيف يمكن صعوده إلى السماء؟

و أخري بأنّ بين الأرض و السماء مسافة بعيدة لا يمكن السير إليه بلا مدة سنة بل سنين كثيرة، فكيف في ليلة واحدة؟

و ثالثة بأنّه يوجب الخرق و الالتيام في السماء، و هو محال.

و رابعة بأنّ الهواء المجاور للسماء، أو الكرات الفوقية في غاية اللطافة، فلا يمكن للبشر التنفّس في تلك الهواء، بل لا بدّ في التنفّس من الهواء المجاور للأرض.

و خامسة بأنّه ما الفائدة في ذلك؟ فإذا أوّلوا الآيات و الأخبار علي كون ذلك في المنام، أو عروج روحه دون جسمه الشريف.

و الجواب: أمّا عن ميل الجسم الثقيل إلى المركز، فبأنّ ذلك إنّما هو بمقتضي طبع الجسم ما لم يحركه علي خلاف طبعه قوّة خارجيّة، كما تري فيالطيارة بل في الطيور، فإذا كان في مقدرة البشر تحريك ألف منّ من الحديد

ص: 113

وغيره بقوة منّ من الزيت، فكيف لا يكون في مقدرة خالق السماء والأرض سير إنسان واحد في عالم الجوّ.

وأما عن بعد المسافة، ففيه أنّه إنّما يطول مع بطيء السير. وأما مع سرعة السير، فيمكن بأقلّ من ليلة بمراتب، والعجب من هؤلاء حيث التزموا بحركة كرة الأرض حول الشمس في يوم وليلة، أو حركة الأفلاك حول الأرض كذلك، أليس محرّك الأرض والأفلاك، وأسري عبده ليلاً واحداً.

وأما عن الخرق والالتيام، فهذا أمر شعر لم يقم برهان علي امتناعه، فأيّ مانع أن يكون الأفلاك ألطف من الهواء وقابلة للقبض والبسط كنفس الهواء؟ بل الماء أيضاً كذلك قابل للجزر والمدّ، سيّما علي الأصول الجديدة القائلين بالجوّ غير المتناهي الذي فيه جميع الكرات، فالقول بكون الجوّ غير المتناهي ممنوعاً لقيام الدليل علي تناهي الأجسام في الحكمة الطبيعية.

وأما عن لطافة الهواء، ففيه أولاً أنّه تعالي قادر علي الحفظ.

وثانياً: يمكن السير مع الهواء المجاور للأرض.

وثالثاً: أنّه تعالي رفع إدريس مكاناً، وكان محفوظاً تحت قدرته إلي الآن، وكذلك عيسي (عليه السلام) في قوله تعالي: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَإِنَّكَ إِذَا عَمَدْتَ عَلَيْهِمْ لَنُؤَيِّدُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيْنَا} (1) وتوهم بعض المفسّرين أنّ عيسي (عليه السلام) مات، المستفاد من قوله تعالي:

ص: 114

{مُتَوَفِّيكَ}، فاسد، بأنَّ معني التَّوَفِّي الأخذ بالقوَّة لا للإماتة، فانظر آلاء الرحمن.(1)

و أمَّا عن الفائدة، فبأنَّ فيه فوائد كثيرة:

منها: قوله تعالى: {لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}(2)، وقوله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}(3).

و منها: تشرّف الأنبياء و الملائكة بزيارته، بل السماوات و الجنّة بقدمه.

ص: 115

1- _ هذا مضافاً أنّ فلك الأطلس بمذاقه يسير في ليلة واحدة نصف الدور، و جميع الأفلاك و من الأرض إلي فوق العرش نصف القطر، و نسبة نصف القطر إلي نصف الدور نسبة الثلاث و السبع؛ فإذا كان العرش بتلك العظمة ممكناً فيه هذه الحركة، فأَيّ مانع لجسم إنسان. و إلي أنّ طلوع الشمس من ابتداء القرص إلي تمامه تكون في مدّة ستّة ثنّيات، مع أنّه أعظم من الأرض أكثر من مائة و ستّين ضعفاً. و إلي أنّ جبرئيل (عليه السلام) نزل في لحظة واحدة بجسمه من العرش إلي مكّة في لحظة واحدة، و كذلك يصعد إلي العرش، فإذا كان ذلك في حقّ جبرئيل (عليه السلام) ممكناً فلم لم يمكن في حقّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم). و إلي أنّ إبليس يوسوس في قلوب الناس في شرق الأرض و غربها بأقلّ من لحظة، فلم لم يمكن للبشر من أكابر الأنبياء. و إلي أنّ الريح تسيّر عرش سليمان و بساطه في مدّة قليلة إلي المواضع البعيدة، فكيف يستحيل للنبي (صلي الله عليه و آله و سلم). و إلي أنّ عرش بلقيس جاء من أقصى اليمن إلي أقصى الشام قبل أن يرتدّ سليمان طرفه. و إلي أنّ الشعاع يخرج من العين إلي كوكب الزحل في لحظة واحدة، فكيف بالنبي (صلي الله عليه و آله و سلم) و سيره، فإذا صار الحركة بتلك السرعة ممكنة و قد دلّ القرآن عليه و المتواتر من الخبر، فلا وجه لردّه إلي مجرد الاستبعاد الموجود في جميع المعجزات كصيرورة العصي ثعباناً و الميت حيّاً و غيرها، فإنكار المعراج إنكار لجميع المعجزات بل للقرآن، فهو كفر و ارتداد فتدبّر «الطيب».

2- _ سورة طه: 23.

3- _ سورة النجم: 18.

و منها: إظهار علوّ شأنه و مقامه علي جميع العالمين.

و منها: ما رأي عند السير ممّا أخبر به قريش بعده ليكون له حجّة و معجزةً.

و منها: المخاطبة و المقابلة بلا واسطة ملك. إلي غير ذلك من الفوائد.

ثم إنّ الأخبار الواردة في المعراج علي طوائف أربعة:

إحداها: ما اشتمل علي مجرد تحقّق المعراج، و أنّه عرج (صلي الله عليه و آله و سلم) ليلة إلي السماء، و هذه الطائفة لا سبيل إلي إنكارها؛ لما عرفت أنّها من المتواترات، و الموافقة لنصّ الكتاب و ضرورة الإسلام. الثانية: ما اشتملت علي خصوصيات المعراج و ما رآه و ما تكلم و ما فعل و ما أوحى إليه ممّا لا يباه العقل، و هذه الخصوصيات و إن لم تكن قطعياً أولي من الاعتقاد به، إلا أنّه لا يمكن إنكاره بعد قيام الخبر، سيّما إذا كان معتبراً، و قد جمعها في تفسير البرهان في موضعين: في تفسير سورة الإسري، و سورة النجم، و أبسط منه في البحار في المجلّد السادس، فراجع.

الثالثة: ما ينافيه العقل و لكن قابلة للتأويل، و هذا ممّا يجب ردّ علمه إلي أهل البيت؛ لأنّهم أدري بما في البيت، لا يمكن فيه الردّ و القبول.

الرابعة: ما ينافيه العقل و لم يكن قابلة للتأويل، كالأخبار الموضوعية الدالّة علي التجسّم و الغلّو و نحوهما، و هذه يجب ردّه و تكذيبه، هذا ما خطر عاجلاً بالبال في هذا المكان.

و لقد عثرت بعد ما ذكرت علي كلام منقول عن شرح الرسالة القطيفية للشيخ أحمد الأحسائي، فقوله في الثالث من الرحلة أنّه قال: لَمّا عرج رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) تحلّل جسمه الشريف قبل الوصول إلي فلك القمر، و ألقى كلّ عنصر

من عناصره الأربعة في كرتته، عنصر التراب في كرة الأرض، و الماء في كرتته، و الهواء في كرتته، و النار في كرتته. (1)

أقول: منشأ هذه الخرافات بعد تسليم ما عليه الحكماء من الأفلاك التسعة، و الكرات الأربعة الصادرة من العقول العشرة بالترتيب المذكور في كلماتهم، و تسليم استحالة الخرق و الالتيام، توهم أن شيئاً من العناصر لا يمكن دخوله في عنصر آخر، و هذه كلها خرافات في خرافات.

أما كون الأفلاك تسعة، فإنما هو من جهة أنهم رأوا سيارة سبعة مختلفة الحركة، ففرضوا لكل فلكاً و ثوابتاً متفقة الحركة، ففرضوا لها فلكاً كل ذلك علي التوالي، و رأوا حركة أخرى لجميعها علي خلاف التوالي لها فلكاً محيطاً بالكل سمّوها بفلك الأطلس و غير الكوكب و فلك الأفلاك و محدّد الجهات، و قالوا بعد التخمين فوقها، و كل ذلك فرض و تخمين، و إلا فقد وجدوا بعدهم كواكب أخرى سيارات، فلا بدّ لهم من ازدياد الأفلاك.

فهذه كلها فرض و تخمين كالدوائر، مع أنّ الأصل الذي أسسوه عليه، و هو عدم صدور الواحد إلا عن الواحد، و أنّ الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، كلاهما مخدوشان بما قدّمناه في بحث الصفات.

و أما مسألة الخرق و الالتيام، فقد تقدّم فسادها.

و أمّا استحالة دخول عنصر في عنصر، فقد أبطله المركّبات من العناصر، بل وجود النار تحت الأرض ممّا لا يقبل الإنكار، فإنّ كلامه مخالف لضرورة الدين و إجماع المسلمين و نصّ الكتاب و الخبر المتواتر.

ص: 117

قال تعالى في سورة الأحزاب: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } (1)

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (2)

وقال في سورة فصلت: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (3)

وقال تعالى في سورة الحجر: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (4)

ص: 118

1- في القراءة المعروفة التي عليه سواد القرآن «الخاتم» بالفتح وهو أبلغ في الدلالة علي المطلوب من الخاتم؛ لأن الخاتم بالفتح ليس مجرد الزينة، كما في ملحقات المجمع، بل المراد ما يختم به الشيء و يورث حفظه و اعتباره، كختم المكاتب بالخاتم الدالة علي صحة انتسابه إلي الكاتب، و إلي أنه ما بعد الختم إلي قبر ليس منه كالإمضاء في عصرنا كختم الباب و صندوق و غيرها لأجل عدم التصرف، بل ختم الأصابع بالخاتم أيضاً كذلك . فمعني كونه (صلي الله عليه و آله و سلم) خاتم النبيين، أي: يختم به النبوة و هذه الدقة، و يوجب وجوده الشريف اعتباراً كسائر الأنبياء بحيث لولاه و لولا كتابه ما كان لنا دليلاً علي نبوة نبي، و كما الآية و المعاجز، و من أجل ذلك ختم تفقه الشريف بخاتم النبوة، و كذلك أمر خاتم الأوصياء حيث نظير وجود شؤونات سائر الأئمة و مقاماتهم التي خفيت علي الآن، كتفسير خاتم الأوصياء «الطيب» غفر له.

2- سورة الأحزاب: 40.

3- سورة فصلت: 42.

4- سورة الحجر: 9. قوله «لحافظون»: و من الآيات الدالة علي بقاء الدين إلي يوم القيامة المستفادة من كلام الرضا (عليه السلام) المروية في الكافي و إكمال الدين و غيرهما. قوله تعالى في سورة الروم آية 56: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِن كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } . و أيضاً من الآيات الدالة علي بقاء هذا الدين، قوله تعالى في سورة الأنعام آية 115: { وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، فإن المراد من الكلمة، القرآن فقد تم «منه».

وقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في النصّ المتواتر بين الفريقين في حديث المنزلة لعلي (عليه السلام): أَنْتَ مِنْنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. (1)

وقد ذكر في غاية المرام لهذا الحديث من طرق العامة مائة حديث، و من طرق الخاصة سبعون حديثاً. (2)

وقال (صلي الله عليه وآله وسلم) في النصّ المتواتر بين الفريقين في حديث الثقلين: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا.

وفي غاية المرام في سنده من طرق العامة تسعة وثلاثون، و من طرق الخاصة إثنان وثمانون، وفي العبقات جلدتين في سند هذا الحديث. (3)

هذا مضافاً إلي الأخبار المتواترة في غيبة القائم، و طول غيبته، و اتّصال زمانه برجعة الأئمة (عليهم السلام)، و اتّصال زمانهم بالقيامة، و إلي ما ورد من أنّ حلال محمّد حلال إلي يوم القيامة، و حرام محمّد حرام إلي يوم القيامة، و إلي الأخبار المتواترة في لسان الأئمة (عليهم السلام) من توصيف النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بصفة خاتم النبيين في الأدعية و الزيارات و التعقيبات.

و غيرها من الأخبار التي يعسر الإحاطة إلي جميعها إلا علي الأوحدي، و يورث جمعها كتاباً ضخماً.

ص: 119

-
- 1- بحار الأنوار، ج 21، ص 142، ح 5 و ج 36، ص 331، ح 190.
 - 2- غاية المرام و حجة الخصام، ج 2، ص 23، باب 20.
 - 3- غاية المرام و حجة الخصام، ج 2، ص 321، باب 29.

وبالجملة الأخبار المستفادة منها هذا المطلب تريد علي ألف حديث، ومثله في المتواترات قليل جداً في كثرة الأخبار، فالمنكر لذلك كافر خارج من الإسلام، مكذب للقرآن والأخبار المتواتره وضرورة الدين.

ولعمري أنّ هذا كاف في إبطال مدّعي النبوة بعده من دون احتياج إلي بيان سائر موانع النبوة التي تقدّم في البحث الرابع وهي ثمانية، وكلّها موجودة في مثل الباب والقادياني والبهاء والأزل وغيرهم خذلهم الله، فلا نطيل الكلام في إبطال دعاويهم، فتدبر جيداً.

الأمر الرابع: في أفضليته (صلي الله عليه وآله وسلم) وأكمليته

وأشرفيته وأقدميته علي جميع ما سوي الله تعالى

من الملائكة والأنبياء وسائر الخلائق أجمعين، من المجردات والماديات، وهذا من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن زمرة المسلمين، وداخل في جملة الكافرين، ونصوص الكتاب دالة عليه، كقوله تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (1) وقد تقدّم.

وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَي ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (2).

ص: 120

1- سورة الأحزاب: 40.

2- سورة آل عمران: 81.

وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} (1)، حيث قدّم الله نفسه الشريفة علي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) مع أنّه متأخّر عنهم زماناً، وأنّه (صلي الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته في العالم النورانية من العالين في قوله تعالى لإبليس: {أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} (2)، الذين لم يكونوا مأمورين بالسجود لآدم، وأنّ نوره (صلي الله عليه وآله وسلم) أول مخلوق.

وفي البحار عن الخصال ومعاني الأخبار، بسنده عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، (3) عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، أنّه قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ (صلي الله عليه وآله) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَاللَّوْحَ وَالْقَلَمَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، إِلَيَّ أَنْ قَالَ:

وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَخَلَقَ عَرْزًا وَجَلَّ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ حِجَابًا: حِجَابَ الْقُدْرَةِ، وَحِجَابَ الْعِظَمَةِ، وَحِجَابَ الْمِنَّةِ، وَحِجَابَ الرَّحْمَةِ، وَحِجَابَ السَّعَادَةِ، وَحِجَابَ الْكِرَامَةِ، وَحِجَابَ الْمَنْزِلَةِ، وَحِجَابَ الْهِدَايَةِ، وَحِجَابَ النَّبُوَّةِ، وَحِجَابَ الرَّفْعَةِ، وَحِجَابَ الْهَيْبَةِ، وَحِجَابَ الشَّفَاعَةِ، ثُمَّ حَسَّ نُورَ مُحَمَّدٍ (صلي الله عليه وآله) فِي حِجَابِ الْقُدْرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى.

ثمّ عدّ الحجب، وأسقط من كلّ واحد ألف سنة، إلي أن قال:

وَفِي حِجَابِ الشَّفَاعَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.

ص: 121

1- سورة الأحزاب: 7.

2- سورة ص: 75.

3- في الخصال، «عن أبيه» غير موجود.

وذكر (عليه السلام) لكل حجاب تسييحاً، ففي حجابِ العظيمةِ أحدَ عشرَ ألفَ سنةٍ، وَ هُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ عَالِمِ السِّرِّ.

وَ الْمِنَّةُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لَا يَلْهُو.

وَ الرَّحْمَةُ: سُبْحَانَ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى.

وَ السَّعَادَةُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ دَائِمٌ لَا يَسْهُو.

وَ الْكِرَامَةُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لَا يَفْتَقِرُ.

وَ الْمَنْزِلَةُ: سُبْحَانَ الْعَلِيمِ الْكَرِيمِ.

وَ الْهِدَايَةُ: سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

وَ التُّبُوَّةُ: سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.

وَ الرَّفْعَةُ: سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ.

وَ الْهَيْبَةُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ.

وَ الشَّفَاعَةُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، ثُمَّ أَظْهَرَ اسْمَهُ عَلَي اللُّوحِ، فَكَانَ عَلَي اللُّوحِ مُنَوَّرًا أَرْبَعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ عَلَي الْعَرْشِ فَكَانَ عَلَي سَاقِ الْعَرْشِ مُبْتَأً سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، إِلَي أَنْ وَضَعَهُ اللَّهُ (عز وجل) فِي صُلْبِ آدَمَ، ثُمَّ نَقَلَهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ إِلَي صُلْبِ نُوحٍ (عليه السلام)، ثُمَّ مِنْ صُلْبِ إِلَي صُلْبِ، حَتَّى أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَأَكْرَمَهُ بِسِتِّ كَرَامَاتٍ: أَلْبَسَهُ قَمِيصَ الرِّضَا، وَرَدَّاهُ بِرِدَاءِ الْهَيْبَةِ، وَتَوَجَّهَ بِتَاجِ الْهِدَايَةِ، وَ أَلْبَسَهُ سَرَائِيلَ الْمَعْرِفَةِ، وَ جَعَلَ تِكَّتَهُ تِكَّةَ الْمَحَبَّةِ يَشُدُّ بِهَا سَرَائِيلَهُ، وَ جَعَلَ نَعْلَهُ نَعْلَ الْخَوْفِ، وَ نَاوَلَهُ عَصَا الْمَنْزِلَةِ.

وفيه: عن الكنز، بسنده عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُنْشِئَ الصَّنْعَةَ فَتَقَّ نُورِي، فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ.

ثم ذكر فيه أنه خلق من نور علي (عليه السلام) الملائكة، و من نور فاطمة (عليها السلام) السماوات والأرض، و من نور الحسن (عليه السلام) الشمس والقمر، و من نور الحسين (عليه السلام) الجنة والحور. الخبر.(2)

أقول: الأخبار في ذلك لكثيرة جداً.

وعنه (صلي الله عليه وآله وسلم): آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(3)

وقال (صلي الله عليه وآله وسلم): كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ.(4)

وأنه (صلي الله عليه وآله وسلم) عرج به إلي قاب قوسين أو أدنى، فهو أفضل من آدم وإدريس، حيث قال: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}(5)، وأنه (صلي الله عليه وآله وسلم) نبي الرحمة في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(6)، فأفضل من نوح، حيث إنه دعا علي قومه،

ص: 123

1- بحار الأنوار، ج 15، ص 4، ح 4؛ النخصال، ج 2، ص 82، ح 55؛ معاني الأخبار، ص 306.

2- بحار الأنوار، ج 37، ص 83، ح 51؛ تفسير كنز الدقائق، ج 3، ص 465 و ج 12، ص 387.

3- بحار الأنوار، ج 16، ص 402، ح 1 و ج 39، ص 213؛ الخرائج والجرائح، ج 2، ص 876، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج 4، ص 121، ح 198؛ مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) (لابن شهر آشوب)، ج 1، ص 214.

4- همان.

5- سورة مريم: 57.

6- سورة الأنبياء: 107.

فهو نبي النعمة، ونصر الله تعالى هوداً علي قومه العاد بالريح، ونصر نبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) في الأَحزاب: {بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} (1)، وهم ثلاثة آلاف ملائكة، وقال الخليل (عليه السلام): {وَاجْتَبَيْتَنِي وَبَنَيْتَنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} (2)، وقال الله للحيب (صلي الله عليه وآله وسلم): {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ} (3) الآية.

وقال الخليل حين أرادوا إلقاءه في النار: {حَسْبِيَ اللَّهُ} (4).

وقيل للحيب: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} (5).

والخليل معاتب: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (6)، والحيب مطلوب: {أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا} (7)، والخليل كسر الأصنام خفيةً، والحيب كسرهما جهراً وأذلَّ عبدها.

والخليل: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} (8)، والحيب فدي أبوه مائة ناقة.

ص: 124

1- سورة التوبة: 40.

2- سورة إبراهيم: 35.

3- سورة الأحزاب: 33.

4- سورة الزمر: 38.

5- سورة الأنفال: 64.

6- سورة الصافات: 99.

7- سورة الأسري: 1.

8- سورة الصافات: 107.

وقيل للخليل: {يا نارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلامًا}، (1) و سَخَّرَ جَهَنَّمَ لِلْحَبِيبِ. وقال الخليل: {وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي} (2)، وقال الحبيب: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، فاستجاب له.

وقال تعالي في حق الخليل: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ}. (3)

وقال في حق الحبيب: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. (4)

والخليل ابتلي بذبح ولده، و الحبيب ابتلي بقتل ذرّيته، فهو (صلي الله عليه و آله و سلم) أفضل من الخليل.

و كان ليعقوب إثني عشر ولداً، و لنبيّنا (صلي الله عليه و آله و سلم) إثني عشر وصيّاً، و صبر يعقوب علي فراق يوسف، و صبر النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) علي مصائب ذرّيته، فهو أفضل.

و كان لموسي (عليه السلام) إثنتا عشرة عيناً، و كان لنبيّنا (صلي الله عليه و آله و سلم) إثني عشر خليفة، و في يوم الحديدية خرجت له إثنتا عشرة عيناً، حتّي كفت ثمانية آلاف رجل.

خلف موسي (عليه السلام) هارون في قومه، و خلف النبي علياً (عليه السلام) في قومه في قوله (صلي الله عليه و آله و سلم): «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى» و كان لموسي (عليه السلام) إنفلاق البحر في الأرض بالعصا، و كان لنبيّنا (صلي الله عليه و آله و سلم) إنشقاق القمر في السماء بأصابعه.

ص: 125

1- _ سورة الأنبياء: 69.

2- _ سورة إبراهيم: 40.

3- _ البقرة: 125.

4- _ سورة الأحزاب: 21.

و كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي الطُّورِ، وَ نَاجَى اللَّهَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَ لَيْسَ مِنْ نَادَاهُ كَمَنْ نَاجَاهُ؛ لِأَنَّ النَّدَاءَ مِنَ الْبَعِيدِ، وَ الْمَنَاجَاتُ مِنَ الْقَرِيبِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام). وَ كَانَ لِدَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَام) سِلْسِلَةُ الْحُكُومَةِ لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ كَانَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْقُرْآنُ { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } (1).

وَ كَانَ لِدَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَام) النِّعْمَةُ، وَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْحَلَاوَةُ وَ الْفِصَاحَةُ وَ الْبَلَاغَةُ.

وَ كَانَ لِدَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَيْنَ الْحَدِيدِ: { وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ } (2)، وَ قَدْ لَانَ قَلْبَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) بِالرَّحْمَةِ: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ } (3).

وَ سَخَّرَ لِدَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَام) الْجِبَالَ: { وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً } (4)، وَ سَخَّرَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْحِصَاةَ فِي كَفِّهِ، وَ لَهُ الْبِرَاقُ.

وَ شَدَّدَ اللَّهُ مَلِكَ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَام)، وَ شَدَّدَ اللَّهُ دِينَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ)، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ دَاوُدَ.

{ وَ - سَخَّرَ - لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَ رَوَاحُها شَهْرٌ } (5)، وَ طَلَبَ مَلِكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَ سَخَّرَ لَهُ الشَّيْطَانَ وَ الْجِنَّ.

وَ أَمَّا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ)، فَسَخَّرَ لَهُ الْبِرَاقَ، خَطْوَتَهُ مَدَّ الْبَصَرَ، وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ:

ص: 126

1- _ سورة الأنعام: 38.

2- _ سورة سبأ: 10.

3- _ سورة آل عمران: 159.

4- _ سورة ص: 19.

5- _ سورة السبأ: 12.

{قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ (1)}، فهو مبعوث علي كافة الإنس والجنّ، وعرض له مفاتيح خزائن الدنيا فردّها، فكم بين من يسأل وبين من لا يقبل. وعلم سليمان منطق الطير، وعلم النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) علم ما كان وما يكون إيانقضاء خلقه.

وكان يحيي أعبدا أهل زمانه وأزهدهم، وكان النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أعبدا الخلائق وأزهدهم، حتّي قال تعالي: {طه}، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشتقي} (2).

وكان عيسي (عليه السلام) قد أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، وتبأهم بما كانوا يأكلون وما يدخرون، وقد أحيا الله لنبّيّه (صلي الله عليه وآله وسلم) فأبرأ الأمراض القلبية الروحية، وعلمه بما كان وما يكون، فهو (صلي الله عليه وآله وسلم) أفضل من الكلّ وسيدهم، وكانوا جميعاً تحت لوائه، ودينه أفضل الأديان؛ لأكمليته وأدوميته وأقوميته، وكتابه أفضل الكتب، وأوصياؤه أفضل الأوصياء، وأمته أفضل الأمم.

وبالجملة ما أعطي الله أحداً من خلقه من أنبيائه ورسله وملائكته ما لم يعط نبّيّه (صلي الله عليه وآله وسلم)، وقد أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه في الدنيا والآخرة.

ولنعم ما قال: آنچه خوبان همه دارند تو تنها داري

ولقد نسخ بشريته جميع الشرائع، وكان له في القيامة لواء الحمد والمقام المحمود والشفاعة وغيرها، وقد عجز الأنبياء فضلاً عمّن دونهم من إدراك شأن من شؤونه، وهو أول ما صدر، وغاية ما صدر، ولولاه لما كان شيء صدر.

ولنختم بذلك بحث النبوة، وختامه مسك، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً

ص: 127

1- _ سورة الجن: 1.

2- _ سورة طه: 1_2.

و باطناً، و صلّي اللّٰه علي سيد أنبيائه، و أشرف أصفياؤه، و أفضل سفرائه محمّد، و علي آلّه الطيبين الطاهرين المعصومين المظلومين، عليهم أفضل الصلاة و السلام، و علي أعدائهم اللعنة أبد الأبدين.

و كان الفراغ ليلة الجمعة لستّ خلون من جمادى الثانية سنة ألف و ثلاثمائة و ثمانية و خمسين من الهجرة، سنة قمرية عربية، بيد أعظم الناس جرماً، و أقلّهم قدراً، العبد الآثم ابن محمّد تقي المسمّي بعبدالحسين المدعوّ بـ «الطيب» غفر اللّٰه ذنوبه، و ختم له بالخير و السعادة.

ص: 128

الجزء الثالث

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

الكلام في الإمامة

إشارة

وهو مشتمل على مقصدين:

المقصد الأول: في كبرى المسألة

إشارة

الأول: في كبرى المسألة، وهي في معنى الإمامة، وبيان الاحتياج إلى الإمام، ولزوم نصب الإمام علي الله تعالى، ولزوم جعل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الخليفة، والشرائط المعتمدة في الإمام من العصمة والأكمالية والمعجزة، وبيان الموانع عن قابلية الإمامة، وكونها من المسائل الأصولية التي هي عدل التوحيد والنبوة، وأن المقصود فيها كالمقصود فيهما مخلد في العذاب، ولا يشتم رائحة الثوب، وفي شؤون الإمامة، وفضائل الإمام، وغير ذلك.

والثاني: في صغرى المسألة، وهي أن الإمام بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) ليس

أبأكر ولا- عمر ولا- عثمان، ولا- أأءاً من بني أمية وبني العباس، ولا غيرهم من الناس، بل هو منحصر في علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بالأءلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة، ثم بعده الحسن بن علي، ثم بعده أخيه الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الحجّة ابن الحسن، صلوات الله عليهم أجمعين، كل ذلك بالأءلة العقلية والنقلية.

وفي شؤونهم، وفضائلهم، ومعجزهم، وغيبة خاتمهم، وطول غيبته، وشرعيته، ونوابه الخاصة والعامة، وتكليف الناس في زمان الغيبة، وفي علائم ظهوره من الخاصة والعامة، الحتمية وغير الحتمية، وفي كيفية ظهوره، وما يصدر منه في أيام ظهوره، وفي رجعة الأئمة (عليهم السلام)، وبقاء دولتهم إلى قيام القيامة، وغير ذلك.

أمّا الكلام في المقصد الأول، فيقع في مقامات:

المقام الأول: في معنى الإمامة

الأمام بالفتح بمعنى القءام، وبالكسر بمعنى المقءم، والإمامة بمعنى التءم، وهو من الأمور النسبية، فالإمام يقتضي مأموماً، وما به يتءم وما فيه يتءم، مثلاً الإمام في الظلم من كان مقءماً علي الظالمين في الظلم بكثرة ظلمه، ومتابعة سائر الظلمة، واقتنائهم به في الظلم، وكذا في الكفر و

الضلالة، قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ} (1)، وقال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} (2)، فكلّ متبوع إمام، وكلّ تابع مأموم، ومنه الإمامة في الجماعة.

فعلي هذا الإمامة في الدين معناها الاقتداء بشخص في جميع الأمور الدينية أصولاً وفروعاً، علماً وعملاً، أخلاقاً وأفعالاً، في جميع ما يحتاج أهل الدين به في أمر دنياهم وآخرتهم من حيث الديانة.

وهذه غير معني الولاية والحجّية والخلافة؛ لأنّ الولاية معناها جعل شخص ولياً علي شخص ممّن له شأنية الجعل، كجعل السلطان والياً علي أهل بلد، وهكذا غير السلطان ممّن له هذا الشأن، فيجب متابعته علي الرعية.

فالإمامة من آثار الولاية وتوابعها، فإن كان الجاعل هو الله تعالى يقال: الولاية الإلهية، وهي قسمان: الولاية المطلقة، والمقيّدة، وهما أيضاً قسمان: الكلّية، والجزئية.

فالولاية المطلقة الكلّية الإلهية هي جعله تبارك وتعالى شخصاً ولياً والياً علي جميع الناس، بل علي كافّة الجنّ والإنس، بل علي جميع ما سوي الله، بحيث يجب علي جميعهم متابعته وإطاعته في جميع الأمور الدينية، ولها الاختيار عليهم.

ص: 131

1- _ سورة القصص: 41.

2- _ سورة الإسراء: 71.

و هذا معني قوله تعالى: { النَّبِيُّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ } (1)، وقوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } (2) الآية، وقوله (صلي الله عليه و آله و سلم): « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاَهُ ». (3)

ثمّ دون تلك الولاية الولاية التي يجعلها الأئمة علي بعض الشيعة، وكذا ولاية المجتهد الجامع للشرائط علي بعض، كالغيباب والصغار و المجانين، ثمّ عدول المؤمنين، و ولاية الأب و الجدّ و القيم من قبلهما، و المجمعول من قبل حاكم الشرع.

و أمّا الحجّة، فمعناها ما يحتجّ به، أو من يحتجّ به، فالحجّة بين الخالق و المخلوق هو الذي جعله الله تعالى حجّة علي خلقه، بمعني أنّ الخلق لو أطاعوه و امتثلوا أوامرهم و انتهوا عن نواهيه يكون لهم قاطعاً للعدر، فلا يؤاخذهم الله، و لو خالفوه فليس لهم عذر في المخالفة، و هذا معني قوله (عجل الله تعالى فرجه الشريف): « وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَيَّ رُؤَاةَ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ. (4)

و أمّا الخلافة، فمعناها ما هو المعبر عنه بالفارسية بـ «جانشين» أي: من يقوم مقام الشخص في الأمور الراجعة إليه، قال تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

ص: 132

1- سورة الأحزاب: 6.

2- سورة الأحزاب: 36.

3- الكافي، ج 1، ص 420، ح 42.

4- بحار الأنوار، ج 2، ص 90، ح 13 و ج 53، ص 181، ح 10؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 291؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 484، ح 4.

خَلِيفَةً {1}، وقال تعالى: {يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} {2}، وكلّ قائم مقام شخص بجعله خليفة له، فخليفة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) هو المجمعول من قبله.

إذا عرفت ذلك نقول: إنّ ما ذكره في كفاية الموحّدين في معني الإمامة من قوله: الإمامة هي الرئاسة العامّة الإلهية خلافة عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في أمور الدين والدنيا، بحيث يجب اتّباعه علي كافة الأُمّة. وما نقل عن الروزيهان: هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة، بحيث يجب اتّباعه علي كافة الأُمّة. ليس من معني الإمامة، بل هو معني الخلافة، فتدبّر.

ثمّ لا يخفي أنّ الإمامة والولاية والحجّية والخلافة كلّها من الأمور المجمعولة من الله تبارك وتعالى ورسوله (صلي الله عليه وآله وسلم) ، قال تعالى: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} {3} وقال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} {4} الآية، وقال تعالى: {يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً} {5}، وقول الحجّة (عليه السلام): «فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ». {6}

ومن المعلوم أنّ الله تعالى بمقتضي عدله وحكمته يراعي ما فيه الصلاح علي الخلق، فلا يجعل من لا علم له بالأُمور الدينية، أو كان ظالماً أو فاسقاً أو

ص: 133

-
- 1- سورة البقرة: 30.
 - 2- سورة ص: 26.
 - 3- سورة البقرة: 124.
 - 4- سورة المائدة: 55.
 - 5- سورة ص: 26.
 - 6- بحار الأنوار، ج 2، ص 90، ح 13 و ج 53، ص 181، ح 10؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 291؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 484، ح 4.

كافراً أو منافقاً، أو ناقصاً في الأخلاق، أو غير ذلك من المعائب، إماماً وولياً و حجةً و خليفةً، بحيث يجب علي جميعهم متابعتة وإطاعته؛ لما فيه مننقض الغرض، والإغراء بالجهل، وغيرهما من المفسد.

فظهر _ بحمد الله _ من نفس بيان المعني بطلان خلافة غير المعصوم العالم بجميع ما يحتاج إليه الأمة في أمر دينهم و دنياهم، الكامل في جميع الصفات الحميدة، و الأخلاق الفاضلة، العالم بجميع اللغات و الألسنة حتى طوائف الجن، بل الحيوانات، بل النباتات و الجمادات، و غيرها من المخلوقات، فاحفظ ذلك، فإنه ينفعك فيما بعد.

المقام الثاني: في بيان احتياج الأمة إلي الإمام

و تقدم لك تيمناً حديثاً شريفاً في هذا الباب المنقول عن الكافي.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، قَالَ: كَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، مِنْهُمْ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانَ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ وَ الطَّيَّارُ وَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَ هُوَ شَابٌّ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): يَا هِشَامُ! أَلَا تُخْبِرُنِي كَيْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَ كَيْفَ سَأَلْتَهُ؟

فَقَالَ هِشَامٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! إِنِّي أُجِلُّكَ وَ أَسَدُ تَحْيِيكَ، وَ لَا يَعْمَلُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَاَفْعَلُوا.

قَالَ هِشَامٌ: بَلَّغَنِي مَا كَانَ فِيهِ عَمْرٍو بْنُ عُبَيْدٍ وَ جُلُوسُهُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَ دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَاتَيْتُ مَسْجِدَ

الْبَصْرَةَ، فَإِذَا أَنَا بِحَلَقَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا عَمْرُؤُ بْنُ عُمَيْدٍ، وَعَلَيْهِ شِدَّةٌ مَلَّةٌ سُودَاءٌ مُتَّزِرًا بِهَا مِنْ صُوفٍ وَشِدَّةٌ مُرْتَدِيًا بِهَا، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَاسْتَفْرَجْتُ النَّاسَ، فَافْرَجُوا لِي ثُمَّ فَعَدْتُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ عَلَيَّ رُكْبَتِي.

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ! إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ تَأْذُنُ لِي فِي مَسْأَلَةٍ؟ فَقَالَ لِي: نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَاكَ عَيْنٌ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنْ السُّؤَالِ؟ وَشَيْءٌ تَرَاهُ كَيْفَ تَسْأَلُ عَنْهُ؟ فَقُلْتُ: هَكَذَا مَسْأَلَتِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! سَلْ وَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَتُكَ حَمَقَاءً. قُلْتُ: أَجِبْنِي فِيهَا، قَالَ لِي: سَلْ، قُلْتُ: أَلَاكَ عَيْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَرِي بِهَا الْأَلْوَانَ وَالْأَشْخَاصَ.

قُلْتُ: فَلَاكَ أَنْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَشْمُّ بِهِ الرَّائِحَةَ.

قُلْتُ: أَلَاكَ فَمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَذُوقُ بِهِ الطَّعْمَ.

قُلْتُ: فَلَاكَ أُذُنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتِ.

قُلْتُ: أَلَاكَ قَلْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أُمِيرٌ بِهِ كُلُّ مَا وَرَدَ عَلَيَّ هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَالْحَوَاسِّ.

قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ غَيِّي عَنِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَهِيَ صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ! إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ سَمَّتُهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ سَمِعَتْهُ رَدَّتْهُ إِلَيَّ الْقَلْبِ، فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينَ وَيُبْطِلُ الشَّكَّ.

قَالَ هِشَامٌ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّمَا أَقَامَ اللَّهُ الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجَوَارِحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجَوَارِحُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مَرْوَانَ! فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرِكْ جَوَارِحَكَ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا يُصَحِّحُ لَهَا الصَّحِيحَ، وَيَتَّقِنُ بِهَ مَا شَكَّ فِيهِ، وَيَتْرِكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَ

اِخْتِلَافِهِمْ، لَا يُقِيمُ لَهُمْ إِمَامًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَ حَيَّرْتَهُمْ، وَيُقِيمُ لَكَ إِمَامًا لِيَجْوَازِحَكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَ شَكَّكَ.

قَالَ: فَسَدَّكَ، وَ لَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا، ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَيَّ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ؟! فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: أَمْ مِنْ جُلَسَائِهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا هُوَ، ثُمَّ ضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَ أَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِهِ، وَ زَالَ عَن مَجْلِسِهِ وَ مَا نَطَقَ حَتَّى قُمْتُ.

قَالَ: فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)، وَ قَالَ: يَا هِشَامُ! مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْءٌ أَخَذْتُهُ مِنْكَ وَ الْفَتَاهُ، فَقَالَ: هَذَا، وَ اللَّهُ! مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى. (1)

أقول: يمكن أن يستدل لذلك (2) بوجوه من الأدلة:

الدليل الأول

إنه لا- ينبغي التأمل في أن الاسلام جاء بما لا- يمكن لأحد الإحاطة به من العقائد والأخلاق والفروع، وقد بسطنا الكلام فيها في تفسيرنا (3)

عند قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } (4).

و حاصله: إن العقائد الحقّة بعضها من العقليات المستقلّة، لكن كلّ عقل لا يصل إلي وجه أدلتها إلا ببيان من أحاط عقله بها، ألا تري الحكماء كيف ضلّوا و أضلّوا فيها.

ص: 136

1- الكافي، ج 1، ص 169، ح 3.

2- أقول: أي لإحتياج الناس بل جميع ما سوي الله إلي الإمام (عليه السلام). (عا)

3- وهو تفسير أطيب البيان في تفسير القرآن، باللغة الفارسية، مطبوع.

4- سورة البقرة: 4.

وبعضها من العقلیات غیر المستقلة، المحتاجة إلى انضمام الأمر الخارج إليها، والاحتياج فيها أشد.

وبعضها ممّا لا يصل إليه العقول أصلاً، ويحتاج إلى بيان الشرع.

وأما الأخلاق وإن كان جلّها لولا كلّها ممّا يدرك العقل حسنّها أو قبحها، لكن بعد بيان من الشرع فيها، فانظر إلى علم الأخلاق كم ورد في كلّ منها البيانات الشافية الكافية من الأخبار، ومن هنا قال سيد الرسل (صلي الله عليه وآله وسلم): **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**.⁽¹⁾

وأما الفروع، فانظر إلى الكتب الفقهية من الفرائض والسنن والأحكام، وما يصلح به نظام المعاش والمعاد من السياسات والحدود والديات، من كتاب الطهارة إلى الديات، وهي ستّة وستين كتاباً، وقد حدّدها هناك، وكلّ كتاب منه مشتمل على أبواب كثيرة، وكلّ باب على مسائل متعدّدة، وكلّ مسألة على فروع كثيرة، مع أنّ كثيراً من الفروع غير معنونة في الكتب الفقهية حتّى مثل الجواهر ونحوه.

ومن الواضح أنّ جميع الأمة سيما في الصدر الأوّل مع كونهم جديد الاسلام لم يحيطوا بعشر من أعشارها بل إلى الآن كذلك، وإنّ دين الاسلام باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يمكن لأحد الإحاطة بجميعها بالموازين العلمية الكسبية، فلا بدّ في كلّ عصر من وجود عالم بجميعها من قبل الله تعالى بالعلم اللدني، ولولاه لاندرس الدين وبقي الناس في الجهالة.

ألا تري أنّ العامّة العمياء لمّا لم تصل أياديهم إلى أنمة الدين ولم يأخذوا

ص: 137

1- بحار الأنوار، ج 16، ص 210 و ج 67، ص 372 و ج 68، ص 373 و ص 382؛ مكارم الأخلاق، ص 8.

من منابع العصمة كيف اضطرّوا إلي القياسات و الاستحسانات، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْمَقَائِسِ، (1) فانظر خبر أبان، فلا بدّ من وجود من لو سئل منه قبل بلوغه أربعة آلاف مسألة في مجلس واحد لما تحيّر في واحد منها، كما اتفق للإمام الجواد (عليه السلام) في مجلس المأمون عليه اللعنة. (2)

الدليل الثاني

إنّه لا ينبغي الاشكال في أنّ للاسلام في كلّ عصر أعداء كثيرة، ولهم شبهات و إيرادات و إشكالات و مغالطات و مجادلات و خرافات، كما اتفق ذلك كثيراً في عصر الأنمة (عليهم السلام)، بل في زمن الغيبة، سيّما في الصدر الأول، و لولا من يقدر علي دفع تلك الشبهات من أرباب المذاهب الباطلة و العقائد الفاسدة، لما بقي للدين أثر و لا وزن و لا اعتبار، و عليك بالتأمل فيما ورد من مجيء أحبار اليهود و النصراري و سائر المذاهب عند خلفاء الجور، و لم يقدروا علي دفع شبهة منها، و لولا أنمتنا صلوات الله عليهم ما يقدر أحد علي الجواب عنها.

فانظر حكاية مجلس الرضا (عليه السلام) من حضور جميع رؤساء المذاهب، و الحكايات الواردة في السّنوات الاولي لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخلفاء.

الدليل الثالث

إنّ الإنسان مساوق للسهو و النسيان، و الخطأ و الزلل، و الشكّ و الاشتباه،

ص: 138

1- _ المحاسن، ج 1، ص 211، ح 79.

2- _ الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 443؛ الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج 2، ص 281؛ بحار الأنوار، ج 50، ص 74، ح 3.

عن تقصير أو قصور، وهذا ممّا لا يخلو منه أحد إلا من عصمه الله، كما ينادي بذلك خير هشام المتقدّم، فلا بدّ من وجود معصوم كان هو المرجع للجميع، ولولاه لبقوا في التيه والضلالة أبداً.

الدليل الرابع

إنّ من الأمة طائفة الجنّ بالضرورة من الدين ونصّ الكتاب وجمع من الأخبار، ومن أنّ لهم مثل ما للإنسان من الاحتياجات إلي مبيّن للأحكام ودافع للشبهات ورافع للسهو والنسيان، ومن الواضح أنّه لا يقدر أحد علي ذلك إلا الإمام المعصوم القادر علي ذلك.

الدليل الخامس

إنّ دين الاسلام دين لجميع أهل العالم من شرق الأرض إلي غربها، ومن الواضح أنّهم طوائف مختلفة، وأسنتهم متشّتة، فلا بدّ لهم من وجود عالم بجميع تلك اللغات، وعارف بجميع تلك الطوائف، وقادر علي رفع احتياجاتهم المختلفة، وهو الإمام.

الدليل السادس

إنّه لا ريب في وقوع التشاجرات والمرافعات والتعدّيات في الأموال والأعراض والنفوس في كلّ طائفة، فيحتاجون إلي رئيس يحكم بينهم بالعدل، وينتصف للمظلوم عن الظالم، ويجري الحدود والأحكام، ويقتصّ لما يوجب القصاص، بل نظام الدين والدنيا منوط بوجود رئيس، ولولاه لاختلّ النظام، فهل يمكن بقاء مملكة بلا سلطان، ومدينة بلا والٍ، وقرية بلا مختار، مع هذه الاختلاف والاختلافات، فكيف يمكن بقاء المسلمين بلا رئيس، و

الدليل السابع

إنَّ جبلةَ الإنسان وطبيعته يقتضي العصيان والطغيان، والخروج عن وظائف العبودية للرحمن، بل الكفر والضلالة، بل في العالم شياطين الإنسية والجنّية يضلّون الناس، ويساعدهم الدنيا والنفس الأثارة بالسوء، فلا بدّ من وجود أمر بالمعروف، وناهي عن المنكر، ومزيل لشبهات أهل الكفر والضلال، ونادي للأمة إلي سواء الصراط، كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ} (1)، للعباد {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (2)، وهو الإمام.

الدليل الثامن

إنّه قد يكون لبعض الكفّار وغيرهم شبهات في حقّانية الاسلام، ولا يقنعون بما سمعوا من معاجز النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، ولا يصدّقون معجزية القرآن، وينكرون تواتر المعاجز، فلا بدّ في إثبات الاسلام وحقّانيته من الإتيان بالمعجزة التي يشاهدها بعينه، ولا يقدر علي ذلك أحد غير الإمام، لما اتفق ذلك كثيراً في زمان كلّ إمام سيما في الصدر الأوّل، وانظر مدينة المعاجز في معاجز الأنمة (عليهم السلام).

الدليل التاسع أنّه لا بدّ للناس من وجود معصوم كان أعبد الناس وأزهدهم وأتقاهم، وكان متّصفاً بجميع الصفات الحسنة، منزهاً عن جميع الأخلاق القبيحة، متحملاً لجميع المصائب، صابراً في جميع البليات، معرضاً عن الدنيا، مقبلاً إلي

ص: 140

1- سورة الرعد: 7.

2- قوله: «و لكلّ قوم هاد»، جملة مستأنفة مستقلّة، أي: يحتاج كلّ قوم إلي هاد «منه».

العقبي، لا يصدر منه ما يخالف رضا مولاه طرفة عين، ولا يخاف في الله لومة لائم، حتّى يصير حجّة للناس في متابعتة، و حجّة لله تعالى في أعماله وأفعاله وأخلاقه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

الدليل العاشر

إنّ السماء والأرض وجميع المخلوقات من المجرّدات والمادّيات، والعلويات والسفليات، والجواهر والأعراض، والملائكة والناس وغيرها، لا بقاء لها بلا وجود خليفة وإمام مرّ الدهور، لو خلت الأرض عن الحجّة لساخت بأهلها، ولماجت بأهلها، وفي الجامعة: «وَبِكُمْ يُنْزَلُ الْغَيْثُ وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْأَرْضُ» (1).

و السرّ في ذلك: أنّ الله تبارك وتعالى بمقتضى صريح القرآن خلق ما في العالم للإنسان، كما بيّناه في تفسيرنا في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ} (2)، عند بيان الاحتياج إلي الرسل في هذه الوجيزة من الآيات السبعة، مثل قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} (3) الآية، وغيرها من الآيات. ومن الواضح أنّ الناس بأجمعهم لا يخلو عن قصور أو تقصير في العبودية بدرجاتهم المختلفة، بل من عصيان أو طغيان بمراتبهم المتشكّنة، فلا بدّ من وجود كامل من جميع الجهات حتّى يكون الخلقة في كلّ زمان وبقاء جميع

ص: 141

1- بحار الأنوار، ج 99، ص 131؛ من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 615.

2- سورة البقرة: 13.

3- سورة الجاثية: 13.

المخلوقات لأجله، وهذا هو معني كونهم العلة الغائية في أصل الخلق، فلو لم يكن هذه العلة لبطلت الخلق و تباني الحكمة.

الدليل الحادي عشر

إنّ للناس بل لجميع المخلوقات حالات مع ربّهم، ويحتاجون إلي وصول العناية دائماً منه تعالى إليهم، و إلي الطلب و السؤال بلسان الحال أو القال في حوائج الدنيا و الدين، وهذا يحتاج إلي واسطة مهمّة بينهم و بين ربّهم، و هم (عليهم السلام) وسائط بين الله و الخلق، و لولاهم ما للتراب و ربّ الأرباب، كما تري ذلك في الملوك مع الرعية، بل كلّ رئيس مع قومه لا مناص إلاّ من الواسطة.

الدليل الثاني عشر

إنّ المخلوقات بجميع طبقاتهم مظاهر لأسماء الصفات، لكن كلّها ناقصة، فمنهم من يكون مظهراً لبعض الصفات دون البعض.

ثمّ إنّ المظهر لصفة يكون مظهره لمرتبة من تلك الصفة دون أخرى، و ليس في جميع المخلوقات من يكون مظهراً لجميع الصفات بجميع مراتبها الممكنة سوي النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) و الأئمّة (عليهم السلام)، فهم المظاهر التامّة، بهم عبد الله، و بهم عرف الله، لولاهم ما عبد الله، و لولاهم ما عرف الله، فبقاؤهم مظهر بقائه، و حياتهم مظهر حياته، و إحاطتهم مظهر إحاطته، و علمهم مظهر علمه، و قدرتهم مظهر قدرته، و لطفهم و جودهم و إحسانهم و قهرهم، و غير ذلك من شؤونهم مظهر لطفه و جوده و إحسانه و قهره، و غيرها من صفاته و أسمائه.

و بهذه الأدلة الاثني عشر نختم الكلام في احتياج الناس بل جميع ما سوي الله إلي الأئمّة الاثني عشر عليهم صلوات الله.

المقام الثالث: في لزوم نصب الإمام (عليه السلام) علي الله تبارك و تعالي

و تعيينه و ليس للأمة جعله و نصبه

و توضيح الكلام فيه يحتاج إلي تنقيح أمور:

الأول: إثبات الحسن و القبح العقليين، و هو أمر وجداني غير قابل للإنكار، حيث يحكم كل من كان له أدني شعور به بأن الإحسان حسن ذاتاً، و الظلم قبيح كذلك.

و يتضح لك ذلك بالمراجعة إلي المثال الذي ذكرناه في باب وجوب المعرفة بقاعدة شكر المنعم، و هو أننا نفرض أن من ضلّ عن الطريق، و ابتلي بالأمراض الشديدة، و ليس له دواء و غذاء، و آيس من جميع الأسباب، و أشرف علي الهلاك، فجاء رجل و تكفل دواءه و غذاءه و أكله و شربه و طبيبه حتّي برأ، و خلّعه و ألبسه و أعطاه من المال فوق ما يحتاج، و أرسله إلي وطنه صحيحاً سالماً غانماً، يحكم كل عاقل بحسن ذلك، و لو لم يكن من أهل شريعة من الشرائع.

ثم إن الرجل المذكور لو بذل ما أخذه من منعمه لأعدائه و تهيئة الأسباب لحربه، فجاء مع الأعداء و أخذ المنعم و عدّبه بأنواع العذاب و قتله، و نهب أمواله، و هتك أستاره، و سبي نساءه، يحكم كل عاقل بقبح ذلك، فلا يمكن إنكار الحسن و القبح العقليين.

الأمر الثاني: أن الحقّ أنّ الحسن و القبح بالوجوه و الاعتبار، فربما يكون فعل واحد ذا جهاتٍ بلحاظ بعض الجهات في كمال الحسن، و بلحاظ آخر في كمال القبح، مثلاً ضرب اليتيم لأجل التأديب حسن، و لأجل الإيذاء قبيح، و الانحناء عند المولي لأجل التعظيم حسن، و لأجل السخرية قبيح، و القيام

عند جلوس آخر لأجل التواضع حسن، و لأجل الإعراض قبيح.

فملاك الحسن و القبح المصالح و المفسد، فربّ شيء يكون ذا مصلحة في ذاته، فيكون حسناً ذاتاً، كالإحسان في المحلّ اللائق، أو ذا مفسدة في ذاته، فيكون قبيحاً ذاتاً كالظلم، وربّ شيء يكون فيه مصلحة من جهة و مفسدة من أخرى، كضرب اليتيم حيث فيه مصلحة التأديب، أو مفسدة الإيذاء مثلاً.

الأمر الثالث: أنّ اتّصاف الفعل بالحسن أو القبح منوط بالعلم بوجود المصلحة أو المفسدة، لا مجرد كونه ذا مصلحة أو مفسدة واقعاً، مثلاً ضرب اليتيم إنّما يكون حسناً إذا علم أنّه يترتب عليه التأديب و كان بهذا الداعي، و أمّا تأدّبه واقعاً به مع عدم علم الضارب لا يوجب اتّصاف ضربه بالحسن.

الأمر الرابع: أنّ الله تبارك و تعالي حكيم في ذاته، أي: عالم بجميع المصالح و المفسد محيط بها، عادل في فعله، أي: يكون جميع أفعاله حسناً، و لا يصدر منه قبيح أصلاً، فيكون تابعاً للمصالح و المفسد، فالفعل إذا كان ذا مصلحة و لم يكن فيه مفسدة أصلاً يجب صدوره منه تعالي قطعاً؛ لأنّ في تركه تقويت لتلك المصلحة، و هو قبيح عقلاً. و إن كان ذا مفسدة و لم يكن فيه مصلحة أصلاً، يستحيل صدوره منه عقلاً لإيجابه تلك المفسدة. و إن لم يكن فيه مصلحة و لا مفسدة، فهو أيضاً يستحيل صدوره منه؛ لكونه لغواً، و اللغو قبيح عقلاً.

و إن كان ذا مصلحة و مفسدة معاً، فلا بدّ من الكسر و الانكسار، فإن تساويافهو من اللغو القبيح، و إن ترجّحت المصلحة يجب إتيانه للزوم تقويت المصلحة بتركه. و إن ترجّحت المفسدة، فيكون صدوره قبيح لإيجابه

المفسدة، هذا معني كونه تعالي عادلاً، وقد حَقَّقناه في بحث العدل، فراجع.

الأمر الخامس: قد تقدّم آنفاً في بحث احتياج الأمة إلي الإمام والخليفة من الوجوه الاثني عشر أنّ وجود الإمام (عليه السلام) في كلّ عصر كم فيه من المصالح المهمّة، وأنّ في عدمه كم فيه مفسدة من ذهاب الدين وتسلّط الأعداء، وغيرها من المفسد، والمفروض أنّه تعالي عالم بجميع تلك المصالح، فيجب عليه نصبه، وإلاّ يلزم نقض الغرض من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل الأحكام، فهذا معني وجوب نصب الإمام علي الله تعالي، كما يجب عليه جعل التكليف وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل الأحكام، وجعل الحشر والنشر، والثواب والعقاب، والجنّة والنار، إلي غير ذلك ممّا تقدّم بيانه في مبحث العدل.

ولعمري أنّ ما ذكرناه حاوٍ لجميع الأدلّة التي ذكره في هذا الباب، فلا نطيل بإطالته وبيان النقض والابرام.

الأمر السادس: أنّه لا يمكن للأمة الإحاطة بجميع ما يعتبر في الإمام والخليفة من الأمور الباطنية، من كونه عالماً بجميع الأحكام، قادراً علي دفع جميع الشبهات، معصوماً من جميع الخطيئات والسهويات والنسيانات والمعاصي، متّصفاً بجميع الصفات الحميدة، منزهاً عن جميع الأخلاق الرذيلة، عالماً بجميع الألسنة واللغات، متمكناً للمعاشرة مع طوائف الجنّ والإنس، ودفع شبهاتهم، وبيان أحكامهم، مظهراً لجميع صفات الله تعالي، حجّةً علي جميع البرية، أكمل من كلّ الرعية في الصبر والزهد والتقوي وغيرها من الصفات، فأتّي للأمة جعل الخليفة ونصب الإمام، هيئات هيئات لما توعدون.

وسياتي إن شاء الله تعالي زيادة توضيح لذلك في المقصد الثاني عند بيان

بطلان خلافة خلفاء الجور، وإبطال ما تمسكوا به من الاجماع والشورى والقهر والغلبة ونحوها، فانتظر.

المقام الرابع: في لزوم جعل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الخليفة

وان ذلك من أعظم شؤون الرسالة، والله (صلي الله عليه وآله وسلم) لولم يفعل لما بلغ رسالته.

لا يخفي أن الاسلام أتم الأديان، بحيث لم يشذ منه شيء من الأحكام الجزئية حتى أرس الخدش، قال تعالى: {وَلَا زُطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (1)، وقال (صلي الله عليه وآله وسلم) في خطبة الوداع: مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ. (2)

وان القرآن ينادي بأعلي صوته في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (3)، إن هذه الشريعة هي أقوم من جميع الأديان، بل لا يتصور أقوم منها.

وقد تقدم في بحث النبوة في باب شرائط النبي أنه لا بد وأن يكون معصوماً من جميع المعاصي حتى الصغائر بل وقصد المعصية، وعن السهو والخطأ والشك والنسيان سيما في الأحكام، ولا بد أن يكون أكمل من جميع الأمة، متصفاً بجميع الصفات الحميدة، منزهاً عن جميع النقائص، وان من الصفات الحميدة علمه بجميع ما يحتاج إليه الأمة في عقائدهم وأخلاقياتهم

ص: 146

1- سورة الأنعام: 59.

2- بحار الأنوار، ج 67، ص 96، ح 3؛ الكافي، ج 2، ص 74، ح 2؛ وسائل الشيعة، ج 17، ص 45، ح 21939.

3- سورة الإسراء: 9.

وإصلاح معادهم و معاشهم و اجتماعياتهم و غيرها.

و حينئذ نقول: إنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) إذا فرض عدم تعيينه الخليفة بعده، فلا بدّ أن يكون لأجل أحد أمور كلّها باطلة:

أحدها: أنّه يري عدم احتياج أمّته أو كتابه أو بقاء شريعته أو دينه إلي الخليفة، وقد عرفت بما لا مزيد عليه من الوجوه الاثني عشر علي ثبوت الاحتياج، بل لولا الإمام لما بقي للدين و الشريعة و الكتاب عين و أثر؛ لعدم تمكّن غيره من دفع شبهات المعاندين، و بيان أحكام الدين، و غيرهما ممّا ظهر بيانه.

بل التحقيق أنّ أمر الولاية هي روح الديانة، و بدونها كانت الديانة جسداً بلا روح، فكما أنّ البدن إذا فارق منه الروح يفسد و يخرب و يصير تراباً و رميماً، فكذلك الديانة إذا لم يكن فيها الولاية تفسد و تخرب و تضمحلّ و تفني.

بيان ذلك: إنّهم قسّموا الدين بالأصول و الأخلاق و الفروع، و شبّهوه بالشجرة، و قالوا: إنّ العقائد بمنزلة أصول الشجرة، و من هنا سمّي بأصول الدين، و الأخلاق بمنزلة قامة الشجرة، و الأحكام بمنزلة فروع الشجرة، و لذا سمّيت بالفروع، و ثمرة الشجرة المثوبات الدنيوية و الأخروية. و عندي في هذا التمثيل نظر؛ لأنّه يلزم أن يكون الفروع أعلي شرفاً من الأخلاق، و هي من العقائد كما في الشجرة، بل الأمر بالعكس.

فالتمثيل المطابق للواقع: أنّ القلب حقيقة بمنزلة المرأة لأنّ ينعكس فيه المعارف الإلهية التي هي الغرض من أصل الخلقة، و المرأة تحتاج في جودة ما يري فيها إلي صفاتها و تصقيّلها، و رفع الحجب و الموانع عنها، فالأعمال

بمنزلة رفع الحجب و الموانع، و من هنا ورد أنّ المعاصي تورث سواد القلب و كدورتها، و الطاعات تورث نورانيته و ضيائه، و الأخلاق بمنزلة التصقيل و الجلاء، و المعارف الإلهية بمنزلة الصور المرئية.

فالغرض الأصلي من المرآة رؤية الصور فيها، و الغرض الأصلي في الديانة تحصيل المعارف الحقّة، و الأصل في ذلك معرفة الله تعالى و صفاته، و من المعلوم أنّ الممكن لا يمكن أمر المعرفة بالله إلاّ بمعرفة مظاهره و أسماء صفاته.

و قد تقدّم أنّ الإمام (عليه السلام) هو المظهر التامّ الأتمّ الذي هو فوق التمام في جميع صفات الله و أسمائه الحسنی و كلماته التامّة، كما ورد في الخبر: «نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، (1) «و نحن الكلمات التامة»، (2) فلولا الإمام لم يحصل المعرفة، فلا يتحقّق روح الديانة.

ثانيها: أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أوكل تعيين الخليفة إليّ أمته بعد رحلته، و هذا أيضاً في غاية الوضوح في الفساد؛ لما تقدّم في الأمر السابق أنّ تعيين الخليفة بشرائطه المعترية فيه خارج عن مقدرة البشر، و لا يمكن له الإحاطة بالأُمور الباطنية المعترية فيه، فلا نعيد.

ثالثها: دعوي أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) لمّا لم يصدر إليه من الله تعالى وحي في ذلك، و لم يعيّن الله تعالى الخليفة لم يجعل و لم ينصب و لم يعيّن الخليفة.

و هذا أيضاً فساد غني عن البيان، فإنّه مضافاً إليّ ما سيأتي في المقصد

ص: 148

1- بحار الأنوار، ج 25، ص 5، ح 7 و ج 27، ص 38.

2- في الإمامة و التبصرة، ص 35 و كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 202: نَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوَى؛ في بحار الأنوار، ج 25، ص 22: نَحْنُ كَلِمَةُ اللَّهِ.

الثاني من الأدلة الدالة علي جعله تعالي والآيات الواردة في ذلك، وتكرّر الوحي من الله إليه في ذلك، ما تقدّم آنفاً من لزوم النصب علي الله تعالي، وأنه لولاه لزم: إما أن لا يكون هو الله تعالي حكيماً، أو لم يكن عادلاً، وقد عرفت بيانه بالمقدمات المتقدمة.

رابعها: دعوي نقصان دينه، وعدم تماميته، وعدم أفومية كتابه، وهذا ممّا لا يليق بأن يسطر.

خامسها: دعوي أنه (صلي الله عليه وآله وسلم) العياذ بالله خالف أمر الله وعصي في تعيين الخليفة، أو نسي وسهي، أو لم يكن عالماً بكون النصب ممّا يحتاج إليه أمته، وهذا كلّه ينافي النبوة، كما تقدّم بيانه.

فإذا بطلت تلك الأمور، وفرضنا أنّ الله تعالي قد عمّن الخليفة والإمام وأوحى إلي نبيّه، وأنّ للأمة كمال الاحتياج إليه، وأنّ دين الاسلام في غاية التمامية والكمال.

وأنّه يهدي للتي هي أقوم، وأنّ الأمة لا يمكن لهم التعيين من عند أنفسهم، وأنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) معصوم من المخالفة والعصيان والسهو والنسيان، وأنه يعلم ما فيه صلاح أمته، فلا مناص إلاّ عن القول بوجوب النصب علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وأنه لو لم يفعل لما بلّغ رسالته، كما ينادي بذلك القرآن في قوله تعالي: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } (1)، الآية الواردة في يوم الغدير في أمر الولاية، كما يأتي شرحه وبيانه إن شاء الله تعالي.

ص: 149

إشارة

وهي كثيرة، والمهمّ منها أمور:

الشرط الأول: العصمة بالمعنيين

أحدهما: العصمة عن الشرك والكفر والمعاصي كلّها كبارها وصغارها، بل وعن نيّة المعصية في تمادي عمره من أوّله إلى آخره.

وثانيهما: عن السهو والخطأ والشكّ والشبهة ونحوها، والدليل عليه من العقل والنقل وجوه:

الأوّل: أنّ الغرض من جعل الخليفة تكميل البشر وهدايتهم إلى الصواب، وإرشادهم إلى ما يحتاجون إليه من معرفة الله وطاعته، والتحرّز عن معاصيه، وحملهم على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وزجرهم عمّا فيه ضرر في الدين والدنيا، سواء كانت المصلحة والضرر نوعياً أو شخصياً، وتنبههم عن رقدة الغفلة، وإنقاذهم من سورة الهوي والضلالة، وبعثهم على قوانين العدل والتمدّن والاجتماع والآداب، لينالوا سعادة الدارين، وحفظ دينه وشريعته وأحكامه وكتابه.

فلو صدر منه ذنب أو قبيح، أو مخالفة الشريعة، أو سهي في شيء، أو أخطأ أو شكّ أو اشتبه، لزم نقض الغرض؛ إذ الأمة إذا كان رئيس دينهم وراعيهم إلى الصواب مرتكباً للقبايح والذنوب، لتنفّروا منه نفرةً شديدةً، أو احتملوا فيه الخطأ والاشتباه، لارتفع منهم الوثوق والاطمئنان واليقين في أقواله وأفعاله، بل يصير داعيهم ومؤيّدهم على ارتكاب الذنوب، والتهاون بالشريعة، وهذا معني

قولهم: «إِذَا فَسَدَ الْعَالِمُ فَسَدَ الْعَالَمُ»(1)،

ونقض الغرض محال علي الله تعالى، فيجب أن يكون معصوماً.

الثاني: أن العقل يقطع بأن الإمام والخليفة إذا كان معصوماً فيه صلاح الأمة قطعاً لما تقدّم، ولا مفسدة فيه أصلاً، والله تعالى قادر علي جعله معصوماً، فيجب بمقتضى عدله وحكمته لما تقدّم أن كل ما يمكن وفيه المصلحة ولا مفسدة فيه يجب علي الله تعالى.

الثالث: قوله تعالى: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (2)، بالبيان المتقدّم في مسألة النبوة.

وبالجملة الإمامة أخت النبوة، وكل دليل يدل علي لزوم عصمة النبي يدل علي لزوم عصمة الإمام. ثم إن المخالفين لما رأوا من خلفائهم وأئمتهم المعاصي الكبار، من الخلفاء الثلاثة وبنو أمية وبنو العباس، بل الشرك والكفر والظلم وقتل النفس وغيرها، علي ما سيأتي إن شاء الله في المقصد الثاني عند ذكر مطاعنهم، ورأوا أن الأدلة التي ذكرناه لإثبات لزوم العصمة في الخليفة والإمام غير قابلة للمناقشة والإشكال، صاروا بصدد الجواب نقضاً بأفعال بعض أئمة الدين، حيث ظنّوا كونها معصية، وتخيّلوا أن ذلك كافٍ في الجواب، مع أن النقص لا يورث إلا زيادة إشكال، فلا بد لنا من التعرّض لما ذكره ملخصاً، و

ص: 151

1- _ نحوه في: غرر الحكم ودرر الكلم، ص 391، ح 28؛ عيون الحكم والمواعظ (لليثي)، ص 276، ح 5024 وفيها: «زَلَّةُ الْعَالِمِ تُفْسِدُ الْعَوَالِمَ».

2- _ سورة البقرة: 124.

الجواب عنها بعون الله تبارك و تعالي .

فبقول: حاصل ما ذكره في النقض أمور:

الأول: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مع كمال قدرته و شجاعته في الحروب، حتّي قال (عليه السلام): «لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَيَّ قِتَالِي لَمَّا وَكَيْتُ»،⁽¹⁾ كيف تقاعد عن حرب الخلفاء و الغاصبين لحقّه، بل أظهر موافقتهم و حضر مجالسهم، و صلّي خلفهم، و دخل في مشاوراتهم و غيرها؟

الثاني: أنّه (عليه السلام) مع علمه بعد قتل عمر أنّ عثمان يصير خليفةً و يتحقّق الرأي له كيف أقدم علي الدخول في الشوري؟

الثالث: ما الوجه في حربه مع عائشة و طلحة و الزبير في حرب الجمل و مع معاوية في صفّين و مع الخوارج في نهروان مع تقاعده عن حرب السابقين؟ الرابع: كيف رضي بالتحكيم مع أنّه يعلم سيغدر عليه و أنّ معاوية غير قابل للخلافة؟

الخامس: في ليلة قتله مع علمه بأنّه يقتل كيف ذهب إلي المسجد وحيداً و لم يمنع المرادي عن فعله مع كمال قدرته؟

السادس: ما وجه صلح الحسن مع معاوية مع كثرة أنصاره و أعوانه حتّي قيل في حقّه: إنّ مذلّ المؤمنين⁽²⁾، و علمه بعدم استحقات معاوية للخلافة.

ص: 152

1- _ الأُمالي (للصدوق)، ص 514، ح 10؛ بحار الأنوار، ج 21، ص 26، ح 25 و ج 33، ص 475، ح 686 و ج 41، ص 68؛ مناقب آل

أبي طالب (عليهم السلام) (لابن شهر آشوب)، ج 2، ص 84؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص 418، كتاب 45.

2- _ بحار الأنوار، ج 44، ص 24، ح 7؛ الهداية الكبرى، ص 192.

السابع: كيف أقدم (عليه السلام) علي شرب السمّ مع علمه (عليه السلام) به، وهل هو إلاّ الإقدام علي التهلكة؟

الثامن: ما وجه إقدام أبي عبد الله (عليه السلام) علي حرب يزيد و خروجه إلي الكوفة مع علمه بغدر أهل الكوفة، و اطلاعه علي قتل مسلم بن عقيل، و قول ابن عباس و ابن الحنفية و ابن عمر و غيرهم بعدم الخروج، ثمّ كيف حارب بنفر قليل مع جمع كثير و لم يصلح مع يزيد كما صلح أخوه الحسن (عليه السلام)، و هل هو إلاّ الوقوع في المهلكة؟

التاسع: أنّ الرضا (عليه السلام) كيف قبل ولاية العهد؟ و هل هو إلاّ الاقرار و الاعتراف بخلافة المأمون؟ مع علمه بأنّه يقتل بالسمّ قبل المأمون، و كيف شرب السمّ مع علمه به؟ و إخباره قبلاً بهرثمة و أبي الصلت، و هكذا سائر الأئمّة (عليهم السلام) لأنّهم مقتولون بالسمّ.

العاشر: ما وجه غيبة القائم (عليه السلام) عن الأولياء و الأعداء في هذا الزمان الطويل؟ و ما الفائدة في وجوده كذلك حتّي صار منشأً لإنكار وجوده و ولادته، و خوفه عن الأعداء كان في آبائه الطيبين أيضاً، فما وجه غيبته دونهم؟

و الجواب: أمّا عن الأوّل، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا رأى بعد رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) أنّ القوم ياغواء المخالفين غضبوا حقّه، و خالفوا أمر النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في ذلك، و أنّه لو جاهدهم و حاربهم لرجعوا عن الدين؛ لأنّ إظهار الديانة من المنافقين إنّما هو طمعاً في الرئاسة في زمان النبي (صلي الله عليه و آله و سلم)، و أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) ما وليهم علي شيء، فبعد النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) لو حاربهم و آيسوا ممّا طمعوا فيه لأظهروا تركهم الباطنية و أنكروا الاسلام رأساً، و أنّ أعداء الدين من المشركين و اليهود و النصراري كانوا منتظرين لوقوع الخلاف بين المسلمين حتّي يحملوا علي

المسلمين، فالواجب عليه حفظ الاسلام مهما أمكن، فلا مناص له إلا عن الكفّ عن حربهم و جهادهم.

و أمّا دعوي إظهار موافقتهم، فهو كذب و افتراء، بل لم يظهر ذلك إلا بعد أن أحرقوا باب داره، و دخلوا داره و أخذوه، و كسروا ضلع فاطمة (عليها السلام)، و أسقطوا جنينها، و فعلوا ما فعلوا، بل هدّوه بالقتل، حتّى أنّه عند تعقيبه علي البيعة، قال ثلاثاً: فإن لم أفعل، قال عمر: لأضربنّ عنقك. (1)

و أمّا حضور مجالسهم و جماعاتهم، فلمّا رأى جهلهم بالأحكام، و عجزهم عن دفع الشبهات الواردة من اليهود و النصراري و سائر الكفّار، و هذا يورثوهناً عظيماً علي الاسلام، و جب عليه ذلك لبيان أحكام الشريعة، و دفع الشبهات المذكورة و القضايا المروية في العامة و الخاصّة في ذلك الباب أكثر من أن يحصي، حتّى قيل إنّ عمر قال سبعين موقعاً: لولا علي لهلك عمر (2)،

مع أنّه (عليه السلام) لم يحضر مجالسهم الخصوصية، بل إنّما كان حضوره معهم في مسجد رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم).

و أمّا الدخول في مشاوراتهم، فهذا أيضاً خطأ؛ لأنّه (عليه السلام) لم يشاورهم في شيء، بل هم يشاورونه أي يسألون منه ما جهلوا في الحروب و غيرها.

و أمّا عن الثاني، فلأنّ الدخول في الشوري منه (عليه السلام) لأجل إثبات حقّه، و بيان الأدلّة علي خلافته من الآيات و الأخبار و الأحاديث النبوية، و إبطال

ص: 154

1- كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج 2، ص 593، و فيه: «فقال (عليه السلام): فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: إِذَا وَاللَّهِ نَضْرِبُ عُنُقَكَ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، الاختصاص للشيخ المفيد، ص 187.

2- إحقاق الحقّ، ج 3، ص 102؛ بحار الأنوار، ج 10، ص 231، ح 1 و ج 30، ص 111، ح 11؛ البرهان في تفسير القرآن، ج 1، ص 374، ح 777؛ تفسير العياشي، ج 1، ص 75، ح 155؛ الكافي، ج 7، ص 424، ح 6.

خلافة الأولين، وإتماماً للحجة عليهم، ولئلا يقول الناس إنه لو دخل في الشوري لأخذ حقه ولم يتجاوزوا أهل الشوري عنه، كما يظهر كل ذلك لمن راجع قضية الشوري والمكالمات الصادرة منه (عليه السلام) معهم.

وأما عن الثالث، فلأن قتاله مع الناكثين والقاسطين و المارقين لإحقاق حقه، وعدم ترتب ما يترتب علي القتال مع السابقين من خروج المنافقين عن ظاهر الاسلام، وتسلط أعداء الدين علي المسلمين، و ذهاب الاسلام من رأس، بل أثبت بهذه المقاتلة كفر عائشة و نفاق طلحة و زبير، و ظلم معاوية و بني أمية و كفرهم و كذا الخوارج، بل أظهر (عليه السلام) في هذه المقاتلة بطلان المتقدمين، و توصل (عليه السلام) لدفع الأعداء و إحقاق الحق و إبطال الباطل، مع وجود الأنصار والأعوان له و تمكن من ذلك، فيجب عليه.

وأما عن الرابع، فرضايته (عليه السلام) بالتحكيم إنما هي لأجل طلب أصحابه و عسكره إلا القليل منهم، حتى أنهم قالوا: لولم ترض بالتحكيم لنقاتلك، و ظنوا أن مكيدة أصحاب معاوية كانت علي الحقيقة، و أن الحكم بينهم يقع طبقاً للقرآن، و يظهر الحق و يبطل الباطل، و كلما قال (عليه السلام) هي مكيدة و حيلة لم يقبلوا منه.

و لا بأس بنقل بعض ما ورد في قضية التحكيم ليظهر لك الأمر.

ففي البحار عن الخرائج و إرشاد المفيد، قال: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): عِنْدَ مَا رَفَعَ أَهْلُ الشَّامِ الْمَصَاحِفَ، وَ شَكَكَ فَرِيْقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ لَجُّوا إِلَي الْمَسْأَلَةِ وَ دَعَوْهُ إِلَيْهَا: وَيَلَكُمْ إِنَّ هَذِهِ خَدِيْعَةٌ، وَ مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ الْقُرْآنَ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ قُرْآنٍ، فَانْتَقُوا اللَّهَ وَ امْضُوا عَلَي بَصَائِرِكُمْ فِي قِتَالِهِمْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا تَفَرَّقَتْ بِكُمْ

وفيه عن المناقب: في جملة كلام له قال: فَقَصَدَ إِلَيْهِ _ أَي: إلي أمير المؤمنين (عليه السلام) _ عَشْرُونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَقُولُونَ: يَا عَلِيُّ! أَجِبْ إِلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ إِذَا دُعِيتَ وَإِلَّا دَفَعْنَاكَ بِرِمَّتِكَ _ أَي: بجملتك _ إِلَيَّ الْقَوْمَ، أَوْ نَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلْنَا بِعُثْمَانَ.

فَقَالَ (عليه السلام): فَاَحْفَظُوا عَنِّي مَعَّةَ التِّي، فَإِنِّي أَمْرُكُمْ بِالْقِتَالِ، فَإِن تَعَصُونِي فافعلوا مَا بَدَا لَكُمْ، قَالُوا: فَأَبَعْتُ إِلَيَّ الْأَشْتَرِ لِيَأْتِيَنَّكَ، فَبَعَثَ يَزِيدَ بْنَ هَانِي السَّبِيعِيِّ دَعْوَهُ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَنَا نَجَاتِي وَشَدَدَ فِي الْقِتَالِ، فَقَالُوا: حَرَصَتْهُ فِي الْحَرْبِ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِ بِعَزِيمَتِكَ لِيَأْتِيَنَّكَ، وَإِلَّا وَاللَّهِ اعْتَرَلْنَاكَ.

قَالَ: يَا يَزِيدُ! عُدْ إِلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: أَقْبِلْ إِلَيْنَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ وَقَعَتْ، فَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ: يَا أَهْلَ الدُّلِّ وَالْوَهْنِ! أَجِبْنِي عِلْوَتُمْ الْقَوْمَ وَعِلْمُوا أَنْتُمْ لَهُمْ قَاهِرُونَ رَفَعُوا لَكُمْ الْمَصَاحِفَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا، فَقَالُوا: قَاتَلْنَاهُمْ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَمْهَلُونِي سَاعَةً وَأَحْسَسْتُ بِالْمَفْتَحِ وَاقْتَنْتُ بِالظَّفْرِ، قَالُوا: لَا، قَالَ: أَمْهَلُونِي عِدْوَةَ فَرَسِي، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا نَطِيعُكَ وَلَا لِصَاحِبِكَ وَنَحْنُ نَرِي الْمَصَاحِفَ عَلَيَّ رُءُوسِ الرِّمَاحِ نُدْعِي إِلَيْهَا، فَقَالَ: خُدِعْتُمْ وَاللَّهِ! فَاخْدَعْتُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَيَّ وَضَعِ الْحَرْبِ، فَاجْبِئْتُمْ.

إلي أن قال: فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ: فَإِنَّا قَدْ اخْتَرْنَا عَمْرًا، فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَابْنُ الْكَوَّاءِ وَمِسْعَرُ بْنُ فَدَكِيٍّ وَزَيْدُ الطَّائِي: نَحْنُ اخْتَرْنَا أَبَا مُوسَى.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): فَإِنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُمُونِي فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَلَا تَعَصُونِي

ص: 156

1- _ الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج 1، ص 316؛ بحار الأنوار، ج 33، ص 311، ح 561؛ الخرائج والجرائح، ج 1، ص 200، ح 40.

الآن، فقالوا: إِنَّهُ قَدْ كَانَ يُحَذِرُنَا مِمَّا قَدْ وَقَعْنَا فِيهِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): إِنَّهُ لَيْسَ بِثِقَةٍ قَدْ فَارَقَنِي وَقَدْ حَذَلَ النَّاسَ، ثُمَّ هَرَبَ مِنِّي حَتَّى أَمْتُهُ بَعْدَ شَهْرٍ، وَ لَكِنْ هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ، قَالُوا: وَاللَّهِ! مَا نُبَالِي أَنْتَ كُنْتَ أُمُّ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَالْأَشْتَرُ، قَالَ الْأَشْعَثُ: وَ هَلْ سَعَرَ الْحَرْبَ غَيْرَ الْأَشْتَرِ، وَ هَلْ نَحْنُ إِلَّا فِي حُكْمِ الْأَشْتَرِ.

قَالَ الْأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى عَلِيًّا (عليه السلام) يَوْمَ صِدْقَيْنِ يَصْدُقُ بِيَدَيْهِ وَيَقُولُ: يَا عَجَباً أُعْصِي وَيُطَاعُ مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ: قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَبَا مُوسَى؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ صَنِيعِهِمْ. (الحكاية) (1)

أقول: في هذا المقال كفاية في إثبات المقصود.

و أمّا الخامس، فلا يخفي أنّ الكلام في ذهاب أمير المؤمنين (عليه السلام) في ليلة قتله إلى المسجد و شرب سائر الأئمة (عليهم السلام) السمّ حين وقوع القضاء الإلهي، و كذا شهادة أبي عبد الله (عليه السلام) يوم الطفّ كلّها من وادٍ واحد.

وقد أجاب الإمامية عن الإشكال المذكور بوجوه:

أحدها: ما أفاده السيد (قدس سره) و جماعة من منع كونهم (عليهم السلام) عالمين بالسمّ أو القتل، و لم يقدّم دليل قطعي عليّ تعلق علمهم بجميع الأمور.

وعندي في هذا الجواب نظر؛ لأنّه مضافاً إلى الأدلة الدالة على علمهم بما كان و ما يكون إلى انقضاء الخلق، و مضافاً إلى الأخبار الكثيرة الواردة في أنّ لكلّ إمام صحيفة سماوية فيها جميع ما يقع عليهم و ما يصدر منهم، قد ورد أخبار كثيرة من كلّ واحد منهم فيما وقع عليهم، فكم أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص: 157

1- بحار الأنوار، ج 33، ص 312؛ مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) (لابن شهر آشوب)، ج 3، ص 182.

بشهادته، بل بشهادة بعض خواصّه، كالميثم و الرشيد الهجري و كيفية شهادتهما وغيرهما.

و كذا إخبار الحسن (عليه السلام) ، و كم أخبر أبي عبدالله (عليه السلام) بشهادته و شهادة أصحابه من خير أم سلمة و محمد بن الحنفية و ليلة عاشوراء وغيرها، و كذا أخبر موسى بن جعفر (عليهما السلام) المسيّب، و كذا أخبر الرضا (عليه السلام) هرثمة و أبا الصلت و حين خروجه من المدينة، إلي غير ذلك من الأخبار، فكيف يمكن دعوي عدم علمهم (عليهم السلام) بذلك؟

ثانيها: ما أفاده جماعة بأنهم (عليهم السلام) و إن علموا ذلك، لكن حين وقوع القضاء و قبيله يعزب عنهم علمه حتّي يقع القضاء.

و هذا أيضاً غير مرضي؛ لأنّه مضافاً إلي عدم قيام دليل عليه ينافي العصمة؛ لأنّ معني العصمة: العصمة عن الخطأ و السهو و النسيان أيضاً، كما تقدّم بيانه.

ثالثها: أنّهم (عليهم السلام) لا يقاسون بالناس.

و هذا الجواب و إن كان حقيقاً بالقبول، إلّا أنّه غير مرضي عند الخصم، و لا يقنع بذلك، و له في أئمة الجور دعوي ذلك، و إن كان فيه ما فيه.

و التحقيق في الجواب أن يقال: أمّا علي العلم الظاهري الذي كلّ أحد مأمور علي المشي علي طبقه، فهم (عليهم السلام) كسائر الناس، مثلاً لو شهد جماعة أو أخبر ثقة بأنّ المرادي يريد ذلك، أو في هذا الماء أو الرطب أو العنب أو الرمان سمّ أو غير ذلك، لوجب عليهم الاحتراز كما يجب علي غيرهم.

و أمّا علي العلم الباطني المختصّ بهم (عليهم السلام) من الله أو النبي أو من الصحيفة السماوية أو غيرها ممّا للإمام (عليه السلام) ، فهم (عليهم السلام) كما يعلمون أنّ المرادي يريد القتل

أو في الماء سمّ أو الرطب و العنب و الرمان مثلاً، كذلك يعلمون بأنّ القضاء الحتمي تعلّق بالشرب و الإقدام و وقوع القتل، و أنّه يجب عليهم ذلك، و أنّهم لا يشاؤون إلاّ ما يشاء الله، و أنّ قلوبهم أوعية مشيئة الله.

فهذا نظير ما أسرّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أو الإمام (عليه السلام) بعض أصحابهم أنّك تفعل كذا و كذا، و تؤخذ كذا، و تضرب كذا، و تصير مقتولاً كذا، و لا بدّ من ذلك، فهل يتوهّم متوهّم أنّ هذا منه إلقاء في التهلكة أو معصية أو خلاف عقل.

و ما قيل من أنّ العلم طريق عقلي و منجعل ذاتاً من أيّ سبب كان، فإذا تحقّق يجب العمل علي طبقه.

فمدفوع بأنّه و إن كان كذلك، لكن قد عرفت أنّه يعلم بأمر من الله تعالى بالإقدام علي ذلك، فهل تري أنّه لو صدر أمر شخصي من الله أو النبي أو الإمام إلي شخص في إلقاء نفسه في النار، فألقي نفسه فيها، فهل ذلك إلاّ امتثال و إطاعة و انقياد، كما في الأمر بالجهاد، و الأمر بذبح إسماعيل (عليه السلام) و غير ذلك، أو إلقاء في التهلكة، فاندفع الإشكال بحمد الله تعالى بحذافيره.

و أمّا عن السادس، فلأنّ الحسن (عليه السلام) بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) خرج لقتال معاوية، و جمع عسكرياً بالنخيلة، فأرسل رجلاً من كندة في أربعة آلاف إلي الأنبار ليحبس عسكري معاوية حتّي يأتيه الحسن (عليه السلام) مع عسكريه، فعلم معاوية بذلك، و أرسل إلي الكندي خمسمائة ألف درهم و وعده ولاية بعض كور الشام، فصار اللعين الكندي إلي معاوية، فبلغ ذلك الحسن (عليه السلام)، فأرسل رجلاً من مراد في أربعة آلاف، و فعل معاوية بالمرادي عين ما فعل بالكندي.

فبلغ ذلك الحسن (عليه السلام) فأرسل (عليه السلام) ابن عمّه عبيدالله بن عباس في اثني عشر

ألف من بقية ثقات أمير المؤمنين (عليه السلام) من فرسان العرب وقوّام المصر الرجل منهم يزيل الكتيبة، فخرج ابن عباس حتّى نزل بإزاء معاوية، فأرسل معاوية إليه ووعده ألف درهم بأن يعجله بالنصف، فصار هو أيضاً إلي معاوية.

ثمّ كتب جماعة من أصحاب الحسن (عليه السلام) إلي معاوية بل أكثر أهل الكوفة بأنّا معك، ولو شئت أخذنا الحسن (عليه السلام) وبعثناه إليك، فأرسل معاوية جميع تلك المكاتيب إلي الحسن (عليه السلام)، فصعد (عليه السلام) المنبر عند نزوله بالسباط دون القنطرة، وقال (عليه السلام) في جملة كلامه: إِنِّي نَاطِرٌ لَكُمْ خَيْرًا مِنْ نَظَرِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي.

فنظر الناس بعضهم إلي بعض، وقالوا: ما يريد؟ نظنّ أنّه يريد الصلح، كفر و الله الرجل، ثمّ شدّوا علي فسطاطه، فانتهبوا حتّى أخذوا مصلاه من تحته، فنزع مطرفه من عاتقه، وأرادوا أخذه وتسلّمه إلي معاوية، فمنعهم جماعة من خواصّه من ريبة و همدان.

فخرج (عليه السلام) إلي المدائن في بعض خواصّ أهل بيته، وعند مظلم سباط المدائن قام إليه رجل من بني أسد، ثمّ من بني نصر بن قعين جراح بن سنان وبيده مغول، فأخذ بلجام فرسه وقال اللعين: يا حسن أشركت كما أشرك أبوك، قطعنه بالمغول، فشقّ فخذه وسقط (عليه السلام) إلي الأرض، فحمل (عليه السلام) علي سرير إلي المدائن، وأقام عند سعيد بن مسعود الثقفي عمّ المختار يعالج نفسه.

ثمّ رجع (عليه السلام) إلي الكوفة، فأرسل معاوية جماعة غيلةً إلي الكوفة ليقتلوا الحسن (عليه السلام) غيلةً، حتّى رماه أحدهم بالسهم في صلاته، فصعد (عليه السلام) المنبر وقال في جملة كلامه: يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين، ولو سلّمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرحاً أبداً مع بني أمية، والله ليس منكم سوء العذاب، ولو

وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر؛ لأنّه محرّم علي بني أمية.

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلي معاوية بالسمع والطاعة له في السرّ، واستحثّوه علي المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) إليه عند دنوّه من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن (عليه السلام) ذلك. (1)

الخبر.

متن كامل خبر:

إِنِّي نَاطِرٌ لَكُمْ خَيْرًا مِنْ نَظَرِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلكُمْ وَأَزْشَدَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا فِيهِ الْمَحَبَّةُ وَالرِّضَا.

قَالَ: فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: مَا تَرَوْنَهُ يُرِيدُ بِمَا قَالَ؟ قَالُوا: نَظُنُّهُ وَاللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يُصَالِحَ مُعَاوِيَةَ وَيَسَلِّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، فَقَالُوا: كَفَرَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ سَدُّوا عَلَيَّ فُسَّطَاطِهِ، فَانْتَهَبُوهُ حَتَّى أَخَذُوا مُصَدَّالَهُ مِنْ تَحْتِهِ، ثُمَّ سَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُعَالٍ الْأَزْدِيُّ، فَفَزِعَ مِطْرَفُهُ عَنْ عَاتِقِهِ فَبَقِيَ جَالِسًا مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ بغيرِ رِدَاءٍ.

ثُمَّ دَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ وَأَحْدَقَ بِهِ طَوَائِفُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَشِيعَتِهِ، وَمَنَعُوا مِنْهُ مَنْ أَرَادَهُ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ رِبِيعَةَ وَهَمْدَانَ، فَدُعُوا لَهُ، فَاطَافُوا بِهِ وَدَفَعُوا النَّاسَ عَنْهُ وَسَارَ وَمَعَهُ شَوْبٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا مَرَّ فِي مُظْلَمٍ سَابَاطٍ بَدَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الْجَرَّاحُ بْنُ سَيْدَانَ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ بَعْلَتِهِ وَبِيَدِهِ مِغْوَلٌ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا حَسَنُ! كَمَا أَشْرَكَ أَبُوكَ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ طَعَنَهُ فِي فَخِذِهِ فَشَقَّه، حَتَّى بَلَغَ الْعَظْمَ، فَاعْتَنَقَهُ الْحَسَنُ (عليه السلام) وَخَرَّ جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ

ص: 161

1- _ الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج 2، ص 11؛ بحار الأنوار، ج 44، ص 47، ح 5؛ الخرائج و الجرائح، ج 2، ص 574 - 576؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 16، ص 41.

رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ الْحَسَنِ (عليه السلام) يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَظَلِ الطَّائِي، فَانْتَزَعَ الْمِغْوَلَ مِنْ يَدِهِ وَحَضَخَصَ بِهِ جَوْفَهُ وَ أَكَبَّ عَلَيْهِ آخَرَ يُقَالُ لَهُ ظَبْيَانُ بْنُ عُمَارَةَ، فَفَطَعَ أَنْفَهُ فَهَلَكَ مِنْ ذَلِكَ وَ أَحَدَ آخَرَ كَانَ مَعَهُ فُقْتِلَ.

وَ حُمِلَ الْحَسَنُ (عليه السلام) عَلَيَّ سَرِيرٍ إِلَى الْمَدَائِنِ، فَأُنزِلَ بِهِ عَلَيَّ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ التَّقْفِي وَ كَانَ عَامِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بِهَا، فَأَقْرَةَ الْحَسَنُ (عليه السلام) عَلَيَّ ذَلِكَ وَ اشْتَعَلَ بِنَفْسِهِ يُعَالِجُ جُرْحَهُ.

وَ كَتَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي السَّرِّ وَ اسْتَحْثُوهُ عَلَيَّ السَّيْرِ نَحْوَهُمْ وَ ضَمِنُوا لَهُ تَسْلِيمَ الْحَسَنِ (عليه السلام) إِلَيْهِ عِنْدَ دُنُوهِمْ مِنْ عَسْكَرِهِ أَوْ الْفَتْكِ بِهِ وَ بَلَغَ الْحَسَنُ ذَلِكَ. (الخبر)

أقول: هذا مجمل الحكاية، وإذا تأملت فهل له أنصار و من ينصره، فإذا لا مناص له حفظاً لدمه الشريف و دماء شيعته، و حفظاً لاسلام و المسلمين إلا بالصلح، سيما مع الشرائط التي شرطه علي معاوية من أن يعمل بكتاب الله و سنة رسوله و سيرة الخلفاء الصالحين، و أن لا يعهد إلي أحد من بعده، و أن الناس كلهم آمنون في شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم، و أن أصحاب علي (عليه السلام) و شيعته آمنون علي أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و أن لا يبغى للحسن و الحسين (عليهما السلام) و أهل بيت الرسول غائلة سراً و لا جهراً، و لا يخيف منهم أحداً في أفق من الآفاق، و أن يترك سب أمير المؤمنين (عليه السلام)، و العدول عن القنوت عليه في الصلاة و علي شيعته، إلي غير ذلك من الشروط. فهل تري من نفسك أن هذا النحو من الصلح منقصة في الحسن (عليه السلام)، أو تصديق بلياقة معاوية، هذا مع قطع النظر من الصحيفة السماوية التي كان كل منهم مأمورون علي المشي علي طبقه.

وَأَمَّا عَنِ السَّابِعِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْخَامِسِ، وَالْوَجْهُ الْمَذْكُورَةُ فِيهِ، فَلَا نَعِيدُ.

وَأَمَّا عَنِ الثَّامِنِ، فَمَجْمَلُ الْكَلَامِ فِيهِ يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ: أَحَدُهُمَا مِنْ حَيْثُ الْجِهَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ، وَالْأُخْرَى مِنْ حَيْثُ الْجِهَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ، فَحَاصِلُهُ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَرُؤَسَاءَ الْقَبَائِلِ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَتَسَلُّطِ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِمُ، وَظُهُورِ ظُلْمِهِ وَكُفْرِهِ وَفَسْقِهِ وَمُخَالَفَةِ مَوَاقِفِهِ وَعَهْودِهِ وَشُرُوطِهِ مَعَ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَاتِبًا إِلَى الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالْعَهْودِ وَالْمَوَاقِفِ وَالْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَكَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ، فَأَجَابَهُمْ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَ الْجَوَازِ مَا دَامَ أَخِيهِ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِيهِمْ، وَبَعْدَ شَهَادَةِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَصْرًا وَعَلِيٌّ ذَلِكَ، وَهُوَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَمْنِيهِمْ وَيُوعِدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَذَلِكَ لظُهُورِ سُلْطَةِ مَعَاوِيَةَ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ إِجَابَتَهُمْ، حَتَّى هَلَكَ مَعَاوِيَةَ.

ثُمَّ كَاتَبَهُ جَمَاعَةُ جَمَاعَةٍ، وَقَبِيلَةُ قَبِيلَةٍ، حَتَّى بَلَغَتْ الْكِتَابَةَ وَالرَّسْلَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ، فَأَرْسَلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَيْهِمْ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمًا، فَأَخَذَ لَهُ مِنْهُمْ الْبَيْعَةَ فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ آثَارُ الْغَلْبَةِ وَالظَّفَرِ لَانْحَةِ لِكثْرَةِ الْأَنْصَارِ وَالشَّيْعَةِ، وَغَدَرَ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَعَ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَخِيهِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنَّمَا هُوَ قَبْلَ إِطْلَاعِهِمْ عَلَيَّ ظَلَمَ مَعَاوِيَةَ وَإِذَانَهُ إِيَّاهُمْ نَفْسًا وَعَرْضًا وَمَالًا، وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ وَسَيَمَا ظُهُورَ فَسْقِ يَزِيدٍ وَلَعْبِهِ وَشَرْبِهِ وَسَائِرِ مَعَاصِيهِ، فَلَا يَظُنُّ بِهِمْ ذَلِكَ الْغَدْرَ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ حَيَاءُ الدِّينِ، وَإِمَاتَةُ الْبَاطِلِ، وَنَصْرَةُ الْحَقِّ، فَخَرَجَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِذَلِكَ.

مَعَ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ الْخَبْرَ أَنَّ يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلَ جَمَاعَةً إِلَيَّ مَكَّةَ لِقَتْلِهِ غِيلَةً عِنْدَ الْمَطَافِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَلْجَأٌ حَتَّى تَقْرَ الْهُوَامَ، حَتَّى قَالَ لِأَخِيهِ مُحَمَّدًا: لَوْ دَخَلْتَ تَقْرًا مِنَ الْهُوَامِ لِأَخْرَجُونِي وَلِيَقْتُلُونِي.

فإذاً لا مناص له إلا الخروج إلي العراق، و يجب عليه ذلك من حيث التكاليف الظاهرة، و بعد اطلّاعه علي غدر أهل الكوفة و قتل مسلم همّ (عليه السلام) أن يرجع، فقال بنو عقيل: لا- نرجع حتّي نأخذ الثأر، أو يصيب بنا ما أصاب، و مع ذلك لا يتوهم أحد هذه القضية العظمي؛ لكثرة الأنصار و الشيعة في الأطراف حتّي في الكوفة ينتظرون قدومه فينصرونه، كما كان الأمر كذلك لولا أرسل ابن زياد العسكر إلي الطرف و الأطراف لئلا يخرج أحد إلي نصرته، و قد حبس أربعة آلاف من الشيعة بعد قتل مسلم، فخرج (عليه السلام) طالباً لدم مسلم حتّي لحقه الحرّ.

فأراد (عليه السلام) الرجوع فمنعه، و أراد الحرّ تسليمه إلي ابن زياد فلم يجبه، فرضي (عليه السلام) المسير إلي الشام إلي يزيد، لعلمه (عليه السلام) بأنّه ليس مثل معاوية، و أنّ غاية الأمر يصلح معه كصلح معاوية مع أخيه، فسلك سبيل الشام حتّي لحقه عسكر ابن سعد، فأحاطوا به و منعه عن المسير، و كان في مكالماته مع ابن سعد ذلك بأن يذهب إلي الشام، فأبي ابن زياد ذلك و قال ما قال اللعين، فردّ (عليه السلام) أن يقبل البيعة مع ابن زياد، مضافاً إلي الذلّة و المهانة يؤول إلي القتل، فاختر (عليه السلام) القتل مع العزّ علي القتل مع الذلّة و المهانة، كما فعل ابن زياد ذلكمع مسلم حيث آمنوه ثمّ قتلوه.

هذا بحسب التكاليف الظاهرة، و لعمري أنّ (عليه السلام) لولم يجب أهل الكوفة، و لم يخرج إلي العراق، أو بايع ابن زياد، لكان الناس إلي يوم القيامة يذمّونه و يعيبونه و يقولون: كيف لم يقاتلهم مع هذه الامارات و المكاتبات و كثرة الأنصار و الأعوان في الأطراف هذا.

و أمّا الثاني، فغير خفي أنّ سياسة معاوية عليه اللعنة من أوّل أمره إلي أن بلغ مقصوده، لم يكن إلاّ مظلومية عثمان، و أنّه ولي دمه، و أنّ علياً (عليه السلام) و أصحابه

قتلوه وهم ظالمون، فأراد الحسين (عليه السلام) أن يبطل تلك السياسة و يظهر علي أهل العالم سيما المسلمين، سيما أهل الشام، ظلم بني أمية، و مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ، بل إثبات مظلومية أبيه و أخيه، و ظلم الأول و الثاني و الثالث بتلك الشهادة، سيما مع انضمام أسارة أهل البيت.

و لعمرى أنه لولا- شهادة الحسين (عليه السلام) و إسارة أهل بيته، لم يتزلزل أركان دولة بني أمية، و لم يظهر للناس كفرهم و ظلمهم و فسقهم، و لم يشيّد أركان الدين، فأظهر (عليه السلام) بذلك الحقّ و أبطل الباطل علي العالمين.

و أمّا توهم الوقوع في التهلكة، فقد عرفت ما فيه.

و أمّا عن التاسع، فللإمام أن يتوصّل إلي حقهّ و لو بعد حين، و أنّ الرضا (عليه السلام) قد نصر الدين و أظهر الحقّ بقبول تلك الولاية في احتجاجاته و مباحثاته و رسالاته مع أرباب الأديان و علماء أهل الزمان، لا سيّما المأمون نفسه. و قد ظهر منه (عليه السلام) في تلك المدّة من المعجزات الباهرات و الكمالات الظاهرات علي الناس ما لم يظهر من إمام قبله و بعده، مع أنّه (عليه السلام) لم يقبلها بالاختيار بل جبراً و كرهاً من المأمون عليه اللعنة، مع أنّ الواجب علي الإمام التقيّة كما كان آباؤه الطيّبون كذلك، مع إخباره (عليه السلام) في قبول الولاية أنّ الجفر و الجامعة يدلّان علي خلاف ذلك.

و أمّا قضية السمّ و إخباره هرثمة و أبا الصلت، فقد تقدّم في الوجه الخامس.

و بالجملة صار (عليه السلام) بقبول الولاية مجدّد رأس المائة الثانية، و أكثر شؤون الأئمّة و مناقبهم و فضائلهم قد ظهر منه (عليه السلام) ، حتّي أنّ الأئمّة (عليهم السلام) بعده صاروا يدعون باسمه و يسمّون بـ ابن الرضا، مع أنّ آباءه الطيبين يدعون بابن

الرسول، وقد أبطل خلافة الخلفاء الثلاث، وأثبت خلافة جدّه بالبيانات الشافية الكافية، وهذا القبول ليس فيه دلالة علي حقيّة المأمون أصلاً، فلا إشكال أصلاً.

وأما عن العاشر، فتوضيح الكلام فيه أنه قد ثبت بالأدلة القاطعة والنصوص المتواترة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرة والبراهين الحسّية ممّن رأي القائم أنّ القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وجد وتولّد وغاب عن الأنظار، وسيظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فنفي وجوده وإنكار ولادته ومنع بقائه مكابرة في مقابل البديهة، ليس منشأه إلاّ العناد والعصبية والبغض والعداوة والكفر والنفاق، كإنكار إمامة آبائه الطاهرين (عليهم السلام)، وليست الغيبة سبباً للإنكار أصلاً، فالمتمنّع للحقّ إذا قام الدليل له علي بقائه ووجوده يقرّ ويعترف ويزعن به، حاضراً كان أم غائباً، والمعاند للحقّ ينكره حاضراً كان أم غائباً.

ألا تري أنّ الملاحظة قد أنكروا وجود الباري تعالى، مع أنّ الأدلة العقلية والبراهين القطعية أدخلته في البديهيّات والضروريّات، فهل لقائل أن يقول منشأ إنكار الملاحظة وجود الباري تعالى أنّ ذاته المقدّسة غير مدركة بالحواسّ الظاهرة.

وأما فوائده وجوده في غيبته وبقائه أكثر من أن تحصي، ونحن نشير إلي بعضها:

منها: أنّ العوالم الامكانية من العلويات والسفليات والمجرّدات والمادّيات والملائكة والثقلين وسائر الموجودات كانت بقاؤها ببقائه ووجودها بوجوده، فإنّه بمنزلة القطب من الرحي، لو خلت الأرض عن الحجة لساخت بأهلها، ولماجت بأهلها، وقد تقدّم في بيان الاحتياج إلي الإمام الاستدلال لذلك،

و منها: أنه (عليه السلام) واسطة لجميع الفيوضات الإلهية و النعم الربانية، و لولاه ما للتراب و ربّ الأرباب.

و منها: أنّ جلّ الموجودات من الملائكة و طوائف الجنّ و الخواصّ من أهل بيته و أنصاره و خدمه و حشمه يتشرفون بخدمته، و يستضيؤون من نور وجوده، و إنّما غاب عن أنظارنا القاصرة.

و منها: أنه (عليه السلام) كان حافظاً للدين، و دافعاً للأعداء و الملحدين، و مانعاً عن تسلّطهم علي المسلمين في غيبته، ألا تري من ابتداء الغيبة إلي زماننا أنّ أعداء الدين مع كثرتهم و شوكتهم و قوتهم كلّما أرادوا أن يطفؤوا نور الاسلام و آثار القرآن منعهم مانع غيبي، و دافع قهري عن مقاصدهم، و كان المسلمون و لاسيما الشيعة محفوظين من شرور الكفّار و المعاندين.

و منها: أنه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) غوث المستغيثين، و ملجأ الهاربين، و عون المستجيرين، و مجيب المضطّرين في البرّ و البحر، و الحكايات الواردة في هذا الباب المسطورة في كتب الأصحاب أكثر من أن تحصى.

و منها: أنه (عليه السلام) يعبد الله في أرضه، و يدعو لشيعته، و يتصرّع لربه، فببركاته يرزق العباد، و يحيي البلاد، و ينزل الغيث، و يكشف الضّرّ، و ينقّس الهمّ، و لولا عباداته و دعواته لاقتضت المعاصي الصادرة عن العباد نزول العذاب و منع البركات.

و منها: أنه (عليه السلام) في مقام الحاجة و اللزوم يظهر نفسه الشريفة لبعض أوليائه و خواصّ شيعته، بل لبعض أعدائه، سواء عرفوه بشخصه أم لم يعرفوه، و الحكايات

الواردة في ذلك فوق حدّ التواتر، بل أكثر تلك الحكايات مشتملة علي المعاجز الكثيرة، والقضايا الغريبة المورثة للقطع بصدقها، فراجع الكتب المعدّة لذلك، وسيأتي إن شاء تعالي بعض القصص في ذلك في المقصد الثاني.

ومنها: أنّ الشيعة عارفون بأنّه (عجل الله تعالي فرجه الشريف) ينظر إليهم، ويطلع علي حالاتهم، ويدخل في مجالسهم ربما يستحيون منه، فيورث منع نفوسهم عن ارتكاب القبائح والمنكرات. ومنها: أنّ أعمال الشيعة وصحائفهم يعرض عليه في كلّ أسبوع مرّة أو مرتين، فكّما يمكن الاصلاح فيه يصلحه، ويستغفر لهم، ويطلب العفو عنهم.

ومنها: أنّ كلّ ما قدر علي العباد و جري القضاء لهم يعرض عليه في ليلة القدر في كلّ سنة، فكّما يقبل البداء والتغيير بالدعاء والتضرّع يدعو لهم، ويطلب التغيير والبداء.

إلي غير ذلك من الفوائد المهمّة والمنافع العامّة والخاصّة، فمثل وجوده في غيبته مثل الشمس في رابعة النهار في يوم الغيم لا يري شخصه ويترتب عليه جميع الفوائد المتوقّعة منه.

وأما سرّ غيبته ووجهها: خوف نفسه من الأعداء والجبابرة والطغات في كلّ عصر وزمان، وليس حاله كحال آبائه الطاهرين وأجداده المعصومين (عليهم السلام)؛ لأنّهم (عليهم السلام) مع أنّهم عملوا التقية كما ورد عنهم (عليهم السلام): «التَّقِيَّةُ دِينِي وَ دِينُ آبَائِي»⁽¹⁾،

و كانوا ملتزمين بيّتهم، قد أخرجهم فراعنة عصرهم، وحبسوهم وقتلوهم وسمّوهم، فكيف به (عليه السلام) مع وصول الأخبار المتواترة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و

ص: 168

1- بحار الأنوار، ج 2، ص 74، ح 41 و ج 63، ص 495؛ المحاسن، ج 1، ص 255، باب 31، ح 286.

آبائه الطيبين (عليهم السلام) إليهم أنه يقتل الجبابرة و الفراعنة و الفسقة و الظلمة، و يظهر الحق و ينصر أهله، و يزهق الباطل و يهلك أهله.

و دعوي أنّ ذلك يوجب غيبته عن أعدائه و مخالفه دون أوليائه و موافقيه لعدم الخوف عنهم.

مدفوعة بأنه مضافاً إلي أنّ ظهوره لأوليائه يورث إشاعة خبره، و مضافاً إلي أنّه في مدّة الغيبة الصغرى قد ظهر لبعض الأولياء، و تمكّنوا من التشرّف عنده، و تبليغ الحاجات لديه بتوسّط نوابه الخاصّة، بل قد ظهر في الغيبة العامّة أيضاً لجماعة كثيرة من أوليائه و تشرّفوا بخدمته، إنّ ذلك يورث وضوح التمييز بين الولي و العدو، فيظهر البواطن، و يكشف السرائر، مع أنّ الدنيا دار الستر، و الله تعالى ستار العيوب.

فهذا نظير أن يقال: إنّ الله تعالى لم يكتب في جبين الكافر و الفاسق و الظالم أنّه كافر ظالم فاسق، و في جبين المؤمن الصالح أنّه مؤمن صالح، فينسدّ باب المعاشرات و المراودات و الخلط و الاختلاط، فكما أنّ يوم القيامة يوم تبلي السرائر، و يمتاز المؤمن عن الكافر غاية التمييز، فكذلك عند ظهور الحجّة (عليه السلام) يمتاز الولي عن العدو غاية التمييز.

و أمّا طول غيبته، فهو أمر إلهي كسائر أفعال الله تعالى منوط ببلوغ زمانه و تحقّق المصلحة في ظهوره؛ لأنّ ظهوره و فرجه ليس باختياره، بل هو (عليه السلام) منتظر لأمر الله، و الله تعالى محيط عالم بالمصالح و المفسدات، فإذا تحقّق المصلحة لا يؤخّر ساعةً و لا يقدم.

بل يظهر من الأخبار و أدعية الفرّج أنّه من الأمور القابلة للتغيير و البداء في

تعجيله وتأخيره لا في أصله بسبب المصالح والمفاسد، فلا يعلمه إلا الله. و من الممكن أن يكون دعاء الفرج و طلب تعجيل الظهور و عبادات الشيعة و انتظارهم الفرج من المصالح المورثة للتعجيل، و معاصي العباد تورث التأخير، بل لعلّ ملأ الأرض ظلماً و جوراً الذي لا بدّ من تحقّقه قبل الظهور بنصّ الأخبار المتواترة لم يتحقّق بعد، بل كثير من علائم الظهور لاسيما الحتميات منها لم يتحقّق بعد، و إن كان أكثرها متحقّقة.

و من هنا ظهر لك وجه عدم تعيين الأئمة (عليهم السلام) وقته، بل نهوا عنه و قالوا: «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ»⁽¹⁾، مضافاً إليّ أنّه لو عيّن وقت الظهور كانت الشيعة يعلمون أنّهم لا يدركون زمانه لماتوا غمّاً و همماً، و لما يدركون ثواب الانتظار.

فقد ظهر لك _ بحمد الله و منّه _ الجواب عن الأمور العشرة التي انتقضوا أعداء الدين بعصمة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

مع أنّه يمكن لنا الجواب عن الكلّ بوجه آخر كليّ، و هو أنّ أفعالهم (عليهم السلام) نظير أفعال الله تعالى، حيث إنّ ثبت بالأدلة العقلية أنّ الله تعالى عدل في أفعاله لا يصدر منه قبيح و لا لغو، بل جميع أفعاله تابع للمصالح، و ليس لنا البحث عن حكمة كلّ فعل فعل، و أنّ مصلحته ماذا، بل لا يمكن الإحاطة بجميع مصلح أفعاله، فلو صدر من الله تعالى فعل لم نعرف حكمته و مصلحته، أو توهم متوهم كونه ذا مفسدة، لا يمكن دعوي كون هذا الفعل بلا مصلحة، أو ذا مفسدة، بل يجب الإذعان الاجمالي بأنّه ذو مصلحة لا نعرفها و لا ندركها.

فكذلك بعد قيام البراهين القطعية من الآيات و الأخبار و نصّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم)

ص: 170

1- _ الكافي، ج 1، ص 368، باب كراهية التوقيف.

و الإمام (عليه السلام) السابق علي إمامة اللاحق و عصمته و طهارته، كآية التطهير و نحوه، فلو صدر منهم فعل لم نعرف وجهه، فلا يمكن إنكار عصمتهم، بل يجب الإذعان الاجمالي بأن له وجه وجيه لا نعرفه ولا ندرکه، وإنما يكون علمه عندهم (عليهم السلام).

هذا ما خطر بالبال عاجلاً في اشتراط العصمة في الخليفة، و الحمد لله أولاً و آخرأً و ظاهراً و باطنأً.

الشرط الثاني: الأكمليّة و الأفضليّة

من الشرائط المعتبرة في الإمام الأكمليّة و الأفضليّة علي جميع الرعية في جميع الكمالات البشرية، و الصفات الانسانية، و هذا الشرط يتضمّن أمورأً:

الأول: كون الإمام متّصفاً بجميع الصفات الحسنة، و الأخلاق الحميدة، و العبادات البدنية، مثل العلم، و المعرفة، و الإيمان، و اليقين، و الخوف و الرجاء، و الغيرة و الوقار، و حسن الظنّ بالخالق و المخلوق، و الحلم و العفو و الكظم، و حسن البشر، و النصيحة و المحبّة و الارشاد و الهداية، و التواضع و الانقياد، و الانصاف و الترحّم و العفّة، و الزهد، و القناعة، و السخاوة، و الورع، و التقوي، و الأمانة، و العدل و الاحسان، و إعانة المسلمين، و الصلة و البرّ و الصدق و الخلوص و الإطاعة، و الحياء و التسليم، و الرضا و الصبر، و التوكلّ و الشكر و العدالة، و غيرها من الملكات الفاضلة.

الثاني: كون تلك الملكات كلّها في أعلي مراتبها؛ لوضوح أنّ كلاً منها له مراتب غير متناهية، و كلّ مرتبة دون المرتبة العليا ناقصة بالنسبة إلي فوقها، فتكون كالفارق لها، و المراد من أعلي المراتب التي يمكن أن يكون الانسان

الثالث: أن يكون كل ذلك موهوباً لا كسبياً من واهب العطايا.

الرابع: أن يكون علمه بجميع ما يحتاج إليه الأمة من الجنّ والإنس، فيكون عالماً بجميع اللغات والألسن، قادراً علي دفع جميع الشبهات، متمكناً عن المعاشرة مع جميع الطبقات من الجنّ والإنس.

الخامس: أن لا يزول صبره بالمصائب، ولا شكره بالنوائب، ولا رضاه بالنكبات، ولا يقينه بالشبهات، ولا توكله بفقدان الأسباب، ولا إحسانه بالإساءة، ولا صداقته بالعداوة، وهكذا.

السادس: أن لا يكون في الصفات الخلقية والحسبية والنسبية من تشوّه الخلقه وقبح المنظر، ونقصان الخلقه، ودناءة الآباء، وعهر الأمّهات، ما يوجب تنفّر الناس عنه، وصعوبة الانقياد له.

السابع: أن لا يرتكب الأفعال الخسيسة الدنية في نظر أهل الزمان، مثل الحياكة والحجامة والزبالة والقصابة، والأكل في الطريق، و المجالسة مع الأراذل والأوباش، و منافيات المروءة التي تورث عدم الوقع به في نظر الناس، وسقوطه عن أعينهم.

الثامن: أن يكون جميع تلك الملكات غير مختصة بزمان دون زمان، بل يكون متصفاً بجميع تلك الصفات في تمام دهره وزمانه.

ص: 172

1- أقول: من راجع الأخبار وتأمل فيها يجد الأخبار الكثيرة تدلّ علي أنّ المحلّ قابل والله تعالي يقدر علي الإفاضة والإعطاء بما يشاء علي علمهم و درجاتهم و ... فلاحظ روايات إزدياد علومهم (عليهم السلام) في ليالي القدر و الجمعة و يوماً فيوماً و أنا فأنأ. (عا)

التاسع: أن يكون في كل من تلك الصفات و الملكات أفضل و أكمل من جميع أفراد الأمة و الرعية في زمانه لئلا يوجب ترجيح المرجوح علي الراجح.

نعم في الصفات الخلقية و الحسبية و النسبية لا يلزم كونه أفضل من الجميع؛ لأن تلك الصفات لا يورث كمالاً للنفس، و لا مدخلية لها في شرافة النفس، بل الغرض منها عدم صعوبة الانقياد، و عدم تنفر الطباع عنه، بل ربما يكون الأكمالية موجبة لصعوبة المجالسة و المعاشرة و الانقياد لبعض طبقات الناس.

العاشر: أن يكون مظهراً تاماً في جميع الصفات الربوية، بحيث لا يكون أتم منه في شيء من المخلوقات، و كذا في جميع الأفعال الربوية ممّا يكون أن يكون لها مظهر.

تنبيه: المراد من كون تلك الملكات موهوباً لا كسبياً، كونه بإفاضة الله تعالى، سواء كان بلا واسطة، أو بواسطة ملك أو نبي أو وصي، فكون علم الإمام مأخوذاً من النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أو من إمام قبله لا يصيرُه كسبياً؛ لأن أخذ الإمام من النبي أو من إمام سابق ليس كأخذ الناس بعضهم من بعض؛ لأنه يأخذ منه في طرفة العين ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، كما تشاهد في أحوال أئمتنا صلوات الله عليهم عند احتضارهم إيداع و دائع الإمامة إلي الإمام بعده؛ لأن كل ذلك من الله و ليس في مقدرة البشر.

إذا عرفت ذلك، فنقول: الدليل علي اعتبار جميع ما ذكر في الإمام وجوه:

الأول: أن الله تعالى قادر علي جعل الإمام كذلك، و فيه مصلحة الأمة قطعاً، و لا مفسدة فيه أصلاً، فيجب بمقتضي حكمته و عدله. الثاني: أن الترجيح من غير مرجح قبيح، بل محال في الجملة، و كذا

ترجيح المرجوح علي الراجح قبيح، و هو محال علي الله تعالي، و لولم يكن الإمام كذلك لزم: إما الترجيح من غير مرجح، أو المرجوح علي الراجح.

الثالث: أنه لولم يكن كذلك لزم نقض الغرض المحال علي الحكيم تعالي، كما تقدّم بيانه في بحث النبوة.

تنبيه: لا يخفي عليك إذا تأملت ما ذكرنا في هذا الباب، و تأملت حالات أئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين، و قايست حالاتهم مع حالات أهل زمانهم سيما مخالفيهم، تجد كل واحد واحد من تلك الملكات، بل كل مرتبة من مراتبها دليلاً عقلياً علي إمامتهم، و ما تمسك العلامة (قدس سره) (1)

من ألف دليل عقلي علي خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) راجعة إلي ذلك، فتدبر.

ثم إنه ينبغي أن نختم هذا الكلام بذكر حديث شريف عشرت عليه في صفات الإمام (عليه السلام) قد نقله في البحار في المجلد السابع في باب صفات الإمام (عليه السلام).

قال (قدس سره): البرسي في مشارق الأنوار، عن طارق بن شهاب، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: يَا طَارِقُ! الْإِمَامُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَ حُجَّةُ اللَّهِ وَ وَجْهُ اللَّهِ وَ نُورُ اللَّهِ وَ حِجَابُ اللَّهِ وَ آيَةُ اللَّهِ يَخْتَارُهُ اللَّهُ وَ يَجْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ وَ يُوجِبُ لَهُ بِذَلِكَ الطَّاعَةَ وَ الْوَلَايَةَ عَلَي جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَهُوَ وَلِيُّهُ فِي سَمَاوَاتِهِ وَ أَرْضِهِ، أَخَذَ لَهُ بِذَلِكَ الْعَهْدَ عَلَي جَمِيعِ عِبَادِهِ، فَمَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ شَاءَ، وَ يُكْتُبُ عَلَي عَضُدِهِ: «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا» (2).

ص: 174

1- في كتابه الألفين في الإمامة.

2- سورة الأنعام: 115.

فَهُوَ الصِّدْقُ وَالْعَدْلُ، وَيُنْصَبُ لَهُ عَمُودٌ مِنْ نُورٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ يَرَى فِيهِ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَيُلْبَسُ الْهَيْبَةَ وَعِلْمَ الصَّمِيرِ، وَيَطَّلِعُ عَلَيِ الْغُيُوبِ، وَيَرَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَيُعْطِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ عِنْدَ وِلَايَتِهِ، فَهَذَا الَّذِي يَخْتَارُهُ اللَّهُ لَوُحِيهِ، وَيَرْتَضِيهِ لِغَيْبِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ بِكَلِمَتِهِ، وَيُلْقِنُهُ حِكْمَتَهُ، وَيَجْعَلُ قَلْبَهُ مَكَانَ مَشِيَّتِهِ، وَيُنَادِي لَهُ بِالسَّلْطَنَةِ، وَيُذَعِّنُ لَهُ بِالْإِمْرَةِ، وَ يَحْكُمُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ، وَ مَنْزِلَةُ الْأَصْدَفِيَاءِ، وَ خِلَافَةُ اللَّهِ، وَ خِلَافَةُ رُسُلِ اللَّهِ، فَهِيَ عَصْمَةٌ وَ وِلَايَةٌ وَ سَلْطَنَةٌ وَ هِدَايَةٌ، وَ إِنَّهُ تَمَامُ الدِّينِ، وَ رُجْحُ الْمَوَازِينِ. (1)

الإمام دليل للقاصدين، و منار للمهتدين، و سبيل السالكين، و شمس مشرقة في قلوب العارفين، و لايته سد باب للنجاة، و طاعته مفترضة في الحياة، و عدة (2) بعد الممات، و عز المؤمنين، و شفاعة المدينين، و نجاة المحبين، و فوز التابعين، لأنها رأس الإسلام، و كمال الإيمان، و معرفة الحدود و الأحكام، و تبيين الحلال من الحرام، فهي مرتبة لا ينالها إلا من اختاره الله، و قدمه و ولأه و حكّمه، فالولاية هي حفظ الثغور، و تدبير الأمور، و تعديل الأيام و الشهور.

الإمام الماء العذب على الظم، و الدال على الهدى. الإمام المطهر من الذنوب، المطلع على الغيوب.

الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار، فلا تناله الأيدي و الأبصار، و

ص: 175

1- أي: موازين القيامة رجحت بالولاية «منه».

2- أي: ما أعدته لحوادث الدهر من مال و سلام. لسان العرب، ج 3، ص 284.

إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (1)، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَيَّ وَعِتْرَتُهُ (عليهم السلام)، فَالْعِزَّةُ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله و سلم) وَلِلْعِتْرَةِ، وَ النَّبِيُّ وَالْعِتْرَةُ لَا يَفْتَرِقَانِ فِي الْعِزَّةِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، فَهُمُ رَأْسُ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، وَقُطْبُ الْوُجُودِ، وَسَمَاءُ الْجُودِ، وَشَرْفُ الْمَوْجُودِ، وَضَوْءُ شَمْسِ الشَّرَفِ، وَنُورُ قَمَرِهِ، وَأَصْلُ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ، وَمَبْدُوءُهُ وَمَعْنَاهُ وَمَبْنَاهُ.

فَالْإِمَامُ هُوَ السَّرَاجُ الْوَهَّاجُ، وَالسَّبِيلُ وَالْمِنْهَاجُ، وَالْمَاءُ الشَّجَاجُ، وَالْبَحْرُ الْعَجَّاجُ، وَالْبَدْرُ الْمُسْرِقُ، وَالْغَدِيرُ الْمُعْدِقُ (2)، وَالْمَنْهَجُ الْوَاضِحُ الْمَسَالِكُ، وَالذَّلِيلُ إِذَا عَمَّتِ الْمَهَالِكُ، وَالسَّحَابُ الْهَاطِلُ (3)،

وَالْعَيْتُ الْهَامِلُ (4)،

وَالْبَدْرُ الْكَامِلُ، وَالذَّلِيلُ الْفَاضِلُ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ، وَالنَّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ، وَالْبَحْرُ الَّذِي لَا يُنْزَفُ، وَالشَّرْفُ الَّذِي لَا يُوصَفُ، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَ الرَّوْضَةُ الْمَطِيرَةُ، وَالرَّهْرُ الْأَرِيحُ (5)،

وَالْبَدْرُ الْبَهِيحُ، وَ النَّبِيرُ اللَّائِيحُ، وَ الطَّيْبُ الْفَائِيحُ (6)،

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالْمَنْجَرُ الرَّابِحُ، وَالْمَنْهَجُ الْوَاضِحُ، وَ الطَّيْبُ الرَّفِيقُ، وَ الْأَبُ الشَّفِيقُ، مَفْرَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّوَاهِي، وَ الْحَاكِمُ وَالْأَهْرُ وَ النَّاهِي.

مُهِيمِنُ اللَّهِ عَلَيِ الْخَلَائِقِ، وَ أَمِينُهُ عَلَيِ الْحَقَائِقِ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيِ عِبَادِهِ، وَ

ص: 176

1- _ سورة المنافقون: 8.

2- _ كثر قطره «منه».

3- _ المطر المتفرق عظيم القطر «منه».

4- _ دائم المطر «منه».

5- _ هيجان ريحه «منه».

6- _ انتشار رائحته «منه».

مَحَبَّتُهُ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ، مُطَهَّرٌ مِنَ الدَّنُوبِ، مُبْرَأٌ مِنَ الْعُيُوبِ، مُطَّلِعٌ عَلَى الْغُيُوبِ، ظَاهِرُهُ أَمْرٌ لَا يُمْلِكُ، وَبَاطِنُهُ غَيْبٌ لَا يُدْرِكُ، وَاحِدٌ دَهْرِهِ، وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، لَا يُوجَدُ لَهُ مِثْلٌ، وَلَا يَقُومُ لَهُ بَدِيلٌ.

فَمَنْ ذَا يَدَالُ مَعْرِفَتَنَا، أَوْ يَعْرِفُ دَرَجَتَنَا، أَوْ يَشْهَدُ كِرَامَتَنَا، أَوْ يُدْرِكُ مَنْزِلَتَنَا، حَارَتِ الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ، وَتَاهَتِ الْأَفْهَامُ فِيمَا أَقُولُ، تَصَاغَرَتِ الْعُظْمَاءُ، وَتَقَاصَدَتِ الْعُلَمَاءُ، وَكَلَّتِ الشُّعْرَاءُ، وَخَرَسَتِ الْبُلَغَاءُ، وَكَانَتْ (1) الْحُطَبَاءُ، وَعَجَزَتِ الْفُصَحَاءُ، وَتَوَاضَعَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَنِ وُصْفِ شَأْنِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهَلْ يُعْرِفُ أَوْ يُوصَفُ أَوْ يَعْلَمُ أَوْ يُفْهَمُ أَوْ يُدْرِكُ أَوْ يُمْلِكُ مَنْ هُوَ شَيْءٌ عَمَّا جَلَّالِ الْكِبْرِيَاءِ وَشَدْرَفِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، جَلَّ مَقَامِ آلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام) عَنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ، وَنَعْتِ النَّاعَتِينَ، وَأَنْ يُقَاسَ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، كَيْفَ؟

وَهُمُ الْكَلِمَةُ الْعَلِيَاءُ، وَالتَّسْمِيَةُ الْبَيْضَاءُ، وَالْوَحْدَانِيَّةُ الْكُبْرَى، الَّتِي أَعْرَضَ عَنْهَا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى، وَحِجَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الْأَعْلَى، فَأَيْنَ الْإِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا؟! وَأَيْنَ الْعُقُولُ مِنْ هَذَا؟! وَمَنْ ذَا عَرَفَ أَوْ وَصَفَ مَنْ وَصَفَتْ؟ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ فِي غَيْرِ آلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام) كَذَبُوا وَزَلَّتْ أَوْدَامُهُمْ، اتَّخَذُوا الْعِجْلَ رَبًّا، وَالشَّيَاطِينَ حِزْبًا، كُلُّ ذَلِكَ بِغَضَّةٍ لَبِيتِ الصَّفْوَةِ، وَدَارِ الْعِصْمَةِ، وَحَسَدًا لِمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ وَالْحِكْمَةِ، «وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» (2)،

فَتَبَّأَ لَهُمْ وَسُحِقًا، كَيْفَ اخْتَارُوا إِمَامًا جَاهِلًا عَابِدًا لِلْأَصْنَامِ، جَبَانًا يَوْمَ الرَّحَامِ؟

وَإِلْمَامٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا لَا يَجْهَلُ، وَشُجَاعًا لَا يَتَكَلَّمُ، لَا يَعْلُو عَلَيْهِ

ص: 177

1- _ أي: خرس (منه).

2- _ سورة العنكبوت: 38.

حَسَبٌ، وَلَا يُدَانِيهِ نَسَبٌ، فَهَو فِي الذَّرْوَةِ مِنْ فَرِيضٍ، وَالشَّرَفُ مِنْ هَاشِمٍ، وَالْبَقِيَّةُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَالنَّهْجُ مِنَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَالنَّفْسُ مِنَ الرَّسُولِ، وَالرِّضَى مِنَ اللَّهِ، وَالْقَوْلُ عَنِ اللَّهِ، فَهُوَ شَرَفُ الْأَشْرَافِ، وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ، قَانِمٌ بِالرِّئَاسَةِ، مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ إِلَى يَوْمِ السَّاعَةِ، أَوْدَعَ اللَّهُ قَلْبَهُ سِرَّهُ، وَأَطْلَقَ بِهِ لِسَانَهُ، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُوَفَّقٌ لَيْسَ بِجَبَانٍ وَلَا جَاهِلٍ، فَتَرَكُوهُ يَا طَارِقُ! «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» (1)،

«وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» (2).

وَ الْإِمَامُ يَا طَارِقُ! بَشَرٌ مَلَكِيٌّ، وَ جَسَدٌ سَمَاوِيٌّ، وَ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ، وَ رُوحٌ قُدْسِيٌّ، وَ مَقَامٌ عَلِيٌّ، وَ نُورٌ جَلِيٌّ، وَ سِرٌّ خَفِيٌّ، فَهُوَ مَلَكُ الدَّاتِ، إِلَهِيٌّ الصِّفَاتِ، زَانِدُ الْحَسَنَاتِ، عَالِمٌ بِالْمُعَيَّنَاتِ، خَصًّا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ نَصًّا مِنَ الصَّادِقِ الْأَمِينِ.

وَ هَذَا كُلُّهُ لِأَنَّ مُحَمَّدًا (عليهم السلام) لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ مُشَارِكٌ، لِأَنَّهُمْ مَعْدِنُ التَّنْزِيلِ، وَ مَعْنَى التَّأْوِيلِ، وَ خَاصَّةُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ، وَ مَهْبِطُ الْأَمِينِ جَبْرَيْلَ، صَفْوَةُ اللَّهِ وَ سِرُّهُ وَ كَلِمَتُهُ، شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَ مَعْدِنُ الصِّفْوَةِ، عَيْنُ الْمَقَالَةِ، وَ مُنْتَهَى الدَّلَالَةِ، وَ مُحْكَمُ الرَّسَالَةِ، وَ نُورُ الْجَلَالَةِ، جَنبُ اللَّهِ وَ وَدِيعَتُهُ، وَ مَوْضِعُ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَ مِفْتَاحُ حِكْمَتِهِ، وَ مَصَابِيحُ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَ يَتَابِعُ نِعْمَتَهُ.

السَّبِيلُ إِلَى اللَّهِ، وَ السَّلْسَبِيلُ وَ الْقَسَدُ طَاسُ الْمُسَدِّ تَقِيمٌ، وَ الْمِنْهَاجُ الْقَوِيمٌ، وَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَ الْوَجْهُ الْكَرِيمُ، وَ النُّورُ الْقَدِيمُ، أَهْلُ الشَّرِيفِ وَ التَّقْوِيمِ وَ التَّقْدِيمِ وَ التَّعْظِيمِ وَ التَّقْضِيلِ، خُلَفَاءُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَ أَبْنَاءُ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، وَ

ص: 178

1- سورة محمد (صلي الله عليه وآله) : 14.

2- سورة القصص: 50.

أَمْنَاءُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ: «ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (1)، السَّنَامُ الْأَعْظَمُ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ.

مَنْ عَرَفَهُمْ وَأَخَذَ عَنْهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» (2)، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، وَوَلَّاهُمْ أَمْرَ مَمْلَكَتِهِ، فَهُمْ سِرُّ اللَّهِ الْمَخْزُونُ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ، إِلَيَّ اللَّهُ يَدْعُونَ، وَعَنْهُ يَقُولُونَ، وَبِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي عِلْمِهِمْ، وَسِرُّ الْأَوْصِيَاءِ فِي سِرِّهِمْ، وَعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ فِي عِزِّهِمْ، كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ، وَالذَّرَّةُ فِي الْقَفْرِ، وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عِنْدَ الْإِمَامِ كَيْدِهِ مِنْ رَاحَتِهِ، يَعْرِفُ ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَيَعْلَمُ بَرَّهَا مِنْ فَاجِرِهَا، وَرَطَبَهَا وَيَابِسَهَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَوَرِثَ ذَلِكَ السِّرَّ الْمَصُونَ الْأَوْصِيَاءَ الْمُتَتَجِبُونَ، وَمَنْ أَنْكَرَتْ ذَلِكَ فَهُوَ شَقِيٌّ مُلْعُونٌ، يَلْعَنُهُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُ اللَّاعِنُونَ.

وَكَيفَ يَفْرِضُ اللَّهُ عَلَيَّ عِبَادَهُ طَاعَةً مَنْ يُحِبُّ عَنْهُ مَلَكَوَتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام) تَنْصَرِفُ إِلَيَّ سَبْعِينَ وَجْهًا، وَكُلُّ مَا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْكِتَابِ الْكَرِيمِ، وَالْكَلامِ الْقَدِيمِ، مِنْ آيَةٍ تُذَكِّرُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْوَجْهَ وَالْيَدَ وَالْجَنْبَ، فَالْمُرَادُ مِنْهَا الْوَلِيُّ، لِأَنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ، وَوَجْهُ اللَّهِ، يَعْنِي حَقَّ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ، وَعَيْنُ اللَّهِ، وَيَدُ اللَّهِ، فَهُمْ الْجَنْبُ الْعَلِيُّ، وَالْوَجْهُ الرَّضِيُّ، وَالْمَنْهَلُ الرَّوِيُّ، وَالصِّرَاطُ السَّوِيُّ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَيَّ اللَّهُ، وَالْوَصْلَةُ إِلَيَّ عَفْوُهُ وَرِضَاؤُهُ، سِرُّ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ، فَلَا يُقَاسُ بِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدٌ.

ص: 179

1- _ سورة آل عمران: 34.

2- _ سورة إبراهيم: 36.

فَهُمْ خَاصَّةُ اللَّهِ وَخَالِصَتُهُ، وَسِرُّ الدِّيَانِ وَكَلِمَتُهُ، وَبَابُ الْإِيْمَانِ وَكَعْبَتُهُ، وَحُجَّةُ اللَّهِ وَمَحَجَّتُهُ، وَأَعْلَامُ الْهُدَى وَرَايَتُهُ، وَفَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ وَحَقِيقَتُهُ، وَصِدْرَاطُ الْحَقِّ وَعِصْمَتُهُ، وَمَبْدَأُ الْوُجُودِ وَعَايَتُهُ، وَقُدْرَةُ الرَّبِّ وَمَشِيئَتُهُ، وَأُمُّ الْكِتَابِ وَخَاتِمَتُهُ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ وَدَلَالَتُهُ، وَخَزَنَةُ الْوَحْيِ وَحَفْظَتُهُ، وَآيَةُ الذِّكْرِ وَتَرَاجِمَتُهُ، وَمَعْدِنُ التَّنْزِيلِ وَنَهَائَتُهُ.

فَهُمُ الْكَوَاكِبُ الْعُلَوِيَّةُ، وَالْأَنْوَارُ الْعُلَوِيَّةُ، الْمُسْتَرْقَةُ مِنْ شَمْسِ، الْعِصْمَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي سَمَاءِ الْعِظْمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالْأَعْصَانُ النَّبَوِيَّةُ النَّائِبَةُ فِي دَوْحَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ، وَالْأَسْرَارُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُوَدَّعَةُ فِي الْهَيْكَلِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالذُّرِّيَّةُ الزَّكِيَّةُ وَالْعَتْرَةُ الْهَاشِمِيَّةُ الْهَادِيَّةُ الْمَهْدِيَّةُ، «أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» (1).

فَهُمُ الْأَيْمَةُ الطَّاهِرُونَ، وَالْعَتْرَةُ الْمَعْصُومُونَ، وَالذُّرِّيَّةُ الْأَكْرَمُونَ، وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْكَبْرَاءُ الصِّدِّيقُونَ، وَالْأَوْصِيَاءُ الْمُتَّجِبُونَ، وَالْأَسْبَاطُ الْمَرْضِيُّونَ، وَالْهُدَاةُ الْمَهْدِيُّونَ، وَالْعُرُّ الْمَيَامِينُ مِنْ آلِ طه وَيَاسِينَ، وَحُجَّجُ اللَّهِ عَلَيِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ.

اسْمُهُمْ مَكْتُوبٌ عَلَيِ الْأَحْبَارِ، وَعَلَيِ أَوْزَاقِ الْأَشْجَارِ، وَعَلَيِ أَجْنِحَةِ الْأَطْيَارِ، وَعَلَيِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَعَلَيِ الْعَرْشِ وَالْأَفْلَاقِ، وَعَلَيِ أَجْنِحَةِ الْأَمْلَاقِ، وَعَلَيِ حُجُبِ الْجَلَالِ وَسُدِّ رَادِفَاتِ الْعِزِّ وَالْجَمَالِ، وَبِاسْمِهِمْ تُسَبِّحُ الْأَطْيَارُ، وَتَسْتَغْفِرُ لِشِعْبَتِهِمُ الْحَيْتَانُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، وَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا إِلَّا وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْإِفْرَارَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْوَلَايَةَ لِلذُّرِّيَّةِ الزَّكِيَّةِ، وَالْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَإِنَّ الْعَرْشَ لَمْ يَسْتَقِرَّ حَتَّى كُتِبَ عَلَيْهِ بِالنُّورِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيَّ

ص: 180

أقول: وقد ذكرنا في هذه الوجيزة الرواية المروية عن الكافي عن عبدالعزيز، عن الرضا (عليه السلام) من جملة صفات الإمام (عليه السلام) ، فراجع ينفعك في المقام. (2)

الشرط الثالث: في لزوم كون الإمام (عليه السلام) صاحب المعجزة

أقول: قد تقدّم في الأمر السادس من المقام الثالث، وفي مسألة اعتبار العصمة في الإمام، وفي الشرط المتقدم آنفاً من لزوم الأكملية، أنّ للإمام شؤوناً وفضائل وعلومًا وصفاتٍ لا يمكن الإحاطة بها إلا للعالم بالسرّ والخفيات؛ لأنّ جلّها لولا كلّها من الأمور الباطنية التي تكون أغلبها علي خلاف العادة البشرية؛ لأنّ الطاقة البشرية لا تبلغ إلي هذا الحدّ من العلم والعصمة والفضائل الخلقية، والكمالات النفسية، والشؤون المعنوية، كلّ إلي الدرجة العليا، والمرتبة الرفيعة، ومن المعلوم أنّ هذه موهبة إلهية لا ينالها إلا من خصّه الله بعناياته الخاصّة.

ومن الواضح أنّ الناس يحبونها وينالون تلك الدرجة فيدعونها، فاللازم حصول العلم القطعي الذي لا يعتريه ريب ولا شكّ في كونه صادقاً في دعواه، ولا يحصل العلم المذكور لأغلب الناس إلاّ بأمور:

أحدها: النبي أو الإمام الثابت إمامته بكونه إماماً نصّاً قطعياً بالخبر المتواترين الفريقين، كالنصّ علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم الغدير وغيره، أو إخبار معصوم ثابت عصمته المانع عن الكذب والخطأ، أو الاتيان بالمعجزة الخارقة

ص: 181

1- بحار الأنوار، ج25، ص169، ح39؛ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص177.

2- الكافي، ج1، ص198، ح1.

عن العادة، و الخارجة عن الطاقة البشرية و حدود قدرتها، و عن موازين التعليم و التعلّم و الصنعة، و قد اعتبرنا في بحث النبوة العامة أموراً
اثني عشر في المعجزة:

الأول: كونها حجة كافية قاطعة للمعاذير، مقتضية للتصديق و الإيمان بالمدعي.

الثاني: كونها بحيث يمكن العلم بها حين الدعوة، بأن سبقت الدعوة أو قارنتها.

الثالث: لا يلزم تصديق كافة الأمة حتى المبتلي بداء العصبية أو التقليد.

الرابع: إن ثبت إمامته بالنص القطعي أو إخبار معصوم، لا يلزم في دعواه إقامة المعجزة؛ لأن الغرض منها حصول القطع بصدق الدعوي و
قد حصل.

الخامس: من ثبت بالقطع عصمته و اتصافه بما يعتبر في الإمامة لا يحتاج إلي إقامة المعجزة؛ لأن نفس عصمته مانعة عن الكذب.

السادس: لا يكفي في المعجزة الإخبار عن الأمور المستقبلية؛ لعدم حصول العلم بها حين الدعوي، نعم لمن أدرك زمان المستقبل و رأي
ما أخبر به يكون في حقه المعجزة.

السابع: لا يلزم في المعجزة مشاهدة جميع الأمة حتى الأجيال المتأخرة، بل يعتبر حصول العلم بصورها منه بالتواتر القطعي. الثامن: من
لا يميّز بين المعجزة و السحر و الصناعة يجب عليه الرجوع إلي أهل الصناعة و السحر ممن يعتمد عليه و يركن إليه، فإن لم يحصل له
التمييز من دون عصبية و تقليد و مخادعة فهو معذور.

التاسع: لا يلزم أن يكون المعجزة علي نحو خاص، بل اللازم حصول العلم بصدق الدعوي، ولهذا اختلفت المعجزات.

العاشر: ولا يلزم اعتضاد المعجزة باخبار النبي أو الإمام أو المعصوم؛ لأنّ كلّ واحد منها حجّة كافية مستقلة.

الحادي عشر: لا يلزم تكرار المعجزة عند كلّ طلب و اقتراح؛ لأنّها تصير حينئذ ملعبة للناس.

الثاني عشر: لا يلزم كون المدّعي قادراً عليها كلّ حين؛ لأنّها فعل الله و تحت مشيئته، و اجرائه بيده منوط بمشيئة الله تعالى.

وقد تقدّم هناك أيضاً في الفرق بين المعجزة و بين السحر و تلك الصناعات العصرية أنّ السحر بأقسامه و تلك الصناعات بأنواعها كلّها ليست خارقة للعادة، و لا خارجة عن طوق البشر، و لا عن قوانين التعليم و التعلّم، و ليست علي خلاف الطبيعة، بل يقدر كلّ أحد تعلّمه و صنعته علي وفق الطبيعة، و أين هذا مع المعجزة التي لو اجتمعت الإنس و الجنّ علي أن يأتوا بمثلها لا يأتون بمثلها و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

تنبيه: سيأتي إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند بيان المعاجز الصادرة عن أئمّتنا الاثني عشر عليهم صلوات الله الملك الأكبر أنّ المعاجز الصادرة عنهم (عليهم السلام) خارجة عن حدّ يمكن إحصائها.

و ما جمعها في مدينة المعاجز عنهم تبلغ ألفين و ستّة و ستّين معجزة، و هي مع اشتغال أكثرها علي معاجز كثيرة كانت ما لم يجمعها بالنسبة إلي ما جمعها أكثر بمراتب، سيما ما صدر من قبورهم و تربتهم، و من التوسّل بهم، بل

بأبنائهم وأصحابهم في كلِّ عصر وزمان، بحيث كلُّ واحد من الشيعة بل وغيرهم رأى في مدَّة حياته منهم معاجز كثيرة.

وتلك المعجزات وإن لم يبلغ كلُّ واحد منها حدَّ العلم القطعي، إلا أنَّ من مجموعها يحصل العلم الاجمالي بصدور كثير منها، وهذا كافٍ لمن استبصر واستهدي، والله الهادي إلى الصواب.

دفع توهم:

قد يقال: إنَّ ما صدر من الإمام لا يطلق عليه المعجزة، بل هي كرامة أكرمه الله تعالى به، والمعجزة مختصة بالأنبياء.

فإنَّه يجب أولاً: أنَّ هذا النزاع لفظي، فإنَّ الغرض كون ذلك دليلاً على إمامته، سواء أطلق عليه المعجزة أم لا.

و ثانياً: أنَّ المعجزة عبارة عن صدور خارق العادة في مقام التحديِّ مقرونةً بالدعوي، سواء كان المدَّعي مدَّعيًا للنبوَّة أو الإمامة، و الكرامة هي صدور خارق العادة غير مقترنة بالدعوي، و لم يكن في مقام التحديِّ، كما صدر من بعض علمائنا رضوان الله عليهم.

المقام السادس: في بيان الموانع

التي تدلُّ على عدم قابلية واجدها للإمامة

وهي كثيرة جداً:

أحدها: فقد بعض الشرائط المتقدِّمة في الإمامة، من ارتكاب ما ينافي

العصمة من الشرك أو الكفر، أو المعاصي الكبيرة أو الصغيرة، ولو في بعض أزمنة عمره، أو صدور سهو منه أو نسيان أو شك أو اشتباه أو خطأ، أو غير ذلك، أو ما ينافي الأكملية، كاتّصافه ببعض الأخلاق الرذيلة من الظلم والكبر والعجب والبخل والحسد والرياء والحقد والجبن والغضب والغلظة والفضاضة والحرص والطمع، وحبّ الدّنيا وغيرها، وأعظم الكلّ الجهل بما يحتاج إليه الأُمَّة من الجنّ والإنس.

وكفقدانه بعض محامد الصفات، من اليقين والتوكّل والصبر والرّضا، والعدل بين الرعية، والشكر والخوف والرجاء والشجاعة والسخاوة، والزهد والتقوي والورع، والاخلاص والستر وحسن الخلق وغيرها، وأعظم الكلّ العلم.

أو كان في الأُمَّة من هو أكمل منه في بعض تلك الصفات، وكعجزه عن إقامة المعجزة عند فقد النصّ القطعي. ثانيها: فساد نسبه من الزنا وعهر الأُمَّهات، كأغلب خلفاء الجور.

ثالثها: نصّ النبي أو الإمام الثابت إمامته أو المعصوم الثابت عصمته علي كذب المدّعي.

رابعها: اعتراف المدّعي بنبوة نبي أو إمامة إمام كان مكذّباً للمدّعي، فإنّه إمّا كاذب في اعترافه فيسقط عن القابلية، وإمّا صادق فيثبت كذب دعواه.

خامسها: وجود علامة فيه كان النبي أو الامام أو المعصوم مخبراً بأنّ ذا العلامة كاذب.

سادسها: ارتكابه بعض القبائح العقلية بل العرفية من منافيات المروءة.

سابعها: دعوي ما يخالف العقل، أو الشرع من نصوص الكتاب أو الخبر المتواتر.

ثامنها: البدعة في الدين بازدياد ما يعلم من الدين خلافه، أو إنكار ما يعلم من الدين ثبوته.

تاسعها: التناقض في احتجاجاته، أو الخلل فيها بحيث يكشف عن جهله بالموازين العقلية.

عاشرها: كونه مرتكباً لبعض الأفعال الخسيسة، كالكناسة و الحياكة و الحجامه و نحوها ممّا يوجب سقوطه عن أعين الناس.

حادي عشرها: ارتكابه ما يخالف الحكمة و المصلحة من الحكم و المصالح العامة أو الشخصية. ثاني عشرها: كان فيه بعض النقائص الخلقية من البرص و الجذام و الصمم و العمي و البكم، و غيرها من النقائص.

تنبيه: من راجع أحوال الخلفاء من الخلفاء الثلاثة و بني أمية و بني العباس، و بعدهم من السلاطين المدّعين للخلافة، يعرف كونهم واجدين لأكثر تلك الموانع لولا كلّها، بل لا يجد في جميع الأمة من زمن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) إلي زماننا من هو فاقد لجميع تلك الموانع سوى أنّنا الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين، و هذا كاف واف لإثبات إمامة هؤلاء و إبطال هؤلاء، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني، مع قطع النظر عن سائر الأدلة، فانتظر.

المقام السابع: مسألة الإمامة من المسائل الأصولية الاعتقادية

إنّ مسألة الإمامة بعينها كمسألة النبوة من المسائل الأصولية الاعتقادية لا يعذر فيها أحد من الجهال فيها، أو الخطأ أو الزلل فيها، و هو مقصّر معاقب بل خارج عن زمرة المؤمنين، و داخل في حزب الكفار و المعاندين، و إن جري

عليه في الدنيا بعض أحكام المسلمين من الطهارة و التناكح و حلّ الذبيحة و التوارث و نحوها، و أمّا في القيامة، فمخلّد في العذاب لا يشم رائحة الجنّة.

و يمكن أن يستدلّ لذلك بوجوه من العقل و النقل:

الأول: قد تقدّم في أوّل بحث الإمامة أنّ الإمامة في الدين أنّ الإمام الذي يجب الاقتداء به في جميع الأمور الدينية أصولاً و فروعاً علماً و عملاً أخلاقاً و أفعالاً، في جميع ما يحتاج إليه الأمة في أمر دينهم و دنياهم و آخرتهم منحيت الديانة، و من الواضح أنّ ذلك في عدل النبوة لا يعذر فيه الجاهل أصلاً، و لا يقبل المسامحة، و الخطأ فيه يوجب زوال الدين رأساً و انقلابه.

الثاني: أنّ الإمامة خلافة الله العظمي و خلافة الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم)، و معني الخليفة هو القائم مقام الرسول، فما يجب عليّ عامّة الأمة إطاعة الرسول في جميع أقواله و أفعاله، فكذا يجب إطاعة الإمام، فلا مناص إلاّ عن معرفته، و أنّ المقصّر في حقّ الإمام كالمقصّر في حقّ الرسول غير معذور.

الثالث: أنّ للإمام ولاية كلّية مطلقة عليّ كافّة الأمة من الجنّ و الإنس، و هو أوليّ بهم من أنفسهم، فيجب الاعتقاد به و معرفته.

الرابع: أنّ الإمام هو الحجّة بين الله و بين الناس، بمعني أنّهم لو خالفوه في شيء من أوامره و نواهيه يحتجّ بهم الله يوم القيامة، و ليس لهم عذر في ذلك، و لو أطاعوه لا يؤاخذهم الله بشيء، فلا مناص إلاّ عن معرفته.

الخامس: قد تقدّم في المقام الثاني في بيان وجه احتياج الأمة إليّ الإمام أنّه لا بدّ في كلّ عصر من وجود شخص عالم بجميع الأمور الدينية من العقائد و الأخلاق و الفروع كلّها، و قادر عليّ دفع شبهات المعاندين و مغالطاتهم و

احتجاجاتهم ومجادلاتهم من أخبار اليهود وعلماء النصاري وسائر الفرق، وإلا لاندرس الدين، ومن المعلوم معرفة هذا الشخص من أوجب الواجبات وأهمّ الفرائض، وهو عدل معرفة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم).

السادس: أنّ الأمة باختلاف طبقاتهم وألسنتهم بل وطبايعهم وأنواعهم منالجنّ والإنس لابدّ لهم من وجود من يعرف ألسنتهم، ويؤانس بهم، ويبيّن وظائفهم وأحكامهم وتكاليفهم، وهو الإمام، فيلزم عليهم أولاً معرفته.

السابع: أنّ الناس بأجمعهم يطرأ عليهم الشكّ والسهو والنسيان والخطأ والاشتباه في كثير من الأمور الدينية كما نشاهد بالوجدان، فالواجب معرفة من يزول به الشكّ ويرفع به السهو والنسيان، ويدفع به الخطأ والاشتباه وهو الإمام، فيجب معرفته.

الثامن: أنّ الناس يحتاجون إلي من ينتصف للمظلوم، ويحكم بين الناس في تشاجراتهم وترافعاتهم، ويجري الحدود، ويقتصّ ممّن يجب عليه القصاص، ولولاه لاختلّ النظام، فالواجب الأهمّ معرفته.

التاسع: قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} (1)، {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (2)، حيث دلّ علي أنّ الولاية الكلّية الإلهية ثابتة بجعله تعالى لأولي الأمر، فيجب معرفتهم أولاً حتّي يدخل تحت ولايتهم، وكيف يعذر من لا يعرف ولي أمره.

ص: 188

1- _ سورة المائدة: 55.

2- _ سورة النساء: 59.

العاشر: قوله تعالى: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (1)، فيجب معرفته أولاً، ثم إطاعته.

الحادي عشر: قوله تعالى: { وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (2)، حيث يجب الكون مع الصادقين، فيجب معرفتهم أولاً.

الثاني عشر: قول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) المثنق بين الفريقين: «مَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، (3) و من الواضح أنّ مِيتة جاهلية أشدّ من مِيتة سائر طبقات الكفر؛ لأنّ أهل الجاهلية لا يعتقدون بشيء من العقائد الحقّة و المعارف الإلهية، رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين.

وقد صرّح البيضاوي و جمع من شرّاح كلامه في كتاب المنهاج علي نقل القاضي نور الله (قدس سره)، أنّ مسألة الإمامة من أعظم مسائل أصول الدين الذي مخالفتها يوجب الكفر و البدعة.

وقال الأستروشي في فصوله بتكفير من لا يقول بإمامة أبي بكر، بل حكم جماعة من العامة بقتل من ظنّ أنّ أبابكر ليس بإمام، أو قال إنّي أعتقد أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بلا واسطة لظنّ أذاني إليه، أو تقليد لبعض المجتهدين.

و العجب كلّ العجب من العامة العمياء كيف جعلوا مسألة الإمام من الفروع و معذورية الجاهل و المخطي ء، و هل يضادّ فعلهم مع قولهم؟

ص: 189

1- سورة النساء: 59.

2- سورة التوبة: 119.

3- إحقاق الحق، ج13، ص85؛ بحار الأنوار، ج32، ص321 و ج51، ص160، ح7.

وبالجملة الإمامة سادة مسدّ النبوة إلا في تلقى الوحي، فيجري فيها ما يجري فيها بعينه، والله الهادي إلى الصواب.

المقام الثامن: في شؤون الإمامة وفضائل الإمام

لا يخفي أنّ في هذه الوجيزة نقلنا حديثاً عن الكافي في فضائل الإمام وشؤونه عن الرضا (عليه السلام) في مرو، والحديث طويل، ونحن نتقصر على ذكر بعض فقرات الحديث ممّا لا مجال لإنكاره لأحد.

فقول مستعينا بالله و متمسكاً بحبل أوليائه: إنّ الإمامة أجلُّ قدرًا، وأعظمُّ شأنًا، وأعلى مكانًا، وأمنع جانبًا، وأبعدُ عورًا من أن يبلغها النَّاسُ بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله (عز وجل) بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثةً وفضيلةً شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: {إني جاعلك للناس إمامًا}، فقال الخليل (عليه السلام) سروراً بها: {و من ذريتي}، قال الله تبارك وتعالى: {لا ينال عهد دي الظالمين}، (1) فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة.

وصارت في الصفوة ثمّ أكرمهم الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال: {و وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين}، {و جعلناهم أئمةً يهتدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين} (2)، فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً،

ص: 190

1- سورة البقرة: 124.

2- سورة الأنبياء: 72 _ 73.

حَتَّى وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ (صلي الله عليه وآله وسلم) فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (1)، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا (صلي الله عليه وآله وسلم) عَلِيًّا (عليه السلام) بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ رَسْمَ مَا فَرَضَ اللَّهُ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} (2)، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ (عليه السلام) خَاصَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ (صلي الله عليه وآله وسلم) فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هُوَ لِأَنَّ الْجَهْلَ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِزْثُ الْأَوْصِيَاءِ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَ خِلَافَةُ الرَّسُولِ (صلي الله عليه وآله وسلم) وَ مَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَ مِيرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام).

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَ صِلَاحُ الدُّنْيَا، وَ عِزُّ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي، وَ فَرْعُهُ السَّامِي، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ وَ تَوْفِيرِ الْفِيءِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ إِمْضَاءِ الْحُدُودِ وَ الْأَحْكَامِ وَ مَنَعِ الثُّغُورِ وَ الْأَطْرَافِ.

الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ، وَ يُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ، وَ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ، وَ يَدْبُثُ عَنِ دِينِ اللَّهِ، وَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمَجَلَّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، وَ هِيَ فِي الْأَفْقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارُ.

ص: 191

1- _ سورة آل عمران: 68.

2- _ سورة الروم: 56.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، وأجواز البلدان، والفقار ولجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظم، والدال على الهدى، والمنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع، الحار لمن اضطلي به، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك. الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفرغ العباد في الداهية الناد.

الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وعيظ المنافقين، وبواز الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصص بالفضل كله، من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يملكه اختياره هيئات هيئات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسأت العيون، وتصاعرت العظام، وتحيرت الحكماء، وتقصرت الحلمات، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت

الأدباء، و عييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، و أقرت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف بكلمة، أو يُنعت بكلمة، أو يُفهم شديء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، و يُعني غناه لا كيف؟ و أني و هو بحيث النجم من يد المتناولين، و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ و أين يوجد مثل هذا؟

أ تظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد (صلي الله عليه و آله و سلم)؟ كذبتهم و الله أنفسهم و منتهم الأباطيل، فازنقوا مرتقي صعباً دحماً تزل عنه إلي الحضيض أقدامهم راموا إقامة.

الي ان قال:

و الإمام عالم لا يجهل، و راع لا ينكل، معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهادة و العلم و العبادة.

الي ان قال:

نامي العلم، كامل الحلم، مُصدّ طلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزّ و جلّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله، إن الأنبياء و الأئمة (عليهم السلام) يوقّهم الله، و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه، ما لا يؤتية غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان.

الي ان قال:

و إن العبد إذا اختاره الله عزّ و جلّ لأمر عباده شرح صدره لذلك و أودع قلبه يتابع الحكمة و ألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب و لا يُحير فيه عن

ص: 193

الصَّوَابُ فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ. (1) (الحديث) أقول: هذا كله في المقصد الأول في الإمامة في كبري المسألة، والله المؤيد والمسدّد والهادي إلي الصواب.

ص: 194

1- _ الأُمالي (للصدوق)، ص 674، المجلس 97، ح 1؛ بحار الأنوار، ج 25، ص 120، ح 4؛ الكافي، ج 1، ص 198، ح 1.

إشارة

فيقع في مقامات أيضاً:

المقام الأول: في إبطال خلافة أبي بكر وأخويه

و بني أمية و بني العباس و غيرهم من خلفاء الجور

وينبغي تقديم مقدّمة، وهي أنّ مسألة الخلافة كما عرفت في المقام السابع من المسائل الأصولية الاعتقادية، ولا بدّ في إثباتها من الأدلّة القطعية التي لا يشوبها شكّ ولا شبهة، سواء كانت عقلية أو نقلية، كنصّ الكتاب القطعي الدلالة أو الخبر المتواتر كذلك، فأخبار الآحاد سواء كانت معتبرة أو ضعيفة لا يسمن ولا يغني من جوع، سيما إذا كانت غير مسلّمة عند أحد الفريقين، وكانت روايتها مختصّة بفريق واحد.

وقد تقدّم في أوّل الكتاب أنّ الأدلّة القطعية في باب أصول الدين منحصرة بالثمانية، الأوّل: العقلي المستقلّ.

الثاني: العقلي غير المستقلّ المحتاج في تماميته بأمر خارج قطعي،

كإثبات النبوة الخاصة بإثبات كونه مدّعياً للنبوة، آتياً بالمعجزة، جامعاً للشرائط، فاقداً للموانع، فإذا ثبت هذه الأمور في الخارج يحكم العقل بكونه نبياً، وكإثبات الإمامة بالأكملية والمعجزة ونحوها.

الثالث: نصّ الكتاب.

الرابع: نصّ الخبر المتواتر في جميع الطبقات.

الخامس: الخبر المحفوف بالقرائن القطعية.

السادس: ضرورة الدين.

السابع: الاجماع القطعي بين جميع المسلمين.

الثامن: ضرورة المذهب بعد ثبوت أصل المذهب بسائر الأدلة.

نعم ربما نذكر بعض أخبار الآحاد المرورية من طرق المخالفين حجة عليهم وإلزاماً لا إثباتاً للمطلب.

إذا عرفت ذلك، فنقول: قد استدّلوا علي خلافة أبي بكر الذي هو أساس مذهب المخالفين بوجوه:

الأول: وهو عمدة أدلتهم وأساس مذهبهم الاجماع، بتقريب أنّ الصحابة بعد النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أجمعوا علي خلافة أبي بكر، وإجماعهم حجة.

أقول: الكلام في ذلك يقع في مقامين:

أحدهما: في صغري المسألة، وهي تحقّق إجماع الصحابة كلّهم علي خلافة أبي بكر. وثانيهما: كبراهها، وهي علي فرض التحقّق في إثبات حجّة الاجماع ومدركها.

ص: 196

أما الكلام في المقام الأول، فنقول: ننكر تحقّق إجماع الصحابة عليّ خلافته أشدّ الانكار؛ لأنّ جماعة من أكابر الصحابة وعظمائهم خالفوا في ذلك أشدّ المخالفة، وهم جمّة كثير:

منهم: سعد بن عباد، وجماعة من أتباعه، وقصّة ابنه مع عمر في السقيفة مفصّلة، وهو لم يبايع أبابكر في مدّة خلافته، بل في خلافة عمر أيضاً، فخيّر عمر بين البيعة أو الخروج من المدينة، فخرج إليّ الشام حتّى قتلوه بالسهمين عند قرب الشام في بعض البساتين حيلةً، نقل ذلك ابن عبد البرّ، وابن حجر، وأبو مخنف، وابن أبي الحديد، وصاحب روضة الصفا، كلّهم من أكابر العاتّة.

ومنهم: أبوسفيان، كان عند وفاة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) خارجاً عن المدينة، فلمّا دخل المدينة ورأى قصّة أبي بكر، عزم عليّ جمع العسكر والمقاتلة معهم بحيث خافوا منه، حتّى ذهب أبوبكر وعمر إليه ووعدها بالمال والولاية لابنه معاوية بعض النواحي، فسكت، نقله قاضي روزبهان وابن أبي الحديد، ويظهر من هذه الحكاية أنّ أصحاب أبي سفيان كانوا كثيرين بحيث خاف أبوبكر منهم.

ومنهم: أبوقحافة، كان عند وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في الطائف، فلمّا سمع خلافة ابنه أبي بكر تعجّب، وقال: ليس ذلك إلّا لعداوة قريش مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فكتب إليه أبوبكر بأنّ الناس تراضوا بي، ولو قدمت علينا لكان أحسن بك، فسأل أبوقحافة عن الرسول أنّه ما السبب في اختيارهم أبابكر عليّ بن أبي طالب؟ فأجاب لصغر سنّ عليّ وكبر سنّ أبي بكر، فقال: فأنا أكبر منه، وكان الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) قد أمرنا ببيعة عليّ، فكتب إليّ أبي بكر بما حاصله:

إنّي وجدت كتابك هذا كتاب أحمق مناقض بعضها مع بعض، فتارة تدّعي أنّك خليفة الله، وأخري خليفة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، وثالثة بأنّ الناس

تراضوا بي، ثم أمره بالخروج عمّا هو فيه وردّه إلي أهله، (1) نقل ذلك ابن حجر (2) الذي هو من أكابر المتعصّبين.

و منهم: حباب بن منذر، حيث إنّه في يوم السقيفة ينادي بأعلي صوته: يا معاشر الأنصار لا تسمعوا كلام هذين الجاهلين، يعني أبابكر و عمر، نقله الطبري الشافعي، و ابن أبي الحديد، و أبو مخنف. (3)

و منهم: عبّاس عمّ رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و احتجّ علي أبي بكر بأنّ منشأ دعواك إن كان قرابة رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فنحن أقرب منك، و إن كان اتّفاق المسلمين فنحن من المسلمين و لا نرضي بك. نقل ذلك ابن أبي الحديد و غيره بأسناد عديدة عن براء بن عازب.

و منهم: عبد الله بن عبّاس، و هو من علماء قريش، و محاجاته مع عمر مسطورة في كثير من الكتب و جرأته عليه، حتّي اعترف عمر بأنّه ما خاصم أحداً إلّا و غلب عليه. نقله ابن أبي الحديد عن عبد الله بن عمر.

و منهم: زبير، و مخالفته و مخاصمته مع أبي بكر و عمر أبين من الشمس، حتّي شهر سيفه للمقاتلة، فجمعوا عليه و أخذوا سيفه و كسّروه. نقله أكثر علماء العامة.

ص: 198

1- _ الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج 1، ص 88.

2- _ الصواعق المحرقة، ص 13، وفيه: و أخرج الحاكم أنّ أبا قحافة لمّا سمع بولاية ابنه قال: هل رضي بذلك بنو عبد مناف و بنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا واضع لما رفعت، و لا رافع لما وضعت. إحقاق الحق، ج 2، ص 380.

3- _ بحار الأنوار، ج 28، ص 244؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج 6، ص 8 _ 9.

و منهم: فضل بن عباس، وقد نقل عنه قال عن أبيه أبياتاً مشتملة علي حسد قريش علي بني هاشم سيما علي أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وها هو ذا:

مَا

كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الْأَمْرَ مُنْحَرِفًا

عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهُمْ عَنْ أَبِي حَسَنِ

أ

لَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبَلَتِكُمْ

وَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْأَثَارِ وَ السُّنَنِ

أَقْرَبَ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِيِّ وَ مَنْ

جَبْرِيلُ عَوْنٌ لَهُ فِي الْغُسْلِ وَ الْكَفَنِ

مَنْ فِيهِ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

و لَيْسَ فِي النَّاسِ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ

مَنْ ذَا الَّذِي رَدَّكُمْ عَنْهُ فَنَعْرِفَهُ

هَا

إِنَّ يَبْعَتَكُمْ مِنْ أَوَّلِ الْفِتَنِ

أو من أعظم الغبن، أو من أغبن الغبن. نقله ابن أبي الحديد عن ابن بكّار. (1)

و منهم: قيس بن سعد، و هو من أكابر الأنصار، و كان سيّاف رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و من جملة كلامه في محاجّته مع أبي بكر: يا أبا بكر اتّق الله و لا- تكن أوّل من ظلم آل محمّد، و اردد هذا الأمر إلي من هو أحقّ به منك. و قد ذكر جملة من فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) كردّ الشمس و غيره، نقله صاحب كتاب سير الصحابة من مؤرّخي العامّة.

و قد نقل في البحار حديثاً طويلاً في قصّة خروج خالد مع جماعة من العسكر، فمرّ بأمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض البساتين، فأراد قتل علي بالعمود، فأخذ علي (عليه السلام) العمود منه و طوّقه علي عنقه، فرجع إلي المدينة، و طلب أبو بكر و عمر قيس بن سعد و أمر برفع الطوق عن عنق خالد، فامتنع قيس، فتخيلاً أنّ

1- _ احقاق الحق، ج7، ص528؛ الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج1، ص32؛ بحار الأنوار، ج28، ص293؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج6، ص21؛ كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج2، ص576.

امتناعه مساعدة لأئير المؤمنين؁ فغضب قيس و شرع في بيان قصة غدير خم؁ و فضائل علي (عليه السلام)؁ و أنه مولي كل مؤمن و مؤمنة؁ فطلبوا الحدادين؁ فقالوا: في رفع ذلك هلاك خالد؁ فألجأوا إلي باب علي (عليه السلام) و التمسوا منه؁ و أقسموه بالله و برسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) أن يرفع الطوق؁ فرفعه (عليه السلام) بأخذ الطوق قطعة قطعة؁ إلي آخر القصة؁ و لما لم يكن الحكاية في كتب العامة تركنا نقله مفصلاً؁ فراجع البحار. (1)

و منهم: أسامة بن زيد؁ كان أميراً علي عسكر الاسلام؁ و جعل رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) تحت رايته أربعة آلاف؁ منهم أبوبكر و عمر و عثمان و أتباعهم؁ فتخلفوا عن جيش أسامة؁ ثم بعد رحلة الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) و دعوي الخلافة كتب أبوبكر إلي أسامة و أمره بالبيعة و المسير نحو الموتة؁ فكتب أسامة في جوابه: إن أمر الخلافة بنص الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) راجعة إلي أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؁ و أنت الآن يجب عليك أن تدخل تحت رايتي و تحت أوامري؁ و أنا الأمير عليك. و الحديث طويل نقله ابن أبي الحديد بروايات عديدة؁ و البلاذري؁ و سير الصحابة؁ و عبد الجبار قاضي القضاة في مغنيه؁ و غيرهم من أكابر العامة. (2)

و منهم: اثنا عشر من كبار أصحاب النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) الذين احتجوا علي أبي بكر في المسجد؁ و هم: خالد بن سعيد بن العاص من بني أمية؁ و سلمان؁ و أبوذر؁ و المقداد؁ و عمار؁ و بريدة من المهاجرين؁ و أبو الهيثم بن التيهان؁ و سهل و عثمان ابنا حنيف؁ و خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين؁ و أبي بن كعب؁ و أبو أيوب.

ص: 200

1- بحار الأنوار؁ ج29؁ ص 161 _ 174.

2- راجع: بحار الأنوار؁ ج29؁ ص 96.

و مخالفة هؤلاء و محجّاتهم مع أبي بكر في أمر الخلافة مسطورة في كتب الخاصة و العامة، بل من المتظافرات.

وقد نقل ذلك أحمد بن محمد الخليلي النحوي عن أبي الحسن بن علي بن نحاس الكوفي بعد اعترافه بأنه عدل و ثقة في الرواية، و محمد بن جرير الطبري، عن المعتمدين و الموثقين من روايتهم، و الجوهري عند بيان ألفاظ الحديث، و ابن أبي الحديد عن براء بن عازب و غيرهم، و محجّتهم مع أبي بكر و شرح القصّة طويلة نحن نلخصها.

و هو أنهم شاوروا في دفع أبي بكر و عمر، و عزموا علي إنزاله عن المنبر، ثم قالوا: نشاور في ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلمّا شاوروه منعهم (عليه السلام) عن ذلك لأجل عدم مقاومتهم مع القوم، لكن أمرهم أن يذهبوا إليه و عرفوه ما سمعوا من رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) في أمير المؤمنين، فسار القوم حتّى أهدقوا بمنبر رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و كان يوم الجمعة، فلمّا صعد أبو بكر المنبر. إلي أن قال: فقام خالد بن سعيد بن العاص و قال: اتق الله، يا أبا بكر! فقد علمت أن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) قال و نحن محتوشوه يوم فريضة حين فتح الله له، و قد قتل عليّ يومئذ عدّة من صناديد رجاليهم، و أولي البأس و النجدة منهم: يا معاشر المهاجرين و الأنصار! إنني موصيكم بوصية فاحفظوها، و مودعكم أمراً فاحفظوه، ألا إن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أميركم بعدي، و خليفتي فيكم بذلك أوصاني ربّي. إلي آخر كلامه.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكّ، يا خالد! فلست من أهل المشورة، و لا ممن يفتدي برأيه، فقال خالد: اسكّ، يا ابن الخطاب! فإنك تنطق عن لسان غيرك، و أيم الله لقد علمت فريش أنك من الأمها حسباً، و أدناها منصباً، و

أَحْسَهَا قَدْرًا، وَأَحْمَلَهَا ذِكْرًا، وَأَقْلَهُمْ غَنَاءً عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّكَ لَجَبَانٌ فِي الْحُرُوبِ، بِخَيْلٍ بِالْمَالِ، لَيْئِمٌ الْعُنْصُرِ، مَا لَكَ فِي قُرَيْشٍ مِنْ فَخْرٍ، وَلَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ ذِكْرٍ، وَإِنَّكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْطَانِ: {إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}، {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} (1).

ثُمَّ قَامَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَقَالَ: «كَرِيدٌ وَنَكَرِيدٌ وَنَدَانِيدٌ چِه كَرِيد»، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِلَيَّ مَنْ تُسْنِدُ أَمْرَكَ إِذَا نَزَلَ بِكَ مَا لَا تَعْرِفُهُ؟ وَإِلَيَّ مَنْ تَفْرَعُ إِذَا سُدَّتْ عَمَّا لَا تَعْلَمُهُ؟ وَمَا عُدْرَتُكَ فِي تَقَدُّمِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، وَأَقْرَبُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَأَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَمَنْ قَدَّمَهُ النَّبِيُّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي حَيَاتِهِ، وَأَوْصَاكُمْ بِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ، فَنَبَذْتُمْ قَوْلَهُ، وَتَنَاسَّيْتُمْ وَصِيَّتَهُ، إِلَيَّ آخِرُ كَلَامِهِ.

ثُمَّ قَامَ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! أَصَبْتُمْ قَبَاحَةً، وَتَرَكَتُمْ قَرَابَةً، إِلَيَّ أَنْ قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلِمَ خِيَارُكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: الْآمُرُ بَعْدِي لِعَلِيِّ، ثُمَّ لَا بَنِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ لِلظَّاهِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِي، فَاطَرَحْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ، وَتَنَاسَّيْتُمْ مَا عَاهَدَ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَاطَّعْتُمُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ، وَبِعْتُمُ الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ. إِلَيَّ آخِرُ كَلَامِهِ.

ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَقَالَ: ارْجِعْ، يَا أَبَا بَكْرٍ! عَنْ ظُلْمِكَ، وَتُبْ إِلَيَّ رَبِّكَ، وَالزَّمْ بَيْتَكَ، وَأَبِكْ عَلَيَّ حَاطِيَّتَكَ، وَسَلِّمِ الْأَمْرَ لِصَاحِبِهِ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَا عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي عُنُقِكَ مِنْ بَيْعَتِهِ، وَالزَّمَكَ مِنَ التُّفُؤِ تَحْتَ رَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُ. إِلَيَّ أَنْ قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ

ص: 202

بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ. إِي آخِر كَلَامِهِ.

ثُمَّ قَامَ بُرَيْدَةُ الْأَسَدِ لِمِيٍّ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَا ذَا لَقِيَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَا أَبَا بَكْرٍ! أُنْسِيَتْ أُمُّ تَنَاسَيْتٍ أَمْ خَدَعَتْكَ نَفْسُكَ سَوَّلَتْ لَكَ الْأَبَاطِيلَ، أَوْ لَمْ تَذْكُرْ مَا أَمَرْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مِنْ تَسْمِيَةِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَقَوْلُهُ فِي عِدَّةِ أَوْقَاتٍ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَاتِلُ الْقَاسِطِينَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَتَدَارِكْ نَفْسَكَ. إِي أَنْ قَالَ: فَقَدْ مَحَضْنَاكَ النَّصْحَ، وَدَلَّلْنَاكَ عَلَيَّ طَرِيقَ النَّجَاةِ، فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ.

ثُمَّ قَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ! إِنْ كُنْتُمْ مَعْلَمْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَوْلَى بِهِ وَأَحَقُّ بِإِزْتِهِ، وَأَقْوَمُ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَآمَنَ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَحْفَظَ لِمَلَّتِهِ، وَأَنْصَحَ لِأُمَّتِهِ، فَمُرُوا صَاحِبَكُمْ فَلْيُرِدَّ الْحَقَّ إِلَيَّ أَهْلِهِ.

إِي أَنْ قَالَ: وَعَلَيٍّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَلِيَّتْكُمْ بَعْدَ اللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَفَرَّقَ ظَاهِرًا قَدْ عَرَفْتُمُوهُ فِي حَالٍ بَعْدَ حَالٍ عِنْدَ سَدِّ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَبْوَابَكُمْ الَّتِي كَانَتْ إِلَيَّ الْمَسَدِ حِدِ فَسَدَّهَا كُلَّهَا غَيْرَ بَابِهِ، وَإِيثارِهِ إِيَّاهُ بِكَرِيمَتِهِ فَاطِمَةَ دُونَ سَائِرِ مَنْ خَطَبَهَا إِلَيْهِ مِنْكُمْ، وَقَوْلِهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا.

إِي أَنْ قَالَ: فَمَا بِالْكُمْ تَحِيدُونَ عَنْهُ، وَتُغَيِّرُونَ عَلَيَّ حَقَّهُ، وَتُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَيَّ الْآخِرَةَ بِسُوءِ الظَّالِمِينَ بَدَلًا، أَعْطَوْهُ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَعْقَابَكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ.

ثُمَّ قَامَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! لَا تَجْحَدَ حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لِغَيْرِكَ، وَلَا

تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ عَصَى رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) فِي وَصِيَّهِ وَصَفِيَّهِ، وَصَدَفَ عَنْ أَمْرِهِ، اُزْدِدِ الْحَقَّ إِلَيَّ أَهْلِهِ تَسْلَمَ.

إلي أن قال: فَعَنْ قَلِيلٍ تُفَارِقُ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَ تَصِيرُ إِلَيَّ رَبِّكَ، فَيَسْأَلُكَ عَمَّا جَنَيْتَ وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

ثُمَّ قَامَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) قَبِلَ شَهَادَتِي وَحَدِيثِي وَ لَمْ يُرِدْ مَعِيَ غَيْرِي؟ قَالُوا: بَلَى! قَالَ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: أَهْلُ بَيْتِي يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ هُمْ الْأَيِّمَةُ الَّذِينَ يُفْتَدِي بِهِمْ، وَ قَدْ قُلْتُ مَا عَلِمْتُ، وَ مَا عَلَيَّ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

ثُمَّ قَامَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ، فَقَالَ: وَ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيَّ نَبِيَّنَا (صلي الله عليه وآله وسلم) أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيَّا (عليه السلام)، يَعْني فِي يَوْمِ غَدِيرِ حُجْمٍ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: مَا أَقَامَهُ إِلَّا لِلْخِلَافَةِ، وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا أَقَامَهُ إِلَّا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ مَوْلِي مَنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) مَوْلَاهُ، وَ أَكْثَرُوا الْخَوْصَ فِي ذَلِكَ، فَبَعَثْنَا رَجُلًا مِنَّا إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: قُولُوا لَهُمْ: عَلَيَّ (عليه السلام) وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي، وَ أَنْصَحْ النَّاسَ لِأُمَّتِي، وَ قَدْ شَهِدْتُ بِمَا حَضَرَ نَبِيَّ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ، إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا.

ثُمَّ قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَيَّ عَلَيَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي أَشْهَدُ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) وَ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ، يَعْني الرَّوَضَةَ، وَ هُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) وَ هُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ! هَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَ وَصِيِّي فِي حَيَاتِي وَ بَعْدَ وَفَاتِي، وَ قَاضِي دِينِي، وَ مُنْجِزُ وَعْدِي، وَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي عَلَيَّ حَوْضِي، فَطُوبَى لِمَنْ تَبِعَهُ وَ نَصَرَهُ، وَ الْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَ خَذَلَهُ.

وَقَامَ مَعَهُ أَخُوهُ عُمَرُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: أَهْلُ بَيْتِي نُجُومُ الْأَرْضِ، فَلَا تَقْدَمُوهُمْ وَ قَدَّمُوهُمْ، فَهُمْ أَوْلَاؤُهُ بَعْدِي، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ؟ فَقَالَ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): عَلِيٌّ وَ الطَّاهِرُونَ مِنْ وُلْدِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فَلَا تَكُنْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ، وَ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ قَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، وَ رُدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ مِثْلَ مَا سَمِعَ إِخْوَانُنَا فِي مَقَامِ بَعْدِ مَقَامِ لِنَبِيِّنَا (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَ مَجْلِسِ بَعْدِ مَجْلِسِ يَقُولُ: أَهْلُ بَيْتِي أُمَّتُكُمْ بَعْدِي، وَ يَوْمِي إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَ يَقُولُ: هَذَا أَمِيرُ الْبَرَّةِ، وَ قَاتِلُ الْكُفْرَةِ، مَحْذُولٌ مَنْ حَذَلَهُ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ، إِلَيَّ آخِرُ كَلَامِهِ، فَأُفْحِمُ أَبُو بَكْرٍ وَ لَمْ يَحِرْ جَوَابًا. [الخبر \(1\)](#)

و منهم: زيد بن وهب، و عمرو بن سعيد، و عبد الله بن مسعود، فقالوا بما هو قريب من مقالة من ذكر محاجة لأبي بكر.

و منهم: مالك بن نويرة مع قومه، و حارث بن سراقه، و بني زييد، و أهالي حضرموت، و هم جماعة كثيرون خالفوا أبا بكر و لم يبايعوه، فسمّوهم بأهل الردة، و بعثوا إليهم خالد بن الوليد مع أربعة آلاف، و قتلوهم و أعروا نساءهم و زنوا بهنّ، كما سيأتي شرحه عند ذكر المطاعن.

و منهم: أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث مخالفته مع أبي بكر و محاجته و امتناعه عن البيعة حتّى جرّوه إلى المسجد و أرادوا قتله، و الجأوه إلى البيعة، من المتواترات بين الخاصّة و العامّة، و قد نقل الحكاية جماعة من العامّة، نحو ابن

ص: 205

أبي الحديد، وابن أثير، والبخاري في صحيحه، و مسلم في صحيحه، و الجوهري، و ابن قتيبة في تاريخه، و إبراهيم بن سعيد الثقفي، و البلاذري، و ابن جرير الطبري، و غيرهم، حتّى اعترفوا جماعة منهم بتهديدهم إحراق بيت فاطمة (عليها السلام)، بل وإرادتهم إحراقه كالجوهري و الطبري و الواقدي، و كتابالغرر عن زيد بن أسلم، و عن ابن عبدربه الاعتراف بمجيء النار عند الباب للاحتراق، و كذا البلاذري. (1)

أقول: و من المعلوم أنّ الجماعة الذين نقلناهم من الممتنعين عن بيعة أبي بكر كان لأكثرهم طائفة و أتباع و أنصار، فلو انضموا إليهم لصاروا كثيرين، مع أنّ الذين بايعوه إنّما بايعوه كرهاً و جبراً مخافة القتل؛ لأنّ عمر مع أصحابه يخرجونهم من بيوتهم، و يلزمونهم و يجبرونهم بالبيعة، فأين هذا من الاجماع الذي هو أساس مذهبهم و عمدة أدلتهم.

فإن قلت: إنّ ما ذكر من المخالفين إنّما نقل مخالفتهم بالآحاد، و هو لا يفيد إلاّ ظناً، و قد تقدّم منك أنّ الدليل المفيد في هذا الباب لا بدّ و أن يكون قطعياً.

قلت أولاً: إنّ المراجع يحصل له القطع بوجود المخالف الممتنع عن البيعة المضرّ بدعوي الاجماع.

و ثانياً: أنّ مدّعي الاجماع لا بدّ له من إثبات الاجماع القطعي، و مجرد احتمال وجود المخالف كافٍ في منع تحقّق الاجماع.

فإن قلت: مخالفة هؤلاء إنّما هو في أول الأمر، و أمّا بعد زمان و لو ستّة أشهر قد بايعوا جميعاً حتّى علي (عليه السلام)، فتحقّق الاجماع.

ص: 206

قلت أولاً: نمنع تحقّق البيعة من جماعة منهم أصلاً.

وثانياً: أنّ البيعة بالاكراه والاجبار والتهديد بالقتل لا فائدة فيه في تحقّقها لاجتماع.

فإن قلت: قد ورد في أحاديث الشيعة عن أئمتهم أنّ الناس ارتدّوا بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) إلاّ ثلاثة أو أربعة، وهذا كاشف عن إجماع الناس علي بيعة أبي بكر.

قلت: المراد من ارتداد الناس قعودهم عن نصره أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتركهم إعانتته في أخذ حقه، والجهاد معه في أعدائه، لا اتّفاقهم وإجماعهم علي بيعة أبي بكر، مع أنّ الخبر ليس من القطعيّات، كما هو واضح.

هذا كلّ في صغري المسألة، وهي دعوي تحقّق الاجماع، فقد عرفت ما فيه.

وأما الكلام في كبري المسألة، وهي حجّية الاجماع المذكور علي فرض تحقّقه، فسيأتي إن شاء الله تعالى في المجلّد الثاني من هذا الكتاب، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام علي نبينا وآله الأَطيبين، واللعن علي أعدائهم من الأوّلين والآخريين.

قد تمّ بيد مؤلّفه الجاني ابن محمّد تقّي عبدالحسين المدعوّب_«الطيب» في السابع من شهر صفر من سنة ألف و ثلاثمائة وستين من الهجرة النبوية سنة قمرية علي هاجرها ألف سلام و تحية.

سبيل النجاة

«في أصول الدين»

للمتكلّم المفسّر الفقيه العلامة

آية الله الحاج السيد عبدالحسين الطيّب الاصفهاني (قدس سره)

1312 _ 1412 هـ- ق

ص: 209

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي سيد أنبيائه وأشرف سفرائه، محمّد خاتم النبيين، وعلي آله الأطيبين، واللعن علي أعدائهم أجمعين إلي يوم الدين.

أمّا بعد: فهذا هو المجلّد الثاني من كتابنا في أصول الدين المسمّي بـ«سبيل النجاة» ولما كان المجلّد الأوّل في التوحيد، والعدل، والنبوة، وكثير من مباحث الإمامة، وهي تمام المقصد الأوّل في كبري المسألة من معني الإمامة، وبيان الاحتياج إلي الإمام، ولزوم نصبه علي الله، ولزوم جعل الخليفة علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، والشرائط المعتمدة في الإمام من العصمة، والأكمليّة، والمعجزة، وبيان الموانع عن قابلية الإمامة، وكونها من المسائل الأصولية، وبيان شؤون الإمامة، وفضائل الإمام، في طيّ مقامات ثمانية.

والمقام الأوّل من المقصد الثاني، وهو أنّ الإمام بعد الرسول ليس أبابكر وعمر وعثمان وسائر بني أمية وبني العباس، وغيرهم من خلفاء الجور، وبلغ الكلام في هذا المقام إلي الدليل الأوّل المذكور في كلماتهم علي خلافة أبي بكر، وهو الاجماع.

ص: 211

وقلنا: إنَّ الكلام فيه يقع في مقامين: الأول في صغري المسألة، وقد تمَّ الكلام فيه. و الثاني في كبرها، و ها أنا الآن أشرع فيه بعون الله تعالى و تأييده.

فنقول: قد استدلَّ علي حجة الإجماع بوجه: الأول: أنَّ الخلق الكثير إذا بلغوا حدَّ التواتر إذا اتَّفَقوا علي أمر يستحيل اجتماعهم علي الخطأ عقلاً.

الثاني: اتَّفَق المسلمون من العامة و الخاصة بجميع طبقاتهم علي حجة الإجماع.

الثالث: قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِّ إِلَيْهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (1)، دلَّ علي عدم جواز مخالفة سبيل المؤمنين الذي هو عبارة عن أقوالهم و فتاويهم.

الرابع: قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يُكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (2)، حيث إنَّ الوسطية يلزمها عدم الانحراف، فإجماعهم حجة.

الخامس: قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (3)، دلَّ بالمفهوم علي عدم وجوب الرد عند عدم المنازعة، و هو صورة الإجماع.

ص: 212

1- _ سورة النساء: 115.

2- _ سورة البقرة: 143.

3- _ سورة النساء: 59.

السادس: قول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): «لم يكن الله ليجمع أمّتي علي الخطأ».

السابع: قوله (صلي الله عليه وآله وسلم): «لا تجتمع أمّتي علي الخطأ».

الثامن: قوله (صلي الله عليه وآله وسلم): «يد الله مع الجماعة».

التاسع: قوله (صلي الله عليه وآله وسلم): «كونوا مع الجماعة»⁽¹⁾ هذه غاية ما قيل أو يمكن أن يقال لهم في تقريب حجّة الاجماع.

و الجواب: أمّا عن الأوّل، ففيه أولاً: أنّ هذا الكلام لو كان حقّاً، لزم صحّة المذاهب الباطلة كلّها من اليهود والنصارى، و عبدة الأوثان، و الهنود و المجوس و غيرهم؛ لأنّ عدّة هؤلاء أكثر بمراتب من عدّة المجتمعين علي خلافة أبي بكر.

و الظاهر أنّ القائل اشتبه عليه الأمر بين الخبر المتواتر الذي اجتمع جماعة علي نقله في كلّ طبقة نعلم عادةً بعدم توأطئهم علي الكذب، و بين المقام ممّا اجتمعوا علي أمر؛ لعدم استحالة الخطأ و الاشتباه علي جميع أفراد البشر عدا المعصوم.

ألا- تري الحكماء و المتكلّمين و سائر أرباب العلوم ربما اجتمعوا علي رأي في أعصار عديدة بحيث يعدّ عندهم من المسلّمات، ثمّ يستكشف خطأهم فيه.

و ثانياً: أنّ عدّة المجتمعين في خلافة الرجل ليست بهذه المثابة قطعاً، بعد ما عرفت من المخالفين، بل اجتماعهم ليس بالطوع و الرغبة، بل بالجبر و

ص: 213

1- _ العدة للشيخ الطوسي، ج2، ص625.

العنف و الكره، كما في كلِّ عصر بالنسبة إلي كلِّ سلطان من تبعية رعيّتهم وإطاعتهم لهم.

وأما عن الثاني، ففيه أولاً: أنّ هذا دور صريح و مصادرة؛ لأنّ التمسك بحجّية الاجماع فرع علي ثبوت حجّية الاجماع، كما لا يخفي.

وثانياً: نمنع الاجماع علي حجّية الاجماع؛ لأنّ الشيعة جميعهم لا يقولون بحجّية الاجماع في نفسه، بل من جهة كاشفيته عن رأي المعصوم تضمّناً، أو بقاعدة اللطف، أو بالحدس القطعي، و مع ذلك ينكرون صغراه في كثير من الموارد لولا كلّها.

وأما العامّة، فخلاف بينهم، و ممّن أنكر حجّيته منهم النّظام و جعفر بن حرب، بل جماعة منهم ادّعوا استحالة تحقّق الاجماع، و جماعة أخرى منعو حصول العلم به كالفخر الرازي، فأين الاجماع؟

وأما عن الثالث، ففيه أولاً: أنّ قيد «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى» (1)،

في الجملة الأولى مأخوذ في الجملة الثانية، كمشاركة المعطوف مع المعطوف إليه، سيما مع اتّحاد الفاعل في الجملتين، نحو قولك جاء زيد راكباً و ضرب عمرواً، أي: ضربه راكباً، كما أفاده العلامة.

وثانياً: أنّ المراد من سبيل المؤمنين دين الاسلام، أي: من خالف دين الاسلام و يشاقق الرسول و دخل في الكفر فهو كذا، كما تري في شأن نزول الآية الواردة في حقّ ابن البيرق خرج من مكّة و سرق و ألحق بالمشركين، و أين هذا من اتّخاذ بعض المؤمنين رأياً من عند أنفسهم، و بمقتضي مشتبهاتهم.

ص: 214

و ثالثاً: إن كان المراد جميع المؤمنين، فأنّي لك بإثباته؟ وإن كان بعضهم، فنفرض فيما اختلفوا علي رأيين، فأيهما نتبع؟

و أمّا عن الرابع، فالمراد من أمة وسطاً تمام أفراد الأمة فباطل قطعاً، بل لا يمكن لأنّه يوجب الكذب الصريح؛ لأنّ الوسطية المطلقة الخارجة عن حدّ الإفراط والتفريط في جميع الأعمال والأخلاق والصفات والحالات لا يوجد إلاّ في حقّ المعصوم عن جميع المعاصي، وعن الخطأ والاشتباه والشكّ والسهو والنسيان، وهو المناسب، مع كونهم شهداء علي الناس، مضافاً إلي أنّ المراد لو كان جميع الأمة لزم اتّحاد الشاهد والمشهود إليه، بل يتّحد معني الأمة والناس، فلا معني حينئذ لكون النبي شاهداً علي الأمة دون الناس.

و كيف يمكن دعوي كون جميع الأمة وسطاً؟ مع ما صدر منهم من الكفر والظلم وسائر المعاصي، سيما الظلم علي أهل بيت النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، من غصب حقّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، والحرب معه في الجمل والصفين، وظلم ابنة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في أمر فدك وغيره، و ما صدر من بني أمية وبني العباس بالنسبة إلي ذراري النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و هكذا و هكذا إلي زماننا هذا من الشرب والزنا والسرقه وأكل الربا، وسائر المعاصي الكبار، بل قتل النفس ونحوها.

و من هنا ورد في أخبار الطرفين أنّ المراد من الأمة أئمة الدين، كما روي بطرق العامّة عن حاكم أبي القاسم في شواهد التنزيل، بسنده عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِيَّانَا عَنِّي بِقَوْلِهِ: «لِتَكُونُوا**

شُهَدَاءَ عَلِيٍّ النَّاسِ» (1)، الخبر. (2).

وعن الكليني، في الكافي، والعياشي، عن الباقر (عليه السلام)، قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَيَّ خَلْقِهِ، وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ. (3) وعن العياشي، عن الصادق (عليه السلام)، ما مضمونه يقرب هذا المعنى: أتزعم أن الله يقصد بتلك الآية جميع أهل القبلة؟ أتظن أن من لا يقبل شهادته في الدنيا علي صاع من تمر يطلب يوم القيامة في محضر جميع الأمم شهادته؟ ليس كذلك، بل المراد منها من هو دعوة إبراهيم، وهم أئمة الدين. (4)

أقول: لم يحضرنى ألفاظ الرواية. (5)

وأما عن الخامس، ففيه الأ: نمنع حجّية مفهوم الشرط لعدم الدلالة علي العليّة المنحصرة، و معه لا مفهوم، و تفصيله في الأصول.

و ثانياً: علي فرض حجّية مفهوم الشرط نمنع المفهوم في المقام؛ لأنّ الشرط في

ص: 216

1- _ سورة البقرة: 143.

2- _ بحار الأنوار، ج 22، ص 441؛ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج 1، ص 119، ح 129.

3- _ بحار الأنوار، ج 22، ص 441؛ تفسير العياشي، ج 1، ص 62، ح 110؛ الكافي، ج 1، ص 191، ح 4.

4- _ تفسير العياشي، ج 1، ص 63، ح 114.

5- _ ألفاظ الرواية بعينها هي: عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال الله «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلِيٍّ النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ اللَّهَ عَنِي بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفْتَرِي أَنَّ مِنْ لَا يَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَيَّ صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ يَطْلُبُ اللَّهُ شَهَادَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُ بِحَضْرَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؟ كَلَّا لَمْ يَعْزِزْ اللَّهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ خَلْقِهِ، يَعْنِي الْأُمَّةَ الَّتِي وَجِبَتْ لَهَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَ هُمْ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى، وَ هُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. تفسير العياشي، ج 1، ص 63، ح 114.

المقام مسوق لبيان الموضوع، مثل إن رزقت ولداً فاختته، وإن ركب الأمير فخذ ركابه.

وثالثاً: أنّ حجّة الاجماع هي مورد الكلام والنزاع، فبمقتضى المنطوق يجب الردّ إلى الله والرسول.

ورابعاً: أنّ لازم الاستدلال وجوب قبول ما اتفق عليه اثنان أو ثلاثة من دون تنازع وعدم المطالبة بالدليل، وهو قطعي الفساد، فالمحتمل كون المراد من التنازع الاختلاف في الأموال والحقوق، حيث إنّه مع عدم الخلاف والنزاع لا يحتاج إلى الترافع والتحاكم والرجوع.

وأما عن السادس والسابع والثامن والتاسع، ففيه أولاً: نمنع حجّة تلك الأخبار سيما في مثل المقام؛ لأنّها من مختصّات العامّة المتفرّدة في نقلها، والمظنون لولا المقطوع أنّها من موضوعات المناقّين وبنو أمية لإثبات خلافة أبي بكر.

وثانياً: نمنع الدلالة علي المطلوب؛ لأنّ الخبرين الأوّلين لمّا ثبت بالأدلة القاطعة أنّ الأرض لا تخلو من الحجّة، ولكلّ عصر إمام يجب معرفته، فلو اجتمع جميع الأمة بحيث لم يخالف فرد واحد منهم وفيهم الإمام والحجّة المعصوم من الخطأ، فلا يجتمعوا علي الخطأ، و أين هذا من حجّة الاجماع الواقع علي خلافة أبي بكر؟

والأخيرين لا دلالة لهما إلاّ علي مدح الجماعة في مثل الأكل والمسافرة والذهاب وسائر المعاشرات، ومذمة الانفراد، والجماعة غير الاجماع، حيث إنّ الجماعة تصدق علي قليل من الأفراد، ومن الممكن تحقّق جماعات متشكّلة مختلفة، فعليه لو كان المراد الكون معهم في الأمور الدينية والأحكام الشرعية لزم اجتماع الضدّين والمتناقضين.

الثاني من الأدلة التي استدل بها علي خلافة أبي بكر: الكتاب، وهو آيات:

منها: قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلِي قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (1) ومنها قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى، {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} (2).

ومنها قوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} (3) الآية.

ومنها قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسَّيَّسَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} (4).

ص: 218

1- _ سورة الفتح: 16.

2- _ سورة الليل: 17_ 20.

3- _ سورة التوبة: 40.

4- _ سورة النور: 55.

أمّا الأوّل، فحاصل مفادها أنّ جماعة تخلّفوا عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في بعض الحروب في جهاد الكفّار، والآية الشريفة قد أخبر المخلّفين بأنّه سيأتي في المستقبل موقع تدعون إليّ الجهاد مع أولي القوّة والبأس الشديد، فإنّ أطعتم وجاهدتم معهم يؤتكم الله أجراً حسناً، وإنّ تخلّفتم كما تخلّفتم من قبل يعدّ بكم عذاباً قريباً.

وعلي هذا يدّعي المستدلّ أنّ المراد الجهاد مع أهل الردّة في عصر أبي بكر من أصحاب مسيلمة وأصحاب مالك بن نويرة وبنو حنيف، و أهاليحضر موت، و حارث بن سراقه، و بني زبيد، و الداعي إليّ هذه المجاهدة هو أبو بكر، فيجب إطاعته، فإذا كان واجب الإطاعة، فيكون خليفةً.

و الجواب: أنّا نمنع أشدّ المنع أنّ مورد قوله تعالى: { سَتُذْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ }، (1) حرب أبي بكر مع هؤلاء؛ لعدم شاهد داخلي ولا خارجي علي ذلك أصلاً إلاّ قول الزهري في تفسير الآية، وهو مع معارضته لعكرمة وسعيد بن جبير، حيث فسّرا بحرب هوازن و حنين، و معارضته لقتادة حيث فسّر بحرب هوازن و ثقيف، و لمن فسّر بحرب صفّين، و لا دليل علي اعتبار قول المفسّرين أصلاً، كما بيّناه في التفسير (2)، و هو من التفسير بالرأي، مضافاً إلي أنّ أكثر هؤلاء ليسوا من أهل الردّة، بل هم المسلمون، و القتال معهم حرام، و التخلّف واجب، كما سيأتي شرحه عند ذكر المطاعن.

ص: 219

1- سورة الفتح: 16.

2- هو كتابه القيم تفسير أطيّب البيان في تفسير القرآن، فارسي مطبوع.

وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ، فَبَدْعُوِي أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْأَتْقِي فِي الْآيَةِ أَبُو بَكْرٍ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ، وَ مَرَّةً غَبَّ مَرَّةً، وَ هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِي عُنُقِهِ لِأَحَدٍ نِعْمَةٌ وَ مَنَّةٌ حَتَّى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ)، فَيَسْتَحَقُّ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ جِزَاءً، نَعْمَ نِعْمَةُ الْهَدَايَةِ إِلَى الْإِمَامِ كَانَ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَحَقُّ الْجِزَاءَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} (1) حَتَّى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ لِحَقِّ التَّرْبِيَةِ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) عَلَيْهِ، مُضَافًا إِلَى حَقِّ الْإِسْلَامِ، وَ قَدْ رَوَى الزَّهْرِيُّ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ.

وَ الْجَوَابُ أَوَّلًا: أَنَّ كَلِمَةَ «أَتْقِي» أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ، وَ لَمْ يَذْكَرْ فِي الْآيَةِ أَتَقِيمَنَّ، فَلَعَلَّ الْمَرَادَ كَمَا ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَفْسَّرِي الْعَامَّةِ، كَالوَاحِدِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ عِكْرَمَةَ، هُوَ أَبُو الدَّحْدَاحِ.

وَ حَاصِلُ قِصَّةِهِ: أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ نَخْلَةٌ مَتَدَلِّيَّةٌ فِي دَارِ جَارِهِ، وَ كَانَ الْجَارُ فَقِيرًا وَ لَهُ أَطْفَالٌ صِغَارٌ، كَلَّمَا أَرَادُوا أَخْذَ تَمْرَةٍ مِنْ تِلْكَ النَّخْلَةِ يَمْنَعُهُمْ صَاحِبُهَا وَ يَأْخُذُ مِنْ أَيْدِيهِمْ بَلْ مِنْ فِيهِمْ، فَشَكِيَ الْفَقِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ)، فَطَلَبَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) صَاحِبَ النَّخْلَةِ، وَ أَرَادَ مَعَامَلَتَهُ مَعَ نَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ فَأَبَى، وَ سَمِعَ ذَلِكَ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِ صَاحِبِ النَّخْلَةِ وَ اشْتَرَى مِنْهُ النَّخْلَةَ بِأَرْبَعِينَ نَخْلَةً، ثُمَّ مَلَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ)، وَ أَعْطَاهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْجَارَ الْفَقِيرَ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ، فَهُوَ أَتَقِي مِنْ صَاحِبِ النَّخْلَةِ، وَ أُعْطِيَ مَالَهُ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ مِنْ دُونِ تَوَقُّعِ جِزَاءٍ مِنْ أَحَدٍ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ كَوْنِهِ أَبُو بَكْرٍ؟

وَ ثَانِيًا: أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ أَتَقِي إِنْ كَانَ الْأَتْقِي الْمَطْلُوقُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَ

ص: 220

الأفعال في تمام عمره، فهو يختصّ بمن لا يشرك بالله طرفة عين، ولا يشمل من عبد الأوثان أربعين سنة قطعاً.

وقد روي عن المناقب عن الباقر (عليه السلام) أنّ المراد هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، (1).

لإيثاره قوت نفسه و عياله يتيماً و مسكيناً و أسيراً، و إعطائه الخاتم في ركوعه، و إيثاره الدينار مقداداً، و إن كان الأتقي في الجملة، فهو يشمل أكثر المسلمين و لا معيّن لأبي بكر و لا فضيلة.

و ثالثاً: إثبات الخلافة بتلك الآية تحتاج إلي مقدمات كثيرة و إثباته في حقّ أبي بكر دونه خرط القتاد من كون المراد أتقي المطلق، و هو ملازم مع الأكملية و الأفضلية في جميع الصفات، و هو ملازم مع العصمة، و ترجيح المرجوح علي الراجح أو من غير مرجح قبيح أو محال، فيجب بحكم العقل تقديم الراجح.

و أمّا الثالثة، فقد يدعي أنّ في الآية جهات من الفضيلة لأبي بكر:

الأول: كونه ثاني الرسول، فهو بعد النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أشرف من كلّ أحد لكونه في الرتبة الثانية.

الثاني: كونه صاحب رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و أي شرف يعدل تلك الفضيلة؟

الثالث: كونه مشمولاً لتسليّة النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في قوله «لا تحزن».

الرابع: كون الله معه في قوله «إنّ الله معنا».

الخامس: التأليف بينهما في قوله «إذ هما في الغار» و من كانت له تلك

ص: 221

1- تأويل الآيات الباهرة، ج2، ص808، ح7، البرهان في تفسير القرآن، ج10، ص308، ح4.

و الجواب: أمّا أولاً، فإنّه ليس في الآية شيء يشمّ منه رائحة الفضيلة أصلاً، بل فيه مثالب له كما نبين.

أمّا كونه ثاني الرسول، فمعلوم أنّه ثانيه في الخروج إلي الغار لا ثانيه في النبوة أو الرتبة أو الفضيلة، هذا مضافاً إلي أنّ الآية جعل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ثاني لأبي بكر، فيلزم علي ما ذكر كون رتبة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) دون رتبته.

و أمّا كونه صاحب الرسول لأنّ المصاحبة و الاستصحاب لا يقتضي الفضيلة للمصاحب بالفتح و المستصحب كذلك، فإنّه ربما يكون الانسان مستصحب النجاسة و الحدث، فلا يوجب فضيلة النجاسة و الحدث، وربما يكون المؤمن و الكافر مصاحباً، كقوله تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ }، (1) بل قد يكون صاحب الحمار كما في الشعر:

إِنَّ الْحَمَارَ مَعَ الْحَمَارِ مَطِيَّة

فَإِذَا خَلُوتَ بِهِ فَبَسَّ الصَّاحِبُ

و أمّا تسليّة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، فمنع كون «لا تحزن» للتسليّة، بل ظاهره النهي، و هو ظاهر في التحريم، فيستكشف أنّ حزن أبي بكر في هذا المقام محرّم كاشف عن ضعف إيمانه، أو عدم إيمانه، فليس حزنه صواباً و مرضياً لله، و إلاّ لا ينهي عنه.

و أمّا معيّة الله، فهذه الكلمة لمكان التأكيد بالجملة الاسمية، و «انّ» مشدّدة تدلّ علي عدم اعتقاد أبي بكر بأنّ الله معهما، و إلاّ فلا يحتاج إلي البيان فضلاً عن التأكيد.

ص: 222

وَأَمَّا التَّأْلِيفُ فِي مَكَانٍ، فَلَا فَضِيلَةَ؛ إِذْ رُبَّمَا يَجْمَعُ النَّبِيُّ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنْ قَوْلُهُ: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} (1)، يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ قَابِلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ لِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ قَابِلٌ لَذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي تِلْكَ السُّورَةِ: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (2)، وَكَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإَيْدُهُ بِجُنُودٍ}، يَعْلَمُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ مُؤَيَّدًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَأَمَّا ثَانِيًا، فَعَلِيٌّ فَرَضَ ثُبُوتَ مَنْقِبَةِ لَهُ، أَيُّ دَلَالَةٍ فِيهَا عَلَى مَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ؟

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ، فَالاسْتِدْلَالُ بِهَا مِمَّا يَضْحَكُ بِهِ التَّكْلِي، حَيْثُ يَدَّعِي أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ مِنَ اللَّهِ إِنَّمَا تَحَقَّقَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ؛ لظهور الإسلام و بسطه في الآفاق، وزوال سلطنة العجم و الروم بيد الإسلام، فيدلّ علي خلافة هؤلاء.

وَالجَوَابُ أَوْلَى: أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَمَا ذَكَرَ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةَ لَا خِصُوصَ الثَّلَاثَةِ؛ لِتَعَلُّقِ الْوَعْدِ لِجَمِيعِهِمْ، فَعَلِيٌّ هَذَا لِأَنَّ مِنْ حَمَلِ الْاسْتِخْلَافِ عَلَى اسْتِخْلَافِ الْمُؤْمِنِينَ بِلَادِ الْكُفَّارِ وَتَصَرُّفِهِمْ، وَانْتِقَالِ مَلِكِ الْكُفَّارِ إِلَيْهِمْ وَإِرْثِهِمْ عَنْهُمْ، كَمَا وَعَدَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلَادِ الْكُفَّارِ، كَالْمِصْرِ وَالشَّامِ وَنَحْوَهُمَا، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ؟

وَثَانِيًا: لَمْ يَتَحَقَّقْ مِصْدَاقُ الْآيَةِ فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ حَيْثُ يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْخَوْفُ أَصْلًا، وَكَانُوا آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ، بَلْ لَمْ يَتَحَقَّقْ إِلَى الْآنَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِصْدَاقُهُ مَنْحَصِرًا بِظُهُورِ دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ) الَّذِي يَمْلَأُ

ص: 223

1- _ سورة التوبة: 40.

2- _ سورة التوبة: 26.

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وقد ورد بذلك من طرقنا أخبار.

و ثالثاً: أنّ هذا الوعد مختصّ بالمعصومين (عليهم السلام) دون سائر المسلمين؛ لأنّ الصالحات في الآية جمع محلي باللام، و من كان عاملاً بجميع الصالحات من الواجبات و المستحبات و الصفات و الحالات ليس إلاّ المعصوم، و من المسلّم أنّ مثل أبي بكر و أضرابه ليسوا مصداقاً لذلك أصلاً. الثالث من الأدلّة المستدلّ بها علي خلافة أبي بكر: الأخبار المروية من طرقهم عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم)، مثل: «انّ الله يتجلّي للناس عامّةً و لأبي بكر خاصّةً». (1)

و قوله: «ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ صبّه في صدر أبي بكر». (2)

و قوله: «أنا و أبي بكر كفرسي رهان». (3)

و قوله: «أبو بكر و عمر سيّداه الجنّة». (4)

و قوله: «أنا مدينة العلم و أبو بكر أساسها، و عمر حيطانها، و عثمان سقفيها». (5)

و قوله: «لا تبقيّن خوذة (6) في المسجد إلاّ خوذة أبي بكر». (7)

ص: 224

1- _ فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج2، ص89؛ الغدير، ج7، ص87 و88.

2- _ الغدير، ج7، ص182.

3- _ الغدير، ج5، ص317 و ج7، ص88؛ كشف الخفاء (العجلوني)، ج2، ص419.

4- _ مجمع الزوائد (الهيثمي)، ج9، ص53.

5- _ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص132.

6- _ الخوذة: الكوّة التي يدخل منها الضوء «منه».

7- _ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص101؛ الغدير، ج3، ص197.

وقول عبدالله بن عمر: «انَّ أفضل الأُمَّة بعد النبي أبوبكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ لا تفاضل بينهم».(1)

وقول عائشة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): «أطلي أباك حتَّى أكتب له كتاباً حتَّى لا يتمني في الخلافة الناس، والله ورسوله لا يريدان إلاَّ أبابكر».

ومثل قوله: «انَّ الله تعالى لَمَّا خلق الأزواج، اختار رُوحَ أبي بكرٍ مِنَ الأزواج».(2)

ومثل أمره (صلي الله عليه وآله وسلم) أبابكر بالصلاة بالمسلمين في مرض موته.

والجواب: أنَّ تلك الأخبار من المفتريات المجعولة من أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام)، كعائشة، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وأضرابهم.

مضافاً إلي أنَّ آثار الجعل فيها لائحة؛ لأنَّ الأوَّل منها يلازم التجسّم.

والتاني الشركة في الوحي والنبوة.

والتالث تساوي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في الفضيلة، وهو خلاف الضرورة.

والرابع لا كهولة في الجنة حتَّى يكونا سيدهم، ومن الواضح أنَّه وضع في مقابل سيِّدا شباب أهل الجنة.

والخامس مضافاً إلي أنَّ المدينة لا يناسبها السقف، ومضافاً إلي أنَّ الحيطان والسقف مانعان من الدخول، فهما مانعان عن وصول الناس بعلم

ص: 225

1- _ الغدير، ج10، ص5.

2- _ بحار الأنوار، ج30، ص414؛ ذيل تاريخ بغداد(ابن النجار البغدادي)، ج1، ص128.

النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، و مضافاً إلي أن أساس المدينة نفس المدينة، فلا يناسب مع «أنا مدينة العلم»، أنه مجعول في قبال (و علي بابها).

و السادس كونه موضوعاً في قبال «سَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ»⁽¹⁾،

مضافاً إلي كونه معارضاً مع أخبارهم من أن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لا يرضي حتّي بمقدار قلامه ظفر.

و السابع ليس خيراً، بل مذهب عبداللّه بن عمر، و من المعلوم أنه مع عداوته لعلي (عليه السلام) يدّعي أن كلّ الناس أفضل منه (عليه السلام)، و هذا كتعريف أمّ الزوجة للزوجة.

و الثامن أنه من موضوعات عائشة، كأكثر أخبارها عداوةً لأمير المؤمنين (عليه السلام) في قبال طلب النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) القرطاس و الدواة، و قول عمر «إنّه ليهجر»⁽²⁾.

و التاسع يقتضي تقدّم أبي بكر علي جميع الأنبياء حتّي علي خاتم الأنبياء، و هو خلاف ضرورة مذهبهم.

و أما العاشر، فلا يخفي أن أخبارهم في صلاة أبي بكر مضطربة متعارضة متهافئة، و رواها عائشة، و عبداللّه بن عمر، و عبداللّه بن زمعة، و أنس بن مالك، و أبو موسي الأشعري، و مكحول، و كلّ هؤلاء من معاندي أمير المؤمنين (عليه السلام) و مبغضيه.

أمّا عائشة، فحرب الجمل.

ص: 226

1- بحار الأنوار، ج 39، ص 31.

2- الصراط المستقيم (علي بن يونس العاملي)، ج 3، ص 100.

وأما عبدالله بن عمر، فعداوته و ترك بيعته مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، مع أنه ممّن بايع مع رجل الحجاج لعبد الملك، وأبي حجاج أن يمدّ يده لبيعته.

وأما عبدالله بن زمعة، فهو من الناصبين، وكان شديد البغض و العداوة لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وأما أنس بن مالك، فكان ممّن كنتم شهادة غدير خمّ حين طلب منه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فدعا علي (عليه السلام) عليه، فابتلي بالبرص حتّى أقرّ هو علي نفسه في الملاء العامّ أنّ ابتلائي بالبرص لدعاء علي (عليه السلام) عليّ حين كتمانني شهادة غدير خمّ. وأما أبو موسى، فقصّته و عداوته في قضية الحكمين معروفة.

وأما مكحول، فهو من أعلي أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يرضي أن يسمّيه بالألقاب المروية عن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) للقب «أمير المؤمنين، و سيد الوصيين، و يعسوب الدين» و غيره، بل لا يسمّيه باسمه، و كلّما يذكره يسمّيه بأبي زينب، فأيّ اعتماد بنقل هؤلاء، سيما عائشة، و سيما في هذا المقام.

مع أنّ أصل المطلب أنّ عائشة أرسل إليّ أبي بكر بالصلاة لكن مستوراً عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم)، فلمّا أفاق النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) و أخبر بذلك خرج إليّ المسجد متّكئاً بأمير المؤمنين و فضل بن عبّاس، و صلّي بالناس جالساً، إليّ آخر الخبر المسطور في كتبنا.

الرابع من الأدلّة: الفضائل المذكورة في بعض كتب العامّة لأبي بكر المقتضية لقابليته للخلافة، مثل أنّه كان قبل البعثة من أكابر قريش، و كان ذا مال كثير، و كان يحبّ رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) و يعينه بماله، و كان النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) يجلس

في دكانه، ولم يبلغ مال قريش مبلغ مال أبي بكر، فلما بعث النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ذكر لأبي بكر فصدقه، حتّي قال (صلي الله عليه وآله وسلم): ما دعوت أحداً إليّ إلاّ وأظهر تردّداً ما خلاّ أبي بكر، فأخذ أبو بكر يدعو الناس إليّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وأتيّ بعيون أشرف قبائل قريش ممّن كان يصادقونه في مكّة، مثل عثمان بن عفّان من عيون من بني أمية، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بنعوام، فبايعوا رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) عليّ الاسلام. (1)

ولا يقدم النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) عليّ أمر إلاّ بمشاورته، وكان عاقلاً مدبّراً مقبول القول، يبذل ماله في إعانة المسلمين، حتّي قال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): أمين الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متّخذاً خليلاً من أمّتي لاتّخذت أبا بكر، وما لأحد عندنا يد إلاّ قد كافيناه ما خلاّ أبي بكر يكافيه الله يوم القيامة.

وكان يذبّ عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والمسلمين شرّ قريش، حتّي اشترى المعدّيين من المسلمين، مثل بلال وفدي غيره من الصحابة، ثمّ هاجر مع النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وكان ثاني اثنين إذ هما في الغار، ثمّ أقام يحفظ الدين والجهاد لا يفارق النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في سفره وحضره وحروبه وغزواته، والنبي (صلي الله عليه وآله وسلم) يقدّمه عليّ أصحابه ويفضّله عليهم.

حتّي أنّ البخاري روي عن محمّد بن الحنفية قلت لأبي: أيّ الناس خير بعد النبي؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمّ من؟ قال: عمر، فخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثمّ أنت، قال: ما أنا إلاّ رجل من المسلمين. (2)

ص: 228

1- _ دلائل الصدق لنهج الحق، ج 6، ص 486.

2- _ دلائل الصدق لنهج الحق، ج 6، ص 488؛ صحيح البخاري، ج 5، ص 71، ح 168.

وقال عبدالله بن عمر: كُتِّبَ في زمن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي لا تفاضل بينهم. (1)

وقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) له: أنت صاحبي في الغار، وصاحبي في الحوض، وأنت أول من يدخل الجنة من أمتي، وأنا أول من ينشق عنه الأرض، ثم أبوبكر، ثم عمر. (2)

وقال لعائشة في مرض موته: أدعي لي أبابكر أبك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمني متمنٌ، ويقول قائل: أنا أولي، ويأبي الله والمؤمنون إلا أبابكر. (3)

نقل هذه الأباطيل كلها فضل روزبهان، وقد أجاب عن كل منها واحداً بعد واحد القاضي نورالله في إحقاق الحق. (4)

ونحن نلخصه فنقول: كونه قبل البعثة من الأشراف، فمدفوع بقول أبي سفيان لعلي (عليه السلام): أرضيتهم، يا بني عبدمناف! أن يلي عليكم تيمي رذل؟

وقول أبي قحافة في شأنه: اللهم لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت.

وعن فاطمة (عليها السلام) في بعض كلماته: إِنَّهُ مِنْ أَعْجَازِ قُرَيْشٍ وَأَذُنَابِهَا.

قال القاضي: وأنا أقول: إنه من ذوي الأذنان. وكان في الجاهلية معلّم

ص: 229

1- _ دلائل الصدق لنهج الحق، ج 6، ص 489؛ صحيح البخاري، ج 5، ص 82، ح 193.

2- _ همان.

3- _ دلائل الصدق لنهج الحق، ج 6، ص 490؛ صحيح مسلم، ج 7، ص 110.

4- _ إحقاق الحق (الطبع الحجري)، ص 211.

وأما كونه ذا مال كثير، فكذب محض؛ لأنه كان معلّم الصبيان، وكان أبوه كسبه صيد القماري و الدباسي، وكانت بنته أسماء يحمل النوي من أرض زبير قرب المنى علي رأسها بمقدار فرسخ، فمن كان هذا حاله و حال أبيه و بنته يعلم كونهم في غاية الفقر و المسكنة. و أما إعانته النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) بماله، فهو افتراء؛ لأنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) قبل تزويج خديجة كان هو بنفسه ذا مال، حتّي أعان عمّه أباطالب في كفالة ولده علي (عليه السلام) مع كون أبي طالب سيد قريش، و بعد تزويجه بخديجة كانت خديجة ملكة الحجاز، و كانت حيّة إلي ما قبل الهجرة بسنة بل دونها، فلا يحتاج إلي إعانة مثل أبي بكر الفقير المعلول، و بعد الهجرة كان أبو بكر في دور الأنصار و محتاجاً إلي إعانتهم.

و أمّا تصديق النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) حين إظهار الدعوة، فلا- ننكر إلاّ أنّه ليس عن خلوص و حقيقة، بل طمعاً في الجاه و المنصب، لما أخبروا من الكهنة و الرهبان أنّه يظهر الدعوة و يملك الأرض، كما في بعض الأخبار المروية عن الصاحب.

و أمّا مشاورة النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) إيّاه في الأمور، فليس للاستعانة برأيه بل لتأليف قلبه، كما قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (2)، حيث يستفاد منه أنّ لين الجانب

ص: 230

1- _ إحقاق الحقّ، ص213؛ بحار الأنوار، ج 30، ص518.

2- _ سورة آل عمران: 159.

لتأليف قلوبهم، ولو كان فظاً يستكشف عدم رسوخ الإيمان فيهم، و العفو عنهم دليل علي مخالفتهم النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، و الاستغفار لهم علي معصية الله، و من المعلوم أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لا يحتاج إلي رأي أحد، و مشورة بعد كونه نبياً، و العزم لا يدل علي متابعة رأيهم.

و أمّا كونه عاقلاً مدبراً مقبول القول، فلم نتحقق مورداً يصدر منه أيعقلاني و كلام و تدبير و قبول قول، فالكلّ دعوي بلا دليل.

و أمّا حديث: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا حَلِيلًا»، فهو من المفتريات، مع أنّ «لو» للامتناع، و أين هذا مع إخوانه علياً (عليه السلام) باتّفاق الفريقين.

و أمّا حديث اليد و عدم الكفاية، فقد عرفت أنّه لا يد لأحد علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) سيما مثل أبي بكر.

نعم يمكن أن يقال: كان لأبي بكر يد علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بعد رحلة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في ظلم ابنته و غصب حقّها و كسر ضلعها و سقوط جنينها، و غيرها ممّا صدر منه و بأمره، و هذا يصير معني قوله المنسوب إليه: «و ما لأحد عندنا يد قد كافيناه ما خلا أبي بكر يكافيه الله يوم القيامة».(1)

و أمّا ذبّ شرّ قريش عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و المسلمين، فهو إن كان حقّاً يدلّ علي نفاقه، و أنّه عند قريش كان منهم و عند النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و المسلمين كان منهم؛ لأنّه لو علم قريش بكونه مسلماً لآذوه كما يؤذون المسلمين، مع أنّه جبان لا يقدر علي الذبّ أصلاً.

و أما اشتراء المعدّيين، فهو أيضاً خلط؛ لأنّه اشترى بلائاً قبل إسلامه و

ص: 231

1- _ إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 211؛ سنن الترمذي، ج 5، ص 270، ح 3741.

إسلام بلال، وإثماً عذب بلال بعد كونه لأبي بكر وأسلم.

وأما قضية الفداء، فلا حقيقة لها أصلاً.

وأما حديث الهجرة والمصاحبة في الغار، فقد عرفت ما فيه. وأما كونه في الحروب، فهو حقّ إلاّ أنّه متسّر أو فرار، وقد نقل الرازي فراره وانهزامه في الخيبر، وكذا أخوه.

وأما تقديمه النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وتفضيله علي أصحابه، فالضرورة قاضية بخلافه.

وأما خبر محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو من مفتريات البخاري، مع معارضته مع خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في النهج وغيره، والتقية أيضاً قاضية بمثل ذلك بل فوق ذلك.

كما ورد في خبر عن الصادق (عليه السلام) حين سئل عن أبي بكر وعمر هما إمامان عادلان قاسطان كانا علي الحقّ ومضيا عليه عليهما رحمة الله، فلمّا ذهب الرجل وسأله بعض الشيعة عن هذا التفضيل، فسّر (عليه السلام) له بما حاصله أنّهما إمامان لقوله تعالى: {أئمةً يدعون إلى النار} (1)، عادلان لعدلتهما عن الحقّ، قاسطان لقوله تعالى: {وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً} (2)، كانا علي الحقّ، هو أمير المؤمنين (عليه السلام) وهما كانا علي عداوته ومضيا عليه، أي علي تلك العداوة، عليهما، أي: علي ضررهما رحمة الله وهو الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم). (3)

ص: 232

1- سورة القصص: 41.

2- سورة الجنّ: 15.

3- الصراط المستقيم، ج3، ص73.

و كلام عبدالله بن عمر قد تقدّم ما فيه، وأنّه متّهم في أبيه و صاحبه مع عداوته لأمير المؤمنين (عليه السلام) .

وأما كونه صاحب الحوض، فهو مع كونه من المفتريات، قد ورد في الأخبار الكثيرة من طرق العامة و الخاصة أنّ عليّاً (عليه السلام) صاحب الحوض و لواء الحمد بيده، وأنّه لا يدخل الجنة إلاّ من كان بيده جواز من علي بن أبي طالب. رواه الخوارزمي و ابن حجر المتعصّب في صواعقه، و محمّد بن خضر في مخاطبات النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) لعلي (عليه السلام) و أنّك علي الحوض خليفتي، و ابن المغازلي عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) : علي يوم القيامة علي الحوض لا- يدخل الجنة إلاّ- من جاء بجواز من علي بن أبي طالب. (1)

و قد قال الشافعي:

ربّ هب لي من المعيشة سؤلي

و اعف عني بحق آل رسول

و اسقني شربةً بكفّ عليّ

سيد الأولياء، زوج بتول (2)

و أمّا حديث عائشة و قضية الكتابة، فقد تقدّم ما فيه.

و قد يتمسك بعض لفضيلته و فضيلة صاحبه بأنّهما ضجيعي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و هذا من مطاعنهما؛ لأنّ دفنهما إنّما هو بإذن عائشة، فإن كان بيت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ميراثاً، و كانت عائشة ترث من العرصة، كما هو مذهب العامة، فإنّما ترث تسع الثمن، و ترث فاطمة (عليها السلام) و بعدها بنوها سبعة أثمان، و العجب

ص: 233

1- بحار الأنوار، ج 27، ص 142، ح 152؛ الصراط المستقيم إلي مستحقي التقديم، ج 1، ص 200؛ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ص 299.

2- إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 212.

أنّ الحسن (عليه السلام) لا يدفن في الروضة و هما يدفنان. وإن لم يكن ميراثاً، فليس لعائشة تلك التصرف.

هذا كلّه غاية ما قيل في الاستدلال علي خلافة أبي بكر، وقد عرفت أنّ كلّها كبيت نسجته العنكبوت.

هذا مضافاً إليّ أنّنا نقول: إنّهُ غير قابل للخلافة من وجوه: أحدها فقد الشرائط. والثاني وجود المانع، والثالث كونه ذا مطاعن.

أمّا الأوّل، فلأنّ من الشرائط العصمة عن الكفر و الفسق و المعاصي كبارها و صغارها حتّى تبيّة المعصية، و عن السهو و الشكّ و الخطأ و غيرها في تمام عمره، و هذا لم يكن فيه قطعاً و لم يدّعه مدّع، و من الشرائط الأكملية عن كلّ الرعية في جميع الصفات من العلم و المعرفة و الإيمان و التقوي و الزهد و الورع و اليقين و الخوف و الرجا و غيرها ممّا ذكرناه في المقصد الأوّل.

و منها العلم بجميع ما يحتاج به الأُمّة و بجميع اللغات حتّى لسان الجنّ، و التمكن من دفع المعضلات.

و منها كون تلك الملكات في أعلي المراتب، و كونها موهوبياً لا كسبياً، و أين أبو بكر مع هذه، و أين هذه الصفات مع أبي بكر، بل بينهما بون بعيد أبعد من السماء و الأرض.

و من الشرائط الإتيان بالمعجزة، أو النصّ القطعي و نحوهما ممّا يثبت المطلوب، و ليس فليس.

و أمّا الثاني، فلأنّ كثيراً من الموانع موجود فيه، منها فقدان الشرائط. و منها نصّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) و سائر المعصومين (عليهم السلام) بنحو التواتر علي كذبه كما سيأتي.

منها ارتكابه بعض القبائح العقلية والشرعية والعرفية، كما نذكرها في المطاعن، و منها بدعته في الدين بالزيادة والانكار، إلي غير ذلك من الموانع.

وأما الثالث، فلا يخفي أنّ مطاعنه كثيرة، ونحن نقتصر علي قليل:

منها: تسمية نفسه خليفة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، مع أنّ الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) لم يخلفه قطعاً.

و منها: تخلفه عن جيش أسامة، مع أنّه ورد عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: لعن الله المتخلف عنه.

و منها: قوله: «إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي! فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ زَغْتُ فَتَمَوَّنُونِي» (1).

و منها: قول عمر: كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً، وَقَيَّ اللَّهُ شَرَّهَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ عَادَ إِلَيَّ مِثْلَهَا فَأَقْتُلُوهُ. (2)

و منها: قوله: أفيلونني أفيلونني، فلست بخيركم و علي فيكم. (3)

و منها: قوله عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) هل للأنصار في

ص: 235

1- _ بحار الأنوار، ج 30، ص 495؛ نهج الحق و كشف الصدق، ص 264.

2- _ الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 1، ص 256؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 2، ص 26؛ صحيح البخاري، ج 8، ص 26؛ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص 38؛ المصنّف لابن أبي شيبة، ج 7، ص 615.

3- _ بحار الأنوار، ج 10، ص 28؛ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص 216؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 2، ص 402.

هذا الأمر حق؟ وهذا شك منه. (1) ومنها: قوله في مرضه: ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتني في ظلّة بني ساعدة كنت ضربت يدي علي يد أحد الرجلين، فكان هو الأمير و كنت الوزير. (2)

ومنها: إنفاذه النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لأداء سورة البراءة ثم رده.

ومنها: عدم تولّيه في أمر أصلاً وولي غيره عليه.

ومنها: منع فاطمة (عليها السلام) إرثها، وتقرّده برواية: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، مع أنّه المدّعي؛ لأنّ الصدقة تحلّ له، فشهادة المدّعي غير مسموع.

ومنها: عدم إجراء الحدّ علي خالد بن الوليد في قصاصه و حدّه الزنا.

ومنها: جهله بالأحكام، حتّي ادّعي أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لا يموت، فقيل له: أين قوله تعالي: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (3)، فاعترف بأنّه لم يسمع تلك الآية قطّ.

وأعظم الكلّ إفتائه وإرادته إحراق بيت فاطمة (عليها السلام)، مع أنّ فيها فاطمة وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) وبني هاشم. نقلها الطبري في تاريخه، قال: قال عمر: والله! لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ للبيعة. (4)

ص: 236

1- _ إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 221؛ بحار الأنوار، ج 30، ص 138؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 17، ص 167.

2- _ إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 221؛ نهج الحق وكشف الصدق، ص 265.

3- _ سورة الزمر: 30.

4- _ تاريخ الطبري، ج 2، ص 721 ح 140.

وقال الواقدي: قال عمر: أخرجوا ليحرقنَّها عليكم. (1)

و ابن خزيمة في غرره عن زيد بن أسلم، قال: كنت ممَّن حمل الحطب مع عمر إلي باب فاطمة، فقال لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلاَّ أحرقته و منفيه، فقالت: تحرق علي ولدي؟ قال: اي، والله! أو ليخرجنَّ و ليبايعنَّ. (2)

وعن ابن عبدربه من أعيان العامة قال أبو بكر لعمر: إنَّ أبا أي: العباس و علي _ فقَاتَلَهُمَا، فَأَقْبَلَ بِقَبْسٍ مِنْ نَارٍ عَلَيَّ أَنْ يُضْرِمَ عَلَيْهِمَا النَّارَ، فَلَقِيَتْهُ فَاطِمَةُ (عليها السلام)، فقَالَتْ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دَارَنَا؟ قَالَ نَعَمْ. و كذا صاحب المحاسن و أنفاس الجواهر. (3)

إلي غير ذلك من المطاعن، و فيما ذكرناه غنيَّ و كفاية. هذا كلُّه في خلافة أبي بكر.

ما ورد في خلافة عمر بن الخطَّاب

و أمَّا خلافة عمر، فاستدلَّ له أيضاً بوجوه:

الأوَّل: الاستخلاف من أبي بكر، فعن ابن أبي الحديد قال: إنَّه _ أي: أبابكر _ كان يجود بنفسه، فأمر عثمان أن يكتب عهداً، و قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به عبدالله بن عثمان «أبي قحافة» إلي المسلمين: أمَّا بعد، ثمَّ أغمي عليه، فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب،

ص: 237

1- _ إحقاق الحق (الطبع الحجري)، ص 228، المسترشد لمحمد بن جرير الطبري، ص 378.

2- _ إحقاق الحق 2: 373، بحار الأنوار 28: 339.

3- _ بحار الأنوار، ج 28، 339، عقد الفريد لابن عبد ربه، ج 3، ص 63.

و أفاق أبو بكر، فقال: اقرء، فقرأه، فكبر أبو بكر، فقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟ قال: نعم، جزاك الله خيراً من الاسلام و أهله، ثمّ أتمّ العهد و أمره أن يقرأ علي الناس. (1)

و عن شارح المقاصد في آخر ما عهد كتب ائني استخلفت عمر بن الخطاب، فإن عدل فذلك ظني به و رأبي فيه، و إن بدّل و جار فلكلّ امرء ما اكتسب. (2)

و عن ابن أبي الحديد: دخل طلحة و قال: اتق الله و لا تسلط عمر علي الناس، فقال: قد استخلفت خير الأمة فبم تخوفني. (3) هذا.

أقول: الجواب أولاً: أنّ من أنكر حديث غدیر خمّ مع تواتره في جميع الطبقات كيف يقبل مجرد قول عثمان و خطّه أنّ أبابكر خلف عمرًا، فلنا الانكار أشدّ الانكار، بل عثمان في هذا النقل و الكتابة متّهم؛ لأنّه من إخوان عمر و محبّيه و خواصّه و أصحاب سرّه، و الشاهد علي ذلك أنّه لما أغمي علي أبي بكر كتب عثمان قد استخلفت عليكم ابن الخطاب، فلم يثبت استخلافه.

ص: 238

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 1، ص 165.

2- شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، ج 5، ص 287.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 1، ص 164_165. وَ دَخَلَ طَلْحَةُ عَلِيَّ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ! اسْتَخْلَفْتَ عَلِيَّ النَّاسِ عُمَرَ، وَ قَدْ رَأَيْتَ مَا يَلْقَى النَّاسُ مِنْهُ وَ أَنْتَ مَعَهُ، فَكَيْفَ إِذَا خَلَا بِهِمْ؟! وَ أَنْتَ عَدَا لَاقِ رَبِّكَ فَسَائِلُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَجْلِسُونِي، ثُمَّ قَالَ: أ بِاللَّهِ تُخَوِّفُنِي؟! إِذَا لَقِيتُ رَبِّي فَسَاءَ لَنِي، قُلْتُ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ. فَقَالَ طَلْحَةُ: أَعْمُرْ خَيْرَ النَّاسِ!؟

و ثانياً: أنه قد اشتهر بين الفريقين، و ورد أخبار كثيرة من الطرفين أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في مرض موته قال: ايتوني بدواة و قرطاس لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً، فقال عمر: الرجل يهجر. فإذا كان احتمال الهذيان و الهجر في حقّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) الذي قال الله تعالى في شأنه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}، {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (1)، ثابتاً، فلم لا يكون في حقّ أبي بكر، فنحن نقول: إنّ أبابكر كان في الغشوة و عند القبض، فكلماته هذيان و هجر، فلا اعتداد به أصلاً، فلم يثبت به خلافة عمر.

و ثالثاً: أنّ الاستخلاف إن كان حسناً ممدوحاً أو واجباً لازماً، فلم لم يستخلف النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) بزعمكم، و ترك الأمة حيارى، و إن لم يجب و لا يحسن، فما وجه استخلاف أبي بكر.

و رابعاً: نقول مخاطباً لعمر و أمته مقالة نفسه: حسبنا كتاب الله، و لا نحتاج إلي الخليفة.

و خامساً: لم يثبت خلافة أبي بكر حتّى يستخلف غيره.

الثاني من الوجوه المستدلّ بها علي خلافة عمر: الأخبار الموضوعّة في فضله.

منها: ما روي في صحاحهم عن ابن عمر، عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أنّ الله وضع الحقّ علي لسان عمر و قلبه. (2)

و منها: ما روي فيها عن عتبة بن عامر، عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) قال: لو كان بعدي

ص: 239

1- سورة النجم: 3_4.

2- مسند أحمد بن حنبل، ج2، ص53 و ج5، ص145.

نبي لكان عمر بن الخطاب. (1)

و منها: ما عن سعد بن أبي وقاص عنه (صلي الله عليه وآله وسلم)، قال: يابن الخطاب! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك. (2)

و منها: ما روي عنه (صلي الله عليه وآله وسلم) قال: بينا أنا قائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قميص منها ما يبلغ الشدي، و منها دون ذلك، و عرض عليّ عمر بن الخطاب و عليه قميص يجره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين. (3)

و الجواب عن تلك الأخبار أنّ كلّها موضوعات مفتريات، و لوضعها وافترائها شواهد كثيرة.

أمّا الخبر الأوّل: «انّ الله وضع الحقّ عليّ لسان عمر و قلبه» (4)،

ففيه أنّ هفوات عمر و حكمه بغير ما أنزل الله كثيرة، و قد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) في مواطن كثيرة يتّبهه علي خطائه، حتّي قال في سبعين موطناً: لولا علي لهلك عمر.

و بعض هفواته قضيته مع عمّار في مسألة التيمّم، و منها في مهور النساء، و محاجة المرأة مع عمر بقوله تعالى: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا} (5)، فألجأ عمر أن يقال:

ص: 240

1- _ المستدرك للحاكم النيسابوري، ج3، ص85.

2- _ صحيح البخاري، ج4، ص199.

3- _ صحيح البخاري، ج4، ص201.

4- _ مجمع الزوائد (الهيثمي)، ج9، ص66.

5- _ سورة النساء: 20.

كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ حَتَّى الْمُحَدَّرَاتِ فِي الْيُبُوتِ. (1) وهذا كلام حقّ جري علي لسانه، مع أنّ راوي الحديث ابن عمر، فهو من استشهاد ابن آوي بذنبه.

وأما الخبر الثاني، ففيه أنّه من مسلميات الطرفين أنّ عمر لم يكن معصوماً لا قبل إسلامه ولا بعده، ولا قبل خلافته ولا بعدها، ولم يكن مستجمعاً لجميع الصفات الكمالية، ولا منزهاً عن النقائص، ولم يكن أكمل من جميع الأمة في جميع تلك الملكات حتّى من أبي بكر بزعمكم، ولم يكن عالماً بجميع ما يحتاج إليه الأمة، سيما مع سعة أمة محمّد (صلي الله عليه وآله وسلم) من الجنّ والإنس من الشرق والغرب، ولم يكن نسبه طاهراً مطهراً كما يأتي، فكيف يكون قابلاً للنبوة، حتّى يقول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): لو كان نبي بعدي لكان عمر. (2)

إلّا أن يقال: إنّ النبوة ليس فيها شرط كمال، وليس النقص فيها مانعاً، وعلي هذا فليست النبوة كمالاً حتّى يكون عمر قابلاً لها، بل كلّ كافر فاسق ظالم مشرك قابل لها.

وأما الثالث، ففيه أولاً: أنّ سعد بن أبي وقاصّ لمّا كان من أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) حتّى أنّه تخلف عن بيعته بعد قتل عثمان، و كان من خواصّ عمر وأصحاب سرّه، فلا اعتداد بنقله، ولا حجّية في كلامه.

و ثانياً: ما المراد من سلوكه فجاً غير فتح الشيطان، إن كان المراد قبل إسلامه لزم كون جميع تقلباته في الشرك فجاً حقاً إلهياً، وإن كان بعد إسلامه في زمان

ص: 241

1- بحار الأنوار، ج 30، ص 655؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 2، ص 516؛ مجمع الزوائد (الهيثمي)، ج 4، ص 284؛ نهج الحق وكشف الصدق، ص 278.

2- دلائل الصدق لنهج الحق، ج 2، ص 382 و ج 4، ص 36 و ج 6، ص 100.

النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لزم كون فراره من الزحف و سائر ما يأتي في مطاعنه فحج حق، وإن كان بعد زمان النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الذي هو مقصود المستدل، لزم كونه جميع ما صدر منه من غصبه فدك و بدعه في الأحكام و الشريعة، و مظالمه التي يأتي بيانه، وبالجملة يكون الخبر لمكان كلمة «قط» شاملاً لجميع ما صدر منه من أول عمره إلي حين صدور هذا الخبر، و هو مخالف لضرورة الاسلام.

و أما بعده الذي هو مقصود القائل، فلا يشمل الرواية أصلاً، مع أنه خلاف الضرورة.

و ثالثاً: لا يبعد أن يكون المراد أن الشيطان لعلمه بأن عمر أضلّ و أشقي منه يخاف إضلاله، فلو سلك في عمر في طريق يسلك الشيطان فجاً آخر لئلا يغويه عمر و لا يلاقيه، كما ورد في بعض الأخبار المشهورة أن إبليس أتى النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ليتوب علي يده، فقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): زر قبر آدم (عليه السلام) حتّي يتوب الله عليك، فلما رجع ليزور القبر رأي في الطريق عمر، فسأله عن حاله، فقال له: كيت و كيت، فقال عمر: إنك ما سجدت لآدم في حياته بأمر من الله تعالي و الآن تريد أن تسجد لقبره بعد صيرورته رماداً و رفاتاً، و من هنا قال بعض الشعراء:

إن كان إبليس أغوي الناس كلهم

فأنت يا عمر قد أغويت إبليساً (1)

و رابعاً: أن الشيطان لم يفرّ من آدم في الجنة، و لم يهرب منه و لا من أسباط يعقوب و لا من الأنبياء، حتّي قال موسي (عليه السلام) في قتل القبطي: { هذا من عمل الشيطان } (2).

ص: 242

1- _ إحقاق الحق (الطبع الحجري)، ص 223؛ حديقة الشيعة، ص 310.

2- _ سورة القصص: 15.

و خامساً: قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ} (1)، ولا شبهة أن عمر كان من المنهزمين، فهذا مكذب للقرآن.

وأما الرابع، ففيه أن جرّ الثياب الذي كان في الجاهلية كان في الشريعة مذموماً؛ لكونه من التكبر والتبخر، وكونه مورثاً للتلوّث بالكثافات والقاذورات، فمفاد هذا الخبر أن عمر يجعل دينه تحت أرجله، ويلوّث دينه بالذنوب والمعاصي العظام الصادرة منه، فالرواية دليل لنا لا علينا.

الثالث من الوجوه: الفضائل المذكورة في كتبهم، مثل أن نسبه يتّصل برسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في كعب بن عدي، (2) و كان قبل البعثة من أكابر قريش وصناديدها، و رئاسة شبان قريش انتهت إليه وإلي أبي جهل وأبي الحكم بن هشام، وقد دعا رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) اللهم أعزّ الاسلام بأبي الحكم أو بعمر بن الخطاب، (3) فوقع الدعاء له، وقال المسلمون: ما زلنا في عزّ منذ أسلم عمر، (4) وكان وزير رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) طول حياته لا يصدر عن رأيه، وكان راسخاً في العلم من أشدّاء علي الكفار.

وقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدّثون، فإن يك في أمّتي أحد فإنه عمر. (5)

ص: 243

1- سورة آل عمران: 155.

2- المعجم الكبير للطبراني، ج 1، ص 65.

3- مسند أحمد بن حنبل، ج 2، ص 95.

4- إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 229؛ صحيح البخاري، ج 4، ص 242.

5- إحقاق الحقّ (الطبع الحجري)، ص 230؛ صحيح البخاري، ج 4، ص 149.

و كان يوافق أبا بكر في تهيئة الجيوش وإقامة مراسم الدين و الجهاد، فلما انتهت إليه الرئاسة أقام بأعبائها عشر سنين، حتى فتح جميع أقطار البلاد، و أخذ الملك من قيصر و كسري، و لم يمرّ عليه يوم إلاّ عن فتح جديد و غنيمة جديدة، و أنّه لبس الخشن و أكل الخشن. هذا غاية ما ذكروه في فضائله.

و الجواب: أمّا عن اتّصال نسبه في كعب، فيا ليت لم يفتخروا بنسبه، و لا مناص لنا إلاّ عن الاشارة بها إجمالاً.

فنقول: إنّ أمّه كانت خنتمة، و قد اختلفوا فيها، فقيل: هي بنت هشام بن المغيرة، و قيل: بنت عمّه، و قيل: إنّ هشام رآها مرمية في الطريق فأخذها وربّاه، فوقع عليها نظر الخطّاب، فخطبها من هشام. هذا.

و التحقيق أنّ جدّته صحّاك الحبشية، كانت من الزناة المشهورة، فوقع عليها نوفل، فولدت خطّاباً، ثمّ لمّا أدرك الخطّاب، فوقع الخطّاب عليّ أمّه، فولدت خنتمة، فخافت الصحّاك من نوفل، فرمتها في الطريق، فأخذها هشام و ربّاه، فلمّا أدركت نظر إليها خطّاب، فخطبها من هشام، فولدت عمر، فكانت خنتمة أمّ عمر لمكان ولادتها، و أختها لكونها بنت أبيه الخطّاب، و عمّتها لكونها أخت الخطّاب من حيث الأمّ لكونها من صحّاك أمّهما، و كان الخطّاب أباه لتوليد منه، و جدّه من أمّ لكونه والد أمّه خنتمة، و خاله لكون الخطّاب أخ خنتمة من حيث الأمّ و هي الصحّاك، فيصحّ في حقّه أن يقال:

من كان جدّه خاله و والده

و أمّه أخته و عمّته

أجدر أن يبغض الولي و أن

ينكر يوم الغدير بيعته (1)

ص: 244

وَأَمَّا كونه من أكابر قريش، فننكره أشدَّ الإنكار، بل له سفارة قريش، وذكر مدائحهم المعبَّر عنه بالفارسية «ثناگو» وبالهندية «بات فروش».

وَأَمَّا دعاء الرسول وقول المسلمين، فيكفي في كذبهما أنَّ عمر كان إسلامه في أوائل البعثة قيل: بعد أربعين رجلاً وإحدى عشر نسوة، وقيل: بعد تسع وثلاثين رجلاً وثلاثة عشر نسوة، وقيل: أربعين رجلاً وعشر نسوة، وقيل: خمس وأربعين رجلاً وإحدى عشر نسوة، وكيف كان فبعد إسلامه إلي زمان هجرة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) هاجر جماعة من المسلمين إلي الحبشة، وهاجر جماعة إلي المدينة، وعذب جماعة في مكَّة كعمَّار وأبويه، كلَّ من سطوة قريش وإيذانهم، حتَّى ذهب النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والمسلمون إلي شعب أبي طالب في مدَّة مديدة، فهذان الكلامان افتراء محض علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والمسلمين.

وَأَمَّا كونه وزيراً للنبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ولا يصدر عن رأيه، فقد تقدَّم في أبي بكر الجواب عنه طابق النعل بالنعل، حيث ليس مشاوره النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) إيَّاهم للاستعانة برأيهم، بل لتأليف قلوبهم، كما قال تعالي: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}، إلي قوله: {وَأَشَاوَرُهُمْ فِي الْأُمْرِ} (1) الآية.

وَأَمَّا كونه راسخاً في العلم، فيشهد له جهله بحكم التيمم الصريح في القرآن في قضية عمَّار، (2) وقول نفسه: «كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ حَتَّى الْمُخَدَّرَاتُ

ص: 245

1- سورة آل عمران: 159.

2- صحيح البخاري، ج 1، ص 90.

وَأَمَّا كونه من أشدّاء علي الكفّار، فيشهد بكذبه انهزامه في الحروب، سيما في خيبر وأحد وغيرهما.

وَأَمَّا كلام النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): «كان فيما قبلكم من الأمم» الخبر، فعلي تسليم صدقه، فهو المحدث بالتخفيف بمعنى المبدع، وبدع عمر كثيرة جدّاً من صلاة التراويح، ومنع طواف النساء والمتعة، وغيرها ممّا يأتي بعضها.

وَأَمَّا موافقة أبي بكر، فإنّما هو في غضب الخلافة، وظلم البتول، وأخذ فدك، وأمثال ذلك، وإلّا ففي سائر الأمور قد يخالفه، كما في قتل مانعي الزكاة. وأما فتح البلاد، فإنّما كان بيد المسلمين، ولم يقع من عمر حرب أصلاً علي غير سيرة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) من حضورهما في الحروب، وليس هذا إلا من جنبه.

وَأَمَّا التدبير في كيفية الفتوح، فهو من أمير المؤمنين (عليه السلام) لا منه، مع أنّه ليس لأجل الاسلام وإعلاء كلمته، بل للتوسّع في السلطنة، كما وقع نظائره من الملوك والجبابرة في كلّ عصر.

وَأَمَّا لبس الخشن، فهو من سياسته وتزويره لا لزهده وديانته، ولذا يعطي الولاية للفَسّاق والفجّار مثل المغيرة ونحوه، ولم يجعل في تمادي خلافته منصباً لعلي (عليه السلام) وشيعته وسائر بني هاشم، مع أنّهم أولي وأحقّ من كلّ أحد.

ص: 246

1- بحار الأنوار، ج 30، ص 655؛ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص 217؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 2، ص 516؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص 63؛ نهج الحق وكشف الصدق، ص 278.

هذا كلّه في الجواب عن الوجوه المذكورة في كلماتهم.

ولنا الاستدلال علي عدم قابليته للخلافة من وجوه كثيرة، تقدّم في أبي بكر من فقدته شرائط الخلافة، وواجديته جميع الموانع لها، وكونه ذا مطاعن كثيرة التي نذكر طرفاً منها:

أحدها: أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لمّا طلب في حال مرضه دواءً وكتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده، وأراد أن ينصّ حال موته علي ابن عمّه علي (عليه السلام)، فمنعهم عمر وقال: إنّ نبيكم ليهجر، فوقعت الغوغاء، فقال بعضهم: أحضروا ما طلب، ومنع آخرون، فقال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): أبعادوا. نقل في صحاحهم.(1)

ومنها: إيجابه بيعة أبي بكر علي جميع المسلمين، وقصده بيت علي (عليه السلام) وإحراق البيت ومن فيها، مع أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لم يوجب علي أهل الكتاب البيعة له ليس إلاّ، بل يقبل الجزية، ولا قصد إحراق بيت من البيوت، فهل كان عمر أعرف بمصالح المسلمين من المسلمين حيث أوجب عليهم ذلك حتّي أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومنها: قلّة معرفته حتّي أنكر موت النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، فقال: والله! ما مات حتّي يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فقال له أبو بكر: أما سمعت قوله تعالي: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}(2)، وقوله: {أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَي أَعْقَابِكُمْ}(3).

ومنها: أمره برجم حاملته، فقال له علي (عليه السلام): إن كان لك عليها سبيل فليس

ص: 247

1- صحیح البخاري، ج 7، ص 9؛ مسند أحمد ج 1، ص 325؛ صحیح مسلم، ج 5، ص 76.

2- سورة الزمر: 30.

3- سورة آل عمران: 144.

لك علي ما في بطنها سبيل، فقال: لولا علي لهلك عمر.

و منها: أمره برجم مجنونة، فقال له علي (عليه السلام) : القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، فقال: لولا علي لهلك عمر.

و منها: منعه عن المغالات في المهر، فقال: من جعل مهر ابنته غالياً جعلته في بيت المال، فقال امرأة: خالفت قول الله: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا} (1) الآية، فقال: كل الناس أفتقه من عمر حتى المخدرات في الحجال. (2)

و منها: أنه تسوّر علي قوم، فوجدهم علي منكر، فقالوا له: أخطأت من جهات قوله تعالي: {وَلَا تَجَسَّسُوا} (3)، وقد تجسست، وقال: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْتَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} (4)، وقد دخلت، وقال: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا} (5)، وقد دخلت بغير إذن، و قال: {وَتَسَلَّمُوا عَلَيَّ أَهْلِيهَا} (6)، ولم تسلّم، فلحقه الخجل.

و منها: أنه يعطي من بيت المال عائشة و حفصة عشرة آلاف درهم، و حرم علي أهل البيت خمسهم، و منع فذك من بنت الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) .

و منها: تعطيل الحدّ علي المغيرة حين شهد الثلاثة بزناه، فلما شهد الرابع

ص: 248

1- _ سورة النساء: 20.

2- _ بحار الأنوار، ج 48، ص 97.

3- _ سورة الحجرات: 12.

4- _ سورة البقرة: 189.

5- _ سورة النور: 27.

6- _ همان.

لقنه الامتناع عن الشهادة، وقال: أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين، ورجم الثلاثة.

ومنها: قوله: «متعنان كانتا علي عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما».(1)

ومنها: إرجاع الأمر إلي الشوري، وسيأتي شرحها.

ومنها: البدع الصادرة منه، مثل صلاة التراويح، ووضع الخراج علي السواد، والتكتف في الصلاة، وإسقاط حيّ علي خير العمل من الأذان والإقامة.

وغير ذلك من المطاعن المذكورة في كتب الفريقين، فتدبر جيداً.

ما ورد في خلافة عثمان

وأما خلافة عثمان، فغاية ما يمكن لهم التمسك لها أمران: أحدهما: قضية الشوري، حيث كان إرجاع الأمر إلي الشوري بنص صريح من عمر بن الخطّاب، وقد تعيّن بها عثمان، وقد أمر الله نبيه بالشوري، حيث قال: { وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (2)، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (3).

ص: 249

1- _ تاريخ مدينة دمشق، ج64، ص71؛ الصوارم المهركة في نقد الصواعق المحرقة، ص9؛ مسند أحمد، ج3، ص325.

2- _ سورة آل عمران: 159.

3- _ سورة الشوري: 38.

و الثاني: المناقب و الفضائل المذكورة لعثمان:

منها: أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) قال: لكلّ نبي رفيق، و رفيقي في الجنّة عثمان. رواه في الصحاح عن طلحة بن عبيدالله.

و منها: قول النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في حقّه حين بذل ألف دينار لتجهيز الجيش: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرّتين، و كذا بذله ثلاثمائة بغير بأجلاسها و أقتابها، فقال النبي (صلي الله عليه و آله و سلم): ما عمل بعد هذه. رواها عبدالرحمن بن جناب، و عبدالرحمن بن سمرة.

و منها: قوله (صلي الله عليه و آله و سلم) المروي عن أنس أنّ عثمان في حاجة الله و رسوله حين كان رسول رسول الله بمكة فبايعه الناس.

و منها: أنّه كان ذا النورين زوج زينب و أمّ كلثوم بنتا رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم)، و هذه من المختصّات.

و منها: أنّه أنفق أمواله في سبيل الله، و هاجر الهجرتين، و صلّى القبليتين، هاجر إلي الحبشة ثمّ إلي المدينة.

أقول: أمّا الجواب عن الشوري، فلاشتماله علي مفسد كثيرة، و المطاعن المتوجّهة إلي عمر و عثمان يكون فساده أبين من الشمس:

منها: أنّ أمر الخلافة كأمر النبوة و سائر المناصب الإلهية، بل و سائر الأحكام الشرعية الوضعية و التكليفية ليست بيد الناس حتّي يشاوروا، بل أمرها بيد الله.

و منها: أنّه ما الوجه في حصر الشوري في الستّة.

و منها: أنّه ما الوجه في الحكم بقتل المخالف؛ لأنّ مخالفته إن كان

باجتهاده، فهو معذور عند العامة، كما يعدّرون معاوية وعائشة والزبير وطلحة بل و مثل يزيد في خروجهم علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقتلهم ريحانة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، ولا يعدّرون علياً (عليه السلام) في تخلفه عن بيعة عثمان، كما لا يعدّرونه في امتناعه عن بيعة أبي بكر، وإن كانت لأجل حبّ الجاه و الطمع في حطام الدنيا، فكيف يليق بالخلافة.

ومنها: نفس اعتراف عمر بأنّ غير علي (عليه السلام) غير لائق سيما مثل عثمان، حيث قال فيه: و أمّا أنت يا عثمان و الله لدوية خير منك، و لئن و ليّتها لتحملنّ بني أبي معيط علي رقاب الناس، بعد ذكر عيوب الباقيين، و اعترف في علي (عليه السلام) بقوله: أمّا أنت يا علي! فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجّحهم، فقام علي مولياً يخرج، فقال عمر: و الله! إنّي لأعلم مكان الرجل لو وليّتموه أمركم حملكم علي المحجّة البيضاء، فقالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليسالي ذلك سبيل، و قال: أكره أن أتحمّلها حيّاً و ميتاً. (1)

أقول: إن كان تحمّلها أمر حسن مرغوب محبوب لله تعالي، فما وجه الكراهة؟ و إن كان قبيحاً محرّماً مبغوضاً لله، فلم تحمّلها حيّاً بل و ميتاً؟ لأنّ نفس هذا الارجاع مع هذه القيود من عدم الامهال فوق الثلاث، و من ترجيح من اختار عبدالرحمن الذي كان معلوماً أنّه يختار عثمان لكونه ابن عمّه و صهره، تحمّل و كيف تحمّل، بل لا يريد بذلك إلاّ قتل أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومنها: أنّ هذا الارجاع قد أحدث في قلوب الجماعة بل و غيرهم، كمعاوية و أشباهه طمع الخلافة، فجميع المفسد الواقعة في الأمة منتهية إلي ذلك

ص: 251

الارجاع، كما اعترف بذلك ابن أبي الحديد، إلي غير ذلك من المفسد.

وأما الجواب عن المناقب المذكورة له، ففيه أولاً: أن شيئاً منها لا دلالة لها علي الخلافة وغير ملازم لها.

وثانياً: أن جميع تلك الأخبار موضوعة كذب محض وافتراء علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أن وضع تلك الأخبار في زمان معاوية، كما وضع أخبار في ذم أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويشهد لذلك أن الراوي لها أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام)، مثل طلحة و أنس و عبدالرحمن.

وأما كونه ذا النورين، فلا يخفي أن البنيتين اللتين زوّجهما رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) إياه زينب و رقية لم يثبت كونهما بنتي رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، و لا بنتي خديجة، بلهما بنتا هالة أخت خديجة، مات زوجها و هو رجل من المخزوم، و كانت هالة فقيرة، و كانت خديجة من الأغنياء، فكفلت أختها مع بنتيها، ثم ماتت هالة في مسافرة، فبقيت البنتان تحت تربية خديجة، فلما ماتت خديجة ربّاهما رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) و زوّجهما عثمان، فأمرهما كأمر زيد يقال له: ابن رسول الله لمكان التربية، و قد نزلت الآيات فيه.

و ثالثاً: أن عثمان قد كان ذا مطاعن كثيرة، كافية بعضها لإثبات كفره، فكيف بالجميع، و معها فكيف يليق بالخلافة:

الأول: تولّي الفسقة و الفجرة من شياطينه و أقاربه علي رقاب الناس، مثل وليد بن عقبة الذي نزل فيه: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ} (1)، و قوله تعالى: {أَفَمَنْ

ص: 252

كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ {1}، حَتَّى أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَقَامَ فِي صَلَاتِهِ سَكَرَانَ، وَتَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ مَعَ الْقَوْمِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَزِيدَكُمْ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالُوا: لَا قَدْ قَضَيْنَا صَلَاتَنَا. {2}

و مثل سعيد بن العاص علي الكوفة، حَتَّى ظَهَرَتْ مِنْهُ مَنَكَرَاتٌ، فَمَنَعُوهَا مِنْ دُخُولِهَا.

و مثل عبد الله بن سعيد بن أبي سرح علي مصر الذي أمر النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بقتله يوم الفتح، و أفعاله صار سبباً لقتل عثمان.

الثاني: ردّ الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) إلي المدينة، مع أنبأبكر و عمر ما أقدم علي ردّه، بل لَمَّا تَكَلَّمَ عثمان في خلافة عمر، قال له عمر: يخرج رسول الله و تأمرني أن أدخله، حَتَّى أَنَّهُ حِينَ رَدَّه جَاءَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي (عليه السلام) و طلحة و زبير و سعد و عبد الرحمن و عمّار، فقالوا له: إِنَّكَ أَدَخَلْتَ الْحَكَمَ و من معه و قد كان النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أخرجهم، و إِنَّا نَذَكِّرُ اللَّهَ و الْإِسْلَامَ و مَعَادَكَ، فَلَمْ يَعْتَنِ بِهِمْ.

الثالث: إيثار أهل بيته بأموال بيت المال، حَتَّى أُعْطِيَ أَزْوَاجُ بَنَاتِهِ الْأَرْبَعُ أَرْبَعَمِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ، و أُعْطِيَ مِرْوَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، و وُلِّيَ الْحَكَمَ بِنَ أَبِي الْعَاصِ صَدَقَاتِ قِضَاعَةٍ، فَبَلَغَتْ ثَلَاثَمِائَةَ أَلْفِ فَوْهَبِهَا إِيَّاهُ، و أُعْطِيَ سَعِيدَ بِنَ الْعَاصِ مِائَةَ أَلْفِ حَتَّى أَنْكَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ.

الرابع: ضرب عبد الله بن مسعود علي دفن أبي ذرّ أربعين سوطاً، و ضربه

ص: 253

1- _ سورة السجدة: 18.

2- _ نهج الحق و كشف الصدق، ص 290.

حتي كسر أضلاعه حتي عهد عبدالله إلي عمّار أن لا يصلّي عثمان عليه، مع أنّه لا يضرب أحد أحداً علي دفن يهودي.

الخامس: ضرب عمّار حتي حدث به الفتق وأغمي، حتي فات منه صلاة الظهر والعصر والمغرب في غشوته، حتي شهد جماعة بكفر عثمان لأجل ذلك.

السادس: نفي أبي ذرّ إلي ربذة وضربه، بل إخراجة إلي الشام أولاً، فكتب معاوية أنّه أفسد الشام لهديتهم علي مفاسد معاوية، فأخرجه إلي المدينة بأمر عثمان علي بعير بغير ركاب، فسقط لحم رجلية، فأخرجه إلي ربذة غريباً وحيداً، وأمر مروان أن يمنع الناس من مشايعته، و الحكاية طويلة. السابع: تعطيل الحدّ علي عبيدالله بن عمر بن الخطّاب حيث قتل هرمان مسلماً حتي طلبه أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يجبه.

الثامن: أنّ الصحابة تبرّأوا منه حتي تركوه بعد قتله ثلاثة أيّام، ومنعوا من الصلاة عليه، حتي حمل جنازته بين المغرب والعشاء، ولم يشهدوا إلا مروان وثلاثة من مواليه.

التاسع: استهزأه بشرائع الدين، وأمره بجرم امرأة دخلت علي زوجها فولدت لستّة أشهر، وعدم اعتنائه باستدلال أمير المؤمنين (عليه السلام) من الآيات، فقتل امرأة مسلمة عمداً من غير ذنب.

العاشر: جرّأته علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) حيث إنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) تزوّج أمّ سلمة بعد وفاة زوجها أبوسلمة، و حفصة بعد وفاة زوجها عبدالله بن حذافة، قال عثمان و طلحة: أينكح محمّد نساننا إذا متنا، فنحن ننكح نسانه إذا مات، قال عثمان: أنا أريد أمّ سلمة، وقال طلحة: أنا أريد عائشة، فنزلت الآية: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ

تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَانًا {1}.(2)

الحادي عشر: نزول آيات في ذمّه:

منها: قوله تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، إلي قوله: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (3)، عن السدي في تفسيره حين دعاه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلي حكم رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) بينهما.

و منها: قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ} (4)، ذكر السدي هذه الحكاية.

و منها: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (5)، نزلت في عثمان و طلحة عند إصابة الأُحد، حيث أرادا الخروج إلي الشام، و ألحق عثمان إلي صديقه اليهودي، و طلحة إلي صديقه النصراني، فأراد عثمان التهود، و طلحة التنصر، عن تفسير السدي، إلي غير ذلك من المطاعن.

و أما خلافة سائر بني أمية و بني العباس، فغاية ما يستدلّ لهم أولياؤهم من دعوي إثبات الخلافة بالقهر و الغلبة، إنّ العزة و الجاه و الرئاسة و الغناء و الدولة و

ص: 255

1- _ سورة الأحزاب: 53.

2- _ عين العبرة في غبن العترة، (السيد أحمد آل طاووس)، ص 29.

3- _ سورة النور: 48 _ 50.

4- _ سورة النور: 47.

5- _ سورة المائدة: 51.

السلطنة من الأمور التي لا توجد إلا بإرادة الله ومشيتة، ومن المعلوم أن الله لا يريد إلا الحق وما هو صلاح الناس، كما قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ} (1) الآية.

أقول: هذا الدليل مأخوذ من كلام يزيد في مجلسه، وقد أجاب عنه رأس الشريف.

وحاصل الجواب: أن السلطنة والرئاسة والدولة علي قسمين: قسم بجعل إلهي ونصب النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) كما في أئمتنا (عليهم السلام)، وقبلهم في الأنبياء (عليهم السلام). وقسم بالغصب والظلم والهتك والإيذاء كما في هؤلاء، وقبلكم في الفراعنة والنمارة.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في حقهم، مثل قوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} (2)، وقوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ} (3)، وقوله تعالى: {إِنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (4).

وقوله تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} (5)، وقوله تعالى: {ثُمَّ

ص: 256

- 1- _ سورة آل عمران: 26.
- 2- _ سورة الشعراء: 227.
- 3- _ سورة آل عمران: 178.
- 4- _ سورة آل عمران: 178.
- 5- _ سورة الأعراف: 182 والقلم: 44.

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُ السُّوَايَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ {1} الآية، وقوله تعالى: {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} {2}، إلي غير ذلك من الآيات.

و العجب كل العجب كيف يرضون لهؤلاء الخلفاء مع إقدامهم علي قتل الذرية الطاهرة، و سبي حريمهم، و حبس جماعة منهم في السجون و ظلم المطامير، و كثرة ظهور المنكرات منهم.

فقد ظهر بحمد الله و منه تمام الكلام في المقام الأول من المقصد الثاني، من أن الإمام بعد رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ليس أبابكر و عمر و عثمان و شياطين بني أمية و بني العباس و أشباههم بما لا مزيد عليه، و لله المنّة.

ص: 257

1- _ سورة الروم: 10.

2- سورة التوبة: 85 .

وهو عمدة المقصد أنّ الخلافة والإمامة والوصاية بعد النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) بالأدلة العقلية والنقلية، كتاباً وسنةً متواترةً، ثمّ بعده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ أبناء الحسين (عليهم السلام)، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق، الشموس الطالعة، والأقمار المنيرة، والأنجم الزاهرة، وأعلام الدين، وقواعد العلم.

أمّا الاستدلال بالأدلة العقلية، فحاصل جميعها التي تزيد علي ألف، مركّب من مقدّمتين صغري وكبرى.

أمّا الصغرى، فإنّ أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (عليهم السلام) كانوا واجدين لجميع شرائط الإمامة من العصمة، والأكمالية عن جميع الأمة في جميع الصفات الحميدة، متّصفاً بها أعلي مراتبها، وكانوا عالمين بجميع ما يحتاج إليه الأمة بل فوق ذلك بمراتب، وكانوا أزهد الناس وأعبدهم وأشجعهم وأسخاهم وأصبرهم وأشدّهم، وأعلاهم إيماناً وتوكّلاً، وغير ذلك ممّا تقدّم في المقصد الأوّل من شؤونهم.

وكانوا منزّهين عن جميع الصفات الرذيلة، والعيوب الخلقية، والنقائص الخلقية، وكذا من حيث النسب والحسب، وكان كلّ واحد منهم صاحب المعجزات الكثيرة التي سطر في مدينة المعاجز وغيرها.

وهذه المقدّمة لا يمكن لأحد من المسلمين إنكار شيء من فضائلهم ولوكابر بعض النصباء وأعدائهم في بعضها اعترفوا في الآخر، ولا يمكن إنكار جميعها، فهذه المقدّمة ممّا لا إشكال فيه ولا شبهة تعتريه.

وأما الكبرى، فحكم العقل الكلّي بأنّ المتّصف بتلك الصفات بل بعضها بل كلّ واحد منها يجب أن يكون إماماً و خليفةً إذا اقترن به الدعوي؛ للزوم ترجيح الراجح، واستحالة الفاقد الغير علي الله تعالى، فكلّ واحد من تلك الفضائل صغراً مستقلاً لتلك الكبرى الكلّي، و به يمكن تكثير الأدلّة إلي أن يبلغ ألف بل ألف ألف، ويمكن إرجاع الكلّ إلي دليل واحد، بحيث لا يمكن المناقشة فيه من أحد؛ لعدم إمكانه إنكار المجموع. هذا في الدليل العقلي.

أما الكتاب، فأيات:

الأول: قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}. (1)

الثاني: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}. (2)

الثالث: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}. (3)

الرابع: {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}. (4)

الخامس: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}. (5) السادس: آية المباهلة {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ

ص: 259

1- سورة المائدة: 55.

2- سورة الرعد: 7.

3- سورة التوبة: 119.

4- سورة البقرة: 124.

5- سورة النساء: 59.

وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ { (1) الآية.

السابع: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (2) الآية.

الثامن: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } (3).

إلي غير ذلك من الآيات الواردة في شأن أمير المؤمنين (عليه السلام) و عترته المعصومين (عليهم السلام).

و لا يخفي أنّ الاستدلال بتلك الآيات إنّما هو بضميمة الأخبار الواردة من الطرفين في شأن نزولها و تفسيرها، و بيان المراد منها.

أمّا الآية الأولى، فقد اتفق علماء الشيعة علي نزولها في أمير المؤمنين (عليه السلام) عند إعطائه الخاتم في ركوعه لسانل، أو غير الخاتم، و الأخبار من طرقهم تبلغ حدّ التواتر. (4)

و أمّا العامة، فقد اتفقت مفسّروهم كالثعلبي، و الزمخشري، و البيهقي، و النضيري، و السيوطي، و صاحب المشكاة، و مؤلّف المصابيح، بل صريح التفتازاني و القوشجي، باتّفاق المفسّرين علي ما نقل عنهم.

و أمّا أخبارهم، فقد ذكر الفخر الرازي، و ابن المغازلي الشافعي، و الأخطب الخوارزمي صدر أئمّتهم، و أبو الفتوح في تفسيره، و إبراهيم بن حكيم بن ظهير، و

ص: 260

1- _ سورة آل عمران: 61.

2- _ سورة المائدة: 3.

3- _ سورة المائدة: 67.

4- _ إحقاق الحقّ، ج2، ص 399 _ 415؛ بحار الأنوار، ج35، ص 184 _ 206.

عطاء في تفسيره، وأبو بكر الرازي في أحكام القرآن، والمغربي، والطبري، والحميدي، والكلبي، والواحدي أبو الحسن علي بن أحمد في تفسيره المسمي بأسباب النزول، والحموي، وأحمد بن حنبل، وحافظ أبونعيم، وأبرافع، والحاكم أبو القاسم الحسكاني، وغيرهم، قد نقلوا بأسناد عديدة حتى أنّ النسائي في صحيحه قد نقل أخباراً في ذلك الباب، فلا ينظر إلي إنكار مثل ابن حجر المتعصب والروزيهان تواتره، وحينئذ فورود الآية في شأن أمير المؤمنين (عليه السلام) من القطعيات المتواترات بين الفريقين.

وأما الدلالة، فبعد حصر الولاية الكلّية المطلقة باللّه ورسوله وأمير المؤمنين فيه كمال الدلالة، والموضوع أنّ الولي علي جميع الأمة بعد النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) إذا كان علياً (عليه السلام)، فله الولاية الكلّية عليهم جميعاً، فهو الإمام المفترض الطاعة، فإذا ثبت إمامته حتى علي الغاصبين يثبت إمامة ذريته بالنص، كما يأتي في محلّه.

وأما الآية الثانية، فقد ورد أخبار كثيرة من طرق العامة واعترف أعاضهم، كالنخري، والحافظ أبونعيم، والحاكم أبو القاسم، والحموي في فرائد السمطين، والمالكي في الفصول المهمّة، نقلوا أخباراً كثيرة بطرق عديدة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أنّه وضع يده علي صدر علي (عليه السلام) بعد نزول الآية، فقال: أنت الهادي، يا علي! يهتدي بك المهتدون، وقال: أنا المنذر وعلي الهادي. (1)

وأما الخاصّة، فأخبارهم في ذلك يبلغ حدّ التواتر. تقريب الدلالة: إنّ قوله تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}، جملة مستقلّة، أي: جعل الله لكلّ قوم هادياً، وليس كما توهم بعض المتعصبين من كونه عطفاً

ص: 261

علي المنذر، أي: أنت لكل قوم هاد، وذلك لأنه لو كان المراد ذلك لزم أن يكون العبارة كذلك إنما أنت منذر و هاد.

و لا يناسب كلمة «لكل قوم» في المعطوف دون المعطوف عليه، بل كان العكس أولي، كأن يقول: إنما أنت منذر لكل قوم و هاد، أو يقول: إنما أنت منذر و هاد لكل قوم، فمفاد الآية بل صريحها سيما بضميمة الأخبار المتقدمة أنك منذر و كان لكل قوم هادياً.

فالآية دالة علي وجوب كون الهادي في كل عصر، و بضميمة تلك الأخبار يتعين كون أميرالمؤمنين (عليه السلام) هادياً في عصره لجميع الأمة، فيجب إطاعته و الدخول تحت أوامره و متابعتة لقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَيَّ الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} (1)، و إذا ثبت كونه هادياً، فيثبت الهداة بعده في عترته و ذريته، كما يأتي.

و أمّا الآية الثالثة، فقد نقل جماعة من العامة، كالأ-خطب الخوارزمي، و الحموي، و أبو نعيم، و أبو يوسف، و الخركوشي في شرف المصطفي، و الثعلبي في كشفه، و ابن قعب، و الكلبي، و السيوطي في الدر المنثور، و الثقي، و غيرهم، أخباراً كثيرة في كون المراد من الصادقين، علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

و في بعضها محمّد و علي، و في بعضها محمّد و آل محمّد، و في بعضها محمّد و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، و كذا الأخبار من طرفنا عن الباقر و سائر الأئمة (عليهم السلام) كثيرة جداً. (2)

ص: 262

1- سورة يونس: 35.

2- إحقاق الحق، ج3، ص 296 _ 304؛ بحار الأنوار، ج35، ص 408 _ 417.

وجه الاستدلال: إنَّ الكون مع الصادقين ليس المراد المعية الجسمية، بل المراد المعية في أقوالهم وأفعالهم من متابعتهم وإطاعتهم، و المراد من الصادقين ليس الصادق في الجملة؛ لدلالة الاقتضاء أنه قبيح متابعتهم فيما يكذب، فالمراد الصادق المطلق التالي لتلو العصمة بل عينها، ولم يكن غير هؤلاء متصفاً بذلك بل منحصر بهم، فيجب متابعتهم.

و أمَّا الرابعة، فيدلُّ علي اعتبار العصمة في الإمامة، وأنَّ الظالم سواء كان بالله أو بالنفس أو الغير غير لائق، وأنَّ أمير المؤمنين والأئمة من ذريته (عليهم السلام) قد ثبت بالأدلة القطعية كتاباً وسنةً عصمتهم، كآية التطهير والمباهلة وغيرهما، فهم دعوة إبراهيم (عليه السلام)، كما ورد بذلك أخباراً من طرقنا وطرقهم عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أنا دعوة أبي إبراهيم ثم لعلني، فاتخذني نبياً، واتخذ علياً وصياً. (1)

و أمَّا الخامسة، فالمراد من أولي الأمر أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (عليهم السلام)، كما ورد بذلك أخباراً كثيرة، فعن المجاهد نزول الآية عند استخلاف أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة. (2)

وعن الفلكي في تفسيره نزوله في علي (عليه السلام) عند شكاية أبي بردة عنه. (3)

ص: 263

1- _ إحقاق الحق، ج 3، ص 80؛ بحار الأنوار، ج 25، ص 200 و ص 207 و ج 38، ص 144، ح 108؛ نهج الحق وكشف الصدق، ص 180.

2- _ بحار الأنوار، ج 23، ص 297، ح 40؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج 3، ص 15، ح 100؛ ينابيع المودة، ج 1، ص 341، ح 1.

3- _ بحار الأنوار، ج 23، ص 298، ح 42؛ غاية المرام، ج 4، ص 320؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج 3، ص 15.

و الحموييني قال: نزوله في علي.

وعن أبي الفتوح عن جابر، حيث سئل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) عن أولي الأمر، فقال: هم خلفائي وأئمة المسلمين، أولهم علي بن أبي طالب، ثم بعده الحسن حتى عدّ إلي آخرهم. (1)

وعن حدائق اليقين عن جابر مثله.

وعن عيسي بن يوسف الهمداني، عن سليم بن قيس، أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام) في المراد من الآية أنت أولهم. (2)

وجه الدلالة: تارةً من حيث دلالة نفس أولي الأمر، حيث إنّ صاحب الأمر علي جميع الأمة ليس إلا الإمام والخليفة.

وأخري من حيث وجوب إطاعتهم مقترناً بإطاعة الله ورسوله إطاعةً مطلقةً كليةً في جميع أوامره ونواهيه، فهو مفترض الطاعة، فيكون إماماً. وثالثة من حيث دلالة الآية علي عصمة أولي الأمر للاقتران المذكور، والمعصوم منحصر بهؤلاء.

وأما السادسة، فقد أجمعت المسلمين علي أنّ أصحاب المباهلة منحصر بخمسة أصحاب الكساء، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ليس من أبنائنا ولا من نسائنا، فلا بدّ أن يكون من أنفسنا، ومن كان نفس النبي، فالمراد في جميع الشؤون الثابتة له من العلم والأخلاق والعبادة والولاية والإمامة، بل الأفضلية علي

ص: 264

1- بحار الأنوار، ج36، ص249، ح67؛ روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن لأبي الفتوح الرازي، ج5، ص412، كمال الدين، ج1، ص253، ح3.

2- شواهد التنزيل، ج1، ص189، ح203.

جميع الأنبياء و الملائكة عدا النبوة الخارجة عن الاطلاق بضرورة من الدين.

و أما الآيتان الأخيرتان الواردتان في يوم الغدير، فالكلام فيه يقع في مطالب:

المطلب الأول: في شأن نزول الآيتين

الأول: في شأن نزول الآيتين، قد اتفقت كلمة الشيعة و الأخبار الواردة عن أئمتهم (عليهم السلام) في كونهما نازلتين في أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير: إحداهما قبل النصب، و الأخرى بعده.

و أما العامة، فممن صرح بذلك الثعلبي إمام مفسريهم قد نقل بأسانيد ثلاثة عن ابن عباس، و عن الإمام جعفر بن محمد، و أبي جعفر محمد الباقر (عليهما السلام)، أنه لما نزلت آية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ } (1)، أخذ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) بيد علي (عليه السلام) و قال: من كنت مولاه. الخبر. (2)

و الحموي في فرائد السمطين: عن أبي هريرة، نزول الآية في علي. (3)

و صاحب المناقب الفاخرة عن أبي إسحاق أنه لما نزلت الآية أخذ النبي بيد علي، و قال: من كنت مولاه. الخبر. و قال: هي آخر الفرائض، ثم نزلت: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (4) الآية. (5)

و الحافظ أبو نعيم في كتاب نزول القرآن، عن أبي رافع، عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أنه

ص: 265

1- سورة المائدة: 67.

2- الكشف و البيان للثعلبي، ج4، ص92؛ مجمع البيان، ج3، ص344، حكاها عن الثعلبي.

3- فرائد السمطين، ج1، ص77، ح44.

4- سورة المائدة: 3.

5- بحار الأنوار، ج37، ص138، ح29.

يجب علي الناس المحاربة مع من حارب علياً بيده ولسانه وقلبه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ { الآية. (1)

وأيضاً نقل الحافظ عن عطية، قال: نزلت: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ {، في ولاية علي، ثم نزلت: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ { الآية. (2)

والمالكي في الفصول المهمة، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ {، في أمر علي ثم بعد تبليغ الولاية نزلت: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ { (3).

وصدر الأئمة أخطب الخوارزمي عن أبي هريرة أن آية: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ {، نزلت في غدیر خمّ يوم الخميس حين رفع النبي علياً في مشهد الناس، وقال: الله أكبر علي كمال الدين، وتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعلي. (4)

وأيضاً روي هذه الرواية بعينها عن الحموي عن أبي سعيد. (5)

والحاكم أبو القاسم في شواهد التنزيل عن أبي صالح وابن عباس أن الآية نزلت في علي، فأخذ النبي بيده وقال: من كنت مولاه. (6)

وأيضاً روي الجرجاني، عن أبي سعيد الخدري، أنه لما نزلت: { الْيَوْمَ

ص: 266

1- _ إحقاق الحق، ج 7، ص 335.

2- _ إحقاق الحق، ج 6، ص 356؛ بحار الأنوار، ج 37، ص 178، ح 65.

3- _ الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصبّاح المالكي، ج 1، ص 245.

4- _ إحقاق الحق، ج 6، ص 355؛ المناقب للخوارزمي، ص 135.

5- _ فرائد السمطين، ج 1، ص 72 _ 73.

6- _ شواهد التنزيل، ج 1، ص 251، ح 245.

أَكْمَلْتُ {، قال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) : الله أكبر علي إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب بعدي. (1)

وقد روي هذه الرواية بعينها أبو عبد الله الشيرازي، عن أبي سعيد الخدري. (2)

وكذا روي أبو أحمد مهدي بن نزار، وأبو أحمد البصري، بسندهما عن أبي هارون وأبي سعيد.

والمسعود بن ناصر في كتاب الدراية أنّ النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) قال في جحفة: من كنت مولاه الخبر (3)، فلما ارتحلوا نزلت: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ { الآية.

و ابن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب عن بريدة وأبي هريرة و جابر و براء بن عازب و زيد بن أرقم: أنّ آية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ {، نزلت في شأن علي. (4)

و صاحب كتاب المشكاة عن صحيح الترمذي، عن زيد بن أرقم: نزول تلك الآية في شأن علي. (5)

و السيوطي في الدرّ المنثور، و ابن مردويه، و ابن عساکر، عن أبي سعيد الخدري و أبي هريرة نقل نزول الآية في الثامن عشر من ذي الحجة في غدیر خمّ عند قول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) من كنت مولاه. (6)

ص: 267

1- _ شواهد التنزيل، ج 1، ص 201، ح 211.

2- _ إحقاق الحقّ، ج 14، ص 290.

3- _ بحار الأنوار، ج 37، ص 130.

4- _ الاستيعاب لابن عبد البرّ، ج 3، ص 1099.

5- _ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، ج 3، ص 1720، ح 6091.

6- _ الدرّ المنثور، ج 2، ص 259.

إلي غير ذلك، فهذا المطلوب ممّا لا إشكال فيه.

المطلب الثاني: في دلالة الآية السابعة علي المطلوب

فنقول: قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ}، يدلّ علي أنّ قبل هذا اليوم لم يكنالدين كاملاً، مع اشتماله علي جميع العقائد والأحكام والأخلاق، فالدين الذي لم تكن فيه الولاية يكون ناقصاً.

وكذا لا شبهة في أنّ أعلي النعم وأفضلها نعمة الدين الذي هو المقصود الأصلي، والغرض الإلهي المورث للسعادة في الدارين، والفوز في النشأتين، وتلك النعمة لم تكن تامّة قبل هذا اليوم، فبالولاية تتم تلك النعمة التي به يتم جميع النعم.

وكذا لا فائدة ولا ثمرة في الدين الذي لم يكن مرضياً لله تعالى، فهل هو إلا كدين اليهود والنصارى، وغيرهما من الأديان التي لها مبدء أصلي حقيقي، إلا أنّها غيرّها أهلها بالأهواء الباطلة والتخيّلات الوهمية من حيث الزيادة والنقصان، وقد ذمّ الله تعالى من قال: {تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكَفُرُ بِبَعْضٍ} (1).

فالإسلام المرضي لله تعالى هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) من عند الله، والولاية أعظم ما جاء به (صلي الله عليه وآله وسلم).

وفي هذه الآية الشريفة دلالات واضحة علي كثير من عقائد الشيعة، مثل كون الولاية من أصول الدين، وعدم معذورية الجاهل والمخطيء فيها، وكون الإمامة شرطاً لجميع الأعمال، وموجباً للسعادة والنجاة، وغيرها من الأمور المربوطة بالولاية.

ص: 268

المطلب الثالث: في دلالة الآية الثامنة علي المرام

وهي أيضاً في كمال الوضوح و الظهور للتهديدات المذكورة في الآية، من كون ترك التبليغ يوجب ترك التبليغ في أصل الرسالة، وأن أمر الولاية مخالف لأهواء الأمة الموجب لخوف النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) من إقدامهم علي القتل والإيذاء، حتّي وعده الله العصمة منهم، فهو كأمر التوحيد الذي يخالف أهواء المشركين وعاداتهم الوثنية.

و معلوم أنّ ما أنزل ليس مجرد المحبّة، أو الفضيلة من فضائل علي (عليه السلام)، بل من الأمور المهمّة التي عليها مدار تبليغ الرسالة، بل الأمور المدّعات في لسان المخالفين ليست ممّا يورث الخوف حتّي يوجب الوعد بالعصمة، كما لا يخفي. هذا.

ونحن نقتصر في المقام علي تلك الآيات الثمانية التي لا يمكن الخدشة فيها، وإلا فالآيات الواردة في حقّ الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) أو في أعدائهم كثيرة جداً، لأجل الأخبار المروية عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) أو الأئمّة في شأن نزولها من طرق العائمة و الخاصّة التي فيها دلالة بالمطابقة أو الالتزام، أو إشعار بإمامتهم منطوقاً أو مفهوماً، مثل قوله تعالى: {فَأَسَدُّ ثُلُوهَا أَهْلَ الذِّكْرِ} (1)، حيث إنّهم أهل الذكر وهم المسؤولون.

وقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (2)، حيث إنّهم حبل الله.

ص: 269

1- سورة النحل: 43 و الأنبياء: 7.

2- سورة آل عمران: 103.

وقوله تعالى: {فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} (1)، حيث إنهم العروة الوثقى.

وقوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (2)، حيث إنهم الصراط المستقيم.

وقوله تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} (3)، حيث إن ولايتهممما بعث الله عليها النبيين.

وقوله تعالى: {ثُمَّ لِنُسَلِّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} (4)، حيث إن النعيم ولايتهم.

وقوله تعالى: {وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} (5)، حيث إن ولايتهم المسؤول عنها يوم القيامة.

وقوله تعالى: {عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَاكِبُونَ} (6)، لأجل ترك الولاية.

وقوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (7)، نزلت فيهم.

وقوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} (8)، نزلت فيهم.

ص: 270

1- _ سورة البقرة: 256.

2- _ سورة الفاتحة: 6.

3- _ سورة الزخرف: 45.

4- _ سورة التكاثر: 8.

5- _ سورة الصافات: 24.

6- _ سورة المؤمنون: 74.

7- _ سورة النساء: 54.

8- _ سورة الإسراء: 71.

وقوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} (1)، هم أهل البيت.

وقوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (2)، هم القريبي.

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} (3)، حيث إنهم داخلون في الصلوات.

وقوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (4)، حيث إنهم نور علي نور، و نور بعد نور. وقوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} (5)، هم الرجال.

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ} (6)، هم آل إبراهيم.

وقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (7)، هم الأقربون.

ص: 271

1- _ سورة الأحزاب: 33.

2- _ سورة الشوري: 23.

3- سورة الأحزاب: 56 .

4- سورة النور: 35 .

5- سورة النور: 36 .

6- سورة آل عمران: 33 .

7- سورة الشعراء: 214 .

وقوله تعالى: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ } (1)، هم ذو القربى.

وقوله تعالى: { مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى } (2)، هم ذو القربى.

وقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } (3)، حيث إنهم خير البرية، وأعداؤهم شر البرية.

وقوله تعالى: { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } (4)، حيث إنهم وشيعتهم أصحاب الجنة، و أعداؤهم أصحاب النار.

وقوله تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمْنُونَ }، { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ } (5)، حيث إن الحسنه ولايتهم، و السيئة عداوتهم وإنكارهم.

وقوله تعالى: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } (6)، في أمراة الإمامة.

ص: 272

1- سورة الإسراء: 26 .

2- سورة الحشر: 7 .

3- سورة البيئنة: 7 .

4- سورة الحشر: 20 .

5- سورة النمل: 89 _ 90 .

6- سورة القصص: 68 .

وقوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (1)، بولايتهم.

وقوله تعالى: {يَا حَسْرَتِي عَلَي مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} (2)، هم جنب الله.

وقوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ}، {عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ} (3)، هم النبا العظيم.

وقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (4)، حيث إن علياً (عليه السلام) شري نفسه.

وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} (5)، ورد فيهم.

وقوله تعالى: {إِذَا نَادَيْتُمُ الرَّسُولَ} (6)، إنه أهل النجوي.

وقوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (7)، ورد فيهم وشيعتهم وأعدائهم.

وقوله تعالى: {فَأَذِّنْ مُّؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (8)، علي (عليه السلام) هو المؤذن.

ص: 273

1- _ سورة طه: 82.

2- _ سورة الزمر: 56.

3- _ سورة النبأ: 1 و 2.

4- _ سورة البقرة: 207.

5- _ سورة البقرة: 274.

6- _ سورة المجادلة: 12.

7- _ سورة فاطر: 32.

8- _ سورة الأعراف: 44.

وقوله تعالى: { وَ عَلِيّ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ } (1)، هم أصحاب الأعراف.

وقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } (2)، إنّ ولايتهم نعمة الله.

وقوله تعالى: { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } (3)، حيث إنّ علم الكتاب عندهم.

وقوله تعالى: { أَفَمَنْ كَانَ عَلِيّ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } (4)، الشاهد علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ } (5)، المؤمن المجاهد علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: { وَ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ } (6)، المؤذن أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } (7)،

ص: 274

1- _ سورة الأعراف: 46.

2- _ سورة إبراهيم: 28.

3- _ سورة الرعد: 43.

4- _ سورة هود: 17.

5- _ سورة التوبة: 19.

6- _ سورة التوبة: 3.

7- _ سورة التحريم: 4.

علي (عليه السلام) صالح المؤمنين.

وقوله تعالى: { وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } (1)، الأذن الواعية علي (عليه السلام) .

وقوله تعالى: { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } (2)، همالموفون بالنذر.

وقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } (3)، علي (عليه السلام) هو الودّ.

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } (4)، علي (عليه السلام) هو المحبّ لله والله يحبه.

وقوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا } (5)، الصهر هو علي (عليه السلام) .

وقوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ } (6)، هم المستخلفون.

ص: 275

1- _ سورة الحاقة: 12.

2- _ سورة الإنسان: 7.

3- _ سورة مريم: 96.

4- _ سورة المائدة: 54.

5- _ سورة الفرقان: 54.

6- _ سورة النور: 55.

- وقوله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (1)، ورد فيهم وفي أعدائهم.
- وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (2)، في أعدائهم.
- وقوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} (3)، فيعلي (عليه السلام) وأعدائه.
- وقوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (4)، أمر الولاية.
- وقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (5)، عن الولاية.
- وقوله تعالى: {وَ الْعَصْرِ}، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} (6)، أعداء علي (عليه السلام).
- وقوله تعالى: {وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} (7)، هو علي (عليه السلام).

ص: 276

-
- 1- سورة ص: 28.
 - 2- سورة الجاثية: 21.
 - 3- سورة السجدة: 18.
 - 4- سورة الزخرف: 43.
 - 5- سورة الزخرف: 44.
 - 6- سورة العصر: 1 و 2.
 - 7- سورة التوبة: 100.

وقوله تعالى: { وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ }، {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (1)، ورد فيهم.

وقوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (2)، هو علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} (3)، الملقى هو النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام).

إلي غير ذلك من الآيات التي ذكرها في غاية المرام، كل من طرق العامة والخاصة، بأسانيد عديدة تبلغ تلك الآيات أكثر من مائة، والأخبار الواردة فيها أكثر من ألف، فمن أراد راجعها.

مثل قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} (4)، أي: أسامي الخمسة. وقوله تعالى: {وَازْكُعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ} (5)، أي: معهم (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} (6)، هي الولاية.

وقوله تعالى: {سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} (7)، راجع إلي يوم الغدير.

ص: 277

1- _ سورة الواقعة: 10 و 11.

2- _ سورة الحجرات: 13.

3- _ سورة ق: 24.

4- _ سورة البقرة: 37.

5- _ سورة البقرة: 43.

6- _ سورة الأحزاب: 72.

7- _ سورة المعارج: 1.

وقوله تعالى: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاً وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } (1)، هم المضطرون.

وقوله تعالى: { أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } (2)، امتحان الناس بعد رحلة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم).

وقوله تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً } (3)، الذكر أميرالمؤمنين (عليه السلام).

وقوله تعالى: { فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى } (4)، هم أصحاب الأئمة (عليهم السلام).

وقوله تعالى: { أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ آخِذِينَ بِآيَاتِي الَّتِي لَا تَنفَعُ الْمُفْسِدِينَ } (5)، كما ارتدوا بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم).

وقوله تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } (6)، فتنة لصوص الخلافة. وقوله تعالى: { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ }

ص: 278

1- _ سورة النمل: 62.

2- _ سورة العنكبوت: 2.

3- _ سورة طه: 124.

4- _ سورة طه: 135.

5- _ سورة آل عمران: 144.

6- _ سورة الأنفال: 25.

أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ {1}، هو علي (عليه السلام) .

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } {2}، علي الأئمة (عليهم السلام) .

وقوله تعالى: { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى {3}، في نصب أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وقوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ أَكْتَابِيهِ } {4}، أهل الولاية.

وقوله تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {5}، هم وأصحابهم.

وقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } {6}، نزلت في علي (عليه السلام) وأتباعه.

وقوله تعالى: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } {7}، السابق علي (عليه السلام) .

ص: 279

1- _ سورة آل عمران: 172.

2- _ سورة آل عمران: 200.

3- _ سورة النجم: 2 و3.

4- _ سورة الحاقة: 19.

5- _ سورة القمر: 54.

6- _ سورة الصف: 4.

7- _ سورة الحشر: 10.

وقوله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} (1)، علي وفاطمة (عليهما السلام).

وقوله تعالى: {وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ} (2)، هو علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ} (3)، في علي (عليه السلام) و أعدائه.

وقوله تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلِي نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} (4)، هو علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا} (5)، هو علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (6)، بين علي (عليه السلام) و أعدائه.

وقوله تعالى: {وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا} (7)، شيعة علي (عليه السلام).

ص: 280

1- _ سورة الرحمن: 19.

2- _ سورة الزمر: 33.

3- _ سورة الزمر: 29.

4- _ سورة الزمر: 22.

5- _ سورة الزمر: 9.

6- _ همان.

7- _ سورة الفتح: 29

وقوله تعالى: {وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشَّهَادَةُ} (1)، هم الأئمة (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} (2)، سيف علي (عليه السلام). وقوله تعالى: {وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} (3)، بعلي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} (4)، في علي (عليه السلام) و أعدائه من بني أمية وغيرهم.

وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} (5)، هم علي و أولاده (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} (6)، أي: المنافقون من قريش و الذين آمنوا علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (7)، هم الناكثون لبيعة علي (عليه السلام) بعد وفاة النبي (صلي الله عليه و آله و سلم).

ص: 281

1- _ سورة الحديد: 19.

2- _ سورة الحديد: 25.

3- _ سورة الأحزاب: 25.

4- _ سورة الحج: 19.

5- _ سورة المرسلات: 41.

6- _ سورة المطففين: 29.

7- _ سورة البقرة: 15.

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} {1}، الآية سيدهم وأولهم علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ} {2}، إن علياً (عليه السلام) شبيه عيسى (عليه السلام).

وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} {3}، النبي و علي وأهل بيته (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} {4}، هم الأئمة (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} {5}، الآية الدعوة لولاية علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ} {6}، النصر أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} {7}،

ص: 282

1- _ سورة الفتح: 10.

2- _ سورة الزخرف: 57.

3- _ سورة النساء: 69.

4- _ سورة الأعراف: 181.

5- _ سورة الأنفال: 24.

6- _ سورة الأنفال: 62.

7- _ سورة الرعد: 19.

فيهم وأعدائهم.

وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} (1)، هم خاصته.

وقوله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (2)، هم وشيعتهم.

وقوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا - إِلَي قَوْلِهِ - وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} (3)، علي (عليه السلام) وأصحابه مع معاوية وأصحابه.

وقوله تعالى: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} (4)، فيهم.

وقوله تعالى: {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ} (5)، أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} (6)، الآية علي (عليه السلام) وأتباعه.

وقوله تعالى: {رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} (7)، هم الأئمة (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} (8)، الولاية.

ص: 283

1- سورة الحج: 34.

2- سورة الرعد: 28.

3- سورة البقرة: 253.

4- سورة الإسراء: 81.

5- سورة القصص: 61.

6- سورة الأحزاب: 23.

7- سورة النساء: 83.

8- سورة البقرة: 256.

وقوله تعالى: {وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا} (1)، هو طريق علي (عليه السلام) وذريته.

وقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (2)، علي (عليه السلام) وذريته يمشي سويًّا و أعداؤهم مكبًّا.

وقوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} (3)، في ادعاء لقب إمارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنه من مختصات علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} (4)، هو بغض علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} (5)، هم أهل البيت (عليهم السلام).

وقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} (6)، في أمر علي (عليه السلام).

وقوله تعالى: {فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا} (7)، هو الولاية.

وقوله تعالى: {ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً} (8)، في ولاية علي (عليه السلام).

ص: 284

1- سورة الأنعام: 153.

2- سورة الملك: 22.

3- سورة الملك: 27.

4- سورة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم): 30.

5- سورة التحريم: 8.

6- سورة النساء: 115.

7- سورة التغابن: 8.

8- سورة البقرة: 208.

وقوله تعالى: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } (1)، نزلت في نجوي المنافقين لنتقض الولاية.

و ما ذكرناه فوق حدّ الكفاية.

والاشكال في أسانيد بعضها، مندفع بأنها من حيث المجموع فوق حدّ التواتر، وكذا الاشكال في دلالة بعضها؛ لأنها بانضمام بعضها ببعض تصير قطعية الدلالة، فهذا ممّا لا إشكال فيه.

وأما الاستدلال بالأخبار المتواترة، فهي علي طوائف، نذكر معدوداً منها من كتب العامة إلزاماً عليهم، وهي كثيرة جداً:

الأول: أخطب الخوارزمي موفق بن أحمد المكي في كتاب الفضائل، بإسناده عن أبي سليمان (2)

راعي إبل رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ لِي الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ }، قُلْتُ: { وَ الْمُؤْمِنُونَ } (3)، قَالَ: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ! فِي أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَيْرَهَا، قَالَ: عَلَيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ! قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا، فَشَقَقْتُ لَكَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي، فَلَا أُذَكِّرُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، فَأَنَا الْمُحْمُودُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ أَطَّلَعْتُ الثَّانِيَةَ، فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيًّا، فَشَقَقْتُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي، فَأَنَا الْأَعْلَى وَهُوَ عَلِيٌّ.

يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي خَلَقْتُكَ وَ خَلَقْتُ عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ وَ الْأَيْمَةَ

ص: 285

1- سورة المجادلة: 7.

2- الصحيح: أبي سلمى.

3- سورة البقرة: 285.

مِنْ وُلْدِهِ مِنْ نُورِي، وَ عَرَضْتُ وَلَا يَتَّكُم عَلَيَّ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِينَ، فَمَنْ قَبْلَهَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ جَحَدَهَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْكَافِرِينَ.

يَا مُحَمَّدُ! لَوْ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِي عَبَدَنِي حَتَّى يَنْقَطِعَ أَوْ يَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي، ثُمَّ أَتَانِي جَا حِدًا لَوْلَا يَتَّكُم مَا عَفَرْتُ لَهُ، حَتَّى يَقْرَبَ بَوْلًا يَتَّكُم.

يَا مُحَمَّدُ! أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهُمْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ! فَقَالَ لِي: التَّفْتُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، فَالْتَمْتُ فَإِذَا أَنَا بِعَلِيِّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ وَ عَلِيَّ بْنِ الْحَسَنِ وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَ جَعْفَرَ بْنَ مُوسَى وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ وَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَ الْمُهَدِّيَّ (عليهم السلام) فِي صَحْضَاحٍ مِنْ نُورٍ قِيَامٌ يُصَلُّونَ وَ هُوَ فِي وَسَطِهِمْ، يَعْنِي الْمُهَدِّيَّ يُضِيءُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ.

فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ! هُوَ الْحُجَجُ وَ هُوَ الثَّائِرُ مِنْ عَثْرَتِكَ، وَ عَزَّتِي وَ جَلَالِي! إِنَّهُ الْحُجَّةُ الْوَاجِبَةُ لِأَوْلِيَائِي، وَ الْمُنتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي. (1)

الثاني: أخطب الخوارزمي هذا بإسناده عن سعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم): أَنَا وَارِدُكُمْ عَلَيَّ الْحَوْضِ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ! السَّاقِي، وَ الْحَسَنُ الدَّائِدُ، وَ الْحُسَيْنُ الْأَهْرُ، وَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْفَارِضُ (2)، وَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ النَّاشِرُ، وَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّائِقُ، وَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ مُحْصِي الْمُحْبِبِينَ وَ الْمُبْغِضِينَ وَ قَامِعُ الْمُتَأَفِّقِينَ، وَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى مَزِينُ الْمُؤْمِنِينَ، وَ

ص: 286

1- بحار الأنوار، ج 36، ص 216، ح 18 و ص 262، ح 82؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 1، ص 173، ح 270؛ مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين والأئمة، ص 38؛ مقتضب الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 11؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج 1، ص 146، ح 23.

2- في المقتل والبحار: الفارط.

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مُنْزِلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي دَرَجَاتِهِمْ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَاطِبُ شَيْعَتِهِ وَمُرُوجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، يَسْتَضِيئُونَ بِهِ، وَالْمَهْدِيُّ شَفِيعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا يَأْذُنُ اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. (1)

الثالث: ما عن عبد الله بن أبي أوفى، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) أَنَّهُ قَالَ (صلي الله عليه وآله وسلم): لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (عليه السلام)، كَشَفَ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ، فَنَظَرَ إِلَى جَنْبِ الْعَرْشِ فَرَأَى نُورًا، فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! مَا هَذَا النُّورُ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَذَا مُحَمَّدٌ صَفِيِّي، فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! أَرَى إِلَيَّ جَانِبَهُ نُورًا آخَرَ؟ فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَذَا عَلِيُّ نَاصِرُ دِينِي، فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! أَرَى إِلَيَّ جَانِبَهُمَا نُورًا ثَالِثًا؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَذِهِ فَاطِمَةُ تَلِي أَبَاهَا وَبَعْلَهَا، فَطَمْتُ مَحِييَهَا مِنَ النَّارِ.

قَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! أَرَى نُورَيْنِ يَلْبِيَانِ الثَّلَاثَةَ الْأَنْوَارَ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَذَانِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَلْبِيَانِ أَبَاهُمَا وَجَدَّهُمَا وَأُمَّهُمَا.

فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! أَرَى تِسْعَةَ أَنْوَارٍ أَحَدُكُمَا بِالْخَمْسَةِ الْأَنْوَارِ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ مِنْ وُلْدِهِمْ، فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! فَبِمَنْ يُعْرَفُونَ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدٌ وَلَدُ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرٌ وَلَدُ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى وَلَدُ جَعْفَرٍ، وَعَلِيُّ وَلَدُ مُوسَى، وَمُحَمَّدٌ وَلَدُ عَلِيٍّ، وَعَلِيُّ وَلَدُ مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنُ وَلَدُ عَلِيٍّ، وَمُحَمَّدٌ وَلَدُ الْحَسَنِ، الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ (عليهم السلام).

قَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! وَأَرَى عِدَّةَ أَنْوَارٍ حَوْلَهُمْ لَا يُحْصِي عِدَّتَهُمْ إِلَّا أَنْتَ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! هَؤُلَاءِ شَيْعَتُهُمْ وَمُحِبُّوهُمْ، قَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! وَبِمَا يُعْرَفُونَ

ص: 287

1- بحار الأنوار، ج 26، ص 316، ح 80 و ج 36، ص 270؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 1، ص 174، ح 271؛ مائة منقبة لابن شاذان ص 23؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج 1، ص 145، ح 21.

شِعْتُهُمْ وَ مُجِبِّيهِمْ؟ قَالَ: بِصَلَاةِ الْإِحْدَى وَالْحَمْسَيْنِ، وَالْجَهْرِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْفُنُوتِ قَبْلَ الرُّكُوعِ، وَسَجْدَةِ الشُّكْرِ، وَ التَّحْتَمِ بِالْيَمِينِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ شَيْعَتِهِمْ وَ مُجِبِّيهِمْ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: {وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ}، {إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (1).

قَالَ الْمُفْضَلُ بْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ (2)، لَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ وَ سَجَدَ، فَقُبِضَ فِي سَجْدَتِهِ. (3)

الرابع: مقتضب الأثر لأحمد بن محمد بن عياش، بإسناده عن جابر، قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، يُحَدِّثُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليهم السلام) بِمَكَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ خَلَّفَ فِي الْأَرْضِ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، قُلْتُ: يَا رَبَّ! أَخِي. وَ سَأَقُ الْحَدِيثَ قَرِيبًا إِلَى الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْمُتَقَدِّمِ.

إِلَى أَنْ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عُمَرَ! وَ أَنْشَدُكَ اللَّهُ هَلْ أَخْبَرَكَ أَحَدٌ غَيْرَ أَبِيكَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ أَمَا الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) فَلَا، وَ لَكِنِّي كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ كَعْبِ الْأَخْبَارِ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيَّ عَدَدٌ

ص: 288

1- _ سورة الصافات: 83 _ 84.

2- _ في بعض المصادر: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ» وَ هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ الشَّيْعِيُّ.

3- _ بحار الأنوار، ج 36، ص: 213، ح 15؛ الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (لابن شاذان القمي)، ص: 186، ح 161؛ الفضائل (لابن شاذان القمي)، ص 158؛ مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر، ج 3، ص 363، ح 929.

نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاقْبَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام).

فَقَالَ كَعْبٌ: هَذَا الْمُقَفِّيُّ أَوْلُهُمْ وَأَحَدَ عَشَرَ مِنْ وُلْدِهِ، وَسَمَاءُ كَعْبٌ بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّوْرَةِ تَقْوِييْتُ، قِيدُوا، دَبِيرًا، مَفْسُورًا، مَسْمُوعًا، دُومُوهُ، مَشِيو، هَذَا، يَثْمُو، بَطُور، نَوْقَسْ؛ قِيدْمُو. (1) الحديث طويل، اكتفينا به علي هذا المقدار.

إلي غير ذلك من الأخبار، هذا من طرق العامة.

وأما من طرق الخاصة، فكثيرة جدًا، ونحن نقتصر علي ذكر الفهرست لتلك الأخبار، فنقول: هي علي طوائف:

الأولي: النصوص الواردة الصريحة في أسمائهم واحداً بعد واحد، قد جمعها الأستاذ (قدس سره) في نصائح الهداة المنصفة لإبطال المذهب البابية، وهي تزيد علي المائة. (2)

الثانية: الأخبار الواردة في كون الأئمة اثني عشر عدد نقباء بني إسرائيل كلهم من قريش، تبلغ حدّ التواتر. (3)

الثالثة: الأخبار الواردة في أنّ الأرض لا تخلو عن الحجّة: إمّا ظاهر مشهور، أو غائب مستور. (4)

الرابعة: الخبر المتواتر بين الفريقين من حديث المنزلة في قوله (صلي الله عليه وآله وسلم): «أنت

ص: 289

1- بحار الأنوار، ج 36، ص 222، ح 21؛ مقتضب الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 26.

2- كتاب نصائح الهدى للعلامة البلاغي المطبوع في موسوعته، ج 6، ص 381.

3- إحقاق الحق، ج 13، ص 1 _ 48؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 226 _ 390.

4- الاحتجاج، ج 2، ص 317؛ بحار الأنوار، ج 23، ص 5، ح 10.

مَنِي بمنزلة هارون من موسى»، وقد صنّف في العبقات مجلدين في طبقاتسند هذا الحديث بحيث تصير فوق التواتر و في دلالتها.(1)

الخامسة: أحاديث الطير المشوي، و هي أيضاً تبلغ التواتر.(2)

السادسة: أخبار السفينة في قوله (صلي الله عليه وآله وسلم): «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح»، و هي أيضاً تبلغ التواتر.(3)

السابعة: الأخبار الواردة في الغدير.(4)

الثامنة: الأخبار الواردة في ذيل الآيات الشريفة المتقدمة، و هي تبلغ ألفاً.

التاسعة: الأخبار الواردة في شؤونهم و فضائلهم و مناقبهم، و هي أكثر من ألف.

العاشرة: الأخبار الواردة في معجزهم، و هي علي ما في مدينة المعاجز معنون بعنوان ستّ و ستّين و ألفين حديثاً، لكن عند التحقيق تبلغ عشرة آلاف حديثاً، و لعمرى أنّ تلك الطوائف لو جمعها جامع تزيد علي مائة ألف حديث في كلّ دلالة كافية، و لا يمكن الإحاطة بها و ضبطها و تدوينها طول العمر، و

ص: 290

1- _ إحقاق الحق، ج 4 إلي ج 5، ص 235؛ بحار الأنوار، ج 37، ص 254 _ 285؛ عبقات الأنوار، ج 11 إلي ج 12، ص 369.

2- _ إحقاق الحق، ج 5، ص 318 _ 368؛ بحار الأنوار، ج 38، ص 348 _ 360؛ عبقات الأنوار، ج 13، ص 2 _ 196.

3- _ إحقاق الحق، ج 9، ص 269 _ 294؛ بحار الأنوار، ج 23، ص 105 _ 156؛ عبقات الأنوار، ج 23، ص 913 _ 1083.

4- _ إحقاق الحق، ج 6، ص 225 _ 368؛ بحار الأنوار، ج 37، ص 108 _ 253؛ عبقات الأنوار، ج 1 إلي ج 5، في بيان سند الحديث، و

ج 6 إلي ج 10، في بيان دلالة الحديث.

من أراد الاطلاع ببعضها، فيطلبها من الكتب المعدة لها، كالبحار، والوافي، وغاية المرام، ومدينة المعاجز، والعبارات، وغيرها من كتب العامة والخاصة.

كتاب فضل تورا آب بحر كافي نيسن

كه تر كنم سر انگشت و صفحه بشمارم {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (1)، لوصارت الأشجار أقلاماً، والبحار مداداً، والملائكة كتاباً، والخلائق حساباً، ما أحصوا فضائلهم.

المقام الثالث: في شؤونهم و فضائلهم

و يكفيك في ذلك كتاب واحد، وهو غاية المرام، الذي جمع فيه الأخبار الواردة في هذا الباب من طرق العامة والخاصة، المشتملة علي تسع وخمسين وأربعمئة أبواب، كل باب مشتمل علي أخبار كثيرة، تبلغ أربعة آلاف وثلاثمئة وواحداً وثمانين حديثاً علي ما عدّها، مع أنه قد ثبت بالبراهين العقلية والنقلية من الكتاب والسنة عدم إمكان إحصاء فضائلهم ومناقبتهم.

أمّا العقل، فلاّتهم (عليهم السلام) المظاهر التامات لجميع الأسماء الحسني، فهم مظهر «يا حيّ يا قيوم، يا سميع يا بصير، يا عليم يا قدير، يا حكيم يا عدل، يا محيط يا خبير» إلي غير ذلك من الأسماء بنحو الأتم الأكمل، فكما لا يمكن الإحاطة بتلك الأسماء لا يمكن الإحاطة بتلك المظاهر.

ص: 291

وَأَمَّا الْكِتَابُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (1)، وَهُمْ الْإِمَامُ الْمُبِينُ.

وقوله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (2)، وَهُمْ الْكَلِمَاتُ النَّاتِيئَاتُ. وَأَمَّا السُّنَّةُ، فَلِقَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): لَوْ أَنَّ الْغِيَاضَ أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرَ مِدَادٌ، وَالْجَنِّ حُسَابٌ، وَالْإِنْسَ كُتَّابٌ، مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. (3)

أقول: فكيف يمكن الغور في ذلك؟ ومن أراد ذلك فليرجع إلي محالها.

المقام الرابع: في معاجزهم

وقد تقدّم أنّها أكثر من أن تحصى، بل المعجزات الباهرة و خوارق العادات الظاهرة الصادرة من قبورهم، و ممّن توسّل بهم في الشدائد و المهالك و المرضى و الحوائج، في كلّ سنة بل شهر، بل في كلّ يوم و في كلّ مكان و من كلّ شخص، كيف يمكن لغير علام الغيوب الإحاطة بها، بل الخوارق العادات الصادرة من أبناء الأئمة (عليهم السلام) و السادة الأجلّة و العلماء العظام من قبورهم و التوسّل بهم، كلّها يرجع إلي معاجزهم، و دليل علي إمامتهم.

و هذا أيضاً لا يمكن الإحاطة بها، و كلّ إنسان في طول دهره سيما

ص: 292

1- سورة يس: 12.

2- سورة الكهف: 109.

3- بحار الأنوار، ج 38، ص 197 و ج 40، ص 49 و ص 70، ح 105؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 1، ص 112؛ كنز الفوائد، ج 1، ص 280.

المجاورين لقبورهم قد شاهد من ذلك جمّاً غفيراً وعدداً كثيراً.

المقام الخامس: في غيبة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

إشارة

وفيهما مطالب،

المطلب الاول

إشارة

أحدها: في من نال بزيارته، وتشرف بلقائه في حياة أبيه، وفي الغيبة الصغرى، وفي الغيبة الكبرى، وهم يزيدون علي المائة، بل المآت، بل الألف بل الألوف، ونحن نذكر شطراً منهم، بحيث يورث التواتر القطعي الذي لا يبقى مجالاً لإنكار وجوده علي المعاند والمخالف رغماً منه:

فمنهم: حكيمة بنت الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ونسيم ومارية، قلن: لَمَّا خَرَجَ صَاحِبُ الزَّمَانِ (عليه السلام) مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، سَقَطَ جَائِئاً عَلَي رُكْبَتَيْهِ، فَأَيْمًا لِسَبَابَتَيْهِ، ثُمَّ عَطَسَ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّ اللَّهُمَّ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، إِلَي أَنْ قَالَ: زَعَمَتِ الظُّلَمُ أَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ دَاحِضَةً، لَوْ أُذِنَ لَنَا بِالْكَلامِ لَزَالَ الشُّكُّ. (1)

و منهم: أبونصر الخادم، علي ما في كشف الغمة، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَي صَاحِبِ الزَّمَانِ (عليه السلام) وَهُوَ فِي الْمُهْدِ، فَقَالَ لِي: عَلَيَّ بِالصَّنَدِلِ الْأَحْمَرِ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنْتَ سَيِّدِي وَابْنُ سَيِّدِي، فَقَالَ: لَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْتِكَ، فَقُلْتُ: فَسِّرْ لِي، فَقَالَ: أَنَا خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ، وَبِي يَرْفَعُ اللَّهُ الْبَلَاءَ عَنْ

ص: 293

1- بحار الأنوار، ج73، ح53، ح5؛ الخرائج والجرائح، ج1، ص457، ح2؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص245؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج2، ص498؛ الهداية الكبرى، ص357.

و منهم: يعقوب بن منقوش علي ما عن الصدوق، قال: دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليهما السلام)، وَ هُوَ جَالِسٌ عَلَيَّ دُكَّانٍ فِي الدَّارِ، وَ عَنْ يَمِينِهِ بَيْتٌ عَلَيْهِ سِتْرٌ مُسَدَّبٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي! مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ (عليه السلام): اِزْفَعِ السِّتْرَ، فَرَفَعْتُهُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا غُلَامٌ خُمَاسِيٌّ لَهُ عَشْرٌ أَوْ ثَمَانٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، وَاضِحُ الْجَبِينِ، أَبْيَضُ الْوَجْهِ دُرِّيُّ الْمُقْلَتَيْنِ، سَثْنُ الْكَفَيْنِ (2)، مَعْطُوفُ الرُّكْبَتَيْنِ، فِي خَدِّهِ الْأَيْمَنِ خَالٌ، وَ فِي رَأْسِهِ ذُؤَابَةٌ، فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخَذَ أَبِي مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، ثُمَّ قَالَ لِي: هَذَا صَاحِبُكُمْ، ثُمَّ وَثَبَ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ! ادْخُلْ إِلَيَّ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ وَ أَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا يَعْقُوبُ! انْظُرْ مَنْ فِي الْبَيْتِ، فَدَخَلْتُ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا. (3)

و منهم: عثمان بن سعيد العمري، و محمد بن معاوية بن حكيم، و ابن أيوب بن نوح، و علي بن بلال، و أحمد بن هلال، قالوا: جَمِيعاً اجْتَمَعْنَا إِلَيَّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليهما السلام) نَسَأَلُهُ عَنِ الْحُجَّةِ مِنْ بَعْدِهِ وَ فِي مَجْلِسِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، فَقَامَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْعَمْرِيُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرٍ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، يَا عُثْمَانُ! فَقَامَ مُغْضَبًا لِيَخْرُجَ، فَقَالَ: لَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَّا أَحَدٌ إِلَيَّ أَنْ كَانَ بَعْدَ

ص: 294

-
- 1- بحار الأنوار، ج 52، ص 30، ح 25؛ الخرائج و الجرائح، ج 1، ص 458، ح 3؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 499؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 441، ح 12؛ مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر، ج 8، ص 139، ح 2747؛ الهداية الكبرى، ص 358.
- 2- أي: أنهما يميلان إلي الغلظ و القصر. النهاية لابن الأثير، ج 2، ص 444.
- 3- بحار الأنوار، ج 52، ص 25، ح 17؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 407، ح 2 و ص 437، ح 5.

سَاعَةً، فَصَاحَ (عليه السلام) بِعُثْمَانَ، فَقَامَ عَلِيٌّ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْكُمْ بِمَا جِئْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: جِئْتُمْ تَسْأَلُونِي عَنِ الْحُجَّةِ مِنْ بَعْدِي، قَالُوا: نَعَمْ، فَإِذَا غُلَامٌ كَأَنَّهُ قَطَعَ قَمَرًا، أَشَدُّ بِهِ النَّاسُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، فَقَالَ: هَذَا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، أَطِيعُوهُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي، فَتَهْلِكُوا فِي أَدْيَانِكُمْ.

أَلَا! وَإِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكُمْ هَذَا، حَتَّى يَتِمَّ لَهُ عُمْرٌ، فَأَقْبَلُوا مِنْ عُثْمَانَ مَا يَقُولُهُ، وَانْتَهُوا إِلَيَّ أَمْرِهِ، وَأَقْبَلُوا قَوْلَهُ، فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ. (1)

و منهم: سائر الوكلاء، وهم محمد بن عثمان، وحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.

و منهم: إسماعيل بن علي النوبختي، قال علي ما عن الطوسي: دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليهما السلام) فِي الْمَرْضَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، وَأَنَا عِنْدَهُ إِذْ قَالَ لِحَادِمِهِ عَقِيدٍ، وَكَانَ الْعَادِمُ أَسْوَدَ نُوبِيًّا، قَدْ خَدَمَ مِنْ قَبْلِهِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ (عليهما السلام)، وَهُوَ رَبِّي الْحَسَنَ (عليه السلام)، فَقَالَ لَهُ: يَا عَقِيدُ! اغْلِ لِي مَاءً بِمَصِّ طَكِي، فَأَغْلِي لَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهِ صَقِيلُ الْجَارِيَةِ أُمُّ الْخَلْفِ، فَلَمَّا صَارَ الْقَدْحُ فِي يَدَيْهِ وَهَمَّ بِشُرْبِهِ، فَجَعَلَتْ يَدُهُ تَزْعَدُ حَتَّى ضَرَبَ الْقَدْحَ ثِنَايَا الْحَسَنِ (عليه السلام)، فَتَرَكَهُ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ لِعَقِيدٍ: ادْخُلِ الْبَيْتَ، فَإِنَّكَ تَرَى صَبِيًّا سَاجِدًا فَأَتِنِي بِهِ.

قَالَ أَبُو سَهْلٍ: قَالَ عَقِيدٌ: فَدَخَلْتُ أَتَحَرِّي، فَإِذَا أَنَا بِصَبِيِّ سَاجِدٍ رَافِعٍ سَدَّ بَابَتَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَأَوْجَزَ فِي صَلَاتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّ سَيِّدِي يَأْمُرُكَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ، إِذْ جَاءَتْ أُمُّ صَقِيلٍ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ وَأَخْرَجَتْهُ إِلَيَّ أَبِيهِ الْحَسَنِ (عليه السلام).

ص: 295

قَالَ أَبُو سَهْلٍ: فَلَمَّا مَثَلَ الصَّبِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ، وَإِذَا هُوَ دُرِّيُّ اللَّوْنِ، وَفِي شَعْرِ رَأْسِهِ قَطْطٌ مُفْلَجٌ الْأَسْنَانِ، فَلَمَّا رَأَهُ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَام) بَكَى، وَقَالَ: يَا سَيِّدَ أَهْلِ بَيْتِهِ! اسْقِنِي الْمَاءَ، فَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، وَأَخَذَ الصَّبِيُّ الْقَدَحَ الْمَغْلِيَّ بِالْمِصْطَكِي بِيَدِهِ، ثُمَّ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ ثُمَّ سَقَاهُ، فَلَمَّا شَرِبَهُ قَالَ: هَيُّونِي لِلصَّلَاةِ فَطُرِحَ فِي حَجْرِهِ مِنْدِيلٌ، فَوَضَّأَهُ الصَّبِيُّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَمَسَحَ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَقَدَمَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ السَّلَام): أَبَشِّرْ، يَا بُنَيَّ! فَأَنْتَ صَاحِبُ الزَّمَانِ، وَأَنْتَ الْمُهْدِيُّ، وَأَنْتَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَرْضِهِ، وَأَنْتَ وَلَدِي وَوَصِيِّي، وَأَنَا وَلَدْتُكَ، وَأَنْتَ مَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَام)، وَلَدَكَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَأَنْتَ خَاتِمُ الْأَيِّمَةِ الطَّاهِرِينَ، (1)

وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَسَمَّاكَ وَكُنَّا كَبْدَكَ عَهْدَ إِلَيَّ أَبِي عَنْ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَيْتِ رَبَّنَا إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَمَاتَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) مِنْ وَقْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. (2)

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَمِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلِيٌّ مَاعِنُ الْبَحَارِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَام)، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْخَلْفِ بَعْدَهُ، فَقَالَ لِي مُبْتَدِئًا: يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُخْلِ الْأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ، وَلَا تَخْلُو إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيَّ خَلَقَهُ بِهِ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِهِ يُنَزَّلُ الْغَيْثُ، وَبِهِ يُخْرَجُ بَرَكَاتُ الْأَرْضِ.

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَمَنِ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَكَ؟ فَهَضَّصَ (عَلَيْهِ السَّلَام)،

ص: 296

1- في كتاب الغيبة (للطوسي): أَنْتَ خَاتِمُ الْأَوْصِيَاءِ الْأَيِّمَةِ الطَّاهِرِينَ.

2- بحار الأنوار، ج 52، ص 16؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 272؛ منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم الحجة (عليه السلام)، ص 142.

فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَى عَاتِقِهِ غُلَامٌ، كَانَ وَجْهَهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، مِنْ ابْنَاءِ ثَلَاثِ سِنِينَ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ! لَوْ لَا كَرَامَتُكَ عَلَيَّ
اللَّهُ وَعَلَيَّ حُجَجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا، إِنَّهُ سَمِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) وَكُنِيَّهُ، الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا
كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا.

يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ! مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ الْخَضِرِ (عليه السلام)، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاللَّهُ! لَيَغِيْبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ التَّهْلُكَةِ،
إِلَّا مَنْ يُثْبِتُهُ اللَّهُ عَلَيَّ الْقَوْلَ بِإِمَامَتِهِ، وَوَقَمَهُ لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ! هَلْ مِنْ عِلْمَةٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا قَلْبِي؟ فَتَنَقَّطَ الْغُلَامُ (عليه السلام) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ، فَقَالَ: أَنَا بَقِيَّةُ
اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلَا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجْتُ مَسْرُورًا فَرِحًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ عُدْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! لَقَدْ عَظَمَ سُرُورِي بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ،
فَمَا السُّنَّةُ الْجَارِيَةُ فِيهِ مِنَ الْخَضِرِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ؟

فَقَالَ: طَوْلُ الْغَيْبَةِ، يَا أَحْمَدُ! فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! وَإِنَّ غَيْبَتَهُ لَتَطُولُ؟ قَالَ: إِي، وَرَبِّي! حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِهِ، فَلَا
يَبْقَى إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ عَهْدَهُ بِوَلَايَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِنَّ.

يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ! هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ

اللَّهِ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ، وَ اكْتُمَّهُ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ تَكُنْ غَدًا فِي عَلِيِّينَ. (1)

و منهم: سعد بن عبدالله القمي، علي ما عن الاحتجاج و تبصرة الولي، (2) و حكايته طويلة، من مناظرته مع بعض المتعصّيين، و ذهابه إلي أحمد بن إسحاق مع طومار فيها مسائل مشكّلة، و تشرفه مع أحمد في سامراء إلي لقاء أبي محمّد (عليه السلام) و صاحب الأمر، و أخذ الجوابات الوافية الكافية لما أشكل إليه من المسائل، و قصّة جراب الذي كان علي عاتق أحمد، و بيان صاحب الأمر له الحلال منه و الحرام، و بيان صاحبها، و حكاية القميص الذي أرسلت إليه العجوز، و حكاية وفاة أحمد في بعض الطريق، و مجيء كافور الخادم و تغسيله و تكفينه، قد نقلها في إلزام الناصب، فراجع. (3) و منهم: عبدالله الستوري علي ما في إلزام الناصب، قال: صرت إلي بستان بني هاشم، فرأيت غلماناً يلعبون في غدير ماء و فتياً جالس علي مصلي و اضعاً كمّه علي فيه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: م ح م د بن الحسن بن علي، و كان في صورة أبيه. (4)

و منهم: كامل بن إبراهيم، حيث و جهه قوم من المفوضنة إلي مولانا أبي

ص: 298

-
- 1- _ بحار الأنوار، ج 52، ص 23، ح 16؛ الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، ص 759؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 526؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 384، ح 1.
 - 2- _ الاحتجاج، ج 2، ص 461؛ تبصرة الولي للعلامة البحراني، ص 771، ح 37.
 - 3- _ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، ج 1، ص 312؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 78 _ 88؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 454، ح 21.
 - 4- _ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، ج 1، ص 320؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 40، ح 29؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 441، ح 13.

محمّد (عليه السلام) يسأله عن مقالة المفوضة في أنّ الله تبارك و تعالي فوّض إلي الأئمة (عليهم السلام) أمر خلقه، و يسأله عن الحديث المروي عنه أن لا يدخل الجنة إلا من عرفه معرفة الإمام و قال بمقالته.

قال كامل: دَخَلْتُ عَلَيَّ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، جَلَسْتُ إِلَيْهِ بَابِ عَلَيْهِ سِتْرٌ مُرَحِّي، فَجَاءَتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ طَرْفَهُ، فَإِذَا أَنَا بِفَتْيِ كَأَنَّهُ فَلَقَهُ قَمَرٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَرْبَعِ سِنِينَ أَوْ مِثْلِهَا.

فَقَالَ لِي: يَا كَامِلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ! فَأَفْشَ عُرْزُتُ مِنْ ذَلِكَ، وَ أَلْهَمْتُ أَنْ قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا سَيِّدِي! فَقَالَ: جِئْتُ إِلَيَّ وَلِيِّ اللَّهِ وَ حُجَّتِهِ وَ بَابِهِ، تَسْأَلُهُ هَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَعْرِفَتَكَ وَ قَالَ بِمَقَالَتِكَ؟

فَقُلْتُ: إِي، وَ اللَّهُ! قَالَ: إِذَنْ وَ اللَّهُ! يَقُلُّ دَاخِلُهَا، وَ اللَّهُ! إِنَّهُ لَيَدْخُلُهَا قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ الْحَقِيَّةُ. قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! وَ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ مِنْ حُبِّهِمْ لِعَلِيِّ يَحْلِفُونَ بِحَقِّهِ وَ لَا يَدْرُونَ مَا حَقُّهُ وَ فَضْلُهُ. ثُمَّ سَكَتَ (عليه السلام) عَنِّي سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَ جِئْتُ تَسْأَلُهُ عَنَّمَقَالَةِ الْمُفَوَّضَةِ كَذَبُوا، بَلْ قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِمَسِيَّةِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ شِئْنَا وَ اللَّهُ يَقُولُ: «وَ مَا تَسْأَوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» (1).

ثُمَّ رَجَعَ السُّتْرُ إِلَيَّ حَالَتِهِ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ كَسْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ (عليه السلام) مُتَبَسِّمًا، فَقَالَ: يَا كَامِلُ! مَا جُلُوسُكَ وَ قَدْ أَنْبَأَكَ بِحَاجَتِكَ الْحُجَّةَ مِنْ بَعْدِي، فَقُمْتُ وَ خَرَجْتُ وَ لَمْ أُعَابِنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. (2)

و منهم: أبو العباس أحمد بن جعفر الحميري القمي مع وفد من قم علي ما

ص: 299

1- سورة الإنسان: 30 و سورة التكوير: 29.

2- إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، ج 1، ص 309؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 50، ح 35؛ دلائل الإمامة للطبري، ص 506؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 246؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 499؛ الهداية الكبرى، ص 359.

عن البحار، قدموا سامراء بعد وفاة العسكري (عليه السلام)، فسألوا عن وارثه، فقيل: جعفر، فدخلوا عليه، فطلبوا منه إخبارهم بالمقدار المال الذي معهم ومالكه، والخاتم الذي ختم عليه، والألبسة التي كانت معهم، فقال جعفر: هذا علم الغيب، إلي أن شكى عند الخليفة، و طلب منهم الخليفة الأموال، فقالوا: نحن الوكلاء، وكان أبو محمد (عليه السلام) يفعل كذا وكذا من العلامات.

فلما ذهبوا وخرجوا من بلدة السامراء جاءهم غلام حسن الوجه، فناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم أجبوا مولاكم، فقالوا: أنت؟ قال: معاذ الله، أنا خادم، فجاؤوا بهم إلي دار العسكري (عليه السلام)، فإذا بالقائم (عجل الله تعالي فرجه الشريف) قاعد علي سرير كأنه فلقة القمر، عليه ثياب خضر، فسلموا عليه، فردّ عليهم السلام، فأخبرهم بجملة المال وحمل فلان وفلان وكذا ديناراً، حتّي وصف الجميع، ثم وصف ثيابهم ورحالهم ودوابهم، فخرّوا سجداً لله شكراً لما عرفهم، فسألوا عنه ما أرادوا وأجابهم وأمرهم أن لا يحملوا إلي سرّ من رأي شيئاً، بل إلي بغداد عند الوكلاء. (1)

وعن الصدوق قال: وقد كان جعفر حَمَلٌ إلي الخليفة عشرين ألف دينارٍ لمّا تُوفّي الحسن بن عليّ (عليهما السلام)، فقال له: يا أمير المؤمنين! تجعل لي مرتبة أخي ومنزلة، فقال الخليفة، أعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا، إنّما كانت بالله عزّ وجلّ، نحنُ كُنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله عزّ وجلّ يبيّني إلا أن يزيدَه كلَّ يومٍ رفعةً بما كان فيه من الصيابة، وحسن السمتِ والعلمِ والعبادة، فإنّ كنتَ عند شيعَةِ أخيك بمنزلته، فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم

ص: 300

بِمَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ مَا فِي أَخِيكَ لَمْ نُغْنِ عَنْكَ فِي ذَلِكَ شَيْئاً. (1)

و منهم: أبو علي محمد بن أحمد المحمودي، قال: حَجَجْتُ بَيْفَاً وَعِشْرِينَ سَنَةً، كُنْتُ فِي جَمِيعِهَا أَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَأَقْفُ عَلَيَّ الْحَطِيمِ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدِ، وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَأُدِيمُ الدُّعَاءَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَأَقْفُ بِالْمَوْقِفِ، وَأَجْعَلُ جُلَّ دُعَائِي أَنْ يُرِيَنِي مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ (عليه السلام)، فَإِنِّي فِي بَعْضِ السَّنِينَ قَدَّ وَقَفْتُ بِمَكَّةَ عَلَيَّ أَنْ أُبْتَاعَ حَاجَةً، وَمَعِيَ غُلَامٌ فِي يَدِهِ مِسْرَبَةٌ حَلِيحٌ مُلَمَّعَةٌ، فَدَفَعْتُ إِلَيَّ الْغُلَامَ الثَّمَنَ، وَأَخَذْتُ الْمِسْرَبَةَ مِنْ يَدِهِ، وَتَشَاغَلَ الْغُلَامُ بِمُمَاكَسَةِ الْبَيْعِ، وَأَنَا وَقَفْتُ أَتَرَقَّبُ، إِذْ جَذَبَ رِدَائِي جَازِبٌ، فَحَوَّلْتُ وَجْهِي إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَدْعَرْتُ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، هَيْبَةً لَهُ، فَقَالَ لِي: تَبِيعَ الْمِسْرَبَةَ؟ فَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ، وَغَابَ عَنِّي، فَلَمْ يَلْحَقْهُ بَصْرِي، فَظَنَنْتُهُ مَوْلَايَ.

فَأِنِّي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ أُصَلِّي بِنَابِ الصَّفَا بِمَكَّةَ، فَسَدَّ جَدْتُ وَجَعَلْتُ مِرْقِي فِي صَدْرِي، فَحَرَكَنِي مُحَرِّكٌ بِرِجْلِهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَقَالَ لِي: افْتَحْ مَنْكَبَكَ عَن صَدْرِكَ. فَفَتَحْتُ عَيْنِي، فَإِذَا الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْمِسْرَبَةِ، وَلَحِقَنِي مِنْهَيْبَتِهِ مَا حَارَ بَصْرِي، فَغَابَ عَنِّي.

وَأَقَمْتُ عَلَيَّ رَجَائِي وَيَعِينِي، وَمَضَتْ مُدَّةٌ وَأَنَا أَحْجُ، وَأُدِيمُ الدُّعَاءَ فِي الْمَوْقِفِ.

فَأِنِّي فِي آخِرِ سَنَةٍ جَالِسٌ فِي ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَمَعِيَ يَمَانُ بْنُ الْفَتْحِ بْنِ دِينَارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ، وَعَلَانُ الْكَلْبِيُّ، وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ فِي الطَّوَافِ، فَأَشْرْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَقُمْتُ أَسْعِي لِاتَّبَعَهُ، فَطَافَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَيَّ

ص: 301

الْحِجْرِ رَأَى سَائِلًا وَقِفًا عَلَيَّ الْحِجْرِ، وَيَسْتَحْلِفُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ بِاللَّهِ (عزوجل) أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، فَإِذَا بِالرَّجُلِ قَدْ طَلَعَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ السَّائِلِ انْكَبَّ إِلَيَّ الْأَرْضِ وَأَخَذَ مِنْهَا سَدًّا، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ السَّائِلِ، وَجَازَ، فَعَدَلْتُ إِلَيَّ السَّائِلِ فَسَأَلْتُهُ عَمَّا وَهَبَ لَهُ، فَأَبَى أَنْ يُعَلِّمَنِي، فَوَهَبْتُ لَهُ دِينَارًا، وَقُلْتُ: أَرِنِي مَا فِي يَدِكَ. فَفَتَحَ يَدَهُ، فَقَدَرْتُ أَنْ فِيهَا عَشْرِينَ دِينَارًا، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي الْيَقِينُ أَنَّهُ مَوْلَايَ (عليه السلام)، وَرَجَعْتُ إِلَيَّ مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَعَيْنِي مَمْدُودَةٌ إِلَيَّ الطَّوَافِ، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْ طَوَافِهِ عَدَلْتُ إِلَيْنَا، فَلَحِقْنَا لَهُ رَهْبَةٌ شَدِيدَةٌ، وَحَارَتْ أَبْصَارُنَا جَمِيعًا، فَمُنَّا إِلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقُلْنَا لَهُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

فَقَالَ: مِنَ الْعَرَبِ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَقُلْنَا: مِنْ أَيِّ بَنِي هَاشِمٍ؟ فَقَالَ: لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ عَلَيَّ خَيْرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَتَدْرُونَ مَا كَانَ يَقُولُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ صَلَاتِهِ فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ؟ قُلْنَا: لَا.

قَالَ: كَانَ يَقُولُ: «يَا كَرِيمُ مَسْكِينِكَ بِفَنَائِكَ، يَا كَرِيمُ فَفِيرِكَ زَائِرِكَ، حَقِيرِكَ بَبَابِكَ يَا كَرِيمُ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنَّا، وَوَقَفْنَا نُمُوجُ وَتَذَكَّرُ، وَتَتَفَكَّرُ، وَ لَمْ تَتَحَقَّقْ.

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدْرِ رَأَيْنَاهُ فِي الطَّوَافِ، فَأَمَّتْ دُتْ عُيُونُنَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ طَوَافِهِ خَرَجَ إِلَيْنَا، وَجَلَسَ عِنْدَنَا، فَأَنَسَ وَتَحَدَّثَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا كَانَ يَقُولُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) فِي دُعَائِهِ عَقَبَ الصَّلَاةِ: قُلْنَا: تَعَلَّمْنَا.

قَالَ: كَانَ (عليه السلام) يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقُ، وَتَفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي تَفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي تَعْلَمُ بِهِ كَيْلَ الْبِحَارِ، وَوَزْنَ الْجِبَالِ، أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا».

وَاقْبَلَ عَلِيَّ حَتَّى إِذَا صَدْرُنَا بِعَرَافَاتٍ، وَادْمَتُ الدُّعَاءِ، فَلَمَّا أَفْضْنَا مِنْهَا إِلَى الْمُرْدَلِفَةِ، وَبِتْنَا فِيهَا، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: هَلْ بَلَغْتَ حَاجَتَكَ؟ فَقُلْتُ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: الرَّجُلُ صَاحِبُكَ. فَتَيَقَّنْتُ عِنْدَهَا. (1)

و منهم: أبو محمد الحسن بن و جناء النصيبي، وقد حج أربع و خمسين حجة، قال: كُنْتُ سَاحِدًا تَحْتَ الْمِيزَابِ فِي رَابِعِ أَرْبَعِ وَ خَمْسِينَ حِجَّةً، بَعْدَ الْعَتَمَةِ، وَ أَنَا أَنْصَرٌّ فِي الدُّعَاءِ إِذْ حَرَكَنِي مُحَرِّكٌ، فَقَالَ: قُمْ، يَا حَسَنَ بْنَ وَجْنَاءِ! قَالَ: فَقُمْتُ، فَإِذَا جَارِيَةٌ صَفْرَاءُ نَحِيفَةُ الْبَدَنِ، أَقُولُ إِنَّهَا مِنْ أَبْنَاءِ أَرْبَعِينَ فَمَا فَوْقَهَا، فَمَشَتْ بَيْنَ يَدَيَّ وَ أَنَا لَا أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى أَتَتْ بِي إِلَى دَارِ خَدِيجَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) وَ فِيهَا بَيْتٌ بَابُهُ فِي وَسَطِ الْحَائِطِ، وَ لَهُ دَرَجٌ سَاجٍ يُرْتَقَى، فَصَعِدْتُ الْجَارِيَةَ وَ جَاءَنِي النِّدَاءُ: اصْعَدْ، يَا حَسَنُ! فَصَعِدْتُ، فَوَقَفْتُ بِالْبَابِ.

فَقَالَ لِي صَاحِبُ الزَّيْمَانِ (عَلَيْهِ السَّلَام): يَا حَسَنُ! أَتَرَكَ خَفِيَّتَ عَلِيٍّ، وَ اللَّهُ! مَا مِنْ وَقْتٍ فِي حَجِّكَ إِلَّا وَ أَنَا مَعَكَ فِيهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَعُدُّ عَلَيَّ أَوْقَاتِي، فَوَقَعْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ وَ جَهِي، فَحَسِسْتُ بِيَدِي قَدْ وَقَعَتْ عَلَيَّ، فَقُمْتُ، فَقَالَ لِي: يَا حَسَنُ! الزَّيْمَانُ دَارُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) وَ لَا يُهَمَّتْكَ طَعَامُكَ وَ لَا شَرَابُكَ وَ لَا مَا يَسْتُرُ عَوْرَتَكَ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ دَفْطَرًا فِيهِ دُعَاءُ الْفَرَجِ وَ صَلَاةُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: بِهَذَا فَادْعُ وَ هَكَذَا صَلِّ عَلَيَّ وَ لَا تُعْطِهِ إِلَّا مُحَقَّقِي أَوْلِيَائِي، فَإِنَّ اللَّهَ؟ ح؟ مُوَفِّقُكَ، فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ! لَا أَرَكَ بَعْدَهَا؟ فَقَالَ: يَا حَسَنُ! إِذَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: فَانصَرَفْتُ مِنْ حِجَّتِي، وَ لَزِمْتُ دَارَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَام)، فَأَذًا أَخْرَجَ مِنْهَا فَلَا أَعُودُ إِلَيْهَا، إِلَّا لِثَلَاثِ خِصَالٍ، لِتَجْدِيدِ وُضُوئِهِ أَوْ لِنَوْمٍ أَوْ لَوَقْتِ الْإِفْطَارِ، وَ أَدْخُلُ

ص: 303

1- _ إِيْزَامِ النَّاصِبِ فِي إِثْبَاتِ الْحِجَّةِ الْغَائِبِ (عَجَلِ اللَّهِ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفِ)، ج 1، ص 326؛ تَبَصُّرَةُ الْوَلِيِّ، ص 140، ح 45؛ دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ، ص 537، ح 521؛ مَدِينَةُ مَعَاجِزِ الْأُئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، ج 8، ص 112، ح 66.

بَيْتِي وَفَتَ الْإِفْطَارِ، فَاصْدِيبْ رُبَاعِيًّا مَمْلُوءًا مَاءً، وَرَغِيْفًا عَلَيَّ رَأْسِهِ وَعَلَيْهِ مَا تَشْتَهِي نَفْسِي بِالنَّهَارِ، فَأَكُلُ ذَلِكَ فَهُوَ كِفَايَةٌ لِي وَكِسْوَةٌ الشِّتَاءِ فِي وَفَتِ الشِّتَاءِ، وَكِسْوَةٌ الصَّيْفِ فِي وَفَتِ الصَّيْفِ. (1)

ومنهم: علي بن مهزيار الأهوازي، وهو من أكابر العلماء و الرواة، و حكايته طويلة، حاصلها أنه تشرف بزيارته ليلة في الطواف، قال: فحككته، فقال لي: من أين الرجل؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: من أي العراق؟ قلت: من الأهواز، فقال لي: تعرف بها الخصيب؟ فقلت: رحمه الله دعي فأجاب، فقال: رحمه الله، فما كان أطول ليلته وأكثر تبثله وأغزر دمعته. أفتعرف علي بن إبراهيم بن المهزيار، فقلت: أنا علي بن إبراهيم، فقال: حيّك الله! أبا الحسن، ما فعلت بالعلامة التي بينك وبين أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام)؟ فقلت: معي، قال: أخرجها، فأدخلت يدي في جيبِي، فاستخرجتها، فلما أن رآها لم يتمالك أن تغرغرت عيناه بالدموع وبكي منتحبا، حتى بل أظماره، ثم قال أذن لك الآن يا ابن مهزيار صير إلي رحلك وكُن علي أهبّة من أمرِك، حتى إذا لبس الليل جلبابه وعمّر الناس ظلامه سير إلي شعب بني عامر، فإنك ستلقاني هناك، فسرت إلي منزلي فلما أن أحسست بالوقت أصلحت رحلي وقدمت راحلتي وعكمته شديداً وحملت وصرت في منته وأقبلت مجدداً في السير، حتى وردت الشعب.

إلي أن قال: فدخلت فإذا أنا به جالس قد اتسح برده، واتزر بأخري، وقد كسر بردته علي عاتقه وهو كأفحواذة أزوجان، قد تكاثف عليها الندى، وأصابها ألم الهوي، وإذا هو كغصن بان، أو قضيب ریحان، سمح سخي نقي نقي، ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة، مدور الهامة، صلّت

ص: 304

الْجَبِينِ، أَزْجُ الْحَاجِبِينَ، أَقْنَى الْأَنْفِ، سَهْلُ الْحَدِيدِ، عَلِيٌّ خَدُّهُ الْإِيمَنُ خَالَ، كَأَنَّهُ فُتَاتٌ مِسْكٍ عَلِيٌّ رَضَى رَاضَةً عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُهُ بِدَأْتَهُ
بِالسَّلَامِ، فَرَدَّ عَلَيَّ أَحْسَنَ مَا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَشَافَهَنِي وَسَأَلَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقُلْتُ: سَيِّدِي! قَدْ أُبْسُوا جِلْبَابَ الذَّلَّةِ وَهُمْ بَيْنَ الْقَوْمِ أَذِلَّةً.
إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

و هو طويل قد لخصناه و اكتفينا بما هو المقصود منه، و تمام الحديث فيالبحار مع شرح لغاته في باب ذكر من رآه. (1)

و منهم: إبراهيم بن إدريس، قَالَ: رَأَيْتُهُ بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ (عليه السلام) حِينَ أَيَفَعُ، وَ قَبَّلْتُ يَدَيْهِ وَرَأْسَهُ. (2) و المراد من أيفع، أي: بلغ
سنًا شارف الاحتلام و لم يحتلم، و قيل: بلغ العشرين.

و منهم: أبو علي بن مطهر، قَالَ: رَأَيْتُهُ وَ وَصَفَ قَدَّهُ. (3)

و منهم: أبو سورة محمد بن الحسن بن عبد الله التميمي، قَالَ: فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى الْحَيْرِ إِذَا شَابُّ حَسَنِ الْوَجْهِ يُصَلِّي، ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَ وَ وَدَّعَتْ وَ
خَرَجْنَا، فَجِئْنَا إِلَى الْمَشْرَعَةِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سَوْرَةَ! أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: الْكُوفَةَ، فَقَالَ لِي: مَعَ مَنْ؟ قُلْتُ: مَعَ النَّاسِ، قَالَ لِي: لَا تُرِيدُ نَحْنُ جَمِيعًا
نَمُضِي، قُلْتُ: وَ مَنْ مَعَنَا؟ فَقَالَ: لَيْسَ تُرِيدُ مَعَنَا أَحَدًا، قَالَ: فَمَسَّ يَدَا لَيْلَتَنَا، فَإِذَا نَحْنُ عَلَيَّ مَقَابِرِ مَسْجِدِ السَّهْلَةِ، فَقَالَ لِي: هُوَ ذَا مَنْزِلِكَ، فَإِنْ
شِئْتَ فَأَمُضْ، ثُمَّ قَالَ لِي: تَمُرُّ إِلَيَّ ابْنُ الزُّرَّارِيِّ عَلَيَّ بِنِ يَحْيَى، فَتَقُولُ لَهُ يُعْطِيكَ الْمَالَ الَّذِي عِنْدَهُ.

ص: 305

1- بحار الأنوار، ج52، ص9، ح6؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص263.

2- بحار الأنوار، ج52، ص14، ح10؛ الكافي، ج1، ص331، ح8؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص268.

3- بحار الأنوار، ج52، ص14، ح11؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص269.

فَقُلْتُ لَهُ: لَا يَدْفَعُهُ إِلَيَّ، فَقَالَ لِي: قُلْ لَهُ بِعَلَامَةِ أَنَّهُ كَذَا وَ كَذَا دِينَاراً، وَ كَذَا وَ كَذَا دِرْهَمًا، وَ هُوَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَ كَذَا، وَ عَلَيْهِ كَذَا وَ كَذَا.

الي ان قال: فَقَالَ: لَيْسَ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ، وَقَالَ: لَمْ يَعْلَمْ بِهِذَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَ دَفَعَ إِلَيَّ الْمَالَ. (1)

و منهم: الزهري، قَالَ طَلَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ طَلَبًا شَاقًّا، (2) حَتَّى ذَهَبَ لِي فِيهِ مَالُ الصَّالِحِ، فَوَقَعْتُ إِلَى الْعَمْرِيِّ وَ خَدَمْتُهُ وَ لَزِمْتُهُ وَ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ صَاحِبِ الزَّمَانِ، فَقَالَ لِي: لَيْسَ إِلَيَّ ذَلِكَ وَ صَوْلٌ، فَخَصَصْتُ، فَقَالَ لِي: بَكَرٌ بِالْعَدَاةِ، فَوَافَيْتُ وَ اسْتَقْبَلَنِي وَ مَعَهُ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَ أَطْيَبِهِمْ رَائِحَةً، بِهِيَّةَ التُّجَّارِ، وَ فِي كُمِّهِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التُّجَّارِ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ دَنَوْتُ مِنَ الْعَمْرِيِّ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ، فَعَدَلْتُ إِلَيْهِ وَ سَأَلْتُهُ، فَأَجَابَنِي عَنْ كُلِّ مَا أَرَدْتُ. (3) الخبر.

و منهم: من روي أبو هارون عنه، قال: سمعت رجلاً من أصحابنا يقول: رَأَيْتُ صَاحِبَ الزَّمَانِ (عليه السلام) وَ وَجْهُهُ يُضِيءُ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَ رَأَيْتُ عَلِيَّ سَدَّ رَتَّهُ شِعْرًا يَجْرِي كَالْحِطِّ، وَ كَشَفْتُ الثُّوبَ عَنْهُ، فَوَجَدْتُهُ مَخْتُونًا، فَسَأَلْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ (عليه السلام) عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَكَذَا وُلِدَ، وَ هَكَذَا وُلِدْنَا، وَ لَكِنَّا سَنَمُرُّ الْمَوْسِي لِإِصَابَةِ السَّنَةِ. (4)

ص: 306

1- بحار الأنوار، ج52، ص14، ح12؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص269.

2- شافياً - خ ل.

3- الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج2، ص479؛ بحار الأنوار، ج52، ح15، ح13؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص271.

4- بحار الأنوار، ج52، ص25، ح18؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج2، ص434، ح1، كتاب الغيبة (للطوسي)، ص250.

وبالجملة من تشرف بلقائه (عليه السلام) في الغيبة الصغرى المسطور في البحار والكفاية وغيرهما أكثر ممن يمكن ضبطه في مثل هذه المختصرات، من أراده يرجع إلي المطولات، ونحن نشير إلي ذكر أسامي بعض هؤلاء، كما نقل في الكفاية عن إكمال الدين بسنده، عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي في ضبط أسامي هؤلاء.

قال: مِنَ الْوُكَلَاءِ بَعْدَاد: الْعَمْرِيُّ، وَابْنُهُ، وَحَاجِرٌ، وَالْبَلَالِيُّ، وَالْعَطَّارُ.

وَمِنْ غَيْرِ الْوُكَلَاءِ مِنْ أَهْلِ بَعْدَاد: أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي حَابِسٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجُنَيْدِيُّ، وَهَارُونَ الْقَزَّازُ، وَالنَّيْلِيُّ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بَنْدُبَيْسٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحٍ، وَمَسْرُورُ الطَّبَّاحُ، وَأَحْمَدُ وَ مُحَمَّدُ ابْنَا الْحَسَنِ، وَإِسْحَاقُ الْكَاتِبُ مِنْ بَنِي نَيْبِخْت، وَصَاحِبُ الْفِرَاءِ، وَصَاحِبُ الصَّرَّةِ الْمَخْتُومَةِ.

وَمِنْ أَهْلِ الرَّيِّ: الْقَاسِمُ بْنُ مُوسَى، وَابْنُهُ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ هَارُونَ، وَصَاحِبُ الْحَصَاةِ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ وَأَبُو جَعْفَرِ الرَّفَّاءِ.

وَمِنْ هَمْدَانَ: مُحَمَّدُ بْنُ كَشْمُودَ، وَجَعْفَرُ بْنُ حَمْدَانَ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ. وَمِنَ الدِّينَوَرِ: حَسَنُ بْنُ هَارُونَ، وَأَحْمَدُ بْنُ أُخْيَةَ، وَأَبُو الْحَسَنِ.

وَمِنْ قُمَّ: الْحَسَنُ بْنُ النَّصْرِ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ، وَأَبُوهُ، وَالْحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ.

وَمِنْ أَهْلِ آذْرَبِيجَانَ: الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَمِنْ نَيْسَابُورَ: مُحَمَّدُ بْنُ شَادَانَ، كَانَ مِنَ الْوُكَلَاءِ. (1)

ص: 307

وَمِنْ أَصْفَهَانَ: ابْنُ بَادِشَالَةَ. وَمِنْ الصَّيْمَرَةِ: زَيْدَانُ. وَمِنْ فَرْوَيْنَ: مِرْدَاسٌ، وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ. وَمِنْ شَهْرَزُورَ: ابْنُ الْحَالِ.

وَمِنْ مَرَوْ: صَاحِبُ الْأَلْفِ دِينَارٍ، وَصَاحِبُ الْمَالِ، وَالرُّقْعَةُ الْبَيْضَاءُ، وَأَبُو ثَابِتٍ.

وَمِنْ نَيْسَابُورَ: مُحَمَّدُ بْنُ شَعِيبِ بْنِ صَالِحٍ. وَمِنْ الْيَمَنِ: الْفَضْلُ بْنُ يَزِيدَ، وَالْحَسَنُ ابْنُهُ، وَالْجَعْفَرِيُّ، وَابْنُ الْأَعْجَمِيِّ، وَالشُّمَّاطِيُّ.

وَمِنْ مِصْرَ: صَاحِبُ الْمُؤَلَّدِينَ، وَصَاحِبُ الْمَالِ بِمَكَّةَ، وَأَبُو رَجَاءٍ. وَمِنْ نَصِيبِينَ: أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ الْوَجَائِ، وَمِنْ الْأَهْوَاذِ: الْحُصَيْنِيُّ (1) وَأَمَّا من لم يضبط اسم بلده، فهم أيضاً كثيرون، مثل حسين بن عبد الله بن أحمد حاكم قم، والمحمودي، وأبو جعفر، وأبو الهيثم، ومحمد بن القاسم، مع ثلاثين نفر من الزهاد في موسم الحج عند المستجار في سنة (293) حيث تشرفوا بخدمته، فعلمهم دعاء الإلحاح، وهو قوله (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاوَاتُ، وَبِهِ تَقُومُ الْأَرْضُ، وَبِهِ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبِهِ تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَفَرِّقِ، وَبِهِ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْمُجْتَمِعِ، وَبِهِ أَحْصَيْتَ عَدَدَ الرِّمَالِ، وَزَيْتَةَ الْجِبَالِ، وَكَيْلَ الْبِحَارِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً، ثُمَّ رَأَوْهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَعَلَّمَهُمْ دَعَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي دَبْرِ الْفَرِيضَةِ، مِنْ قَوْلِهِ (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاوَاتُ، وَبِهِ تَقُومُ الْأَرْضُ، وَبِهِ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبِهِ تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَفَرِّقِ، وَبِهِ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْمُجْتَمِعِ، وَبِهِ أَحْصَيْتَ عَدَدَ الرِّمَالِ، وَزَيْتَةَ الْجِبَالِ، وَكَيْلَ الْبِحَارِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً، ثُمَّ رَأَوْهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَعَلَّمَهُمْ دَعَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ (عليه السلام): «يَا مَنْ لَا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا سَعَةً وَعَطَاءً»، الدُّعَاءُ، وَدَعَاؤُهُ (عليه السلام) فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ (عليه السلام): «يَا مَنْ لَا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا سَعَةً وَعَطَاءً»، الدُّعَاءُ، ثُمَّ رَأَوْهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، فَعَلَّمَهُمْ دَعَاءَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام)

ص: 308

في سجوده عند حجر الأسود و تحت الميزاب: «عَبَّيْتُكَ بِفِنَائِكَ»، الدعاء. (1)

و منهم: أبو الطيب أحمد بن محمد بن بطة في مشهد العسكريين (عليهما السلام). (2)

و منهم عبد الله السوري في بستان بني عامر. (3)

و منهم أبو عبد الله بن صالح عند حجر الأسود. (4)

و منهم: علي بن محمد بن عبد الرحمن التستري في مسجد الصعصعة، وكذا ابن أبي رواد الرواسي في المسجد المذكور (5) إلى غير ذلك.

ثم لا يخفي أن جل هؤلاء عند تشرفهم قد شاهدوا منه المعجز التي يحصل منها القطع بكونه هو كما يظهر من كلماتهم.

و أما من تشرف بزيارته (عليه السلام) في الغيبة الكبرى إلى زماننا هذا، فهم يزيدون علي الألوف، وأكثرهم من العلماء و الصلحاء و الزهاد و العباد، و في كثير من الموارد شاهدوا معجز كثيرة، و بعضهم عرفوه عند تشرفهم، و كثير منهم بعد تشرفهم، و يكفيك في ذلك كتاب النجم الثاقب في من رأي الإمام الغائب، و سائر الكتب المؤلفة في هذه الأعصار الأخيرة، بحيث يزيد بمراتب علي حد التواتر الذي يستحيل عقلاً توأمتهم علي الكذب، بل بعض الموارد يحصل

ص: 309

-
- 1- بحار الأنوار، ج 52، ص 6، ح 5 و ج 91، ص 187؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 259.
 - 2- الأمالي للشيخ الطوسي، ص 287؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 23، ح 15.
 - 3- بحار الأنوار، ج 52، ص 40، ح 29؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 441، ح 13.
 - 4- الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج 2، ص 353؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 60، ح 46؛ الكافي، ج 1، ص 331، ح 7.
 - 5- بحار الأنوار، ج 52، ص 66 و ج 97، ص 446، ح 23؛ المزار للشهيد، ص 264؛ المزار الكبير، ص 143.

القطع شخصاً بالصدق، كما نشير إن شاء الله تعالى إليها.

إشكال و دفع:

أمّا الإشكال، فهو أنه قد ورد في التوقيع الشريف علي يد علي بن محمد السمرى النائب الرابع من النوّاب الأربعة، وفيه: مَنْ يَدَّعِي الْمُسَاهِدَةَ أَلَا فَمَنْ ادَّعَى الْمُسَاهِدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَ الصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ. (1) و قريب من هذا المضمون أخبار آخر، و هذا ينافي مع هذه القضايا الكثيرة الواردة في تلك الكتب.

أمّا الدفع، فقد أُجيب عن هذا الاشكال بوجوه:

أحدها: أنّ من تشرف بزيارته بحيث يعرفه عند تشرفه فهو ممنوع، و تلك الأخبار يحمل علي ذلك دون من عرفه بعد التشرف.

وفيه أنّ هذا الحمل مع منافاته لظاهر الاطلاق يرده أنّ في كثير من الموارد التي لا يمكن إنكارها قد عرفه حين التشرف، بل في كثير منها قد عرف نفسه الشريفة إيّاهم.

ثانيها: أنّ المراد التشرف بنحو النيابة الخاصة، كما يناسب هذا التوقيع الشريف الدالّ علي انقطاع النيابة الخاصة.

وفيه أيضاً أنّ ظاهر التوقيع الاطلاق.

ثالثها: و هو الصواب، أن يقال: إنّ من ادّعي أنّه شاهده باختياره وإرادته، فهو كذاب مفتر، كما هو ظاهر لفظ المشاهدة الظاهرة في الفعل الاختياري. و أمّا من

ص: 310

1- بحار الأنوار، ج 51، ص 360، ح 7؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 395؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 516، ح 44.

أراه الإمام (عليه السلام) نفسه الشريفة، فلا دليل علي خلافه، وجلّ تلك القضايا لولا كلّها من هذا القبيل، فلا تنافي ولا إشكال.

ثمّ إنّ نشير إلي بعض تلك القضايا المعروفة بنحو الاجمال، و من أراد التفصيل يرجع إلي محلّه:

منها: ما عن خرائج القطب الراوندي، المروية عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، من أجلاء العلماء المتقدّمين، حيث أرسل ابن هشام للنيابة إلي الحجّ، وأعطاه كتاباً مختوماً سأل فيه عن مدّة عمره، وأمره أن يعطيا الكتاب إلي من ينصب الحجر الأسود في سنة (339) أوائل الغيبة الكبرى. (1)

ومنّها: ما عن الخرائج أيضاً أنّ أبي محمّد الدعلجي كان من الصلحاء، وله ابنان أحدهما من الفسّاق، فأجر نفسه للحجّ نيابةً عن الحجّة، و أعطى مقداراً من مال الإجارة إلي ابنه الفاسق، فتشرّف عند الموقف بزيارته (عليه السلام)، فخوّفه بعمي بصره لإعطائه المال إلي الفاسق الشارب، فعمي إحدي عينيه بعد أربعين يوماً من مراجعته. (2)

ومنّها: ما عن محمّد بن جرير بن رستم الطبري، الذي هو من وجوه علماء الشيعة، عن أبي جعفر بن هارون، عن أبي الحسن بن أبي بغل، و هو كان كاتب في سلطنة أبي منصور العباسي الملقّب بالمرشد بالله في القرن السادس في أواخر الدولة العباسية، فغضب عليه السلطان، فاستجار بمشهد مولانا موسى بن جعفر (عليهما السلام)، و بات ليلة شديدة المطر في الحرم الشريف، فرأى رجلاً في

ص: 311

1- بحار الأنوار، ج 52، ص 58، ح 41 و ج 96، ص 226، ح 26؛ الخرائج و الجرائح، ج 1، ص 475، ح 18.

2- بحار الأنوار، ج 52، ص 59، ح 42؛ الخرائج و الجرائح، ج 1، ص 480، ح 21.

النصف الثاني من الليل بعد كون أبواب الحرم مغلقة مشتغلاً بزيارة الإمامين الهمامين مسلماً علي آدم إلي الإمام الحادي عشر، لم يذكر اسمه الشريف.

ثم توجه إلي ابن أبي بغل وعلمه دعاء الفرج، وهو أن يقول: «يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ، وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ، وَ لَمْ يَهْتِكِ السُّتْرَ، يَا عَظِيمَ الْمَنْ، يَا كَرِيمَ الصَّدْحِ، يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يَا مُنْتَهَى كُلِّ نَجْوَى، وَيَا غَايَةَ كُلِّ شَكْوَى، يَا عَوْنَ كُلِّ مُسْتَعِينٍ، يَا مُبْتَدَأَ النَّعْمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا». ثم تقول: «يَا رَبَّاهُ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، «يَا سَيِّدَاهُ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، «يَا مَوْلِيَاهُ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، «يَا غَايَتَاهُ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، «يَا مُنْتَهَى غَايَةِ رَغْبَتَاهُ» عَشْرَ مَرَّاتٍ، ثم تقول: «أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، إِلَّا مَا كَشَفْتَ كَرْبِي، وَنَفَسْتَ هَمِّي، وَفَرَجْتَ غَمِّي، وَأَصْلَحْتَ حَالِي»، وَتَدْعُو بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ وَتَسْأَلُ حَاجَتَكَ.

ثُمَّ تَضَعُ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ عَلَي الْأَرْضِ وَتَقُولُ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي سُجُودِكَ: «يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ وَانصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ»، وَتَضَعُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ عَلَي الْأَرْضِ وَتَقُولُ مِائَةَ مَرَّةٍ: «أَدْرِكْنِي» وَتُكْرِرُهَا كَثِيرًا وَتَقُولُ: «الْغُوثُ الْغُوثُ الْغُوثُ»، حَتَّى يَنْقَطِعَ النَّفْسُ وَتَرْفَعُ رَأْسَكَ فَإِنَّ اللَّهَ بِكَرَمِهِ يَقْضِي حَاجَتَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ غَابَ عَنْهُ.

فلما فعل ما أمره به، طلب أبو منصور إياه في الغد وأكرمه وعظّمه، وقال له: هل شكوت إلي صاحب الزمان عني؟ فقال: لا، بل دعوت الله، فقال: أمرني في المنام أن أكرمك وأحسن إليك بكل خير جميل، فذكرت له القصة، فتعجب

وقال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّهُمُ الْحَقُّ. (1)

ومنها: ما عن كشف الغمّة قضية إسماعيل بن الحسن الهرقلي، وهي مشهورة في العراق في القرن السابع في عهد المستنصر العباسي، أنّه وقع في وركه الجراحة الشديدة، فشكى إلي السيد ابن طاووس (قدس سره)، فجمع السيد أطباء الحلة، فقالوا في معالجته خطر عظيم لخوف قطع العرق الأكحل المورث للهلاك، فجاء السيد معه إلي بغداد وجمع أطباء بغداد، فقالوا بمثل ما قالوا.

فآيس من المعالجة، فتشرف إلي زيارة العسكريين (عليهما السلام)، و توسّل إلي الصاحب في السرداب المقدّس، فتشرف يوم الخميس عند الخروج من الدجلة إلي الزيارة، فرأى في الطريق أربع ركبان علي أحدهم لباس الفرجية، فأخذ هو (عليه السلام) موضع الجراحة و عصره بيده الشريف، فزال عنه بحيث لا يري له أثر، فقال أحد من الركبان له: هذا إمامك صاحب الزمان، ثمّ غابوا عنه.

فشاع أمره في السامرة و بغداد و الحلة و سائر بلاد العراق، و اجتمع عليه جميع الأطباء الذين رأوه قبلاً و تعجّبوا منه، إلي أن طلبه السلطان المستنصر و أعطاه ألف دينار، فلم يقبل منه شيئاً، وقال: إنّ مولاي أمرني أن لا أقبل منك شيئاً. (2)

ومنها: ما عن كشف الغمّة (3) أيضاً عن السيد عطوة و كان زيدياً، و ابتلي بمرض الفتق، و كان أبناؤه إماميين مثل السيد الباقي، و كانوا يأمرونه غالباً

ص: 313

1- بحار الأنوار، ج 51، ص 304 و ج 88، ص 349، ح 11 و ج 92، ص 200، ح 33؛ دلائل الإمامة للطبري، ص 551؛ فرج المهموم للسيد ابن طاووس، ص 245. نقل المصنّف (قدس سره) مضمون الحكاية ملخّصاً.

2- بحار الأنوار، ج 52، ص 61، ح 51؛ كشف الغمّة، ج 2، ص 493.

3- بحار الأنوار، ج 52، ص 65؛ كشف الغمّة، ج 2، ص 497.

بالرجوع عن مذهب الزيدية، فيجيبهم بأنّي لا أرجع إلا أن يشفيني إمامكم عن مرضي، فأري ليلة رجلاً في بيت، فسأله من أنت؟ فقال: أنا إمام أبنائك جنتك لأشفيك، فأخذ موضع الفتق فعصره، فزال المرض بيده الشريف.

ومنها: ما عن المجلسي (قدس سره)، عن السيد علي بن عبد الحميد في كتابه سلطان المفرج، عن جماعة من الأكابر، منهم المحقق شمس الدين محمد بن قارونان رجلاً مسمّى بأبي الراجح الحمامي، كان كثيراً ما يسبّ الخلفاء.

فبلغ ذلك إلي والي الحلة المسمّى بمرجان الصغير، فأمر بإحضاره، وأمر بضربه فضرباً شديداً مهلكاً علي جميع بدنيه، حتّى إنّه ضرب علي وجهه فسقطت ثناياه، وأخرج لسانه، فجعل فيه مسلةً من الحديد (1) وخرق أنفه ووضعه فيه شركة من الشعر، وشدّ فيها حبلاً و سلّمه إلي جماعة من أصحابه وأمرهم أن يدوروا به أرقّة الحلة والضرب يأخذ من جميع جوانبه حتّى سقط إلي الأرض وعين الهلاك، فأخبر الحاكم بذلك، فأمر بقتله.

فقال الحاضرون: إنّه شديد كبير، وقد حصل له ما يكفي، وهو ميتّ لِمَا به، فأتزكه وهو يموت حتف أنفه، ولا تتقلد بدمه وبالغوا في ذلك حتّى أمر بتخليته، وقد انتفخ وجهه ولسانه فنقله أهله في الموت ولم يسكّ أحد أنه يموت من ليلته.

فلَمَّا كان من الغد غدا عليه الناس، فإذا هو قائمٌ يصلي عليّ أتمّ حاله وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت، واندملت جراحاته ولم يبق لها أثرٌ والشجّة قد زالت من وجهه فعجب الناس من حاله وسألوه عن أمره؟

ص: 314

1- أي: المسلة: الابرة العظيمة التي تخاط بها العدول ونحوها يقال لها بالفارسية «جوالدوز».

فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا عَايَنْتُ الْمَوْتَ وَلَمْ يَبْقَ لِي لِسَانٌ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ، فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ بِقَلْبِي وَاسْتَعَثْتُ إِلَيَّ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عليه السلام)، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلُ فَأَذَا بِالْدارِ قَدْ اِمْتَلَأَتْ نُورًا، وَإِذَا بِمَوْلَايَ صَاحِبِ الزَّمَانِ قَدْ أَمَرَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَيَّ وَجْهِي وَقَالَ لِي: اخْرُجْ وَكُدَّ عَلَيَّ عِيَالِكَ، فَقَدْ عَافَاكَ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَصْبَحْتُ كَمَا تَرَوْنَ.

وَ حَكَى الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاوُونَ الْمَذْكُورُ قَالَ وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّ هَذَا أَبُو رَاجِحٍ كَانَ ضَعِيفًا جِدًّا ضَعِيفَ التَّرْكِيبِ، أَصَمَّرَ اللُّونَ، شَدَّ يَنْ الْوَجْهَ، مُقَرَّضَ اللِّحْيَةَ، وَ كُنْتُ دَائِمًا أَدْخُلُ الْحَمَامَ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَ كُنْتُ دَائِمًا أَرَاهُ عَلَيَّ هَذِهِ الْحَالَةَ وَ هَذَا الشَّكْلَ، فَلَمَّا أَصَدَّ بَحْتُ كُنْتُ مِمَّنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ وَقَدْ اشْتَدَّتْ قُوَّتُهُ وَ انْتَصَبَتْ قَامَتُهُ وَ طَالَتْ لِحْيَتُهُ وَ احْمَرَّتْ وَجْهُهُ وَ عَادَ كَأَنَّهُ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً، وَ لَمْ يَزَلْ عَلَيَّ ذَلِكَ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ.

الي ان قال: فَدَاخَلَ الْحَاكِمَ فِي ذَلِكَ رُغْبٌ عَظِيمٌ، وَ كَانَ يَجْلِسُ فِي مَقَامِ الْإِمَامِ (عليه السلام) فِي الْحِلَّةِ، وَ يُعْطِي ظَهْرَهُ الْقَبِيلَةَ الشَّرِيفَةَ، فَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يَجْلِسُ وَ يَسْتَقْبِلُهَا، وَ عَادَ يَتَلَطَّفُ بِأَهْلِ الْحِلَّةِ، وَ يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسَبِّهِمْ، وَ يُحْسِنُ إِلَيَّ مُحْسِنِيهِمْ، وَ لَمْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَلْبَثْ فِي ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ. (1)

و منها: ما عن النوري (قدس سره) في النجم الثاقب من حكاية تشرف الحاج علي البغدادي بلقائه (عليه السلام)، و التشرف في خدمته بزيارة الكاظمين (عليهما السلام) ليلة الجمعة، و السؤالات التي سأله عنه (عليه السلام)، و الآيات و المعجزات التي صدر منه (عليه السلام)، و

ص: 315

1- _ إثبات الهداه للشيخ حرّ العاملي، ج 5، ص 333، ح 152؛ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ج 2، ص 9؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 70، ح 55.

الحكاية مفصلة و معروفة في الكتب الفارسية، مثل آداب الشريعة و غيرها. (1)

و لا يخفي أنّ فيما ذكرناه غنيّ و كفايةً لإثبات التواتر، و من أراد أبسط من ذلك، فليرجع إلي الكتب التي صنّفها المتأخرون في الغيبة حتّى من عاصرناه، مثل إلزام الناصب و غيرها، و نحن نقتصر بهذا المقدار في هذا المختصر، اللّهمّارزقنا زيارته، و التشرّف بلفائه، و الحشر معه في الدنيا و الآخرة، و اجعلنا من خدامه و أنصاره و أصحابه و المستشّهدين بين يديه، و المنتظرين لفرجه و ظهوره، بحقّه و بحقّ آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: 316

1- _ نجم الثاقب، ج2، ص573، حكاية 31.

في الأخبار الواردة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وعن آبائه الطيبين في إمامته وغيبته و اسمه الشريف و اسم أمّه زانداً علي ما تقدّم في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر

وقد أشرنا سابقاً أنّ الأستاذ الأعظم (1) قد جمع في نصايح الهدى (2) أزيد من مائة حديث بإسناد معتبرة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و الأئمة (عليهم السلام) واحداً بعد واحد، و نحن نقتصر علي النقل منه (قدس سره) ملخصاً و تفصيلها فيه من أراد فليرجع إليه، أو إلي ترجمته المطبوعة جديداً:

1_ ما عن الكليني في أصول الكافي، و النعماني في كتاب الغيبة، و الصدوق في العيون و إكمال الدين، و المفيد في الاختصاص، و الطوسي في كتاب الغيبة، و الطبرسي في الاحتجاج، و الحموي في فرائد السمطين، بأسانيد متعدّد حديث لوح جابر، و فيه بعد ذكر الحسن العسكري (عليه السلام)، ثمّ أكمل ذلك بإنيّه (م ح م د) رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. (3) الحديث.

أقول: إنّ أحاديث لوح جابر كثيرة جداً.

ص: 317

1- هو العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي (قدس سره).

2- نصائح الهدى، مطبوع في موسوعة العلامة البلاغي في المجلّد السادس.

3- الاحتجاج، ج 1، ص 166، ح 33؛ الاختصاص، ص 212؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 195، ح 3؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 1، ص 42، ح 2؛ فرائد السمطين، ج 2، ص 138، ح 432_435؛ الكافي، ج 1، ص 527_528، ح 3؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 146، ح 108؛ كتاب الغيبة للنعماني، ص 62، ح 5؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 310، ح 1.

2- ما عن الصدوق في العيون وإكمال الدين، عن الصادق (عليه السلام) : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ (عليه السلام) جَمَعَ وُلْدَهُ وَفِيهِمْ عَمُّهُمْ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام) ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا بِحِطِّ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) مَكْتُوبٌ فِيهِ هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَذَكَرَ حَدِيثَ اللَّوْحِ. (1) الخبر

3_ ما عن الصدوق أيضاً في الكتابين، عن الصادق (عليه السلام) قال: وجدنا صحيفة بإملاء رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) ، و ذكر فيها ما ذكر في اللوح بتمامه. (2)

4_ ما عن الصدوق في إكمال الدين، و الخرز في كفاية الأثر، عن جابر، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بعد ذكر الحسن (عليه السلام) ، قال (صلي الله عليه وآله وسلم) : ثم سمِّي و كُتِبِي حِجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَ بَقِيَّتَهُ فِي عِبَادِهِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ. (3) الحديث.

5_ عن الصدوق في العيون وإكمال الدين، و الطبرسي في الاحتجاج، و الحموي في فرائد السمطين في قول الباقر (عليه السلام) لجابر من معاينة صحيفة الزهراء (عليها السلام) ، و فيها ذكر أسماء الأئمة (عليهم السلام) و آبائهم و أمهاتهم، إلي قوله: أبو القاسم

ص: 318

1- بحار الأنوار، ج 36، ص 201؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، ج 1، ص 45، ح 4؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 312، ح 3.

2- بحار الأنوار، ج 36، ص 200؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، ج 1، ص 45، ح 3، كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 312.

3- بحار الأنوار، ج 36، ص 250، ح 67؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 54؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 253، ح 3.

محمّد بن الحسن هو حجّة الله علي خلقه القائم، أمّه اسمها نرجس. (1)

6_ عن أمالي الطوسي في مقابلة نسخة جابر مع النسخة التي عند الباقر (عليه السلام)، وفيها بعد ذكر العسكري (عليه السلام): و الخلف م ح م د، وهو المهدي من آل محمّد، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. (2)

أقول: الخلف الولد الصليبي يقوم مقام أبيه.

7_ عن كفاية الأثر للخزّاز: عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد الأئمة إبالعسكري (عليهم السلام)، و وصفه بأنّه أبو حجّة الله، قال: وَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الْحَسَنِ قَائِمًا أَهْلَ الْبَيْتِ. (3) الخبر.

8_ عن كفاية الأثر، و فرائد السمطين، و عن فضل بن شاذان في كتاب الغيبة، عن ابن عبّاس في حديث النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) مع اليهودي في تعداد الأئمة بعد ذكر الحسن العسكري (عليه السلام)، قال (صلي الله عليه وآله وسلم): فَإِذَا مَضَى الْحَسَنُ فَبَعْدَهُ ابْنُهُ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليهم السلام)، فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ إِمَامًا. (4)

9_ عن كفاية الأثر، بسنده عن ابن عبّاس، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد

ص: 319

-
- 1- _ الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 374؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 194، ح 2؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 1، ص 41، ح 1؛ فرائد السمطين، ج 2، ص 140 _ 141، ح 432 _ 435؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 307، ح 1.
 - 2- _ الأمالي للشيخ الطوسي، ص 292، ح 566.
 - 3- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 313؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 84.
 - 4- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 284، ح 106؛ فرائد السمطين، ج 2، ص 133 _ 134، ح 431؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 14.

الأئمة (عليهم السلام) قال (صلي الله عليه وآله وسلم) : وإذا انقضى الحسن، فابنه الحجة (1).

10_ عن كفاية الأثر، بأسانيد ثلاثة، عن أصبغ بن نباتة، وشريح بن هاني، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، في حديث طويل في أمر الوصاية والإمامة من آدم (عليه السلام) إلي الحسن العسكري (عليه السلام) ، فقال: وَ الْحَسَنُ يَدْفَعُ إِلَيَّ ابْنَهُ الْقَائِمَ، ثُمَّ يَغِيْبُ عَنْهُمْ إِمَامَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَكُونُ لَهُ غَيْبَتَانِ، أَحَدُهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الْأُخْرَى، ثُمَّ التَّقَتِ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم)، فَقَالَ رَافِعًا صَوْتَهُ: الْحَذَرَ إِذَا فَقَدَ الْخَامِسَ مِنْ وُلْدِ السَّابِعِ مِنْ وُلْدِي. (2)

أقول: لعل المراد من الحذر الحذر من دعوة الباب المورثة لإبطال القرآن و الشريعة المحمدية، كما تنادي به زرين تاج القزوينية المسماة بقرّة العين، من قولها: إنّ الشريعة المحمدية قد بطلت بظهور الباب. 11_ عن كفاية الأثر مسنداً عن محمد بن الحنفية، عن علي (عليه السلام)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) : و من ذريتك الأئمة المطهرون، و ستكون بعدي فتنة صماء صيلم، و ذلك عند فقدان شيعتك الخامس من ولد السابع. (3)

أقول: أي فتنة أعظم من فتنة الباب و البهاء و أتباعهما.

12_ عن مناقب ابن المغازلي، و غيبة الفضل بن شاذان مسنداً عن جابر، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد الأئمة لجنبدل اليهودي، قال (صلي الله عليه وآله وسلم) : و بعده _ يعني:

ص: 320

-
- 1- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 286، ح 107؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 18.
 - 2- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 335، ح 195؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 150.
 - 3- _ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 157 _ 158.

العسكري - ابنه م ح م د يدعي بالمهدي والقائم الحجّة، فيغيب ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض عدلاً. (1) الحديث.

13_ عن كفاية الأثر في حديث النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) لجدل (2)

في تعداد الأئمة بعد ذكر الحسن (عليه السلام)، قال: ثُمَّ يَغِيبُ عَنْهُمْ إِمَامُهُمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ الْحَسَنُ يَغِيبُ عَنْهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَ لَكِنْ ابْنُهُ الْحُجَّةُ. (3)

14_ عن كفاية الأثر بسنده عن الحسن السبط (عليه السلام) في خطبة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد الأئمة (عليهم السلام)، قال: وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صُلْبِ الْحَسَنِ، الْحُجَّةَ الْقَائِمَ إِمَامَ شِيعَتِهِ، وَ مُنْقَذَ أَوْلِيَائِهِ، يَغِيبُ حَتَّى لَا يَرَى. (4)

15_ عن كفاية الأثر، بسنده عن الحسن السبط (عليه السلام)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد الأئمة (عليهم السلام)، و فيه بعد ذكر الحسن العسكري (عليه السلام)، قال (صلي الله عليه وآله وسلم): وَ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (5)

16_ عن كفاية الأثر: بسنده عن الحسين (عليه السلام)، عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، قال لجبرئيل: مَنْ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: هُوَ التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَئِمَّةَ حَتَّى بَلَغَ الْعَسْكَرِيَّ (عليه السلام)، فَقَالَ: وَيُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ كَلِمَةَ الْحَقِّ، وَ لِسَانَ

ص: 321

1- ينابيع المودة، ج3، ص 283 _ 285، ح2، عن المناقب.

2- في كفاية الأثر: جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ.

3- بحار الأنوار، ج 36، ص 305، ح 144؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 59.

4- بحار الأنوار، ج 36، ص 339، ح 201؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 165.

5- بحار الأنوار، ج 36، ص 345، ح 211؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 177.

الصِّدْقِ، وَ مُظَهَّرَ الْحَقِّ، حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيَّ بِرَبِّيَّتِهِ، لَهُ غَيْبَةٌ طَوِيلَةٌ. (1) الخبر.

17_ عن كفاية الأثر: عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن الحسين (عليه السلام)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) فيما رآه ليلة أُسْرِي به إلي السماء أَنَّهُ (صلي الله عليه وآله وسلم) رَأَى أَنْوَارَ الْأَئِمَّةِ، وَ ذَكَرَ وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَيَّ أَنْ قَالَ: وَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَائِمِ فِي وَسْطِهِمْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ. (2)

18_ عن موقِّق بن أحمد الخوارزمي بسنده، و عن فراند السمطين: عن أبي سليمان (3) راعي رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) مثله، و فيه: و مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَهْدِيِّ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَهُمْ. (4)

19_ عن غيبة الطوسي: عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصية النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بتسليم عهد الإمامة واحداً بعد واحد إلي أن بلغ العسكري (عليه السلام) قال: فَلْيُسَلِّمْهَا إِلَيَّ ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمُسْتَحْفَظِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام). (5)

20_ عن كافي الكليني، و غيبة النعماني، و إكمال الدين، و غيبة الطوسي، و اختصاص المفيد، و كفاية الأثر: بأسانيد كثيرة، عن أصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: فَكَرَّتْ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ

ص: 322

1- بحار الأنوار، ج 36، ص 349، ح 218؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 189.

2- بحار الأنوار، ج 36، ص 245، ح 45؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 153.

3- كذا في الأصل، و الصحيح: أبي سلمى.

4- الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج 1، ص 173، ح 270؛ فراند السمطين، ج 2، ص 319 _ 320، ح 571؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ص 95.

5- بحار الأنوار، ج 36، ص 261، ح 81؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 151.

وُلِدِي، هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا. (1) الخبر.

قال أستاذنا البلاغي (قدس سره): المراد أنّ المهدي من ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) يكون في ظهر الحادي عشر من الأئمة (عليهم السلام). (2)

أقول: علي هذا يكون مفاد العبارة: فكّرت في مولود يكون في ظهر الحادي عشر من الأئمة الذي هو من ولدي.

وقال مترجم الكتاب: رأيت في نسخة الكافي هكذا: فَكَّرْتُ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ وُلْدِي الْخ. (3)

أقول: المهدي (عجل الله تعالي فرجه الشريف) هو العاشر من ولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، الآ أن يأول بما أفاده الأستاذ أيضاً، كما لا يخفي.

21_ عن المفيد في كتاب الجوابات: حديث الكميل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ممّا روته العامّة و الخاصّة، قوله (عليه السلام): و لكنّي أفكرّ في التاسع من ولد الحسين (عليه السلام)، إلي قوله: له غيبة يرتاب فيها المبطلون. (4) الخبر.

22_ عن إكمال الدين، عن الرضا، عن آبائه (عليهم السلام): قول أمير المؤمنين

ص: 323

1- _ الاختصاص، ص 209؛ بحار الأنوار، ج 51، ص 118، ح 18؛ الكافي، ج 1، ص 338، ح 7؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 336؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص: 220؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 289، ح 1.

2- _ في كتاب نصائح الهدى، (... من مولد امير المؤمنين من ظهر الحادي عشر من ولدي). نصائح الهدى من موسوعة العلامة البلاغي، ج 6، ص 413.

3- _ مصنفات الشيخ المفيد، ج 7، ص 12؛ معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام)، ج 4، ص 86.

4- _ الرسالة الثانية في الغيبة من موسوعة العلامة البلاغي، ج 6، ص 12.

للعين (عليهما السلام): التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق (1).

الحديث.

23_ عن مقتضب الأثر لابن عيَّاش: عن جماعة من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث قيل له (عليه السلام): وَ مَنْ ابْنُ خَيْرَةِ
الإمام؟ فقال: ذَلِكَ الْفَقِيهُ الطَّرِيدُ الشَّرِيدُ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
(عليهم السلام) هَذَا، وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام). (2)

24- عن إكمال الدين للصدوق، واحتجاج الطبرسي، وفرائد السمطين: عن الحسن السبط المجتبي (عليه السلام) في تعيين القائم، قال:
التاسع من ولد أخِي الْحُسَيْنِ ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ. (3) الحديث.

25_ عن كفاية الأثر: مسنداً عن الحسين (عليه السلام) في تعداد الأئمة، قال: وبعده _ يعني: الحسن (عليه السلام) _ الْخَلْفُ الْمَهْدِيُّ هُوَ
التاسع من ولدي. (4) الخبر.

26_ عن إكمال الدين الصدوق، عن الحسين (عليه السلام) قوله: قَائِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي وَ هُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ. (5)

ص: 324

1- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 110، ح 2؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 521؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 304،
ح 16.

2- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 110، ح 4؛ مقتضب الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 31.

3- _ الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 290؛ بحار الأنوار، ج 44، ص 19، ح 3 و ج 51، ص 132، ح 1؛ فرائد
السمطين، ج 2، ص 124، ح 424؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 522؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 226؛
كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 316، ح 2.

4- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 385، ح 5؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 234.

5- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 133، ح 3؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 317، ح 2.

27_ وعنه أيضاً قوله (عليه السلام): فِي التَّاسِعِ مِنْ وُلْدِي سُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ، وَ سُنَّةٌ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَ هُوَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. (1)

28_ وعن الصدوق في إكمال الدين، وابن عيَّاش في المقتضب، والخزَّاز في الكفاية، بأسانيد مختلفة، عن الحسين (عليه السلام)، قال: مِثْنَا اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا، أَوَّلُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ (عليه السلام) وَ آخِرُهُمُ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي وَ هُوَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ. (2) الخبر.

29_ عن غيبة فضل بن شاذان: بسنده عن الباقر (عليه السلام)، قال: خطب الحسين (عليه السلام) أصحابه ليلة شهادته، و ذكر لهم القائم المنتقم، فقيل له: يا بن رسول الله و من القائم؟ فقال: هو السابع من أولاد ولدي محمد بن علي، و هو الحجَّة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني. (3)

30_ عن الصدوق في إكمال الدين، و الطبرسي في الاحتجاج: مسنداً عن زين العابدين (عليه السلام) في تسمية جعفر بن محمد بالصادق؛ لأنَّ الخامس من ولده _ أي: الصادق _ يسمِّي بجعفر، يدَّعي الإمامة، فَإِنَّ لِلْخَامِسِ مِنْ وُلْدِهِ وَ لِدَا أَسْمُهُ جَعْفَرٌ يَدَّعِي الْإِمَامَةَ اجْتِرَاءً عَلَيَّ اللَّهُ وَ كَذِبًا عَلَيْهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ جَعْفَرُ الْكُذَّابِ الْمُفْتَرِي عَلَيَّ اللَّهُ (عزوجل).

ص: 325

1- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 133، ح 2؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 317، ح 1.

2- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 385، ح 6 و ج 51، ص 133، ح 4؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 1، ص 68، ح 36؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 232؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 317، ح 3؛ مقتضب الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 23.

3- _ موسوعة العلامة البلاغي، ص 417؛ نصائح الهدى، ص 37، عنه.

الي ان قال: ذَلِكَ الَّذِي يَرُومُ كَشَفَ سِتْرِ اللَّهِ عِنْدَ غَيْبَةِ وَلِيِّ اللَّهِ (1) الخبر.

31_ عن غيبة فضل بن شاذان: بسنده عن أبي حمزة عن الكابلي، قال: دخلت علي مولاي علي بن الحسين (عليهما السلام) وفي يده صحيفة، كان ينظر إليها ويبكي بكاءً شديداً، فقلت: ما هذه الصحيفة؟ قال: هذه نسخة اللوح الذي أهداه الله تعالى إلي رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)، فيه اسم الله تعالى ورسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي (عليه السلام).

الي ان قال: و ابنه الحجة القائم بأمر الله، المنتقم من أعداء الله، الذي يغيبه طويلاً. (2) الخبر.

32_ وعن غيبة الطوسي: مسنداً عن الباقر (عليه السلام) في تعداد الأئمة إلي الحسن (عليه السلام)، قال: وَإِلِي ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ. (3) الخبر.

33_ عن أصول الكافي وغيبة النعماني وغيبة الطوسي: بأسانيد متعددة عن الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ}، (4) في تعيين سنة غيبة المهدي، قال (عليه السلام): فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَ مِائَتَيْنِ، ثُمَّ يَبْدُو كَالشَّهَابِ الْوَاقِدِ فِي

ص: 326

1- الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 318؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 386، ح 1 و ج 50، ص 228، ح 2؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 319، ح 2.

2- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 2، ص 234، ح 811؛ نصاب الهدي، ص 419، ح 39، عنه.

3- بحار الأنوار، ج 24، ص 240، ح 2؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 149.

4- سورة التكوير: 15.

34_ عن كفاية الخزاز: عن الكميت عن الباقر (عليه السلام)، قال: إِنَّ قَائِمَنَا هُوَ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ (عليه السلام)، وقال في حق الحسن العسكري: هُوَ أَبُو الْقَائِمِ (2) الخبر.

35_ عن كفاية الخزاز: أسند عن الباقر (عليه السلام) قال: إِنَّ قَائِمَنَا هُوَ السَّابِعُ مِنْ وُلْدِي (3).

36_ عن إكمال الدين: بسنده عن الصادق (عليه السلام) قيل له: فَمَنْ الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِكَ؟ قَالَ (عليه السلام): الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ السَّابِعِ، يَغِيبُ عَنْكُمْ شَخْصُهُ، وَلَا يَجُلُ لَكُمْ تَسْمِيَتُهُ (4).

37_ عن إكمال الدين: بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: الإمامُ مِنْ بَعْدِي ابْنِي مُوسَى، وَالْخَلْفُ الْمَأْمُولُ، الْمُنتَظَرُ م ح م د بِنُ الْحَسَنِ بِنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى (5) 38_ عن إكمال الدين: بسنده عن الصادق (عليه السلام) في تعداد الأئمة بعد ذكر

ص: 327

1- _ الكافي، ج 1، ص 341، ح 23؛ الغيبة للنعمانى، ص 150، ح 7. «كَالشَّهَابِ الْوَقَادِ» في: بحار الأنوار، ج 51، ص 51، ح 26؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 159 ح 116؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 325، ح 1.

2- _ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 2، ص 181، ح 582؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 391، ح 2؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 250.

3- _ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 2، ص 182، ح 583؛ بحار الأنوار، ج 36، ص 359، ح 228؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 252.

4- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 32، ح 4 و ص 143، ح 4 و ص 145، ح 11؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 523؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 333، ح 1 و ص 338، ح 12 و ص 411، ح 5.

5- _ بحار الأنوار، ج 48، ص 15، ح 5 و ج 51، ص 143، ح 7؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 334، ح 4.

العسكري (عليه السلام)، قال: ثُمَّ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ (1).

39_ عن إكمال الدين: بسنده عن الصادق (عليه السلام) في تعيين القائم، قال: هُوَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ ابْنِي مُوسَى، (2) و أيضاً: إِنَّ الْغَيْبَةَ سَتَقَعُ بِالسَّادِسِ مِنْ وُلْدِي. (3)

40_ عن كفاية الأثر: عن الصادق (عليه السلام) مسنداً، قال: إِنَّ قَائِمَنَا يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الْحَسَنِ، وَ الْحَسَنُ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ عَلِيِّ، وَ عَلِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ مُحَمَّدٍ، وَ مُحَمَّدٌ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ عَلِيِّ، وَ عَلِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ ابْنِي هَذَا، وَ أَشَارَ إِلَى مُوسَى (عليه السلام). (4)

41_ عن كفاية الأثر: مسنداً عن الصادق (عليه السلام) في تعداد الأئمة، إلى أن قال: وَ الْحُجَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ (عليه السلام). (5)

42_ عن مقتضب الأثر لابن عيَّاش: مسنداً عن الصادق (عليه السلام) في تعداد الأئمة إلى ابنه الكاظم (عليه السلام)، ثم قال: وَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِهِ يَغِيبُ شَخْصُهُ وَ لَا يَجِلُّ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ. (6)

43_ عن أربعين الحافظ أبونعيم: مسنداً عن الصادق (عليه السلام) قال: الْخَلْفُ

ص: 328

1- _ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 337، ح 9.

2- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 146، ح 15؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 345، ح 31.

3- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 145، ح 13؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 33 و ج 2، ص 342، ح 23.

4- _ بحار الأنوار، ج 36، ص 408، ح 17؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 265.

5- _ بحار الأنوار، ج 4، ص 55، ح 32 و ج 36، ص 336، ح 199 و ص 407، ح 16؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 263.

6- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 149، ح 25؛ مقتضب الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 41.

الصَّالِحِ مِنْ وُلْدِي وَهُوَ الْمَهْدِيُّ، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ، يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُقَالُ لِأُمَّهِ: صَقِيلٌ. (1)

44_ عن غيبة الفضل بن شاذان: مسنداً عن الصادق (عليه السلام) في تعداد الأئمة إلى العسن العسكري (عليه السلام)، ثم قال: وبعده ولده المهدي (عليه السلام). (2)

45_ (3) عن كافي الكليني، وإكمال الدين، وغيبة الطوسي، وكفاية الأثر: بأسانيدهم عن موسى (عليه السلام) قال: إِذَا فَقَدَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ السَّابِعِ فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَدْيَانِكُمْ لَا يُزِيلَنَّكُمْ أَحَدٌ عَنْهَا، (4) يَا بَنِيَّ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ كَانَ يَقُولُ بِهِ. (5)

46_ عن الصدوق، والخزاز في الكفاية: عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيَّ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (عليهما السلام)، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَنْتَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ؟ قَالَ: أَنَا الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، وَ لَكِنَّ الْقَائِمَ الَّذِي يُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَيَمْلَأُهَا

ص: 329

1- بحار الأنوار، ج 51، ص 24، ح 37؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 475؛ نصائح الهدى، ص 426، ح 57، عنه.

2- نصائح الهدى، ص 427، ح 58، عنه.

3- المناسب تقديم الحديث التاسع والأربعين، وهو حديث الحميري لروايته عن الصادق (عليه السلام) قبل الأحاديث المروية عن الكاظم والرضا (عليهما السلام) لترتيب الأبواب والفصول «منه».

4- في الكافي: لَا يُزِيلَنَّكُمْ عَنْهَا أَحَدٌ.

5- بحار الأنوار، ج 52، ص 113، ح 26؛ الكافي، ج 1، ص 336، ح 2؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 337؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 268؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 359 _ 360، ح 1. في المصادر: مَنْ كَانَ يَقُولُ بِهِ.

عَدْلًا كَمَا مَلَيْتُ جَوْرًا، هُوَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِي، لَهُ غَيْبَةٌ يَطُولُ أَمْدُهَا. (1) الحديث.

47_ عن إكمال الدين، وكفاية الأثر: بسنديهما عن الكاظم (عليه السلام)، حيث سئل عنه عمّن يغيب من الأئمة (عليهم السلام)، قال: وَ هُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَّا، الي ان قال: وَيُبِيرُ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَيُهْلِكُ عَلَي يَدِهِ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، ذَلِكَ ابْنُ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ. (2) الحديث.

48_ عن إكمال الدين، وكفاية الأثر، وفرائد السمطين: مسنداً عن الرضا (عليه السلام) قيل له: وَ مَنْ الْقَائِمُ مِنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ قَالَ: الرَّابِعُ مِنْ وُلْدِي، ابْنُ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ، الي ان قال: وَ هُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ. (3)

49_ عن إكمال الدين: مسنداً عن السيد الحميري، حيث سئل الصادق (عليه السلام) عمّن تقع الغيبة، فقال (عليه السلام): إِنَّ الْغَيْبَةَ سَتَعُ بِالسَّادِسِ مِنْ وُلْدِي، وَ هُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَيْمَةِ الْهُدَاةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم)، أَوْلَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)، وَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ بَقِي. (4) الحديث.

50_ عن إكمال الدين، وكفاية الأثر، وفرائد السمطين: في تشرف دعبل

ص: 330

1- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 151، ح 6؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 269؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 361، ح 5.

2- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 150، ح 2؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 270؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 368، ح 6.

3- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 321، ح 29؛ فرائد السمطين، ج 2، ص 337، ح 590؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 275؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 372، ح 5.

4- _ بحار الأنوار، ج 42، ص 79، ح 8 و ج 47، ص 317، ح 8؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 33 و ج 2، ص 342، ح 23.

الخزاعي وإنشاده القصيدة، إلي أن بلغ قوله: «خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مَحَالَآةَ خَارِجٌ» الشعر، و ما قاله الرضا (عليه السلام) وفيما قال، قال: الإِمَامُ بَعْدِي مُحَمَّدٌ ابْنِي، وَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ابْنُهُ عَلِيُّ، وَ بَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ، وَ بَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْحُجَّةُ الْقَائِمُ، الْمُتَنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ، الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ. (1)

51_ عن إكمال الدين: مسنداً عن رِيَّان بن الصلت، عن الرضا (عليه السلام)، حيث سأل عن صاحب الأمر، فقال فيما، قال: ذَاكَ الرَّابِعُ مِنْ وُلْدِي، يُعَيَّبُهُ اللَّهُ فِي سِتْرِهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ يُظْهِرُهُ. (2) الحديث. 52_ عن أربعين الحافظ أبو نعيم، و مواليد الأئمة لابن الخشاب البغدادي: مسنداً عن الرضا (عليه السلام)، قال: الْخَلْفُ الصَّالِحُ مِنْ وُلْدِ أَبِي مُحَمَّدٍ، الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليهما السلام)، وَ هُوَ صَاحِبُ الزَّمَانِ وَ هُوَ الْمَهْدِيُّ. (3)

53_ عن إكمال الدين، و كفاية الأثر: مسنداً عن عبدالعظيم الحسني، عن الجواد (عليه السلام) من قوله (عليه السلام): يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ الْقَائِمَ مِنَّا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ

ص: 331

1- _ بحار الأنوار، ج 49، ص 237، ح 6 و ج 51، ص 154، ح 4؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 2، ص 266، ح 37؛ فرائد السمطين، ج 2، ص 337 _ 338، ح 591؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 277؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 372، ح 6.

2- _ بحار الأنوار، ج 52، ص 322، ح 30؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 376، ح 7.

3- _ إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات، ج 5، ص 227، ح 48؛ بحار الأنوار، ج 51، ص 43، ح 32؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 475؛ مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة (عليهم السلام)، ص 149؛ معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام)، ج 5، ص 441، ح 1.

يُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ، وَيُطَاعَ فِي ظُهُورِهِ، وَهُوَ الثَّالِثُ مِنْ وُلْدِي. (1)

54_ عن إكمال الدين، وكفاية الأثر: عن الجواد (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه قوله: إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٌّ، أَمْرُهُ أَمْرِي وَقَوْلُهُ قَوْلِي وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي، وَالْإِمَامُ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ، أَمْرُهُ أَمْرُ أَبِيهِ وَقَوْلُهُ قَوْلُ أَبِيهِ وَطَاعَتُهُ طَاعَةُ أَبِيهِ، ثُمَّ سَكَتَ، فَقَالَ الرَّاوِي: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَمَنْ الْإِمَامُ بَعْدَ الْحَسَنِ؟ فَبَكَى (عليه السلام) بُكَاءً شَدِيداً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ ابْنَهُ الْقَائِمَ بِالْحَقِّ الْمُنْتَظَرَ. (2) الحديث.

55_ عن فضل بن شاذان: مسنداً عن عبدالعظيم في عرض دينه علي الإمام الهادي (عليه السلام) وإقراره بالأئمة واحداً بعد واحد، إلي أن قال: ثُمَّ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ (عليه السلام): وَمِنْ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي، فَكَيْفَ لِلنَّاسِ لِلْخَلْفِ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ، يَا مَوْلَايَ؟! قَالَ (عليه السلام): لَا يُرَى شَخْصُهُ وَلَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ حَتَّى يَخْرُجَ. (3) الحديث.

56_ عن أصول الكافي، وإكمال الدين، وكفاية الأثر: مسنداً عن أبيهاسم، قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) يقول:
الْخَلْفُ مِنْ بَعْدِي ابْنِي

ص: 332

1- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 156، ح 1؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 281؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 377، ح 1.

2- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 30، ح 4 و ص 158، ح 5؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 283؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 378، ح 3.

3- _ بحار الأنوار، ج 3، ص 268، ح 3 و ج 36، ص 412، ح 2؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 525؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 287؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 380، ح 1.

الْحَسَنُ، فَكَيْفَ لَكُمْ بِالْخَلْفِ مِنْ بَعْدِ الْخَلْفِ؟ (1) الحديث.

57- وفي سند آخر عنه (عليه السلام) في مكاتبه للشيعة: الْأَمْرُ لِي مَا دُمْتُ حَيًّا، فَإِذَا نَزَلْتُ بِي مَقَادِيرُ اللَّهِ (عز وجل) آتَاكُمْ اللَّهُ الْخَلْفَ مِنِّي، وَأَنِّي لَكُمْ بِالْخَلْفِ بَعْدَ الْخَلْفِ. (2)

58- عن إكمال الدين، وكفاية الأثر: مسنداً عن الهادي (عليه السلام) في تفسير الأيَّام، قوله (عليه السلام): وَالْخَمِيسُ ابْنِي الْحَسَنُ، وَالْجُمُعَةُ ابْنُ ابْنِي، وَإِلَيْهِ تَجْتَمِعُ عَصَابَةُ الْحَقِّ. (3) الحديث.

59- وفي سند آخر عنه (عليه السلام): إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْقَائِمُ. (4) الخبر.

60- عن إكمال الدين، وغيبة الطوسي: مسنداً في حديث شراء نرجس، قول الهادي (عليه السلام) لها: فَأَبْشِرِي بِوَلَدٍ يَمْلِكُ الدُّنْيَا شَرْقًا وَغَرْبًا، ثُمَّ بَيْنَ لَهَا أَنَّهُ مِنْ

ص: 333

-
- 1- الكافي: ج 1، ص 332، ح 1؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 289؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 381، ح 5.
 - 2- إعلام الوري بأعلام الهدى، ج 2، ص 247؛ بحار الأنوار، ج 51، ص 160، ح 5؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 382، ح 8.
 - 3- بحار الأنوار، ج 24، ص 239، ح 1 و ج 36، ص 414، ح 3 و ج 50، ص 195، ح 7؛ الخصال، ج 2، ص 396، ح 102؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 291؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 383، ح 9.
 - 4- بحار الأنوار، ج 50، ص 239، ح 3؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 292؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 383، ح 10.

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام). (1)61_ قوله (عليه السلام) في حق نرجس: فَإِنَّهَا زَوْجَةٌ أَبِي مُحَمَّدٍ (عليه السلام) وَأُمُّ الْقَائِمِ. (2)

62_ عن إكمال الدين: عن أحمد بن إسحاق، عن الحسن العسكري (عليه السلام)، حين سأله عن الإمام والخليفة بعده، فنهض (عليه السلام) مسرعاً ودخل البيت وخرج وعلي عاتقه غلام ابن ثلاث سنين، وقال (عليه السلام): لَوْلَا كَرَامَتُكَ عَلَيَّ اللَّهُ (عز وجل) وَعَلَيَّ حُجَّجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا، إِنَّهُ سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) وَكَنِيَّتُهُ، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا. (3) الخبر بطوله.

63_ عن شواهد النبوة لملاً عبدالرحمن الجامي عين هذا الحديث، إلي قوله ظلماً و جوراً. (4)

64- عن فضل بن شاذان، وإكمال الدين: بسنده عن أحمد بن إسحاق، عن الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَرَانِي الْخَلْفَ مِنْ بَعْدِي. (5) الخبر.

ص: 334

1- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 10، ح 12؛ دلائل الإمامة، ص 495؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 214؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 423، ح 1.

2- _ همان.

3- _ إعلام الوري بأعلام الهدى، ج 2، ص 248؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 24، ح 16؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 526؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 384 _ 385، ح 38.

4- _ شواهد النبوة (للجامي)، ص 409.

5- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 161، ح 9؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 295؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 409، ح 38.

65_ عن إكمال الدين، و كفاية الأثر: عن العسكري (عليه السلام)، قال: أَمَا إِنَّ الْمُقَرَّرَ بِالْأَيْمَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) الْمُتَنَكَّرَ لَوْلَدِي، كَمَنْ أَقَرَّ بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، ثُمَّ أَنْكَرَ نُبُوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم). (1) الخبر.

66_ عن إكمال الدين: بسنده عن العسكري (عليه السلام)، قال: ابني م ح م د هُوَ الْإِمَامُ وَالْحُجَّةُ بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً. (2) الخبر. 67_ عن إكمال الدين، و كفاية الأثر: مسنداً عن العسكري (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ لِحَارِيتِهِ: سَتَحْمِلِينَ ذِكْرًا وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْقَائِمُ مِنْ بَعْدِي. (3)

68_ عن فضل بن شاذان، عن محمد بن عبد الجبار، قال: قلت لمولاي الحسن ابن علي العسكري: يا ابن رسول الله! جعلني الله فداك! أحب أن أعلم من الإمام و حجة الله علي عباده من بعدك؟ فقال (عليه السلام): إن الإمام و حجة الله من بعدي ابني سمي رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) و كنيته، الذي هو خاتم حجج الله، و آخر خلفائه، قال: ممن هو يا ابن رسول الله؟ قال: من ابنة ابن قيصر ملك الروم. (4) الخبر.

69_ عن فضل بن شاذان، عن محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن

ص: 335

-
- 1- _ إعلام الوري بأعلام الهدى، ج 2، ص 252؛ بحار الأنوار، ج 51، ص 160، ح 6؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 295؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 409 ح 8.
 - 2- _ الإمامة و التبصرة من الحيرة، ص 2؛ إعلام الوري بأعلام الهدى، ج 2، ص 253؛ بحار الأنوار، ج 51، ص 160، ح 7؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج 2، ص 528؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 296؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 409، ح 9.
 - 3- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 2، ح 2 و ص 161، ح 13؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 294؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 408، ح 4.
 - 4- _ إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات، ج 5، ص 196، ح 679.

عبيدالله ابن عباس بن أمير المؤمنين، قال: سمعت الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) يقول: قد ولد ولي الله و حجته علي عباده، و خليفتي من بعدي مختونا، ليلة النصف من شعبان، سنة خمس و خمسين و مائتين عند طلوع الفجر. (1)

70_ عن كتاب سليم بن قيس، عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) في ذكر أولي الأمر واحداً بعد واحد إلي الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: ثم ابنه الحجّة القائم خاتم أوصيائي و خلفائي، و المنتقم من أعدائي. (2) الحديث.

71_ وفيه أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إن أوصيائي أحد عشر رجلاً من وُلدي أئمة هداة مهديون كلهم محدثون، قلت: يا أمير المؤمنين! و من هم؟ قال: ابني هذا الحسن، ثم ابني هذا الحسين، ثم ابني هذا و أخذ بيد ابن ابنه علي بن الحسين، و هو رضيع، ثم ثمانية من وُلديه واحداً بعد واحد. (3)

72_ عن غيبة فضل بن شاذان في حديث سؤال سلمان عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) عن المنتقم، فقال: التاسع من أولاد ولدي الحسين. (4) الحديث.

73_ عنه أيضاً عن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) مسنداً في إخبار الله لإبراهيم بأسماء الأئمة و مشاهدته لأنوارهم إلي الحسن العسكري (عليه السلام)، قال جلّ اسمه: و الحجّة بن الحسن الذي يظهر بعد غيبته عن شيعة و أوليائه. (5)

ص: 336

-
- 1- إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات، ج 5، ص 197، ح 682.
 - 2- كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج 1، ص 174.
 - 3- كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج 1، ص 177، ح 16 و ج 2، ص 824_825، ح 37.
 - 4- كفاية المهتدي في معرفة المهدي (عليه السلام)، ص 463؛ نصائح الهدي، ص 443، ح 101، عنه.
 - 5- نصائح الهدي، ص 444، ح 102، عنه.

74_ وعنه (عليه السلام) أيضاً في حديث المعراج وإخبار الله تعالى بأسماء الأئمة إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، فقال تعالى: وبعده الحجّة بن الحسن. (1)

75_ وعنه أيضاً عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) مسنداً في كون الأئمة أولي بالمؤمنين من أنفسهم وذكرهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: وبعده الحجّة بن الحسن الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، ويغيب مدّة طويلة. (2) الحديث.

76_ وعنه أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسي في خطبة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وفيها أنّ التاسع من الأئمة (عليهم السلام) من ولد الحسين (عليه السلام) مهديهم، ثم ذكر الأئمة واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، وقال (صلي الله عليه وآله وسلم): وَبَعَدَ الْحَسَنَ ابْنُهُ الْحُجَّةُ الْقَائِمُ، الْمُتَنْتَظَرُ فِي غَيْبِهِ، الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ. (3) 77_ وعن الحسن بن علي بن فضال مسنداً عن عمّار بن ياسر، عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: إن الله عهد إليّ أن يعطيني اثني عشر خليفة، وعدّهم واحداً بعد واحد إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، وقال: وهو الذي يغيب غيبة طويلة، و

ص: 337

-
- 1- _ نصائح الهدى ص 444 ح 103، عنه .
 - 2- _ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج 2، ص 234، ح 812؛ كفاية المهتدي في معرفة المهدي (عليه السلام)، ص 481؛ منتخب الاثر في الامام الثاني عشر (عليه السلام)، ج 1، ص 251، ح 307؛ نصائح الهدى، ص 444، ح 104.
 - 3- _ بحار الأنوار، ج 51، ص 154، ح 4؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 277؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج 2، ص 372، ح 6؛ نصائح الهدى، ص 444، ح 105.

يظهر (1) الحديث.

78- وعن عبد الله بن جبلة مسنداً عن ابن عباس، قال: قلت لرسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): كم الأئمة من بعدك؟ قال: اثنا عشر، أولهم علي (عليه السلام)، ثم عدّ إلي الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: فإذا انقضت أيام الحسن فابنه الحجة (2).

79- وعن الحسن بن علي بن فضال مسنداً عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، قال: أُبشركم بالمهدي، إلي أن قال: وهو التاسع من أولاد ولدي الحسين (3).

80- وعن أئمة الدفائن لابن شاذان عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في تعداد الأئمة بعد ذكر الحسن بن علي (عليهما السلام)، قال (صلي الله عليه وآله وسلم): ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، مَهْدِيُّ أُمَّتِي (4) الحديث.

81- عن الذهبي عن أربعين الحافظ بن أبي الفوارس، عن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في فضل ولاية كل واحد من الأئمة وذكرهم واحداً بعد واحد حتى ذكر الحسن العسكري (عليه السلام)، فقال: وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ (عز وجل) وَقَدْ كَمَلَ إِيمَانُهُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَلْيَتَوَلَّ ابْنَهُ الْمُتَنَتِرَ مُحَمَّدًا صَاحِبَ الرَّمَّانِ

ص: 338

-
- 1- _ معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام)، ج 6، ص 47؛ منتخب الأثر في الامام الثاني عشر (عليه السلام)، ج 1، ص 249، ح 305 و ج 2، ص 429، ح 810؛ نصائح الهدى، ص 445، ح 106.
 - 2- _ نصائح الهدى، ص 445، ح 107، عنه.
 - 3- _ نصائح الهدى، ص 445، ح 108، عنه.
 - 4- _ بحار الأنوار، ج 27، ص 119، ح 99 و ج 36، ص 252، ح 68؛ كفاية الأثر في النص علي الأئمة الإثني عشر، ص 145؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 1، ص 258، ح 3؛ نصائح الهدى، ص 445، ح 109.

المَهْدِيَّ (عليه السلام). (1) الحديث.

هذا ما تيسر لي جمعه من الأخبار المنصوصة بالنص الصريح من كل واحد من الأئمة (عليهم السلام) في إمامته وغيبته واسمه وكنيته و
أبيه وأمه، وأنه يخرج ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، مضافاً إلي ما تقدم من الأخبار في إمامة الأئمة (عليهم السلام)
، ومع ذلك فهل يبقى لمسلم شك أو ريب فيه، وبذا نختم الكلام والحمد لله والصلاة على رسوله وآله آل الله.

المطلب الثالث: في علائم ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

وهي علي أقسام: منها علائم حتمية شخصية لشخصه الشريف.

ومنها: علائم نوعية لعموم الناس، وهي أيضاً أقسام: منها حتمية، ومنها غير حتمية، وهي: إما واقعة إلي زماننا هذا، وإما غير واقعة بعد، و
قد صنف الأصحاب في هذا الباب من الكتاب ما يخرج عن حدّ الحساب، وذكرها بتمامه يقتضي وضع كتاب مستقلّ مبسوط، ونحن
نقتصر علي ذكر كلام من المفيد في إرشاده علي نقل البحار المستفاد من الأخبار، وذكر حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) علي نقل
صاحب كفاية الموحّدين.

أما كلام المفيد، قال: قَدْ جَاءَتِ الْأَثَارُ (2) بِذِكْرِ

عَلَامَاتٍ لِيَزْمَانَ قِيَامِ الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ (عليه السلام)، وَ حَوَادِثَ تَكُونُ أَمَامَ قِيَامِهِ، وَ آيَاتٍ وَ دَلَالَاتٍ: فَمِنْهَا: خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ، وَ قَتْلُ الْحَسَنِِيِّ، وَ
اِخْتِلَافُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي

ص: 339

-
- 1- _ بحار الأنوار، ج 27، ص 108، ح 80 و ج 36، ص 296، ح 12؛ الفضائل (لابن شاذان القمي)، ص 167؛ مقتضب الأثر في النص
علي الأئمة الإثني عشر، المقدمة، ص 11؛ نصائح الهدى ص 445، ح 110، عنه.
 - 2- _ في الارشاد: الأخبأر.

الْمَلَاكِ الدُّنْيَاوِيِّ، وَكُسُوفِ الشَّمْسِ فِي النُّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُسُوفِ الْقَمَرِ فِي آخِرِهِ عَلَيَّ خِلَافِ الْعَادَاتِ، وَحَسْفٍ بِالْبَيْدَاءِ، وَ حَسْفٍ بِالْمَغْرِبِ، وَ حَسْفٍ بِالْمَشْرِقِ، وَرُكُودِ الشَّمْسِ مِنْ عِنْدِ الزَّوَالِ إِلَيَّ وَسَطِ أَوْقَاتِ الْعَصْرِ، وَطُلُوعِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، وَقَتْلُ نَفْسٍ زَكِيَّةٍ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ فِي سَبْعِينَ مِنَ الصَّلَاحِينَ، وَذَبْحُ رَجُلٍ هَاشِمِيٍّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَهَدْمُ سُورِ الْكُوفَةِ.

وَإِقْبَالُ رَايَاتِ سُودٍ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ، وَخُرُوجِ الْيَمَانِيِّ، وَظُهُورِ الْمَغْرِبِيِّ بِمِصْرَ، وَتَمَلُّكِهِ لِسَامَاتِ، وَنُزُولِ التُّرْكِ الْجَزِيرَةَ، وَنُزُولِ الرُّومِ الرَّمْلَةَ، وَطُلُوعِ نَجْمٍ بِالْمَشْرِقِ، يُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْقَمَرُ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ حَتَّى يَكَادُ يَلْتَقِي طَرْفَاهُ، وَحُمْرَةَ تَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ، وَتَنْتَشِرُ فِي آفَاقِهَا، وَ نَارُ تَظْهَرُ بِالْمَشْرِقِ طَوَّلًا، وَتَبْقَى فِي الْجَوْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَ خَلْعِ الْعَرَبِ أَعْتَتِهَا وَتَمَلُّكِهَا الْبِلَادَ، وَخُرُوجِهَا عَنْ سُلْطَانِ الْعَجَمِ، وَقَتْلِ أَهْلِ مِصْرَ أَمِيرَهُمْ، وَخَرَابِ الشَّامِ وَ اخْتِلَافِ ثَلَاثَةِ رَايَاتٍ فِيهِ وَ دُخُولِ رَايَاتِ قَيْسٍ وَ الْعَرَبِ إِلَيَّ مِصْرَ وَ رَايَاتِ كِنْدَةَ إِلَيَّ خُرَاسَانَ وَوَرُودِ خَيْلٍ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ حَتَّى تُرْبَطَ بِفِنَاءِ الْحِيرَةِ وَاقْبَالِ رَايَاتِ سُودٍ مِنَ الْمَشْرِقِ نَحْوَهَا وَبَثْقُ (1) فِي الْفُرَاتِ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَاءُ أَرْقَةَ الْكُوفَةِ.

وَ خُرُوجِ سِتِّينَ كَذَابًا كُلُّهُمْ يَدْعِي التُّبُوَّةَ، وَ خُرُوجِ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ كُلُّهُمْ يَدْعِي الْإِمَامَةَ لِنَفْسِهِ، وَ إِحْرَاقِ رَجُلٍ عَظِيمِ الْقَدْرِ مِنْ شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِيِّينَ جُلُودًا وَ خَانِقِينَ، وَ عَقْدِ الْجِسْرِ مِمَّا يَلِي الْكَرْبَخَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، وَارْتِفَاعِ رِيحِ سُودَاءَ بِهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَزَلْزَلَةُ حَتَّى يَنْخَسِفَ كَثِيرٌ مِنْهَا، وَ خَوْفٌ يَشْمَلُ أَهْلَ

ص: 340

العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الآ نفس والأموال والتمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه، حتى يأتي علي الزرع والغلات، وقله ربع لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم.

وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم، وقتلهم مواليتهم، ومسح لقوم من أهل البدع، حتى يصيروا قردة وخنزير، وغلبة العبيد علي بلاد السادات، وزدائد من السماء، حتى يسد معه أهل الأرض كل أهل لغة بلغيتهم ووجهه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلي الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

ثم يحتم ذلك بأربع وعشرين مطرة، تتصل فتحيا بها الأرض من بعد موتها، وتعرف بركايتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي (عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، فيتوجهون نحوه لنصرتهم كما جاءت بذلك الأخبار.

ومن جملة هذه الأحداث محتومة، ومنها مسترطة، والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها علي حسب ما ثبت في الأصول، وتضمنها الأثر المنقول، والله نستعين وإياه نسأل التوفيق. (1) انتهى كلامه رحمه الله. وأما ذكر الحديث، فقال (عليه السلام): إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأسد تحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنيان، وباعوا (2) الدين بالدنيا، وأسد تعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، وأتبعوا الأهواء،

ص: 341

1- الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ج 2، ص 368 _ 370؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 220، ح 82.

2- في نسخة: بايعوا.

وَاسْتَحَفُّوا بِالِدِّمَاءِ، وَكَانَ الْجِلْمُ ضَعْفًا، وَالظُّلْمُ فَخْرًا، وَكَانَتِ الْأَمْرَاءُ فَجْرَةً، وَالْوُزَرَاءُ ظَلَمَةً، وَالْعُرَفَاءُ حَوْنَةً، وَالْقُرَاءُ فَسَقَةً.

وَظَهَرَتْ سَهَادَةُ الرُّورِ وَاسْتَعْلَنَ الْفُجُورُ وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ وَالْإِثْمُ وَالطُّغْيَانُ وَحَلِيَّتِ الْمَصَاحِفِ وَرُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ وَطَوَّلَتِ الْمَنَارَاتُ وَ أَكْرَمَتِ الْأَشْرَارُ وَازْدَحَمَتِ الصُّفُوفُ وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَنَقِضَتِ الْعُهُودُ وَاقْتَرَبَ الْمُؤَعُودُ وَشَارَكَ النِّسَاءُ أَرْوَاجَهُنَّ فِي التِّجَارَةِ حِرْصًا عَلَي الدُّنْيَا.

وَعَلَّتْ أَصْوَاتُ الْمُسَاقِي وَاسْتَمِعَ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَانْتَبَى الْفَاجِرُ مَخَافَةَ سَدْرِهِ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ، وَأُوْتِمِنَ الْخَائِنُ، وَاتَّخَذَتِ الْفَيَّانُ وَالْمَعَارِزُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، وَرَكِبَ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ الشُّرُوحَ، وَتَسَدَّ بِهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخِرُ قِضَاءً لِذِمَامٍ بِغَيْرِ حَقِّ عَرَفَةٍ.

وَ تَقَقَّهَ لِعَيْرِ الدِّينِ، وَآتَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَي الْآخِرَةِ، وَلَبَسُوا جُلُودَ الضَّانِ عَلَي قُلُوبِ الذَّنَابِ، (1) وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيْفِ، وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ الْوَحَا لَوْحًا ثُمَّ الْعَجَلَ الْعَجَلَ، خَيْرُ الْمَسَاكِينِ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَي النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ أَنَّهُ مِنْ سَكَّانِهِ. (2)

ص: 342

1- في النسخة: الذباب.

2- بحار الأنوار، ج 52، ص 193، ح 26؛ الخرائج و الجرائح، ج 3، ص 1133، ح 53؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 525، ح 1.

المطلب الرابع: في نوابه الخاصة و العامة في غيبته الصغرى و الكبرى

وقبل الشروع فيه ينبغي تقديم مقدّمة، وهي أنّه قد تقدّم في أوائل مسألة الإمامة لزوم وجود الإمام، واحتياج الدين و المسلمين بوجوده الشريف بالأدلة الكثيرة تبلغ اثني عشر دليلاً، و بعض تلك الأدلة تقتضيكونه (عليه السلام) ظاهراً بحيث يمكن للأمة الرجوع إليه في حلّ مشكلاتهم، و رفع اختلافاتهم في مرافعاتهم و سياساتهم، و كذا في الولاية علي الصغار و المجانين و الغياب و الممتنعين و نحوها، و عند غيبة الإمام يجب أن يكون له نائباً في كلّ عصر في تلك الأمور لعين تلك الأدلة.

و كما يجب أن يكون تعيين الإمام من الله تعالى و من الرسول، و ليس باختيار الأمة كذلك يجب أن يكون تعيين النائب من الإمام، بل لزوم وجود نائب الإمام ليس مختصاً بزمان الغيبة، بل في أزمنة الأئمة (عليهم السلام) أيضاً كثيراً ما لا يتمكّن جميع الأمة من التشرف بخدمتهم: إمّا لمنع الأعداء، أو للخوف منهم، أو لعدم الوصلة، أو لغير ذلك، و من هنا ورد في أخبار كثيرة من سؤال الرواة عنهم (عليهم السلام) ممّن تراجع و ممّن نسال و نحوه. فعلي هذا نقول: نواب الأئمة (عليهم السلام): إمّا خاصّة، أو عامّة.

و المراد بالخاصّ تعيين شخص خاصّ، سواء عيّنه في جميع الأمور، أو في بعضها، كالقضاة و الولاية و نحوهما.

و المراد من العامّ تعيين عنوان كلّ من ينطبق عليه هذا العنوان فهو النائب.

و النواب الخاصّة في الغيبة الصغرى أربعة: أولهم عثمان بن سعيد المعروف بالعمري، ثمّ بعده ابنه محمّد بن عثمان بن سعيد، ثمّ بعده الحسين

بن روح، ثم بعده علي بن محمد السمري. وإثبات نيابتهم بأحد من الوجوه الثلاثة علي سبيل منع الخلوة:

أحدها: النص الصريح من الإمام (عليه السلام)، أو من السابق علي اللاحق.

الثاني: إعطاؤه المعجزة علي يديه من ناحية الإمام (عليه السلام).

الثالث: تسلّم الشيعة في عصره من غير خلاف علي القبول منه لجلالة قدره ونبالة شأنه، و معرفتهم به.

إذا عرفت هذا، فنقول: أما عثمان بن سعيد العمري المعروف بالسّمّان، فهو من ثقات أصحاب الهادي و العسكري (عليهما السلام) و وكلاء الإمامين، و ورد منهما أخبار كثيرة في شأنه، بل نصّ العسكري (عليه السلام) بأنّه وكيل المهدي (عليه السلام) و سفيره و نائبه.

في البحار: عن الشيخ (قدس سره) في حديث طويل، و فيه قول أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في حقّه: هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثَّقَّةُ الْأَمِينُ، مَا قَالَهُ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ، وَ مَا أَدَاهُ إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ. و قول أبي محمد العسكري (عليه السلام) في حقّه: هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثَّقَّةُ الْأَمِينُ، ثِقَّةُ الْمَاضِي وَ ثِقَتِي فِي الْحَيَاةِ وَ الْمَمَاتِ، فَمَا قَالَهُ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ، وَ مَا أَدَّى إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ. (1)

و في البحار أيضاً: عنه عن أبي محمد (عليه السلام) في حديث طويل تقدّم نقله عند بيان من رأي القائم (عليه السلام) و هم أربعون رجلاً، قوله (عليه السلام) في آخر الحديث: أَلَا وَ إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكُمْ هَذَا، حَتَّى يَتِمَّ لَهُ عُمْرٌ، فَأَقْبَلُوا مِنْ عُثْمَانَ مَا

ص: 344

يَقُولُهُ، وَانْتَهَوْا إِلَيَّ أَمْرِهِ، وَاقْبَلُوا قَوْلَهُ، فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ. (1)

و هذا الحديث نصّ في نيابته، هذا مضافاً إلي أن الشيعة مجمعة علي عدالته و ثقته و أمانته.

و أمّا ابنه محمّد بن عثمان، فإثبات نيابته بنصّ من العسكري (عليه السلام) ، و نصّ من أبيه بأمر القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

أمّا نصّ العسكري، فقوله (عليه السلام) و بين يديه جماعة من أوليائه و شيعته: وَ اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ الْعَمَرِيَّ وَ كَيْلِي، وَ أَنَّ ابْنَ مُحَمَّدًا وَ كَيْلُ ابْنِي مَهْدِيكُمْ. (2)

و قوله (عليه السلام) لأحمد بن إسحاق: الْعَمَرِيُّ وَ ابْنُهُ تَقْتَمَانِ، فَمَا أَذْيَا إِلَيْكَ عَنِّي فَعَنِّي يُؤَدِّيَانِ، وَ مَا قَالَا لَكَ فَعَنِّي يَقُولَانِ، فَاسْمَعْ لَهُمَا وَ اطْعِمَهُمَا، فَإِنَّهُمَا الثَّقَتَانِ الْمَأْمُونَانِ. (3) أمّا نصّ القائم (عليه السلام) التوقيع المروي في أكثر كتب الشيعة، مثل الصدوق و الطبرسي و غيرهما، كما في البحار في تعزية محمّد بأبيه عثمان، و في آخر التوقيع قوله (عليه السلام): وَ كَانَ مِنْ كَمَالِ سَعَادَتِهِ (4) أَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَدًا مِثْلَكَ يَحْلِفُهُ مِنْ

ص: 345

1- بحار الأنوار، ج 51، ص 347.

2- بحار الأنوار، ج 51، ص 345.

3- بحار الأنوار، ج 51، ص 348؛ الكافي، ج 1، ص 330، ح 1.

4- أي: العمري.

بَعْدِهِ، وَ يَقُومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ، وَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ. (1) الحديث.

و الحديث المروي عن عبدالله بن جعفر الحميري، قَالَ: لَمَّا مَضَى أَبُو عَمْرٍو (رضي الله عنه) أَتَتْنَا الْكُتُبُ بِالْخَطِّ الَّذِي كُنَّا نَكَاتِبُ بِهِ بِإِقَامَةِ أَبِي جَعْفَرٍ (رضي الله عنه) مَقَامَهُ. (2)

و التوقيع الذي خرج إلي محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي بعد وفاة العمري قوله (عليه السلام) : وَ الْإِنُّ وَقَاهُ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُنَا فِي حَيَاةِ الْأَبِّ (رضي الله عنه) وَ أَزْوَاجَهُ، وَ نَصَرَ وَجْهَهُ يَجْرِي عِنْدَنَا مَجْرَاهُ، وَ يَسُدُّ مَسَدَهُ، وَ عَنِ أَمْرِنَا يَا أَمْرُ الْإِنِّ وَ بِهِ يَعْمَلُ تَوْلَاهُ اللَّهُ، فَانْتَهَ إِلَيَّ قَوْلُهُ. (3)

هذا مضافاً إلي أن الشيعة مجمعة علي عدالته و ثقته و أمانته، و قد نقلت الشيعة عنه دلائل كثيرة، و معجزات الإمام ظهرت علي يده، و أمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة.

و أما أبو القاسم حسين بن روح (رضي الله عنه) ، فلما في البحار عن جعفر بن أحمد بن متيل، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْعَمْرِيَّ الْوَفَاةَ كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ رَأْسِهِ أُسَائِلُهُ وَ أُحَدِّثُهُ، وَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رُوحٍ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَالْتَمَتُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُصِيبَ إِلَيَّ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ، قَالَ: فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ وَ أَخَذْتُ بِيَدِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَ أَجْلَسْتُهُ فِي مَكَانِي، وَ تَحَوَّلْتُ إِلَيَّ عِنْدِ

ص: 346

1- بحار الأنوار، ج51، ص349؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص361؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج2، ص510، ح41.

2- بحار الأنوار، ج51، ص349، ح2؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص362.

3- هـمان.

رَجُلِيهِ (1) وروي فيه هذا الحديث عن «ك» و«عط».

وعن أبي علي محمد بن همام (رضي الله عنه)، قال: أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْعَمْرِيَّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، جَمَعَنَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَكُنَّا وَجْهَ الشَّيْعَةِ وَشُدَّ يَوْحَهَا، فَقَالَ لَنَا: إِنَّ حَدَّثَ عَلِيَّ حَدَّثَ الْمَوْتِ، فَأَلَامُرُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ رُوحِ النَّوْبَخْتِيِّ، فَقَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ فِي مَوْضِعِي بَعْدِي، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ، وَعَوَّلُوا فِي أُمُورِكُمْ عَلَيْهِ. (2)

وعن جماعة أنه لما اشتدت حال أبي جعفر اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، فقالوا له: إِنَّ حَدَّثَ أَمْرٌ فَمَنْ يَكُونُ مَكَانَكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ رُوحِ بْنِ أَبِي بَحْرٍ النَّوْبَخْتِيُّ، الْقَائِمُ مَقَامِي، وَالسَّفِيرُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ صَاحِبِ الْأَمْرِ، وَالْوَكِيلُ لَهُ، وَالثَّقَّةُ الْأَمِينُ. (3) الخبر. إلي غير ذلك من الأخبار.

و أما أبو الحسن علي بن محمد السمري، ففي أخبار كثيرة مروية عن الكليني والصدوق وغيرهما من وجوه الشيعة أن حسين بن روح أوصي إلي أبي الحسن علي بن محمد السمري، وكان من معاجزه إخباره بموت علي بن بابويه القمي يوم وفاته وساعة وفاته.

وعن الاحتجاج بعد نقل النواب الأربعة، قال: وَ لَمْ يُقَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا بِنَصِّ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عليه السلام)، وَ نَصَّبَ صَاحِبِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ عَلَيْهِ،

ص: 347

1- بحار الأنوار، ج 51، ص 354، ح 5؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 370؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 503، ح 33.

2- بحار الأنوار، ج 51، ص 355، ح 6؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 371.

3- همان.

فَلَمْ تَقْبَلِ الشَّيْعَةَ قَوْلُهُمْ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ آيَةٍ مُعْجَزَةٍ تَظْهَرُ عَلَيَّ يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ الْأَمْرِ (عليه السلام) تَدُلُّ عَلَيَّ صِدْقِ مَقَالَتِهِمْ، وَصِحَّةِ نِيَابَتِهِمْ. (1)

ثم بهؤلاء الأربعة انقطعت النيابة الخاصة، وتمت الغيبة الصغرى، وقعت الغيبة الكبرى، للتوقيع الشريف الذي خرج علي يد علي بن محمد السمري قبل وفاته بسنة أيام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيُّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمُرِيِّ! أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ، وَلَا تُوصِ إِلَيَّ أَحَدٍ يُقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْعَيْبَةُ الثَّانِيَةُ، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ (عز وجل)، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا، وَسَيَأْتِي شَيْعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمَشَاهِدَةَ، أَلَا فَمَنْ ادَّعَى الْمَشَاهِدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. (2)

و لقوله (رضي الله عنه) حين وفاته حيث سئل عنه من وصيك من بعدك؟ فقال: لِيْلَهُ أَمْرٌ هُوَ بِالْعُهُ وَقَصِي، فَهَذَا آخِرُ كَلَامٍ سَمِعَ مِنْهُ (رضي الله عنه). (3)

فإذاً نحتاج إلي النائب العام، وهو المجتهد العادل؛ لما رواه المشايخ الثلاثة باسنادهم عن عمر بن حنظلة، عن الصادق (عليه السلام) المتلقي بالقبول عند الأصحاب

ص: 348

- 1- _ الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج2، ص478؛ بحار الأنوار، ج51، ص362، ح9. في الاحتجاج: صدق مقالتهم وصحة بايبتهم.
- 2- _ بحار الأنوار، ج51، ص361، ح7؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص395؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص516، ح44.
- 3- _ همان، في كمال الدين: وَمَضَى (رضي الله عنه) فَهَذَا آخِرُ كَلَامٍ سَمِعَ مِنْهُ.

حَتَّى سَمَّيْتُ الرِّوَايَةَ بِالمَقْبُولَةِ، وَفِيهَا: يُنْظَرَانِ إِلَيَّ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَنَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَحَرَامِنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَلْيَرْضَوْا بِهِ حَكَمًا، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فَإِنَّمَا بِحُكْمِ اللَّهِ اسْتُخِفَّ وَعَلَيْنَا زُدَّ وَالرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَيَّ وَاللَّهُ وَهُوَ عَلَيَّ حَدُّ الشَّرِّ بِاللَّهِ (عزوجل). (1)

والتوقيع المروي في الاحتجاج عن صاحب (عليه السلام) في أجوبة مسائل إسحاق بن يعقوب: وَ أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَازْجِعُوا فِيهَا إِلَيَّ رُؤَاةَ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ. (2)

و الخبر المروي عن العسكري (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: { وَ مِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ } (3) الآية، الذي قال شيخنا الأنصاري (قدس سره): اللائح منه آثار الصدق، وفيه: مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالِفًا لِهَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ. (4)

و النبوي المعروف: اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرُؤُونَ حَدِيثِي وَ سُنَّتِي. (5)

ص: 349

-
- 1- بحار الأنوار، ج2، ص 221 و ج101، ص 262، ح 1؛ التهذيب الأحكام، ج6، ص 302، ح 845؛ الكافي، ج1، ص 67، ح 10.
 - 2- الإحتجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 470؛ بحار الأنوار، ج 2، ص 90، ح 13 و ج 53، ص 181، ح 10؛ كتاب الغيبة (للطوسي)، ص 291؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج 2، ص 484، ح 4.
 - 3- سورة البقرة: 78.
 - 4- الإحتجاج (للطبرسي)، ج 2، ص 458؛ بحار الأنوار، ج 2، ص 88؛ التفسير الإمام العسكري (عليه السلام)، ص 300.
 - 5- بحار الأنور، ج 2، ص 147، ح 7 و ج 86، ص 221؛ من لا يحضره الفقيه، ج 4، ص 420، ح 5919.

وقوله (صلي الله عليه وآله وسلم): **عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**.⁽¹⁾ إلي غير ذلك من الأخبار.

ثم إن الكلام في حدود ولايتهم، وفيما يجب الرجوع إليهم، وفيما يجب التقليد عنهم، موكول إلي محلّه لا يقتضيه المقام، والله العالم.

المطلب الخامس: في كيفية ظهوره (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

والمواقع الواقعة في زمان الظهور، وسيرته مع أهل زمانه وأصحابه وأنصاره، جعلنا الله منهم إن شاء الله تعالى بحقه وبحق آبائه الطيبين، و جدّته الزهراء صلوات الله عليهم، والأخبار الواردة في ذلك الباب لكثيرة جداً لا يقتضي المقام البسط في نقلها.

ونحن نقتصر علي بيان ما يستفاد من مضامين بعضها، ومن أراد البسط، فليرجع إلي الكتب المبسوطة، كالبهار وكفاية الموحّدين والنجم الثاقب وغيرها.

فنقول: في بعض الأخبار أنّ ظهوره (عليه السلام) في مكّة يوم الخميس، وفي بعضها يوم الجمعة، وفي بعضها يوم السبت يوم عاشوراء.

ويمكن الجمع بينها، بل لا يبعد أن يكون ظهوره (عليه السلام) أولاً يوم الخميس عند وروده بمكّة بحيث لم يطلع عليه أحد، ثم يغيب و يظهر يوم الجمعة في مسجد الحرام، ويضرب عنق الخطيب علي المنبر، ثم يغيب و يظهر يوم السبت يوم عاشوراء مع أصحابه، وهم ثلاثمائة و ثلاث عشر رجلاً، عدد أصحاب البدر، وعليه لباس رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وعمّامته ونعليه وعصائه.

وكان ظهوره في سنة الوتر، وينزل عليه ليلة ظهوره جبرئيل وميكائيل و

ص: 350

1- بحار الأنوار، ج2، ص22، ح67 و ج24، ص307؛ عوالي اللئالي، ج4، ص77، ح67.

صفوف الملائكة، وهو (عليه السلام) ينادي أصحابه، فيتشرفون بخدمته في طرفة عين، ويسند (عليه السلام) علي ظهر الكعبة، ويمدّ يده، فأول من يبايعه جبرئيل، وبعده الملائكة و نجباء الجنّ و نقباء الإنس في أول طلوع الشمس، فإذا ارتفع الشمسينادي مناد في جرم الشمس بنداء يسمعه جميع أهل السماء والأرض كلّ بلسانه: إنّ المهدي من آل محمّد قد ظهر، فأطيعوه ولا تخالفوه، ويذكر نسبه إلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيخرج المؤمنون من جميع البلدان إليه لينصروه.

ثمّ ينادي مناد الشيطان في عصر ذلك اليوم: إنّ السفيناني قد ظهر، فيورث إضلال المرتابين و المنافقين و الكافرين، و يكذّبه المؤمنون.

ثمّ يسند (عليه السلام) ظهره إلي الكعبة، و يقول: أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ إِلَى آدَمَ وَ شَيْثٍ فَهَذَا آدَمُ وَ شَيْثٌ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ نُوحٍ وَ وَلَدِهِ سَامٍ فَهَذَا نُوحٌ وَ سَامٌ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ وَ إِسْمَاعِيلُ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ مُوسَى وَ يُوشَعَ فَهَذَا مُوسَى وَ يُوشَعَ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ عِيسَى وَ شَمْعُونَ فَهَذَا عِيسَى وَ شَمْعُونُ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ مُحَمَّدٍ وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَهَذَا مُحَمَّدٌ (صلي الله عليه و آله و سلم) وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام) فَهَذَا الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ، أَلَا وَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ الْأَيِّمَةِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ (عليهم السلام) فَهَذَا أَنَا ذَا الْأَيِّمَةِ (عليهم السلام). (1)

ثمّ يقرأ صحف الأنبياء و التوراة و الزبور و الانجيل و الفرقان الذي نزل علي محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم)، ثمّ يقول: أيّها الناس اسمعوا قولي، و أجبوا دعوتي، فإنّي أتبوكم بما تعلمون و بما لا تعلمون.

ص: 351

ثم يأتي رجل من عسكر السفيناني ويشره بخسف عسكره بأرض بيدا، ويتوب علي يديه، ويدخل في أصحابه، فيدعو أهل مكة بالحكمة و الموعظة الحسنة، فيحيبوه و يطيعوه، فيجعل لهم والياً من أهل بيته، و يخرج إلي المدينة، فلما خرج اجتمع أهل مكة و يقتلون الوالي، فإذا سمع (عليه السلام) ذلك يرجع إلي مكة، فيتوبون علي يديه و يكون و يظهر الندامة، فيعظهم و يجعل لهم والياً آخر من أهل مكة، و يخرج و يعاملون أهل مكة مع واليهم كالمعاملة السابقة، فيبلغه الخبر، فيأمر أصحابه من الجنّ و الإنس، فيقاتلون أهل مكة، فلا يبقى منهم إلا القليل ممّن آمن.

فيذهب (عليه السلام) إلي المدينة مع أصحابه من الملائكة و الجنّ و الإنس، و يدخل المسجد و بعد ثلاثة أيام يأمر بإخراج الشيخين من قبرهما، و يصلبان علي النخلة اليابسة، فتصير رطباً، ثم يأمر بالتبرّي عنهما، فيقول أولياؤهما: إنّنا لا نتبرأ منهما مع ما نري من كون أجسادهما رطباً طرياً و صيرورة الشجرة بهما رطباً، بل نتبرأ منك و ممّن أخرجهما من قبرهما و أصلبهما علي الشجرة، فيأمر المهدي (عليه السلام) بريح سوداء فتهب علي مواليهما، فتجعلهم أعجاز نخل خاوية.

ثم ينزلهما من النخلة، و يحييهما و يقصّ عليهم كلّ ظلم صدر منهما، أو كانا سببين له، من إحراق باب دار فاطمة (عليها السلام)، و إسقاط جنينها، و ضربها و لطمها، و الظلم الوارد بسببهما علي الأئمة (عليهم السلام) من سمّ الحسن (عليه السلام)، و قتل الحسين (عليه السلام) و أصحابه، بل كلّ دم سفك، أو فاحشة و ظلم و جور و إثم منذ

عهد آدم (عليه السلام) إلي قيام المهدي (عليه السلام)، (1) ثم يصلبهما علي الشجرة، فيأمر ناراً بحرقهما، ثم يأمر ريحاً بنسفهما في اليمّ نسفاً.

ثم يسير المهدي (عليه السلام) إلي الكوفة، وينزل ما بين كوفة و النجف، وعنده أصحابه في ذلك اليوم ستّة وأربعون ألفاً من الملائكة، و ستة آلاف من الجنّ و النقباء ثلاثمائة و ثلاث عشر نفساً. ثم إنّ السيد الحسيني الذي يخرج مع جماعة من الشيعة من طالقان وغيره، و يفتح علي يديه البلاد، لمّا يسمع خبر المهدي (عليه السلام) يتشرف في الكوفة بحضرته، و يطالب منه المعجزات، و يبائع هو و أصحابه جميعاً معه (عليه السلام) إلاّ أربعة آلاف من أصحابه هم كالخوارج، فيأمر بقتلهم.

و يقاتل مع أصحاب المهدي (عليه السلام) عسكر السفيناني، فيقتلونهم جميعاً حتّي لا يبقى منهم أحد، و يتوجّه المؤمنون من أطراف البلاد إليه لنصرته، و تصير الكوفة مقرّ سلطنته، و النجف محلّ خلوته، و مسجد السهلة محلّ بيت المال و الغنائم، و مسجد الكوفة محلّ حكومته، و تتصل عمران الكوفة بالكربلاء، و يصير سعة عمران الكوفة أربع و خمسين ميلاً. (2)

ثم يأمر أصحابه بفتح البلاد، و يخرجون و يفتح بأيديهم البلاد، و يقتل بأيديهم الكفرة و الفجرة و الظلمة و السفيناني و جميع عسكره، و لا يقبل من

ص: 353

1- إن قلت: هذا بالنسبة إلي ما تأخّر من زمانهما صحيح؛ لأنّه لولا ظلمهما و فعالهما لما وقع ما وقع، و أمّا بالنسبة إلي الزمان المتقدّم عليهما، فأيّ ربط بهما؟ و كيف صار سبباً له؟ قلت: كما أنّ النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) و الأئمّة (عليهم السلام) كانوا في عالم النورانية سبباً لعبادة الملائكة و الأنبياء و كلّ مؤمن سبق أو لحق، كذلك هؤلاء الظلمة كانوا في عالم الظلمانية سبباً لمعصية الشيطان و الجنّ و الانس أجمعين، و الكلام هو الكلام «منه».

2- بحساب اليوم أزيد من مائة كيلومتر، و بحساب الفرسخ ثمانية عشر فرسخاً «منه» .

أحد إلا الإيمان، وأكثر من آمن من الكفرة النصاري لنزول عيسى (عليه السلام)، ويصلي خلف المهدي (عليه السلام)، ويصير وزيراً له، ويخرج جماعة من المؤمنين من قبورهم لنصرته، كما يأتي في باب الرجعة إن شاء الله تعالى.

ويخرج الأرض بركاتها وكنوزها، وتنزل من السماء أمطارها، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يصير أهل الأرض ملة واحدة صلحاء أتقياء، مأموناً في دينهم وديارهم، اللهم ارزقنا بحقه وحق آبائه (عليهم السلام) لقائه واجعلنا من أنصاره والمستشهادين بين يديه.

ويقتل أتباع بني أمية كلهم طلباً لثأر جدّه الحسين (عليه السلام)، ويكون شعار أنصاره «يا لثارات الحسين» إلي غير ذلك من الوقائع التي تقع في زمانه ودولته، ويتصل زمانه بزمان الرجعة، ومقدار زمانه عند الله.

وبهذا نختم الكلام في الإمامة، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة علي جدّه محمّد و جدّته الزهراء وآبائه ما دامت السماء والأرض.

و كان الفراغ منه في الليلة الرابعة عشر من جمادى الأولى سنة (1372) أيام وفاة جدّته، وأنا العبد الآثم السيد عبدالحسين طيّب.

بسم الله الرحمن الرحيم

و الحمد لله و الصلاة علي رسوله و آله (عليهم السلام)

خاتمة: في الرجعة

إشارة

و مجمل الكلام فيها يقع في مطالب:

المطلب الأول: في إثبات كونها من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية

و تقتصر في ذلك علي بيان أمرين: أحدهما نقل الكتب المشتملة علي ذكر أخبار الرجعة، و ثانيهما نقل الأخبار الدالة عليها.

أمّا الكتب، فهي كثيرة جداً: الصحيفة السجّادية، الكافي للكليني، التهذيب للطوسي، من لا يحضره الفقيه للصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، معاني الأخبار، الخصال للصدوق، إكمال الدين، الاعتقادات للصدوق، ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، علل الشرائع، الأمالي، التوحيد للصدوق، المصباح للطوسي، المصباح الصغير، الأمالي لابن الطوسي، المصباح للكفعمي، الخلاصة للعلامة، رجال العلامة،⁽¹⁾

النجاشي، رجال ابن داود، فهرست شيخ الطوسي، الرجال الكبير، رجال الكشي، إختيار الكشي، تفسير القمي، محاسن

ص: 355

1- _ الخلاصة و الرجال للعلامة كتاب واحد.

البرقي، كامل الزيارة، كفاية الأثر لابن الخزاز القمي، المحكم والمتشابه للسيد المرتضي، قصص الأنبياء للراوندي، الارشاد للمفيد.

كشف الغمة للاربلي، الخرائج والجرائح للراوندي، مجمع البيان، بصائر الدرجات للصفار، قرب الاسناد للحميري، المشارق للبرسي، الاحتجاج للشيخ الطبرسي، الصراط المستقيم لابن يونس العاملي، جامع الأخبار، اللهوف لابن طاووس، مهج الدعوات، كشف المحجة.

إرشاد القلوب للديلمي، إعلام الوري، نهج البلاغة، كتاب سليم بن قيس، كتاب القائم للفضل بن شاذان، الدلائل للحميري، تفسير العياشي، عيون المفيد، محاسن المفيد، دلائل النبوة، بصائر الدرجات، تفسير النعماني، الواحدة لمحمد بن جمهور، تنزيل السيار، فصول المفيد، مختصر البصائر، كنز الفوائد، مزار الشهيد، مزار المفيد، مزار ابن طاووس.

رسالة سعد بن عبدالله، التأويل لمحمد بن عباس، الغيبة للنعماني، زوائد الفوائد، البحار للمجلسي، كفاية الموحدين، مرآة العقول، الاعتقادات للمجلسي، تحفة الزائر، هداية الزائر، زاد المعاد، مفاتيح الجنان، تنبيه الأمة، نفس الرحمن، النجم الثاقب، تفسير البرهان.

إلي غير ذلك من الكتب المؤلفة بالفارسية والعربية في الاعتقادات والأدعية والزيارات، والأخبار التي يطول نقلها، ويخرج عن وضع الرسالة، وفيما ذكرناه كفاية لمن استبصر، والله الهادي.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ، فَمِنْهَا: الزيادة الجامعة، وفيها مواقع من الدلالة: أحدها: قوله (عليه السلام): مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ

ثانيها: قوله (عليه السلام) : حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ دِينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمْكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ.

ثالثها: قوله: وَيُحْشِرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكْرُفِي رَجْعَتِكُمْ، وَيَمْلِكُ فِي دَوْلَتِكُمْ.

رابعها: قوله: وَيُمْكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ. (1)

ومنها: في زيارات السرداب المطهر، وفيها: أَنْ رَجَعْتَكُمْ حَقُّ لَا شَكَّ فِيهَا. (2)

ومنها: في زيارة العيدين: وَأَنَا بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ. (3)

ومنها: في الوارث: أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ. (4)

ومنها: في الزيارات الرجبية: حَتَّى الْعُودِ إِلَيَّ حَضَرْتَكُمْ وَالْفُوزِ فِي كَرَّتِكُمْ. (5)

ومنها: في الزيارة الثالثة من شعبان: الْمَمْدُودِ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الْكُرَّةِ. (6)

ص: 357

1- بحار الأنوار، ج99، ص131؛ من لا يحضره الفقيه، ج2، ص614_615.

2- الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج2، ص494؛ بحار الأنوار، ج91، ص38 وج99، ص94؛ المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص570.

3- بحار الأنوار، ج98، ص353.

4- إقبال الأعمال، ج1، ص333؛ بحار الأنوار، ج98، ص200.

5- إقبال الأعمال، ج2، ص632؛ بحار الأنوار، ج53، ص94، ح106 وج99، ص196؛ مصباح المتهجد، ج2، ص822.

6- إقبال الأعمال، ج2، ص689؛ بحار الأنوار، ج53، ص94، ح107 وج98، ص347؛ مصباح المتهجد، ج2، ص826.

و منها: في وداع الأئمة (عليهم السلام): وَ مَكَّنِي مِنْ دَوْلَتِكُمْ، وَ أَحْيَانِي فِي رَجْعَتِكُمْ. (1) و منها: في زيارة الأربعين: وَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ. (2)

و منها: في زيارة العهد: فَإِنْ تَوَفَّيْتَنِي اللَّهُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَاجْعَلْنِي يَا رَبِّ فِيمَنْ يَكْرُهُ فِي رَجْعَتِهِ، وَ يُمَلِّكَ فِي دَوْلَتِهِ. (3)

و منها: في زيارته الأخرى: أَنْ يَجْعَلَ لِي كَرَّةً فِي ظُهُورِكَ، وَ رَجْعَةً فِي أَيَّامِكَ. (4)

و منها: في دعاء العهد: اللَّهُمَّ إِنَّ حَالَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ الْمَوْتُ، الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَيَّ عِبَادَكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا، فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي، مُؤْتَرًّا كَفَنِي، شَاهِرًا سِنْفِي. (5)

و منها: زيارة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): إِنِّي مِنَ الْقَائِلِينَ بِفَضْلِكُمْ، مُقَرَّرٌ بِرَجْعَتِكُمْ لَا أُتَكِرُ لِلَّهِ قُدْرَةَ. (6)

و منها: في زيارة العباس (عليه السلام): وَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ. (7)

ص: 358

1- بحار الأنوار، ج 53، ص 92، ح 99 و ج 99، ص 133؛ من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 617.

2- بحار الأنوار، ج 53، ص 92، ح 100؛ تهذيب الأحكام، ج 6، ص 114، ح 201.

3- بحار الأنوار، ج 53، ص 95، ح 108 و ج 99، ص 88؛ مصباح الزائر، ص 424.

4- بحار الأنوار، ج 53، ص 95، ح 109 و ج 99، ص 100؛ البلد الأمين و الدرع الحصين، ص 286؛ المزار (للشاهد الأول)، ص 206؛ المزار الكبير، ص 588.

5- بحار الأنوار، ج 83، ص 61، ح 69 و ص 285، ح 47؛ المزار الكبير، ص 664؛ المصباح للكفعمي، ص 551.

6- بحار الأنوار، ج 53، ص 97، ح 112؛ جمال الأسبوع للسيد ابن طاووس، ص 232.

7- بحار الأنوار، ج 98، ص 277، ح 1؛ كامل الزيارات، ص 257.

و منها: في دعاء الحريق: وَازْرُقْنِي نَصْرَهُمْ وَأَشْهَدْنِي أَيَّامَهُمْ. (1)

و منها: في صلاة شهر الصيام و يوم الجمعة: اللَّهُمَّ مَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عَدَدِهِمْ وَ مَدَدِهِمْ وَ أَنْصَارِهِمْ. (2)

و منها: في زيارة العاشور: أَنْ يَرْزُقْنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ. (3) و فيها أيضاً: وَأَنْ يَرْزُقْنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ. (4)

و منها: في دعاء يوم دحو الأرض: وَ اِبْعَثْنَا فِي كَرَّتِهِ، حَتَّى نَكُونَ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَعْوَانِهِ. (5)

و منها: في زيارة الأئمة (عليهم السلام) يوم الجمعة: مُقَرَّرٌ بِرَجْعَتِكُمْ. (6)

و منها: في دعاء التربة: وَ الْمَلَائِكَةَ الْعُكُوفِ عَلَيَّ قَبْرِ وَلِيِّكَ، يَنْتَظِرُونَ نَصْرَهُ. (7)

و منها: في دعاء صلاة العيد: وَ أَظْهَرُ بِهِمُ الْعَدْلَ، وَ زَيَّنَ بِطَوْلِ بَقَائِهِمُ الْأَرْضَ. (8)

ص: 359

-
- 1- بحار الأنوار، ج 83، ص 170؛ المصباح للكفعمي، ص 78؛ مصباح المتهجد، ج 1، ص 227.
 - 2- إقبال الأعمال، ج 1، ص 98؛ بحار الأنوار، ج 95، ص 110؛ مصباح المتهجد، ج 2، ص 622.
 - 3- بحار الأنوار، ج 98، ص 292 و ص 294؛ كامل الزيارات، ص 177؛ مصباح المتهجد، ص 774.
 - 4- بحار الأنوار، ج 98، ص 295؛ المصباح للكفعمي، ص 484؛ مصباح المتهجد، ج 2، ص 775.
 - 5- إقبال الأعمال، ج 1، ص 313؛ بحار الأنوار، ج 53، ص 99، ح 118؛ مصباح المتهجد، ج 2، ص 670.
 - 6- بحار الأنوار، ج 86، ص 330، ح 3؛ جمال الأسبوع للسيد بن طاووس، ص 232؛ مصباح المتهجد، ج 1، ص 289.
 - 7- بحار الأنوار، ج 98، ص 128، ح 37؛ الكافي، ج 4، ص 589، ح 7؛ كامل الزيارات، ص 282، ح 8.
 - 8- البلد الأمين، ص 240؛ المزار الكبير، ص 635؛ مصباح المتهجد، ج 2، ص 653.

ومنها: في دعاء الصحيفة يوم العيد والجمعة: وَعَجَّلِ الْفَرْجَ وَالرَّوْحَ وَالنُّصْرَةَ وَالتَّمَكِينَ وَالتَّيِّدَ لَهُمْ. (1)

ومنها: في زيارة ابن قولويه في قضية إسماعيل بن حزقيل، و ظلم قومه إياه، و طلبه من الله بقوله: وَإِنَّكَ وَعَدْتَ الْحُسَيْنَ (عليه السلام) أَنْ تَكْرَهُ إِلَيَّ الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَقِمَ بِنَفْسِهِ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، فَحَاجَتِي إِلَيْكَ يَا رَبَّ أَنْ تَكْرِي إِلَيَّ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْتَقِمَ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِي، كَمَا تَكْرَهُ الْحُسَيْنَ (عليه السلام). (2)

ومنها: في الكافي في الملائكة الحافيين حول قبر الحسين (عليه السلام) و خطاب الله إياهم، وفيه: فَإِذَا خَرَجَ يَكُونُونَ أَنْصَارَهُ. (3)

ومنها: في زيارة يوم ولادة الحسين (عليه السلام): وَ الْفَوْزَ مَعَهُ فِي أُوْبَيْتِهِ. (4) ومنها: ما عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام) في جواب سؤال المأمون عن الرجعة، فقال (عليه السلام): إِنَّهَا لِحَقٌّ قَدْ كَانَتْ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه و آله و سلم): يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَ

ص: 360

-
- 1- بحار الأنوار، ج 86، ص 219؛ الصحيفة السجادية، ص 238، دعاء 48، و كان من دعائه (عليه السلام) يوم الأضحى و يوم الجمعة.
 - 2- بحار الأنوار، ج 13، ص 391، ح 6 و ج 44، ص 238، ح 28 و ج 53، ص 105، ح 132؛ كامل الزيارات، ص 65، مختصر البصائر، ص 431.
 - 3- بحار الأنوار، ج 45، ص 225، ح 18 و ج 53، ص 106، ح 133؛ الكافي، ج 1، ص 284، كامل الزيارات، ص 88؛ مختصر البصائر، ص 432، ح 510.
 - 4- إقبال الأعمال، ج 2، ص 689؛ بحار الأنوار، ج 53، ص 95، ح 107 و ج 98، ص 347، ح 1؛ المصباح للكفعمي، ص 543؛ مصباح المتهجد، ج 2، ص 826.

ومنها: ما في المجمع بعد قوله: و الرجعة بالفتح هي المرة في الرجوع بعد الموت بعد ظهور المهدي (عليه السلام)، و هي من ضروريات مذهب الإمامية، و عليها من الشواهد القرآنية و أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ما هو أشهر من أن يذكر، قال: حتي ورد عنهم (عليهم السلام): من لم يؤمن برجعتنا و لم يقرّ بمتعتنا فليس منا. (2)

ومنها: ما في السفينة عن «خص» (3) عن الصادق (عليه السلام) قال: أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ الْأَرْضَ عَنْهُ وَيَرْجِعُ إِلَي الدُّنْيَا الْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليهما السلام)، وَ إِنَّ الرَّجْعَةَ لَيْسَتْ بِعَامَّةٍ بَلْ هِيَ خَاصَّةٌ، لَا يَرْجِعُ إِلَّا مَنْ مَحَصَّ الْإِيمَانَ مَحْضًا، أَوْ مَحَصَّ الشُّرْكَ مَحْضًا. (4)

ومنها: في السفينة عن «خص» عن الباقر (عليه السلام): إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه و آله و سلم) وَ عَلِيًّا (عليه السلام) سَيَرَجَعَانِ. (5)

ومنها: في السفينة أيضاً، عن «خص» عن الصادق (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللَّهِ (عز وجل): { وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا } (6). فَقَالَ (عليه السلام): لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ إِلَّا

ص: 361

1- بحار الأنوار، ج 53، ص 59، ح 45؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج 2، ص 201، ح 1.

2- مجمع البحرين، ج 4، ص 334.

3- لا- يخفي أنّ كَلِّمَا نقله في البحار عن «خص» هو باصطلاح المجلسي و رمزه المراد منه منتخب البصائر للشيخ الفاضل حسن بن سليمان تلميذ الشهيد «منه».

4- بحار الأنوار، ج 53، ص 39، ح 1؛ البرهان في تفسير القرآن، ج 3، ص 507، ح 6259؛ سفينة البحار، ج 3، ص 315، مختصر البصائر، ص 107، ح 77.

5- بحار الأنوار، ج 53، ص 39، ح 2؛ سفينة البحار، ج 3، ص 315، مختصر البصائر، ص 107، ح 78.

6- سورة النمل: 83.

سَيَرَجُ حَتَّى يَمُوتَ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَاتَ إِلَّا سَيَرَجُ حَتَّى يُقْتَلَ. (1)

ومنها: في السفينة، عن الصادق (عليه السلام) في حديث المعرج، قال الله تعالى: يَا مُحَمَّدُ! عَلَيَّ آخِرُ مَنْ أَقْبَضَ رُوحَهُ مِنَ الْأَيَّامَةِ، وَهُوَ الدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُهُمْ. (2)

ومنها: ما في البحار عن «خص» عن أبي بصير، قال: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): يُنْكِرُ أَهْلُ الْعِرَاقِ الرَّجْعَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا} (3). (4)

ومنها: في البحار أيضاً: عن الصادق (عليه السلام) قال: كَانَتِي بِحُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ وَ مَيْسَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْبِطَانِ، النَّاسَ بِأَسْيَافِهِمَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. (5)

ومنها: فيه أيضاً عن «خص» عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: {وَلَيْنُ مَثَمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ}، (6) قال (عليه السلام): لَيْسَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا وَ لَهُ

ص: 362

-
- 1- بحار الأنوار، ج 53، ص 40، ح 5؛ سفينة البحار، ج 3، ص 315؛ مختصر البصائر، ص 110، ح 82.
 - 2- بحار الأنوار، ج 53، ص 68، ح 65؛ سفينة البحار، ج 3، ص 315؛ مختصر البصائر، ص 138، ح 106 و ص 201، ح 185.
 - 3- سورة النمل: 83.
 - 4- بحار الأنوار، ج 53، ص 40، ح 6؛ البرهان في تفسير القرآن، ج 4، ص 231، ح 8056؛ مختصر البصائر، ص 110، ح 83.
 - 5- بحار الأنوار، ج 53، ص 40، ح 7؛ مختصر البصائر، ص 110، ح 84.
 - 6- سورة آل عمران: 158.

فَتَلَّهُ وَ مَيَّتَهُ، إِنَّهُ مَنْ قُتِلَ يُنْشَرُ حَتَّى يَمُوتَ، وَ مَنْ مَاتَ يُنْشَرُ حَتَّى يُقْتَلَ. (1)

و منها: فيه أيضاً عن «خص» عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: {وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} (2) الآية، قال في حديث: فَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا وَ لَا رَسُولًا إِلَّا رَدَّ جَمِيعَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، حَتَّى يُقَاتِلُوا (3) بَيْنَ يَدَيَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام). (4)

و منها: فيه عن «خص» عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: {فَأَنكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}، {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}، (5) حديث مبسوط دالة علي كون المراد في كرامة أمير المؤمنين (عليه السلام) و أصحابه، و مقاتلته مع إبليس و أصحابه، و قتل إبليس بيد رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم). (6)

إلي غير ذلك من الأخبار المذكورة في البحار التي يطول ذكرها.

حتي قال المجلسي (قدس سره) فيه بعد نقل الأخبار الكثيرة في البحار: اعلم يا أخي إني لا أظنك ترتاب بعد ما مهدت و أوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، و اشتهرت بينهم كالشمس في رابعة

ص: 363

-
- 1- بحار الأنوار، ج53، ص40، ح8؛ البرهان في تفسير القرآن، ج1، ص705، ح1960؛ تفسير العياشي، ج1، ص202، ح162.
 - 2- سورة آل عمران: 81.
 - 3- في مختصر البصائر: حَتَّى يُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيَّ.
 - 4- بحار الأنوار، ج53، ص41، ح9؛ البرهان في تفسير القرآن، ج1، ص646، ح1767.
 - 5- سورة الحجر: 37 - 38 و سورة ص: 80 - 81.
 - 6- بحار الأنوار، ج53، ص42، ح12؛ البرهان في تفسير القرآن، ج3، ص365، ح5864؛ مختصر البصائر، ص115، ح91.

النهار، حتي نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها علي المخالفين في جميع أمصارهم، وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم.

منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما، ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيرا من كلماتهم في ذلك.

وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها تيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم.

ثم عدّ أساميتهم، منهم المشايخ الثلاثة، والمفيد، والمرتضي، والنجاشي، والكشّي، والعيّاشي، والقمي، وابن قولويه، والكرجكي، والصفار، والفضل بن شاذان، والعماني، وابن شهر آشوب، والراوندي، والطبرسي، والعلامة، والشيخ الشهيد، وغير ذلك، رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم قال: وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً، ففي أيّ شيء يمكن دعوي التواتر، مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف. [\(1\)](#) انتهى المقصود من كلامه رفع مقامه.

أقول: لولا خوف الإطالة لنقلت كلام جماعة من العلماء في هذا الرديف، لكن الظاهر أنّ في هذا المقدار القليل كفاية لمن استبصر، والله الهادي.

ص: 364

المطلب الثاني: في ثبوت الرجعة في الأمم السالفة كما تنادي بها الآيات الكثيرة

منها: قوله تعالى في سورة البقرة: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ } (1) الآية.

و منها قوله تعالى في سورة البقرة: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَدَّ لَكَ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (2) و منها قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }، { ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (3).

و منها قوله تعالى في سورة الأعراف: { وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ } (4).

و منها قوله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام): { أَنِّي أَحْيِي الْمَوْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ } (5).

ص: 365

1- _ سورة البقرة: 243.

2- _ سورة البقرة: 259.

3- _ سورة البقرة: 55 _ 56.

4- _ سورة الأعراف: 155.

5- _ سورة آل عمران: 49.

بل المستفاد من الأخبار الواردة في باب معاجز الأئمة (عليهم السلام) المذكورة في مدينة المعاجز وغيرها وقوع الرجعة في هذه الأمة أيضاً بإعجاز النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) و سائر الأئمة (عليهم السلام) في إحيائهم أمواتاً، كإحياء النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ابني جابر، وإحيائه يوم الفطر ابن سلطان الخراسان الذي قتله اليهود، وإحياء أمير المؤمنين (عليه السلام) في واقعة النهروان أحد القياسرة، وإحياء زين العابدين (عليه السلام) امرأة البلخي، وغير ذلك، بل مقتضي بعض الحكايات في باب التوسلات بالأئمة (عليهم السلام) في تمادي الأزمنة رجوع بعض بعد موتهم إلى الدنيا، وذكر هذه القضايا لرفع الاستبعاد للمنكرين للرجعة.

المطلب الثالث: في دفع شبهات منكري الرجعة

منها دعوي عدم إمكانها، ومنها دعوي عدم الفائدة فيها، ومنها دعوي التأويل في أخبارها بظهور المهدي (عليه السلام)، وكلها فاسدة عاطلة. أما عدم إمكانها، فأبي دليل أقوى من الوقوع لإثبات الامكان، كما عرفت من الآيات الواردة في الأمم السابقة، مع أنّ جميع شبهاتهم المذكورة في مسألة المعاد الجسماني مع أجوبتها، فراجع و انتظر.

و أما عدم الفائدة فيها، فأبي فائدة أقوى للمؤمنين في تشرفهم بحضور الأئمة (عليهم السلام) في سلطنتهم الظاهرة و نصرتهم، و طلب ثأرهم من أعدائهم و قاتلي أئمتهم و ظالمهم و الانتقام و السخط و العذاب علي الظالمين و المعاندين و الكافرين.

إن قلت: فهل الذين يرجعون إلى الدنيا مكلفون، فقد انقطع تكليفهم بالموت أم غير مكلفون، فلا ثمرة في وجودهم؟

قلت: لا مانع من كونهم مكلفين؛ لكونهم بالغين عاقلين واجدين لشرائط التكليف، وعود التكليف بعد الانقطاع أي محذور فيه، و لا مانع من عدم التكليف كالقيامة، بل المؤمنون منهم متعمون والمعاندون معذبون دون نعم الآخرة وعذابها.

وأما دعوي التأويل بظهور المهدي (عليه السلام)، فمدفوعة أولاً: بنصوص الأخبار الصريحة في الرجعة بعد الموت، سيما في رجوع النبي والولي والأئمة وأنبياء السلف وأصحاب الأئمة والمقتولين في يوم الطف وغيرها.

وثانياً: ما الوجه في رفع اليد عن الظواهر بعد ثبوت الامكان وثبوت الفائدة، وكون الله تعالى قادراً عليه، فليس هذا إلا العناد والعصبية وإظهار المخالفة للعلماء الأعلام من زمن الأئمة ومن بعدهم.

المطلب الرابع: في من يرجع

إشارة

المستفاد من الأخبار المتقدمة وغيرها مما لم نذكرها أن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) كلهم يرجعون، و ظاهر بعضها أن أول من يرجع منهم الحسين (عليه السلام) مع أصحابه، ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) والنبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و ثم سائر الأئمة (عليهم السلام)، بل يظهر من بعضها أن لهم رجعتين انفرادي واجتماعي، بل لأئمة المؤمنين (عليهم السلام) كرات، وفي كراته الأخيرة يقاتل مع إبليس وأصحابه، وهي الوقت المعلوم، بل أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الدابة المذكورة في الآية، سيما في أخبار كثيرة.

وكذا الأنبياء والرسل، و جمع من السابقين، و جمع من أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، و من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، كما في بعض الأخبار، و جمع من المعاندين من قتلة الحسين (عليه السلام) و سائر الأئمة (عليهم السلام) و ظالمي آل محمد (عليهم السلام) و ظالمي شيعتهم، و جمع من المؤمنين في عصر الغيبة

لكن بعض تلك الأخبار لمّا لم يكن مقطوع الصدور لا يجب الاعتقاد بها، ولا يجوز إنكارها، ولا بدّ من إحالة علمها إلى الله والراسخين في العلم، كما أنّ مدّة زمان الرجعة و الوقائع الواقعة فيها الأخبار الواردة الكثيرة، لكنّها ليست قطعية، والأولي إيكال علمه إلى أهل بيت الرسالة؛ لأنّ أهل البيت أدري بما في البيت، والله الهادي إلى الصواب. والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على النبي وآله أبداً، واللعن علي أعدائهم أجمعين، اللهم اجعلني ممّن يرجع في دولتهم في أنصارهم بحقهم (عليهم السلام).

لفت نظر:

قال الله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} (1)، لا يخفي أنّي كتبت رسالة في عقائد مذهب الإمامية من المبدء إلى المنتهي، وقد خرجت من السواد إلى البياض أكثرها، كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والآن نشرع في المعاد، وسميتها بـ«سبيل النجاة» تقيلاً لصيرورتها مورداً للقبول والقرب، ومورثاً للنجاة والسعادة، وهذه قسمة المعاد منها.

ولمّا كانت اشتغالاتي كثيرة جدّاً، فليعذرني إخواني مع قصور باعي من خطاياي وما صدر فيها غفلةً أو سهواً أو خطأً، ولو كان لأحد منهم اعتراض أو انتقاد، فليبعثوا ما في نظرهم إليّ مكتوباً، ويجعلوني رهين منّتهم، والحمد لله أولاً وآخراً و ظاهراً و باطناً.

ص: 368

و لا يخفي أنّ تلك المجموعة في ثلاث مجلّدات:

أحدها: في التوحيد و العدل و النبوة إلي بيان جهات معجزة القرآن.

و ثانيها: في بقية مطالب النبوة، و مسألة الإمامة العامّة و بعض قليل من الإمامة الخاصّة. و ثالثها: هذا المجلّد المشتملة علي مباحث الإمامة إلي هنا، و مسألة المعاد من هنا إلي آخر الكتاب، و قد تمّ بحمد الله تمام ما أريد.

ثمّ إنّه سنح بخاطري أن أكتب رسالةً أُخري في أصول الدين طبقاً لذلك بالفارسية، و جعلتها بمنزلة الترجمة لذلك، و سميتها بـ«الكلم الطيب»⁽¹⁾ و بلغ بحمد الله من أوّل التوحيد إلي آخر النبوة، و أرجو من الله أن يوفّقني لكتابة مسألة الإمامة و المعاد، حتّي يكون نفعها عامّاً لأهل اللسان.

و أرجو من الله تعالى أن ينفعي و جميع المؤمنين بهما، و يجعلهما وسيلة لهداية الكفّار و المخالفين، و أن يجعلهما ذخراً لي في يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون، و أن يغفر لي و لوالدي و لجميع المؤمنين و المؤمنات من سلف منهم و من غير إلي يوم القيامة، و يحشرنني و إياهم مع الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، و أسأل من كلّ من ينفعه هذان أن يدعولي و يستغفر لي في حياتي و مماتي، و أن لا ينساني من الدعاء و طلب المغفرة في مظانّ الإجابة، و الحمد لله و الصلاة علي رسوله و آله (عليهم السلام)، و اللعن علي أعدائهم إلي يوم القيام، و كان ذلك في جمادي الأولي من سنة (1373) بيد المؤلّف السيد عبدالحسين الطيّب.

ص: 369

1- قد طبع الكتاب بحمد الله تعالى كاملاً، و هو كتاب نفيس جدّاً في العقائد.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

الكلام في المعاد

إشارة

لا يخفي أنّ عدّ المعاد من أصول الدين مع أنّه أحد ممّا جاء به النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) الذي يجب التصديق بجميعة من الفروع وغيره، وهو من لوازم التصديق بنبوّته ورسالته وليس أصلاً برأسه، إنّما هو لأجل أن بقاء الدين كلاًّ أصولاً وفروعاً مبني على التصديق به، و أنّه لولاه لاختلف نظام المعاش والمعاد، وأنّ الناس لا يتناهون عن شيء من المنكرات والقبايح من الظلم والسرقة والقتل ونهب الأموال وهتك الأعراض، وغيرها من المفاسد.

ثمّ إنّ إثبات المعاد من الأمور التي قامت الأدلّة الأربعة من العقل والاجماع ونصّ الكتاب والسنة المتواترة عليه، بل هو من ضروريات جميع الأديان، بل كلّ من أقرّ بإثبات الصانع واعتقد بوجود الحقّ اعترف بالمعاد، والمنكر له منحصر بالطبيعي والدهري الذي يقول بأنّه لا يهلكنا إلاّ الدهر.

و توضيح الكلام فيه يقع في مقدّمة مشتملة على إثبات أمور ستّة، و

مقامات أربعة عشر، و خاتمة مشتملة علي أمرين.

أمّا الكلام في المقدّمة، فيتوقّف علي إثبات أمور ليندفع بها الشبهات الواردة عليه، فنقول مستعيناً بالله و متمسكاً بحبل أوليائه:

الأمر الأوّل

إنّ الانسان مرّكب من سرّ وعلن، و ظهر و بطن، و روح و بدن.

أمّا البدن، فهو المتولّد من العناصر و الموادّ الجسمانية، كسائر الحيوانات و النباتات و الجمادات، و كيفية خلقته قد يكون تكوينياً كأينا آدم (عليه السلام)، كما نشاهد في كثير من الحيوانات المكوّنة، و قد يكون توليدياً بالتبدّلات و التغيّرات من الجمادية و النامية و الحيوانية كأكثر الحيوانات.

و لا يخفي أنّ الروح الحيوانية الموجبة للحسّ و الحركة و الادراكات الجزئية أيضاً من تلك العناصر و الموادّ، و عبارة عن البخار المتولّد من حرارة القلب و الدم، كما في سائر الحيوانات، كالبخار الحادث من النفط و البنزين للمكيّنة، و كذا الروح النباتية المورثة للنموّ و النشوء و الارتقاء، كما في جميع النباتات.

و هذه الروح الحيوانية باقية ببقاء البخار، و في كلّ آن تعدم و توجد كنور السراج، و تكون دائماً في الحركة، و قد تضعف بضعف البخار، و تقوي بقوة البخار، و إذا انعدم البخار انعدمت الروح «هر نفسي كه فرو مي رود ممدّ حيات است، و چون بر مي گردد مفرّح ذات». و الطبيعي و الدهري لا يعتقدان في الإنسان إلاّ ذلك، و ينكر الجزء الأخير له، و لا يري إلاّ ذلك، و لأجله ينكر المعاد و يقول: إذا عدم البخار يموت الإنسان، و يفسد البدن، و يصير تراباً و رميماً، و لا يبقي له عين و لا أثر، و لو

ص: 372

فرض صيرورة هذا التراب أيضاً بالتبدلات والتغيّرات والتوالدات إنساناً، يكون إنساناً آخر وروحاً وبخاراً آخر، وهذا سبب لإنكارهما المعاد رأساً.

وأما الروح الإنساني المعبر عنها بالجواهر الملكوتية واللطيفة الربانية، فهو جوهر مجرد عن المادة والماديات، خلقه الله بقدرته من عالم الأمر من المجردات العلوية، لا مادة له ولا صورة، وليس له أبعاد ثلاثة، ولا يقبل القسمة ولا التجزئة، وليس له مكان، ولا يكون حالاً في شيء ولا محلاً لشيء، ولا يدخل في شيء، ولا يخرج من شيء. (1)

وقد تحيّرت العقول في كيفية تعلّقه بالبدن، فقيل: كالراكب علي المركوب. وقيل: كالماء في الورد. وقيل: كالسكّان في السفينة. وقيل: كالملك علي المملكة. وقيل: كالموالي علي العبيد. والكلّ فاسد منافٍ لتجرّده، ويورث القول بكونه من الموادّ والعناصر والأجسام اللطيفة كالروح الحيواني.

والحقّ أنّ تعلّقه بالبدن تعلّق تدبّري وارتباطي إحاطي، كإحاطة الله تعالى بمصنوعاته بالإحاطة القيومية «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»، (2) وقد يسمّي

ص: 373

1- أقول: قد تقدّم في بحث التوحيد أنّ القول بعالم المجردات وبوجود مجرد سوي الله تعالى أمر موهوم لا دليل عليه بل الدليل علي خلافه. وقد قلنا هناك «أنّ الروح جسم لطيف قد ألبس قالباً كثيفاً» وتدلّ عليه الروايات المتواترة. والأدلة علي تجرّدها مدخولة كما حقّق في محلّة. والبحث عن جسميّة الروح ودفع التوهّمات التي ذكرها المصنّف (رحمة الله) _ فيما سيأتي _ لإثبات تجرّد النفس، يقتضي مجالاً آخر. (عا)

2- بحار الأنوار، ج2، ص32، ح22 وج58، ص99؛ مصباح الشريعة، ص13. أقول: لو لم نناقش في سنده فنقول: هذا الحديث يدلّ علي الآيات الأنفسي كآيات أخري تدلّ عليها ولا يرتبط بما استدلّ له. (عا)

هذا الروح بالنفس و العقل و القلب و نحوها.

و الكلام فيه يقع في المقامين: أحدهما في إثبات وجوده، و الآخر في لزوم بقاءه و استحالة زواله بعد خراب البدن.

أمّا الأول، فلو جوه:

أحدها: أنا شاهد بالوجدان أنّ العقل ربما يقوي مع ضعف البدن، و يضعف مع قوّته، ألا تري أنّ الأنبياء و الأولياء و العلماء و الفلاسفة(1)

كيف يكون عقولهم

ص: 374

1- أقول: هذه الأدلة لإثبات تجرّد النفس أو هن من بيت العنكبوت و الجواب عنها يقتضي مجالاً آخر. «تبصرة»: قال الماتن (رحمة الله) : «ألا تري أنّ ... الفلاسفة كيف يكون عقولهم في المراتب العالية»، أقول: كلّما شاهدنا من أعاضم الفلاسفة و أكابره في كتبهم و آثارهم هو تخالف آرائهم و كلماتهم للأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) الذين هم أرباب العقول الكاملة و أصحاب البصائر النافذة و كلماتهم هو الموافق للعقول النيرة و الأفهام المستقيمة. و هذا أظهر شاهد علي سخافة العقل و الرأي، مثلاً لاحظ كلمات ملاصدرا في التوحيد فإنّه يقول: «فكما وقّني الله بفضلته و رحمته علي الإطلاع علي الهلاك السرمدى و البطلان الأزلي للماهيات الإمكانية و الأعيان الجوازية، فكذلك هداني ربّي بالبرهان النير العرشى الي صراط المستقيم من كون الموجود و الوجود منحصرأ في حقيقة واحدة شخصية لا شريك له في الموجودية الحقيقية و لا ثاني له في العين و ليس في دار الوجود غيره ديّار. و كلّما يتراءى في عالم الوجود أنّه غير الواجب المعبود فإنّما هو من ظهورات ذاته و تجلّيات صفاته التي هي في الحقيقة عين ذاته» (الاسفار، ج2، ص292) و قال: «إنّ واجب الوجود بسيط الحقيقة غاية البساطة و كلّ بسيط الحقيقة كذلك فهو كلّ الأشياء، فواجب الوجود كلّ الأشياء لا يخرج عنه شئ من الأشياء». (الاسفار، ج2، ص368) و لاحظ كلماته في المعاد فتارة ينكر جسمانية المعاد و يووّل بالبدن المثالي. (الاسفار، ج9، ص31) و يقول: «بأنّ الجنة الجسمانية عبارة عن الصور الإدراكية القائمة بالنفس الخيالية». (الاسفار، ج9، ص342، فصل27) و تارة ينكر خلود أهل النار علي وجه التعذيب و يقول: «إنّهم يتلذّبوا بما هم فيه من نار و ...» و مخالفة هذه الكلمات للبراهين العقلية القطعية و محكمات الكتاب و متواترات العترة واضح لائح لمن له أدني معرفة و تحصيل و إطلاع علي أوضاع الشريعة. (عا)

في المراتب العالية، مع كون أبدانهم الشريفة نحيفة ضعيفة، وبالعكس كثير من الناس يكون أبدانهم في غاية القوة وعقولهم في غاية الضعف، فلو كان الروح مادياً غير مجرد لزم أن يقوي بقوة البدن و يضعف بضعفه. (1)

ثانيها: أنا نشاهد أنّ العقل ربما يلتدّ بالذائد الروحية من العلوم والمعارف والكمالات الخلقية من الصفات الحسنة، مع كون البدن متألم بالآلام الجسمية والأمراض البدنية، حتّى يقول: أين الملوك وأبناء الملوك. وبالعكس قد يكون الروح متألمة بالآلام الروحية من الجهل والبلادة وعدم فهم المعاني، مع كون البدن ملتدّ بالذائد الجسمية من المأكّل والمشرب والصحة ونحوها، وهذا من أقوى الأدلة علي تجرّده؛ إذ لو كان جسماً مادياً يكون التذاذاته وتألّماتهم محصرًا بالذائد والآلام الجسمية.

ثالثها: أنّ المادة غير قابلة إلاّ لصورة واحدة في زمان واحد، وكلّما يفيض عليها صورة ينزع منها الصورة السابقة، والروح يقبل صور العلوم الكثيرة في آن واحد، وكلّما يفيض عليه صورة لا ينزع منه السابقة بل يشتدّ.

رابعها: أنّ الروح يدرك العلوم الكليّة والقواعد العقلية من الضروريات الأولية والنظريات المنتهية إليها، والجسم والمادة غير قابل إلاّ لإدراكات جزئية عند مشاهدة الحواسّ الظاهرة، كاشتواء الغذاء عند الجوع، والميل إلي الماء عند العطش ونحوهما.

ص: 375

1- أقول: الجواب عن هذه الأدلة تقتضي مجالاً آخر وعندي هذه الشبهات او هن من بيت العنكبوت. (عا)

خامسها: أنّ الروح قد يحكم بخطأ الحواس الظاهرة، كتخطئة البصر في رؤية الشيء شيئين، أو أكبر من أصله أو أصغر، و تخطئة الذوق في الطعوم، بأن يتخيّل كون الحلوّ مرّاً وبالعكس عند فساد المعدة، و تخطئة السّم عند سماع الأصوات المرجوعة في الجبال ونحوه، وهذا دليل قويّ عليّ تجرّدها، إليّ غير ذلك من الوجوه.

و هذا مع قطع النظر عن الآيات والأخبار الدالّة عليّ المطلوب، و مع قطع النظر عن قاعدة إمكان الأشرف المثبتة للعقول المجرّدة. (1)

وأما المقام الثاني، فلا يخفي أنّ فناء كلّ شيء بزوال صورته، و تفرّق أجزائه، و تبدّل مواده، و المجرّد إذا لم يكن له صورة و لا أجزاء و لا مادة، فكيف يتصوّر له الفناء و الزوال. (2) هذا مضافاً إليّ لسان الشرع الدالّ عليّ بقاء الأرواح في عالم البرزخ إليّ يوم القيامة حتّى يتعلّق بالأبدان ثانياً، كما يأتي إن شاء الله تعالى بيانه.

و لا ينافيه ما في بعض الآيات والأخبار من قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (3) و كلّ شيء فان (4)، و إنّ أهل السماوات يموتون و أهل الأرض لا

ص: 376

1- أقول: إبطال قاعدة إمكان الأشرف و العقول المجرّدة يقتضي مجالاً آخر و قد أجبنا عنها بوجوه كثيرة في شرحنا عليّ تجريد الاعتقاد. (عا)

2- أقول: كما يمكن إيجاد المجرّدات _ عليّ فرض وجودها _ يمكن أيضاً إعدامها. إلا أن يقال: إنّ المجرّد لا يمكن إيجاده كما لا يمكن إعدامه؛ لأنّه قديم و من قواعدهم المسلّمة «ما ثبت قدمه امتنع عدمه». و لكنّه ينافي التوحيد و يساوق الشرك؛ لأنّ التأثير في القديم محال. (عا)

3- سورة القصص: 88.

4- إشارة إليّ قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}، سورة الرحمن: 26.

يقفون، وغير ذلك؛ لأنّ هلاك الشيء وفنائه وموته وعدم بقائه بصورته المصورة لا بانعدامه كليّة، وإلاّ فليس شيئاً من الموادّ أيضاً منعدياً بالكليّة.

الأمر الثاني

إنّه ذهب جماعة من الحكماء أنّ النفس في بدو خلقته جسمانية الحدوث و لكن روحانية البقاء، كما قال الحكيم السبزواري:

النفس في الحدوث جسمانية

وفي البقاء تكون روحانية

لكن لسان الآيات والأخبار خلقة الأرواح قبل الأجساد، كما في بعض الأخبار بمئاتي عام، والأخبار الواردة في خلقة أرواح الأنبياء والأئمّة والمؤمنين سيّما روح نبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم) قبل خلقة الأشياء كلّها، والآيات الواردة في أخذ الميثاق من الأنبياء بل من جميع أبناء آدم، بل من جميع الأشياء علي التوحيد والنبوّة والولاية. (1)

لكن الروح في بدو خلقته كان فاقداً لجميع الكمالات الاكسابية، كما أنّ الموادّ في عالم الأجسام المعبر بالهولي الأوليّة، وإنّما أودع الله تعالي فيها جميع الكمالات بالقوّة الاستعدادية، فهو قابل لاكتساب جميع الكمالات والفضائل كالهولي القابلة لجميع الصور.

والسرّ في تكوّن البدن والحكمة في خلق هذه النشأة ليس إلاّ استكمال النفس بتوسّط البدن الفضائل من المعارف والعبادات والأخلاق والملكات {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (2)، بل لولا ذلك لكان تلك الخلقة

ص: 377

1- راجع: سورة الأعراف: 169 و سورة الأحزاب: 7 وغيرهما.

2- سورة الذاريات: 56.

لغواً لا يصدر عن الحكيم تعالى. نعم قد ثبت من الأخبار أن نبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) وأئمتنا (عليهم السلام) بل الأنبياء خلقوا أرواحهم مكتملة، وإثما جاؤوا في هذه النشأة لهداية البشر «خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً، فَجَعَلَكُمْ بَعْرَشِهِ مُحَدِّقِينَ، حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ». (1)

ومدة هذا الاستكمال هذه النشأة من بدو التمييز إلي زمان الموت، لا قبله كأرحام الأمهات وأصلاب الآباء، ولا بعده كعالم البرزخ والقيامة «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ»، (2) «الدُّنْيَا مَرْزَعَةُ الْآخِرَةِ»، (3) «الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَإِنَّ غَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ». (4)

تذكرة: فاعلمي يا أيتها النفس أن المدة في الاستكمال قصيرة، وتحصيل الكمالات صعبة عسيرة، والعوائق والموانع كثيرة، فلا تهني ولا تغفلي، فإن لك غداً حسرة طويلة. ثم إنه ثبت في الحكمة في بحث اتحاد العقل والعقل والمعقول (5)

أن تلك

ص: 378

1- بحار الأنوار، ج 99، ص 130؛ من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 613.

2- جامع الأخبار للشعيري، ص 105.

3- عوالي اللئالي، ج 1، ص 267، ح 66.

4- بحار الأنوار، ج 32، ص 355، ح 337 و ج 34، ص 172، ح 978؛ الكافي، ج 8، ص 58، ح 21.

5- أقول: ما ذكره من الموعظة في بيان قصر العمر وصعوبة تحصيل الكمالات ووجود الموانع الكثيرة والحسرة الطويلة في يوم الحسرة أمر وجيه فجدير لأهل التقوي الإهتمام الشديد التام بهذا الأمر ضرورة وعدم إهمالها بذلك. ولكنّه (رحمة الله) استشهد بما ثبت في بحث الفلسفة «من اتحاد العقل والعقل والمعقول» مع أنّ فساد هذه القاعدة وما اشتملت عليه من منافاتها لشريعة القويمة غني عن البيان. وهذا من غرائب ما ذهب إليه ولا يكاد ينقضي تعجبي من المصنّف كيف ذهب يميناً وشمالاً... في بيان المعارف الإلهية وتشريح القواعد الدينية مع أنّ المراجعة بالأخبار والآثار يغنيه عن التمسك بهذه الوجوه الواهية والسلوك لأمثال هذه المسالك المظلمة. (عا)

الصور العلمية، والملكات النفسية، والأخلاق الفاضلة، و العبادات الإلهية، كلّها ليست من العوارض العارضة للعقل، كالصور الارتسامية، بل يورث سعة الروح وقوته وعظمته، فهي تتحد معه اتحاداً حقيقياً لا تركيبياً انضمامياً.

فيصير حينئذ قابلاً للحشر من الكمّلين من الأنبياء والمرسلين، والدخول في حزب الملائكة المقربين، وللمثوبات الإلهية في يوم الدين، و السعادة الأبدية، و التفضّلات الأخروية، و التّعمّ بالنعم الربّانية من ربّ العالمين، وفقنا الله لمرضاته بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

و من هذا البيان ظهر لك لزوم بعث الرسل، وإنزال الكتب، و جعل التكاليف للهداية التشريعية، و خلقه جميع ما يحتاج إليه البشر في نظام دنياه و أمر آخرته للهداية التكوينية.

الأمر الثالث: دفع شبهة الآكل و المأكول

إنّه قد اشتهر في لسان جماعة من الملاحدة و الحكماء و المتكلّمين شبهة في المعاد سمّوها بشبهة الآكل و المأكول، و جعلوها من أعظم الشبهات الواردة علي المعاد، و قرروها بتقريرات متعدّدة، و قد تصدّي لدفعها جماعة من الحكماء و المتكلّمين بطرق عديدة، و قد أورد كلّ علي الآخر بالنقض و الابرام، بل اعترف جماعة بورود الشبهة، و صار ذلك سبباً لإنكارهم المعاد الجسماني العنصري.

و لعمرى أنّ هذه شبهة واهية، و دفعها بالبيانات الآتية واضح، و نحن نقرّر

أولاً تلك الشبهة بالتقريبات المذكورة، ثم نتصدّي لدفعها بعون الله تعالى.

فنقول: قد يقرّر الشبهة بأن فرض أنّ إنساناً صار مأكولاً لإنسان آخر، فصار بدنه أجزاء لبدن الآكل، ففي يوم القيامة هل يعيد هذا البدن للأكل دون المأكول، أو العكس، أو يصير هذا البدن بدنًا لاثنين، أو لا يعيدان أصلاً؟

الأول والثاني محالان؛ للزوم الترجيح من غير مرجح، ولزوم كون الآخر غير معاد. والثالث أيضاً محال؛ لاستحالة كون الواحد اثنين، فثبت الرابع، فالمعاد الجسماني محال.

وقد يقرّر بأننا نفرض مؤمناً صالحاً متّقياً بل نبياً أو ولياً صار مأكولاً لكافر فاسق منافق، فهذا البدن في يوم القيامة متنعم بالمشويات داخل في الجنة في حزب أولياء الله، أو معذب في النار مع أعداء الله، أو هما معاً، أو لا يعذب ولا يتنعم، الثلاثة الأولى محال بالتقريب المذكور، فتعين الآخر.

وقد يقرّر بتقرير ثالث أمّتن، وهو أنّ الإنسان إذا مات و صار تراباً و رميمًا، و نفرض صيرورة مدفنه محلاً للزرع و الغرس، فصار هذا الزرع و الغرس مرتعاً للحيوانات، و صارت تلك الحيوانات و هذه الحبوب و الفواكه مأكولاً للبشر، و هكذا في كلّ دور و كور، فقد يكون مادّة واحدة في مرّ الدهور من أبدان ألف إنسان. وقد يقرّر بتقريب آخر، و هو أنّا نفرض أنّ هذا المأكول إنساناً كان أو حبّاً أو فاكهةً صار نطفة للأكل، فصار مبدئاً لنشو ثالث و هكذا، فيصير الإشكال أصعب؛ لأنّ النطفة من الأجزاء الأصلية للإنسان، هذا كلّ في تقرير الشبهة.

و الجواب عنها يتوقّف علي بيان أمور:

الأول: لا يخفي أنّ مبدء نشو الآدمي من العناصر المادّية، ليس بمعني تبدّل

نفس التراب الجمادي نباتاً، ونفس النبات حيواناً، ونفس الحيوان إنساناً، بل يستخرج المواد النباتية التي أودعها الله في التراب ونفس التراب باقية بحالها، وكذا يستخرج المواد الحيوانية التي أودعها الله في الحبوب والفواكه ويدفع فضولاتها، وكذا يستخرج المواد النطفية التي كانت في أعضاء الإنسان بالتبدلات المقررة في محالها.

فالعناصر الأولية تكون فيها جميع تلك المراتب بالقوة الطبيعية، وتخرج إلى المراتب الفعلية بالأسباب المقررة بقدره الله الكاملة، فإذا مات الإنسان وصار تراباً لم يصر هذا التراب بعينه بدنناً لإنسان آخر حتى يتوجه الشبهة، بل يستخرج منه بقدره الله تعالى تلك المواد المودعة فيها بنحو الاستعداد والقوة، فلا مانع من صيرورة هذا التراب بدنناً في يوم النشور لهذا الإنسان، والمواد المستخرجة منه بدنناً لذلك، فاندفع الاشكال.

الثاني: أنّ للإنسان أجزاء أصلية في بواطن أبدانهم محفوظة من بدو خلقته إلى حين رحلته لا يتبدّل ولا يتغيّر، وتلك الأجزاء يشار في سنّ الكهولة أنّه هو المتولّد حين الولادة بعينه، وأجزاء فضلية يتبدّل ويتغيّر ويحلّل، ولأجلها يحتاج إلى الغذاء والطعام والشراب بدل ما يتحلّل، وباعتبارها ربما يسمن ويضعف وينكس، فإذا صار إنساناً مأكولاً لآخر يصير بدنه من الأجزاء الفضلية للأكل، فإذا اندفع منه أو مات يؤخذ منه ويجعل بدنناً للمأكول في يوم المعاد، وما يعود في القيامة تلك الأجزاء الأصلية وهو المناط، ولا مدخلة للفضلية في ذلك.

الثالث: أنّه قد ورد في كثير من الأخبار المتفرقة أنّ يوم النشور يحشر الخلائق بصور مختلفة، مثلاً الضعيف النحيف العليل المريض الشيخ الهرم إذا كان من أهل الجنة يحشر يوم القيامة جرد مرد قوي صحيح المزاج، وهكذا

من كان قبيح المنظر يحشر صبيح المنظر، {نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} (1)، وكذا قصير القامة أو طويلها يحشر مستوي الخلقه، وبالعكس أصحاب النار يحشرون مسوّد الوجه عظيم الجثّة متدلّية ألسنتهم قبيح المنظر، بل يحشر جماعة منهم بصورة الكلاب والخنازير والنمل والسباع والبهائم ونحوها.

و من الواضح أنّ بدنه الذي كان له حين موته قد يقتضي الازدياد عليه يوم الحشر، وقد يقتضي تنقيصه منه، فيستفاد من ذلك أنّه لا يعتبر كون الحشر بجميع جزئيات البدن حين الموت، فإذا لا مانع من أخذ أجزاء البدن المأكول من بدن الآكل، ويحشر الآكل ببقية أجزائه، ولا يمكن أن يكون جميع أجزاء الآكل منطبقاً مع جميع أجزاء المأكول بحيث لا يزيد ولا ينقص، فاندفع الاشكال بتمام تقريراته. بل من هذا البيان ظهر لك دفع إشكال آخر، وهو أنّ الإنسان إذا كان في بعض سنين عمره مؤمناً صالحاً متّقياً، وفي بعض آخر كافراً فاسقاً عاصياً، فهل يحشر مع بدنه زمان صلاحه أو زمان فساده؟ وهل يتنعم بهذا البدن أم يعذب؟

و توضيح الدفع: أنّ مناط السعد والشقاوة حين الموت، وهذه الأجزاء الفضلية لا مدخلية لها في الثواب والعقاب، والمناطق هي الأجزاء الأصلية المحفوظة في جميع الحالات، ومن المعلوم أنّ البدن بما هو بدن مع قطع النظر عن تعلّق الروح به لا يؤلم بالعذاب، ولا يلتذّ باللذائذ، كالقطعة المبانة من الحيّ، فالآلام واللذائذ إنّما هو للروح، غاية الأمر الآلام واللذائذ الجسمية يحتاج

ص: 382

الروح في تألمه و التذاذه إلي البدن دون الروحية منها حيث لا حظ للبدن فيها.

الأمر الرابع: دفع شبهة إعادة المعدوم

إشارة

إنّه قد يتبنّى مسألة المعاد في لسان جماعة بجواز إعادة المعدوم، فلو قلنا بمحاليتها يورث إنكار المعاد.

و الحق أنّ تلك المسألة غير مربوطة بمسألة المعاد أصلاً، كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى، و الكلام فيه يقع في مقامين:

المقام الأوّل: في عدم ابتناء المعاد علي ذلك

لأننا ننكر انعدام الأشياء كلّية؛ لأنّ الروح لمكان تجرّده باقٍ، و البدن من حيث الموادّ الجسمية أيضاً باقٍ، و تلك التغيّرات لتبدّل الصور يؤخذ منها صورة و يعطي إليها صورة أخرى، مثلاً يؤخذ من الإنسان صورة الإنسانية، و يفيض عليه صورة ترابية، ثمّ يعود كلّ.

و الآيات الكثيرة و الأخبار المتظافرة تدلّ علي ذلك، مثل قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ}، {بَلِي قَادِرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} (1)، و قوله تعالى: {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ} (2)، و قوله تعالى: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ} (3)، و قوله تعالى: {وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً}

ص: 383

1- سورة القيامة: 3 _ 4.

2- سورة العاديات: 9.

3- سورة يس: 78.

فَسَقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ {1}، وقوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} {2}، وقوله تعالى: {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} {3}، وقوله تعالى: {كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِي لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {4}، وقوله تعالى حكايةً عن إبراهيم (عليه السلام): {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتِي} {5} الآية، وقوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَيَّ قَرْيَةً وَهِيَ خَاوِيَةٌ} {6} الآية، إلي غير ذلك من الآيات.

وقد ورد في الأخبار الكثيرة: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ (عز وجل) أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ، أَمْطَرَ السَّمَاءَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَاجْتَمَعَتِ الْأَوْصَالُ وَنَبَتَتِ اللَّحُومُ. {7}

و يؤيد ذلك أيضاً ما يستفاد من الآيات الأخر الواردة في سائر المخلوقات، مثل قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} {8}، وقوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ}، {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} {9}، و

ص: 384

- 1- _ سورة فاطر: 9.
- 2- _ سورة الروم: 25.
- 3- _ سورة الروم: 19.
- 4- _ سورة الأعراف: 57.
- 5- _ سورة البقرة: 260.
- 6- _ سورة البقرة: 259.
- 7- _ بحار الأنوار، ج7، ص33، ح1، وج108، ص95.
- 8- _ سورة الأنبياء: 104.
- 9- _ سورة التكوير: 1 _ 3.

قوله تعالى: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}، {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} (1)، وقوله تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}، {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} (2)، إلي غير ذلك من الآيات والأخبار.

و العجب من جماعة صاروا إلي القول بأن الموجودات تنعدم بالكلية، ثم تعيد لظواهر بعض الآيات، مثل قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (3)، وقوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} (4)، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} (5)، وقوله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} (6)، وقوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} (7)، إذ الآخرة يقتضي فناء كل شيء، وأمثال ذلك.

و الجواب: أن الهلاكة و الفناء يصدق بمجرد الموت و زوال الحياة، و الإعادة صادقة علي إعادة الصورة الإنسانية بعد صيرورتها تراباً، و الآخرة لا دلالة لها علي الانعدام بالكلية؛ لأن يوم النشور يكون الخلود و البقاء إلي الأبد من ضروريات الدين، فالآخرة ليست آخريته في الوجود، بل التوحد في الصفات بأن لا يتغير و لا يختلف عليه الأحوال.

و لو سلم ظهور تلك الآيات في ذلك لكانت الآيات و الأخبار المتقدمة

ص: 385

1- سورة المعارج: 8 _ 9.

2- سورة القارعة: 4 _ 5.

3- سورة القصص: 88.

4- سورة الرحمن: 26.

5- سورة الروم: 27.

6- سورة الأنبياء: 104.

7- سورة الحديد: 3.

كافية في صرفها عن ظاهرها، فلا مجال لتوقف بعض في ذلك، كالمجلسي وصاحب كفاية الموحدين، ونسب إلي بعض آخر، فالمسألة واضحة.

المقام الثاني: في أصل المسألة

وهي ذات قولين، فذهب جماعة من الحكماء والمحققين كصدر المتألهين والحكيم السبزواري والفخر الرازي وغيرهم بالامتناع، قال الحكيم:

إعادة المعدوم ممّا امتنعا

وبعضهم فيها ضرورة ادّعي

واستدلّوا علي الامتناع بوجوه:

أحدها: أنّ المعدوم يمتنع الإشارة إليه، وما يمتنع الإشارة إليه لا يصلح الحكم عليه بصحة العود.

ثانيها: أنّه لو أُعيد لزم تخلّل العدم بين الشيء ونفسه.

ثالثها: لزوم التسلسل في الزمان.

رابعها: وهو امتن الوجوه، إنّ إعادة شيء يقتضي إعادة جميع علله الطولية ومعدّاته، فيلزم إعادة جميع الأدوار الفلكية والأوضاع الكوكبية، وكلّما سبقت في النظام الكلّي بلوازمها وتوابعها.

وذهب جماعة أخرى إلي إمكانه، واستدلّوا عليه: تارة بأنّ الموجود قبل وجوده ممكن بالذات، يكون وجوده وعدمه سيّان، والذاتي لا يختلف ولا يتخلف، فبعد انعدامه أيضاً لا يخرج عن حدّه، فإيجاده ثانياً وعدمه سيّان، وهذا معني الإمكان.

وأخري بأنّ الأصل فيما لم يتم دليل علي وجوبه وامتناعه هو الإمكان، ثم صار الطرفين في مقام التقض والابرام.

وتحقيق الكلام فيه ملخصاً يتوقف علي بيان مقدّمة، وهي أنّ الموجودات الإمكانية علي قسمين: جواهر، وأعراض.

والمراد من الجوهر أنّه إذا وجد وجد لا في الموضوع، والعرض ما إذا وجد وجد في الموضوع، وهو عبارة عن الأعراض التسعة، وهي: كم وكيف ووضع وأين ومتي وفعل وانفعال وإضافة وجدة. والجواهر خمسة: عقل، ونفس، وهيولي، وصورة، وجسم.

والمراد من العقل: جوهر مجرد عن المادّة ذاتاً وفعلاً، أي: لا يحتاج إليها في ذاته وفي فعله.

والنفس: جوهر مجرد عن المادّة في الذات دون الفعل.

والهيولي: عبارة عن مادّة الأجسام العنصرية السارية في جميع الأجسام، وهي بمنزلة الجنس، كالحيوانية في الإنسان، وإنّما الفرق بينهما في الاعتبار، حيث يلاحظ الهيولي بشرط لا والجنس لا بشرط، وبهذه الملاحظة الجنس قابل للحمل والاتحاد، فيقال: حيوان ناطق، والهيولي غير قابلة له، فلا يقال: الهيولي صورة.

والصورة: عبارة عمّا به يمتاز الأجسام بعضها عن بعض، فهي بمنزلة الفصول للأجناس، والفرق بينهما كالفرق بينهما، وكما لا يمكن تحقّق الجنس في الخارج من دون فصل مميّز، لا يمكن تحقّق الهيولي في الخارج بلا صورة و

بالعكس، كما لا تحقّق للفصول بلا أجناس لا تحقّق للصور (1) بلا هيولي.

هيولي در بقا محتاج صورت

تشخص كرد صورت را گرفتار

لأنّ الشيء ما لم يتشخص لم يوجد.

و الجسم: عبارة عن جوهر مادّي متشخص ممتاز عن سائر الأجسام، فهو جوهر مركّب من جوهرين: الهيولي، و الصورة، فالجسم كالنوع المركّب من الجنس و الفصل، فالهيولي عبارة عمّا به الاشتراك بين جميع الأجسام، و الصورة عبارة عمّا به الامتياز، و الجسم مركّب عمّا به الاشتراك و عمّا به الامتياز، غاية الأمر في كلّ جسم حصّة من الهيولي المشتركة غير الحصّة التي في جسم آخر، و امتيازهما إنّما هو بالصور الشخصية.

ثمّ لا يخفي أنّ في تبدّلات الأجسام بعضها ببعض حتّى يمثّلها كتبدّل الحنطة بالحنطة، كانت تلك الحصّة من الهيولي محفوظة فيهما، فيقال: هذا هو، و هذا منه، و الاختلاف إنّما هو بالصور المشخّصة.

إذا عرفت ذلك نقول: إن كان المراد من المعدوم المعدوم بمادّته و صورته بحيث لا يبقى له عين و لا أثر، فالحقّ مع القائلين بالامتناع، لعين ماذكروه من الأدلّة.

وإن كان المراد منه المعدوم بصورته دون مادّته، فالحقّ مع القائلين بالإمكان؛

ص: 388

1- _ المراد الصورة الجسمية، و إلاّ فسيأتي وجود الصور بلا مادّة، كالقالب المثالي، و الصور البرزخية، و المثل الأفلاطونية علي القول بها «منه». أقول: ما ذكره (رحمة الله) في هذه التعليّة غير تامّ: فإنّ الروح بعد الموت تتعلّق بالبدن اللطيف المثالي الشبيه بالبدن الدنيوي، لا الصورة بلا مادّة كما هو مسلك الفلاسفة. (عا)

لأنّ تبدّلات الصور بمكان من الإمكان، بل واقع كثيراً في الاستحالات و التبدّلات.

توضيح الكلام فيه: إنّهُ قد حَقَّق في محلّه إثبات الحركة الجوهرية، وهي أنّ موضوع تلك الحركة هو صورة ما التي بمنزلة الكلّي الطبيعي الموجودة بوجود أول صورة للهيولي، وهو بمنزلة حركة التوسّطية، و تبدّلات الصور الشخصية بمنزلة الأفراد، وهي بمنزلة الحركة القطعية، و تلك الصورة مع الصور الشخصية موجودان بوجود واحد، وهي ثابتة ما دام بقاء الصور، وإن كانت الصور تتبدّل آنأ فآنأ، وهذه الصورة الكلّية متّحدة مع الهيولي الجسمية الباقية في تبدّلات الأجسام.

و حينئذ فإنّ عدمت الصور بالكلّية، و عدمت تلك الصورة، و عدمت الهيولي، فإعادته شيء آخر؛ لأنّ شيئاً الشيء بالصورة.

و أمّا إن بقيت هذه الصورة الكلّية، فهي حافظة للوحدة، و يقال: هي هي، و هذا ممّا لا إشكال فيه، و لا شبهة تعتريه، (1)

و الكلام أبسط من ذلك لا يقتضيه هذه الوجيزة، فيطلب من محالّها في كتب الحكمة، فتدبّر.

الأمر الخامس: في إبطال التناسخو القائلين به علي مذاهب أربعة: نسخ، و مسخ، و فسخ، و رسخ.

و القائل به يسمّى بالنسوخية و المسوخية و الفسوخية و الرسوخية، و جامع الكلّ أنّ النفس الإنساني بعد مفارقتها عن هذا البدن تتعلّق بجسم آخر في هذه النشأة، فإنّ تعلّق بإنسان آخر يسمّى بالتناسخ، فإن كان سعيداً تتعلّق ببدن

ص: 389

1- أقول: إثبات المعاد الجسماني بالأدلة القطعية الشرعية من الكتاب و السنّة و لا يحتاج إلي هذه المنسوجات التي لا طائل تحته. (عا)

عالم عابد مؤمن من نبي أو ولي بمراتب سعادته. وإن كان شقيماً، تتعلّق ببدن جاهل فاسق كافر، و جنّته و ناره عبارة عن ذلك.

و القائل بالمسخ يقول: تتعلّق النفس بعد مفارقة البدن إلي بدن حيوان، فإن كانت سعيدةً تتعلّق بالحيوانات الشريفة، وإن كانت شقيّةً فبالحيوانات الخبيثة، كما قد يتفق المسخ في الأمم السالفة.

و القائل بالفسخ يقول: تتعلّق بالنباتات الشريفة أو الخسيفة.

و القائل بالرسخ يقول: تتعلّق بالجمادات، كالذهب و الفضّة، و الجواهر الثمينة، أو التراب و الحجر و المدر و نحوها من الجمادات، و الكلّ باطل.

و هنا قولاً خامساً علي عكس الأقوال الأربعة، و هو أنّ النفس تتعلّق أولاً بالجمادات، ثم تتعلّق بالنباتات، ثم بالحيوانات، ثم بالأفراد البشرية، فالإنسان كان قبل ذلك حماراً أو كلباً، و قبله شجراً أو زرعاً، و قبله حجراً أو مدرأً.

و الدليل علي بطلان جميع ما ذكر _ مضافاً إلي إجماع الملل و ضرورة المذاهب _ أنّ الإنسان مثلاً إذا تكوّن فرد منه، فإمّا أن يقتضي تعلّق نفس مختصّة به أم لا، بل لا بدّ من تعلّق نفس إنسان آخر أو الحمار و نحوهما به. فعلي الأوّل يقتضي توارد النفسين علي بدن واحد، فيكون زيد ذا نفسين: أحدهما نفس عمرو، و الآخر النفس المختصّة به، و هذا بالبدهة و الوجدان باطل.

و علي الثاني يلزم عدم التكرّر في العالم؛ لأنّ الفرد الأوّل إذا وجد له نفس واحدة، و الفرد الثاني علي الفرض لا نفس له، بل تتعلّق به النفس الفرد الأوّل و هكذا، فلا يتحقّق الكثرات لا في الإنسان و لا في الحيوانات و لا النباتات و لا الجمادات، و هذا أيضاً بديهي البطلان.

فإن قلت: نفرض في بدو الخلقة أفراداً كثيرةً ذا نفوس كثيرة، فإذا ماتوا تعلقت نفوسهم بأفرادٍ آخر.

قلت: مع أنّ هذا خلاف مذهب التناسخية؛ لأنّ تكوّن الإنسان علي طبق الطبيعة بل أكثر الحيوانات كذلك لا بنحو التكوّن كـبعض الحيوانات، يلزم أن يكون عدد الأفراد في جميع الأزمنة متساوية، وهذا أيضاً واضح الفساد.

فإن قلت: ما تقولون في الآي القرآنية والأخبار الواردة في مسخ بعض الكفّار والمعاندين؟ كقوله تعالى: {كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (1)، وقوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} (2)، والأخبار الواردة في مسخ بني أمية، وأمثال ذلك.

قلت: هذا المسخ غير المسخ المتنازع فيه، بل هذا تبديل هذا البدن مع هذه النفس بصورة القردة والخنزير عذاباً، كما في أصحاب السبت، أو إعجازاً كما صدر من بعض الأئمة (عليهم السلام) بالنسبة إلي بعض المعاندين، وقد ماتوا بعد مسخهم بثلاثة أيام ولم يتوالدوا، والتعبير عن القردة والخنزير ونحوهما بالمسوخ لأجل تشبّههم بهما، لا أنّهم مسوخ حقيقةً، وهذا بمكان من الإمكان، ولا يتوجّه عليه ما ذكرنا من الجواب.

بل لا نضايق كون كثير من أفراد الإنسان يحشرون يوم القيامة بصور الحيوانات، كما ورد في الأخبار، بل في هذه الشأ بحسب بواطنهم وملكاتهم حيوانات مؤذية ضارة ولو بظواهرهم في لباس البشرية، ومن يكون له بصيرة باطنية يراهم كذلك.

ص: 391

1- سورة الأعراف: 166.

2- سورة المائدة: 60.

و كيف كان تبديل الصورة مع حفظ المادة بالبيان المتقدم غير تعلق نفس من بدن إلى بدن آخر، فتدبر جيداً.

الأمر السادس: في إثبات المعاد بنحو الاجمال

إشارة

و الدليل عليه وجوه من العقلية و النقلية:

الأول: أنه قد حقق في باب التوحيد أن الله تبارك و تعالي حكيم عالم بجميع المصالح و المفاسد و الحكم، و في باب العدل أنه تعالي عادل لا يصدر عنه قبيح و لا لغو و لا ظلم، فإذا يكون في خلقه هذا العالم من العلويات و السفليات من الجمادات و النباتات و الحيوانات حكمة و مصلحة، و تلك الحكمة لا يمكن أن تكون راجعة إليه لغناؤه ذاتاً، فلا بد أن تكون راجعة إلي خلقه.

أمّا ما سوي الإنسان، فيكون لمصلحة الإنسان، كما ينادي به الآيات و الأخبار، و يساعد عليه العقل و الوجدان، كقوله تعالي: { خَلَقَ لَكُمْ ما في الأَرْضِ جَمِيعاً } (1)، و قوله تعالي: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ } (2)، و قوله تعالي: { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ } (3)، و قوله تعالي: { سَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّمَاوَاتِ وَ ما في الأَرْضِ } (4)، و قوله تعالي: { جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَاراً وَ السَّمَاءَ بِناءً } (5)، و قوله تعالي: { وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما في

ص: 392

- 1- _ سورة البقرة: 29.
- 2- _ سورة النحل: 10.
- 3- _ سورة النحل: 12.
- 4- _ سورة لقمان: 20.
- 5- _ سورة غافر: 64.

السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً {1}إلى غير ذلك.

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ، فالفوائد الراجعة إليه: إمّا دنيوية من المآكل و المشارب و المناكح، و غيرها من اللذائذ، و هذا لا يليق بجنابه؛ لأنّها دائرة زائلة فانية، و أنّها مشوبة بالآلام و الأسقام و البليات، و في تحصيلها مرارات و زحمت.

وإمّا أخروية من الحياة الباقية، و الفوائد الثابتة، و النعم الدائمة، فلولا ذلك لصار الخلقة بالكلية لغواً.

الثاني: أنّه لولا المعاد لكان بعث الرسل و إنزال الكتب و جعل الأحكام و التكاليف لغواً؛ لأنّه لا يورث فرقاً بين المؤمن و الكافر و المطيع و العاصي، بل يورث كون المؤمن المطيع أسوأ حالاً من الكافر العاصي، و هذا من أقبح القبائح، فلا بدّ من دار الجزاء و الحساب.

الثالث: أنّا نجد من أنفسنا أنّ الدنيا دار التنازع و التزاحم و الاختلاف، كلّ يظلم الآخر بالقتل و هتك العرض و ذهاب المال، فيجب علي الحكيم الانتقام للمظلوم عن الظالم، و هذا غير واقع كثيراً في هذه النشأة، فلا بدّ أن يكون في نشأة أخرى. الرابع: لولا المعاد لزم كون إعطاء العقل إلي الإنسان لغواً؛ لأنّه مانع عن الالتذاذ باللذائذ، و مورث للتألّم بالآلام لمكان حزنه و تأسّفه و فكره في العواقب دون سائر الحيوانات؛ لأنّها لمكان غفلتهم يلتذّون بها أشدّ الالتذاذ، و بعد لا تدرك وروود البليات عليها و تقني.

الخامس: ضرورة الأديان قائمة علي المعاد، كما تقدّم.

ص: 393

السادس: نصوص الكتاب، وهي كثيرة جداً:

منها: قوله تعالى: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا } (1).

ومنها قوله تعالى: { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } (2).

ومنها قوله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ } (3).

ومنها قوله تعالى: { وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ } (4).

ومنها قوله تعالى: { قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ }، { لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } (5).

ومنها قوله تعالى: { وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } (6).

ومنها قوله تعالى: { ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } (7).

ص: 394

1- _ سورة النحل: 38.

2- _ سورة يونس: 53.

3- _ سورة التغابن: 7.

4- _ سورة الحجر: 25.

5- _ سورة الواقعة: 50.

6- _ سورة الحج: 7.

7- _ سورة المؤمنون: 16.

و منها قوله تعالى في حكاية إبراهيم (عليه السلام) : { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } (1) الآية.

و منها قوله تعالى في حكاية عزيز: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَيَّ فَرَيْتَهُ } (2) الآية.

إلي غير ذلك من الآيات.

و أمّا الأخبار، ففوق حدّ التواتر في الخطب و الأدعية و غيرها، هذا مضافاً إلي ضرورة دين الاسلام بل جميع الأديان علي ثبوت المعاد، كما أشرنا إليها، فهذا ممّا لا كلام فيه.

إنّما الكلام في أنّ المعاد _ بالضم _ في يوم المعاد _ بالفتح _ ما هو؟ و قد وقع الخلاف بين المسلمين علي أقوال:

الأول: ما اختاره صدر المتألّهين و أتباعه من الحكماء المتأخّرين إلي أنّه الروح في القالب المثالي، و صورته البرزخية، العارية عن المادّة الهيولائية، و قد حمل ظواهر الآيات و الأخبار بل نصوصها علي ذلك، و قد أسّس مذهبه علي أصول يأتي ذكرها.

الثاني: ما اختاره الشيخ أحمد الأحساني رئيس المذهب الشيعية مع أتباعه في أنّه الروح مع البدن الهورقليائية الذي اصطلح عليه.

الثالث: ما اختاره جمهور العلماء و المحقّقين من الحكماء و المتكلّمين في أنّه الروح مع البدن العنصري الهولائي الدنيوي.

الرابع: ما ذهب إليه بعض الحكماء و العرفاء من أنّه الروحاني الصرف من

ص: 395

1- _ سورة البقرة: 260.

2- _ سورة البقرة: 259.

الخامس: ما ذهب إليه بعض الأخباريين من أنّه الجسماني الصرف.

ولا بدّ في تحقيق ما هو الحقّ الحقيقي من تقديم أمور من باب المقدّمة:

أحدها: أنّ الموادّ العنصرية المعبّر عنها بالهيولي لا تحقّق لها إلاّ بالصورة، كما أنّ الصورة تحتاج إلي الهيولي، فمثل الهيولي و الصورة مثل الجنس و الفصل، بل هما عينهما، وإّما الفرق في الاعتبار؛ لأنّ الجنس و الفصل مأخوذان لا بشرط، و الهيولي و الصورة بشرط لا، فالجسم المركّب من الهيولي و الصورة كالإنسان المركّب من الحيوانية و الناطقية، و قد تقدّم.

ثانيها: أنّ التغيّرات الواقعة في عالم الكون و الفساد و التبدّلات و الاستحالات إّما هي بتبدّلات الصور، و إلاّ فالهيولي الأولى باقية أبداً لا يتغيّر و لا يتبدّل، فتبدّل الجسم المطلق النامي و هو بالحيوان و هو بالإنسان من جهة اختلاف الصور.

ثالثها: أنّ التخصّصات بالصور الشخصية لا بالهيولي و لا بالصورة النوعية المتحرّكة بالحركة الجوهرية التي بمنزلة الحركة التوسّطية، و الصور الشخصية بمنزلة الحركة القطعية، و كالتقطعة السيّالة الراسمة للخطّ، و كالآن بالنسبة إلي قطعة من الزمان.

رابعها: أنّ الصورة كما هي قابلة للتغيير، بمعنى أنّها قابلة للزوال و إفاضة صورة أخرى متّصلة بحيث لا يوجب زوال الهيولي، كذلك قابلة للبقاء إلي ما شاء الله، كما في الصور المثالية، و كما في المثل الأفلاطونية علي مذهبه.

و أمّا الهيولي، فهي توجد بأوّل صورة و باقية غير متغيّرة إلاّ بفناء جميع

الصور، فهي سيّالة مع حركة الصورة النوعية عند تبدّلات الصور الشخصية، و ثابتة مع ثبات الصور الشخصية.

فالقول بالحركة الجوهرية لا يستلزم الحركة دائمة، بل عند اختلاف الصور وتبدّلاتها لا مع بقاء الصورة، كما أنّ الحركة الكيفية في الألوان و الطعوم و الروائح إنّما هي عن تغيّراتها، و كذا الأينية و الوضعية دون ثباتها و سكناتها.

خامسها: أنّ الله تبارك و تعالي قادر علي إيجاد الهيولي و الصورة، و علي إعدامهما، و علي إبقائهما معاً، و علي إيجاد الصورة من دون مادّة، و علي إبقاء المادّة و تبدّل الصورة؛ لأنّ الكلّ بمكان من الإمكان، و القدرة تتعلّق بكلّ ممكن. نعم المادّة من دون صورة إيجاداً و بقاءً غير ممكن؛ لأنّ الشيء ما لم يتشخّص لم يوجد، فليس قابلاً لتعلّق القدرة.

إذا عرفت ذلك، فنقول: إنّ الحقّ أنّ المُعاد _ بالضمّ _ في يوم المُعاد هو تلك الموادّ العنصرية الترابية في صورة يعلمها الله تعالي، سواء كانت الصورة الصورة الإنسانية، كما في أهل الإيمان، أو الصور الحيوانية، كما في بعض الكفّار و الفسّاق، بحيث يقال: هذا هو.

و بالجمله المادّة العنصرية الجسمية الدنيوية هي بعينها يعاد في المعاد، و هذا بمكان من الإمكان، و قد أخبر به الصادق المصدّق، و لا مانع من الالتزام به. فإن قلت: هذه المادّة العنصرية الدنيوية لمّا كانت متبدّلة أنا فأنا لمكان التحليل و احتاجت إلي بدل ما يتحلّل، فكيف تعاد مع الفساد؟

قلت: قد تقدّم في دفع شبهة الآكل و المأكول أنّ المناط في يوم المعاد الأجزاء الأصلية المحفوظة الباقية، و لا مدخلة للأجزاء الفضلية وجوداً و عدماً

في ذلك، و التحليل إنّما هو للفضلية لا الأصلية.

هذا مضافاً إليّ منع التحليل في القيامة، فأيّ مانع من الالتزام بأنّ البدن المعاد في القيامة بأجزائه الأصلية و الفضلية باقية دائماً لكون الدار داراً باقيةً، و أطعمة الجنّة ليست لبدل ما يتحلّل، بل لأجل الالتداز، و لذا لا يكون فيها دفع الحمّ؛ لأنّ الآلام و الأسقام ليست في الجنّة.

فان قلت: غاية ما ذكر إمكان ذلك، لكن لا- دليل عليّ إثباته إلاّ ظواهر بعض الآيات و الأخبار الملقاة إليّ العرف العوام القابلة للتأويل بالصور العارية عن الموادّ الخالية عن القوّة و الاستعداد.

و السّرّ في التعبير بهذه الظواهر قصور فهم العوام عن إدراك الحقائق، و من المعلوم أنّ أمر المعاد من الأمور الاعتقادية التي تحتاج إليّ الأدلّة القطعية اليقينية لا يمكن إثباتها ببعض الظواهر الظنيّة.

قلت: نمنع أوّلاً كون ذلك من الظواهر، بل النصوص غير القابلة للتأويل، فأيّ نصّ أقوي من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم (عليه السلام): {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى} (1) الآية.

وقوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} (2) الآية.

وقوله تعالى: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ} (3).

ص: 398

1- _ سورة البقرة: 260.

2- _ سورة البقرة: 259.

3- _ سورة يس: 78.

وقوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}، {بَلَى قَادِرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}. (1)

وقوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (2)، هل في القبور إلا تلك البدن العنصري.

وقوله تعالى: {إِذَا بُعِثَرِ مَا فِي الْقُبُورِ}. (3)

وقوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}. (4)

وقوله تعالى: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}. (5)

وقوله تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ}. (6)

وقوله تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا}. (7)

وقوله تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ}. (8)

ص: 399

1- سورة القيامة: 3 _ 4.

2- سورة الحج: 7.

3- سورة العاديات: 9.

4- سورة يس: 51.

5- سورة يس: 52.

6- سورة القمر: 7.

7- سورة المعارج: 43.

8- سورة الانفطار: 4.

وقوله تعالى: {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ}، {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}. (1)

وقوله تعالى: {وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا}. (2)

إلي غير ذلك من الآيات، حيث إن الخروج من القبور والبعث منها و من الأحداث وإلقاء الأرض و ثقل الأرض هل هذا إلا البدن العنصري، و هل القالب المثالي و البدن الهورقليائي ثقل الأرض و في القبور و الأحداث؟

و كذا نصوص الأخبار، مثل قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ. (3)

وقوله (عليه السلام) في مكاتبه لمحمد بن أبي بكر: أَنَّ أَنْفُسَكُمْ الضَّعِيفَةَ، وَ أَجْسَادَكُمْ النَّاعِمَةَ الرَّقِيقَةَ. (4)

وقوله (عليه السلام): أَخْرَجَهُمْ مِنْ صَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السَّبَاعِ. (5)

و الأخبار الواردة في كيفية البعث من أمطار السماء أربعين صباحاً، و انشقاق الأرض، و جمع العظام، و العروق و اللحوم و الشعور و التيام الأجساد بلا أرواح حتى ينفخ في الصور، فتدخل إلى الجسد التي فارقت في الدنيا.

و كذا الأخبار الواردة في الأدعية و المناجاة، و غيرها من الأخبار المتفرقة.

ص: 400

1- سورة الانشقاق: 3 _ 4.

2- سورة الزلزلة: 2.

3- بحار الأنوار، ج8، ص306، ح68؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص267، خطبة 183.

4- الأمالي (للطوسي)، ص28، ح31؛ بحار الأنوار، ج6، ص219، ح13 و ج74، ص388، ح11.

5- بحار الأنوار، ج7، ص112، ح46؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص108، خطبة83.

و ثانياً: سلّمنا كونها من الظواهر، لكن كلّ واحد في نفسه ظاهراً، فإذا تعدّدت الظواهر و تراكمت تفيد القطع، سيّما إذا كانت بمضامين مختلفة، و بعبارات متعدّدة.

و ثالثاً: سلّمنا بقائها علي الظهور الصرف، فمنع عدم حجّيتها في المقام؛ لأنّ العقائد المأخوذة عن لسان الشرع المتلقّاة من الألفاظ مع العلم بأنّ الشارع لم يؤسّس طريقاً خارجاً عن المتعارف في إفهام مراداته، بل يتكلّم علي طبق المتعارف من إلقاء الظواهر.

و ملاك حجّية الظواهر بناء العقلاء في الموالي و العبيد، بحيث مطالبة المولي أزيد من ظاهر كلامه قبيح عقلاً، و كذا اعتذار العبد بعدم العلم بالمراد.

و بالجملة الظاهر حجّة كافية للكُلّ علي الآخر ما لم يكن قرينة عقلية أو لفظية حالية، أو مقامية عامّة، أو خاصّة علي المراد.

و رابعاً: تأويل تلك الآيات و الأخبار بما ذكر هل هو إلّا تفسير بالرأي المورث لتبوّء مقعده من النار.

هذا كلّه مضافاً إلي الآيات الكثيرة و الأخبار المتواترة في بيان أطعمة الجنّة و أنهارها و قصورها و فرشها و الازدواج بالحور، و كذا زقّوم النار و غساقها و حميمها و مقامعها، و الحيوانات المؤذية من حيّاتها و عقاربها، و كيفية بناء الجنّة من الزبرجد و المرواريد و الياقوت و الذهب و الفضة، و كيفية النار المحرقة. إلي غير ذلك من الخصوصيات.

و العجب كلّ العجب ممّن انتحل إلي الاسلام و اعتقد بالكتاب و السنّة كيف يصير إلي التأويل في جميع تلك الآيات و الأخبار بمجرد تخيّل ظنّي أو

وهمي، وهل هذا إلا اعوجاج السليقة، هذا كله في بيان المختار في المقام.

وأما الأقوال الأخر: أما ما ذهب إليه صدر المتألهين، فأسس بنيانه علي أصول لا بدّ من الإشارة إليها وإلي ما فيها، وهي أصول خمسة:

الأول: أنه قد تفرّر في الحكمة وبرهن عليه أنّ شيئية الشيء بصورته لا بمادّته؛ لأنّ الشيء ما لم يتشخص لم يوجد، والتشخص إنّما هو بالصورة لا بالمادّة، وبالجملة المادّة بمنزلة الجنس، والصورة بمنزلة الفصل، بل هما عينهما، وإنّما الفرق بالاعتبار؛ لأنّ الجنس والفصل مأخوذان لا بشرط، ولذا يحمل أحدهما علي الآخر، فيقال: الحيوان ناطق، والمادّة والصورة مأخوذتان بشرط لا، ومن هنا لا يحمل، فلا يقال المادّة صورة.

قال في العرشية علي ما حكى عنه: إنّ تقوّم كلّ شيء بصورته لا بمادّته، وهي عين ماهيته وتمام حقيقته، فهو هو بصورته لا بمادّته.

وعنه في أسفاره: كلّ مركّب بصورته هو هو لا بمادّته.

إلي أن قال: حتّي لو فرضت صورة المركّب قائمة بلا مادّة، لكان الشيء بتمام حقيقته موجودة.

الأصل الثاني: أنّ تشخص الشيء عبارة عن نحو وجوده الخاصّ، مجرداً كان أو مادّياً، وأما العوارض المشخصّة، فهي من أمارات وجوده و لوازمه لا من مقوماته. الأصل الثالث: هو الذي من أفكاره المختصّة به الذي لم يسبقه السابق عليه، و تبعه المتأخرون، من القول بالحركة الجوهرية، وأنّ الحركات عند الجمهور منحصر بالأربع: الكميّة، والكيفيّة، والأينية، والوضعية، وعنده يزيد الجوهرية، وقد برهن عليه في الحكمة بما لا مزيد عليه.

الأصل الرابع: أنّ القوّة الخيالية جوهر مجرد عن هذا البدن العنصري الحسّي، فهي عند تلاشي هذا البدن باقية غير دائرة، لكن لها التشكّل و التمثّل بلا مادّة، وهي متوسّطة بين المفارقات العقلية و الطبيعيات المادّية.

الأصل الخامس: أنّ المقادير و الأشكال و الصور كما يمكن أن يصدر من الفاعل بمشاركة المادّة في العالم الطبيعي، كذلك يصدر منه بلا مادّة، فالنفس تقدر بالقوّة الخيالية إيجاد الصور في الأشكال و المقادير من دون مادّة في عالم الآخرة. هذا.

أقول: حاصل مرامه من تأسيس هذه الأصول الخمسة أنّ المادّة لا مدخلية لها في تحقّق الشيء و تشخّصه، بل ما به التحقّق و التشخّص هو الصورة فقط، بناءً عليّ الأصلين الأوّلين، و أنّ المادّة لا بقاء لها في آنٍ من الآتات، بناءً عليّ الحركة الجوهرية، فهي دائرة زائلة، و ما له البقاء هي الصورة، و أنّ القوّة الخيالية هي جوهره مجردة عن أماره.

فإذا مات الإنسان، فمادّته قد فنت و انعدمت، و إعادتها محال، بل تبقى النفس، و هي توجد بالقوّة الخيالية المجرّدة في عالم الآخرة الصور و الأشكال و المقادير من دون مادّة من الحور و القصور و الأطعمة و الألبسة و سائر اللذائذ، كما في نفوس السعداء و الحيّات و العقارب و النار و الحميم و الزقوم و سائر الآلام، كما في نفوس الأشقياء، فعالم الآخرة كلّها مثال و صور بلا مادّة، و هي أقوى و أشدّ من الصور الطبيعية المادّية، و قد حمل جميع الآيات و الأخبار الواردة في المعاد عليّ ذلك.

هذا ملخّص مرامه، و لا يسع هذه الوجيزة لبسط الكلام في كلّ من أصوله نقضاً و إبراماً.

ولكن نقول في جوابه ملخصاً أولاً: أنّ هذا الكلام يوجب إنكار المعاد الجسماني رأساً، و تكذيب القرآن و النبي (صلي الله عليه وآله و سلم) و الأئمة (عليهم السلام)؛ لأنّ الآيات الواردة في المعاد و الأخبار المأثورة غير قابلة للحمل المذكور.

فكيف يمكن حمل قوله تعالى: {وَ أَنْ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (1)، و قوله تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً} (2)، و قوله تعالى: {إِذَا بُعِثَرُ مَا فِي الْقُبُورِ} (3)، و قوله تعالى: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} (4)، و قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} (5)، و قوله تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ} (6)، و قوله تعالى: {وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} (7)، و قوله تعالى: {وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ} (8).

إلي غير ذلك من الآيات و الأخبار كما تقدّم ذكرها؛ لأنّ النفوس و القوّة الخيالية و الصور و الأشكال الصادرة منها ليست في القبور و الأجداث و المراقد، و لم تكن ثقل الأرض، بل فيها ليس إلّا تلك الموادّ العنصرية الطبيعية، و كذلك الأخبار المتقدمة، و لا نحتاج إلي الإعادة.

و ثانياً: قد ثبت في محله أنّ الحركة في نفسها من العوارض العارضة

ص: 404

- 1- سورة الحج: 7.
- 2- سورة المعارج: 43.
- 3- سورة العاديات: 9.
- 4- سورة يس: 52.
- 5- سورة يس: 51.
- 6- سورة الانفطار: 4.
- 7- سورة الزلزلة: 2.
- 8- سورة الانشقاق: 4.

للمتحرك، ولذا يحتاج إلي محرّك، و ما فيه الحركة و ما منه الحركة و ما إليه الحركة، و كلّما بالعرض يزول فيصير ساكناً.

فأيّ مانع أن نقول: إنّ الحركة الجوهرية في هذه النشأة. و أمّا النشأة الآخرة، فالجواهر كلّها ساكنة باقية غير داثرة من موادّها و صورها و مجرّداتها، وليست إبقائها خارجة عن قدرة الحكيم، و الموادّ الترابية في القبور غير منعدمة حتّي يستحيل إعادتها.

و ثالثها: أنّ غاية ما ذكر إثبات كون الصور بلا مادّة في عالم الآخرة، لكن لا تنفي الصور المقترنة بالموادّ بعد إخبار الصادق المصدّق، فلا مجال لإنكاره.

ورابعاً: أنّ تلك الأصول الخمسة إن لم يكن كلّها باطلة لم يكن كلّها صحيحة سيّما الأخيرين؛ لمنع كون القوّة الخيالية جوهرية مجرّدة، و منع كون النفس قادرة علي إيجاد الصور و الأشكال في عالم العين، و لم يقدّم دليل علي ذلك، و التفصيل في الحكمة.

و خامساً: أنّه قد حقّق في محلّه كما تقدّم في باب الصفات أنّ الخالق لجميع الأشياء من المجرّدات و المادّيات من الجواهر و الأعراض هو الباري تعالي بلا واسطة، و أنّ الأصل المذكور في كلمات الحكماء من أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد إنّما هو في العلل و المعلولات الموجبة، أمّا في الفاعل بالاختيار الصادر منه الفعل عن حكمة و مصلحة فلا؛ لأنّ من تمامية العلة ترتّب المصلحة، و من الواضح اختلاف المصالح، و الكلام فيه أبسط من ذلك ما تقدّم في محلّه، (1) فإذا لا مجال لهذا القول، و لا وجه له أصلاً، و اللّٰه الهادي.

ص: 405

1- في بحث القدرة في باب الصفات «منه».

وأما ما اختاره الشيخية من القول بالبدن الهورقليائي، فحاصل مراده أنّ للإنسان في هذا العالم في هذا البدن المادّي والعنصري بدن آخر مثالي خالٍ عن الموادّ العنصرية المسمّية بالبدن الهورقليائي، وهو لا يموت ولا يعدم، ويبقى في القبر بنحو الاستدارة، وهو شبيه لهذا البدن العنصري، ويوم القيامة يتعلّق الروح بهذا البدن الهورقليائي ويخرج من القبر، ويقال: هو هو.

بل يمكن أن يترك هذا البدن العنصري في هذه النشأة أيضاً، كما وقع للنبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ليلة المعراج، حيث إنّه (صلي الله عليه وآله وسلم) لمّا عرج من الأرض ألقى المادّة الترابية، ومن كرة الماء المادّة المائية، ومن الهواء الهوائية، ومن النار النارية، وعرج إلي السماء بالبدن الهورقليائي.

والطينة المأخوذة في الأخبار من هذا البدن الهورقليائي، وأنّ جابرسا و جابلقا شهران عظيمان من عالم الهورقليائي المأخوذة منهما الطينة الأصلية، وأنّ هذا البدن العنصري بمنزلة اللباس والأوساخ، فبعد الموت يلحق كلّ عنصر إلي كرتة، فترابه إلي الأرض، وماؤه إلي الماء وهكذا، ولا يحتاج البدن الأصلي الهورقليائي إلي هذا اللباس، وهذه الأوساخ بعد إلقائها، وينادي بجميع ما ذكر كلامه في شرح العرشية، ولا يهتمنا نقله من أرادها راجعها. ثمّ إنّه تمسّك لمرامه ببعض الآيات والأخبار التي لا دلالة له فيها أصلاً، بل يكون علي خلاف مطلوبها أدلّ.

أمّا الآيات، فقولته تعالي: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ } (1)، بدعوي أنّ

ص: 406

التراب هو التراب الذي أخذه الملائكة من عالم آخر، وهو عالم الهورقليائي.

وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} (1)، بحمل الخزائن علي عالم الهورقليائي.

وقوله تعالى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} (2)، بدعوي أن البدء من عالم الهورقليائي، فالعود أيضاً إليه، وأنت خير بأن هذه الدعاوي تخرّص بالغيب و تفسير بالرأي، ولا شاهد لها أصلاً.

وأما الأخبار، فمنها: الأخبار المروية في أن لله تعالى مدينتين فوق العرش، أحدهما طرف المشرق، والآخر طرف المغرب، لا يعلمون خلقة الشمس والقمر والنجوم المسمّيات بجابرقا وجابرسا، ولكلّ مدينة سبعون ألف باب، بين الباب إلي الباب فرسخ، وعلي كلّ باب خمسون ألف شاكي السلاح ينتظرون قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف). (3)

ولا يخفي أن تلك الأخبار مختلفة المضامين، بحيث لا يمكن الجمع بينها، مثل الرواية المروية عن الحسن (عليه السلام)، والرواية المروية عن بصائر الدرجات عن الصادق (عليه السلام)، والمروية عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، مع أنّها ضعيفة السند لا يمكن التمسك بها في باب العقائد؛ لأنّها تحتاج إلي دليل قطعي من جميع الجهات، ومع ذلك كلّ لا ينطبق مع شيء من مقالته بل يضادّه و يباينها، و لعمرى أنّ هذه الكلمات ليست إلاّ لإضلال الناس، وإعراض العوام عن

ص: 407

1- سورة الحجر: 21.

2- سورة الأعراف: 29.

3- بحار الأنوار، ج 27، ص 43، ح 3 و ج 54، ص 333؛ بصائر الدرجات، ج 1، ص 492، ح 4.

العلماء الحقّة، عصمنا الله بمحمّد وآله (عليهم السلام) .

ومنها: الأخبار الواردة في الطينة، كخبر عمّار الساباطي.

ولا يخفي أنّ هذه الرواية مع ضعف سندها من المتشابهات التي لا يمكن الاستناد إليها إلاّ من كان في قلبه زيغ، فقد فسّر بعض الطينة بالنفس الناطقة، وبعض بالتراب الذي يدخل في النطفة، وبعض بالعنصر الغالب، وبعض بطينة السعادة والشقاوة، إلي غير ذلك، ولم يقل أحد بالبدن الهورقليائي، ولا دلالة في شيء منها عليه.

ومنها: الخبر الذي روي عنه وليس في شيء من الكتب، ولم يستند هو أيضاً بكتاب، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خلقة النفس النباتية والحيوانية والناطقة اللاهوتية، وهو مع إرساله لا دلالة له علي مدّعا، فلا نطيل في نقلها للظنّ بأنّه من مفترياته.

وأما القول المنسوب إلي بعض الفلاسفة الأقدمين من إنكار المعاد الجسماني، فهو مبني علي أصلهم الفاسد من أنّ البدن بعد خرابه لا يعيد؛ لاستحالة إعادة المعدوم، وقد تقدّم الكلام فيه، وأنّه خلاف ضرورة الاسلام ونصوص القرآن و متواترات الأخبار، بل و ضرورة جميع الأديان، وقد تقدّم ما لبراهين القاطعة من العقلية والنقلية، فراجع.

وأما القول الخامس المنسوب إلي جماعة من المتكلّمين وكثير من الأخباريين من إنكار المعاد الروحاني، فهو مبني علي إنكارهم الروح المجرّد، وأنّ المجرّد مختصّ بذات الله تعالي، و تخيلهم أنّ القول بالتجرّد في الممكنات

يوجب الشرك، وقد تقدّم في أول هذا الكتاب البراهين المثبتة لتجرّد الروح. (1)

إذا عرفت هذه الأمور الستّة، فيقع الكلام في مقامات و خاتمة:

المقام الأول: في حقيقة الموت و أسبابه و أنحائه

إشارة

قد اختلفوا في أنّ الموت أمر وجودي مضاف مع الحياة، فهما ضدّان، أو أمر عدمي عبارة عن عدم الحياة، فهما نقيضان، و النسبة بينهما الإيجاب و السلب، أو عبارة عن عدم الملكة، أي: عدم الحياة عمّن من شأنه الحياة، كالعمي و البصر.

و الذي يخطر بالبال و إن لم أجد من صرّح به التفصيل؛ لأنّ الحياة الحيواني هي من بخار الدم و حرارته، إذا انعدم يتحقّق الموت كما في الحيوانات، فالموت عدم تلك الحياة، و النسبة عدم و الملكة؛ لأنّ ما لا يقبل الحياة لا يصدق الموت في حقّه، و كذلك بالنسبة إلى الحياة النباتي إذا فني قوة الانباتمنه يقال: مات الشجر.

و أمّا الحياة الإنساني، فعبارة عن النفس الناطقة القدسية الإلهية الملكوتية، فهي غير منعدمة، و غير فانية، بل ينتقل من هذه النشأة إلى نشأة أخرى، فالموت عبارة عن ذلك الانتقال، فهو أمر وجودي مضاف مع الحياة و مقابل له، و هذا هو الذي يجب الاعتقاد به في قوله: «أشهد أنّ المموت حقّ»، و لعلّ المراد

ص: 409

1- أقول: الأدلّة التي أقيمت علي تجرّد الروح كلّها مدخولة و محجوجة بالأدلّة القطعيّة التي تدلّ علي خلافها. و الإلتزام بالمعاد الجسماني و الروحاني لا يتوقّف علي تجرّد الروح بل ثابت بالأدلّة الشرعيّة القطعيّة. (عا)

في قوله تعالى: { خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ } (1) ذلك.

و من هنا يطلق علي ملك الموت أنه قابض الأرواح، و القبض أمر وجودي، و بذلك يطلق عليه التوفّي في قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} (2)، لأنّ التوفّي عبارة عن الأخذ بالقوّة، و كذا قوله: {تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} (3)، و بهذا تقدر علي الجمع بين الأقوال و الأدلّة، و لا نطيل بذكرها.

نعم ما ذكره صدر المتألّهين من أنّ الموت بمقتضي الحركة الجوهرية تكميل النفس، فهو إنما يمكن القول به في نفوس السعداء، و لا ينافي ما ذكرناه، و أمّا الأشقياء فلا، كما لا يخفي.

أسباب الموت

و أمّا أسباب الموت، فهي مختلفة، و له أسباب ظاهرية، و أسباب باطنية.

أمّا الظاهرية، فهي وقوع خلل في مكينة البدن: إمّا بالطبع، و إمّا بالتصادم، كالمكينة المصنوعة، فإن كان بالطبع يسمّي بالموت الطبيعي، و إن كان بالتصادم يسمّي بالموت الاخرامي، و قد يورث هذه الخلل حدوث مرض، و قد لا يوجب كالموت البغتي، و قد يمكن رفع تلك الخلل و إزالتها، و قد لا يقبل ذلك، و قد يورث تلك الخلل فساد عضو، و قد يورث فساد البدن كلّ فيموت.

و أمّا الباطنية، فهو بلوغ الأجل و انقضاء المدّة و تمامية الكتاب.

ص: 410

1- _ سورة الملك: 2.

2- _ سورة الزمر: 42.

3- _ سورة محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم): 27.

و الأجل أيضاً قسماً: حتمي، ومعلق.

أما الحتمي، فهو الذي في اللوح المحفوظ طبقاً للحكمة: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}. (1)

وأما المعلق أي المشروط بأمر ظاهري أو باطني، أما الظاهري كالقتل والسم والهدم والغرق والحرق والسقوط ونحوها، بحيث لولا هذه الأمور لما وقع الموت.

والباطنية كقطع الرحم، والظلم، وسائر المعاصي التي تورث قصر العمر.

وكل من تلك الأمور قابلة للتغيير والتمديد ودفع البليات بالدعاء والصدقة والتوسلات والإحسانات وسائر العبادات، وهو في لوح المحو والاثبات، {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ}. (2)

ولا يتوهم أن ذلك يورث التغيير في علم الباري؛ لأن ذلك من البداء الذي في الحقيقة تغيير في المصالح والحكم، وهو تعالي عالم بجميع ذلك، فهو في الحقيقة إظهار بعد الخفاء، كالنسخ في التشريعات.

كيفية الموت

وأما كيفية الموت، فقد ورد في الآيات والأخبار الفرق بين المؤمن والكافر والمنافق والفاسق، بل يختلف باختلاف مراتب الإيمان والإطاعة والكفر والمعصية، أعادنا الله من سكرات الموت وما بعده، اللهم اجعله لنا أول راحتنا

ص: 411

1- سورة الأعراف: 34.

2- سورة الرعد: 39.

بمحمّد وآله صلّ عليّ محمّد وآله.

قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (1)، وقد ورد في أخبار كثيرة تفسير «في الآخرة» بعند الموت.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (2).

ثم إنّ المستفاد من مجموع الأخبار كون الموت عليّ الناس عليّ أقسام أربعة:

المؤمن المتّقي كأطيب ريح يشمّه، فينعش لطيبه، فينقطع التعب والألم كلّه عنه، ويرى رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) و أمير المؤمنين (عليه السلام) يبشّره بنعيم الأبد، والملائكة تبشّره بالجنة، ويرى مكانه في الجنة، ويرى ملك الموت بأحسن صورة، بل يرى جميع الأنوار المقدّسة.

والكافر الفاجر كلسع الأفاعي، ولذع العقارب، وأشدّ من النسر بالمناشير، والقرض بالمقاريض، وتدوير قطب الأرحية في الأحداق. وأمّا المؤمن الفاسق، فإن لم تدركه المغفرة والشفاعة تشدّ عليه سكرات الموت عقوبةً لمعاصيه باختلاف مراتب المعصية ليخفف عذابه في القيامة أو يتدارك.

وأمّا الكافر المحسن، فيسهّل عليه الموت جزاءً لحسناته لأن لا يبقى له أجر في الآخرة، قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

ص: 412

1- سورة يونس: 63 _ 64.

2- سورة فصلت: 30.

بِاسْطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ اللَّهُ غَيْرِ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {1}، أعاذنا الله و
إياكم من سكراته بمحمد وآله (عليهم السلام) .

المقام الثاني: في ذكر ملك الموت وأعوانه و كيفية قبضه الأرواح

إشارة

وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالموت. وهنا أمور:

الأول: أنه قد اختلفت الكلمات في حقيقة الملائكة، فذهب جماعة من الحكماء أنهم عقول مجردة عن المادة و الصورة من العقول الطولية و العرضية و الكلية و الجزئية، الصادرة عن الواجب تعالي بالترتيب المذكور في كلماتهم.

وذهب جماعة منهم بأنهم أرباب الأنواع و المثل الأفلاطونية، لهم صور عارية عن المواد، خالية عن القوة و الاستعداد، المدبرة لعالم الخلق.

وذهب جماعة بأنهم عبارة عن القوي، كالقوة القاضية و النامية و نحوها. (2)

أقول: نحن لا نتاحشا عن وجود العقول المجردة و المثل الأفلاطونية، لكننا لما ذكرناه من أصلهم الذي أسسوا عليه من أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، وقد ذكرنا في بحث القدرة أن هذه القاعدة و إن كانت تامة مبرهنة إلا

ص: 413

1- سورة الأنعام: 93.

2- أقول: هذه الأقوال التي ذكرها أشبه بأضغاث الأحلام و إنكار لما ثبت في الدين ضرورة من النصوص المتواترة القطعية في الملائكة و كيفية شئونها و ... فلاحظ بحار الأنوار حيث جمع العلامة المجلسي (رحمة الله) الأخبار الواردة فيها في مجلد، فمن راجعها لا يبقى له شك في جسمانيتها و عدم تجردها كما إترف به المصنف في المتن و إن رجع عنه في التعليقة في هذا الموضوع حيث قال: «الآيات و الأخبار يمكن انطباقها علي الصورة بلا مادة، فليست صريحة في الجسمية»، و لكنّه مخالف لصراحة الأخبار الكثيرة التي من راجع إليها لا يبقى له ريب فيما ذكرناه. (عا)

أنّها في العلة التامة الموجبة، لا في حقّ الفاعل الحكيم القادر المختار الصادر عنه الفعل عن حكمة و مصلحة.

و من شرائط الفعل وجود المصلحة و المصالح، و الحكم مختلفة، بل ربما لا تكون المصلحة فيه في وقت دون وقت، أو حال دون حال، و هذا الاختلاف كافٍ في صدور الكثرات عن الواحد من جميع الجهات، بل من جهة البراهين الذي ذكرناه في أول الكتاب في المعاد لإثبات وجود المجرد، و من جهة قاعدة إمكان الأشرف و الأخس، لكن انطباق هذه المجردات علي الملائكة غير صحيح.

بل مقتضي (1) الظواهر القرآنية أنّ الملائكة أجسام، كقوله تعالى: {أُولِي أجنحةٍ مثنى وَ ثلاثٍ وَ رباعٍ} (2)، و قوله تعالى: {يَقُومُ الرُّوحُ وَ الملائكةُ صفاً} (3)، و قوله تعالى: {تَنزَّلُ الملائكةُ وَ الرُّوحُ} (4) إلي غير ذلك من الآيات.

بل الأخبار متواترة ناصّة في كيفية عباداتهم و نزولهم و صعودهم و نحوها، غاية الأمر ليسوا من تلك العناصر المركّبة، بل أجسام لطيفة ألطف من الهواء و من الجنّ، و ليس خارجاً عن قدرة الخالق إيجادهم، فهم أجساد نورية متشكّلة بأشكال مختلفة، و لهم مراتب متعدّدة من الأمرة و المأمورة، و الرئيسة و المراسية، كلّ مأمور بأمر، فملك الموت من أحد الملائكة الكرام المقربين، وله أعوان من ملائكة الرحمة و الغضب.

ص: 414

1- أقول: الآيات و الأخبار يمكن انطباقها علي الصورة بلا مادة، فليست صريحة في الجسمية «منه» غفر له.

2- سورة فاطر: 1.

3- سورة النبأ: 38.

4- سورة القدر: 4.

الأمر الثاني: قد يترائي التنافي بين قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} (1)، يشمل الجمع محلي باللام جميع النفوس، وقوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} (2)، وقوله تعالى: {تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} (3)، وقوله تعالى: {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} (4).

أقول: التحقيق الحقيقي أنّ الإمامة كالإحياء، وهما مثل الخلقة والرزق من الصفات الفعلية الخاصة بالله تعالى، وقد تقدّم أنّ التوفي غير الإمامة، بل هو الأخذ بالقوة، ومن الواضح أنّ أخذ الرسول أخذ المرسل حقيقةً، وأخذ المأمور أخذ الأمر، والواسطة أخذ ذوي الواسطة.

ولا نضايق عن أنّ الله تبارك وتعالى يأخذ بعض النفوس الكاملة بلا واسطة ملك الموت، وملك الموت يأخذ بعضها بلا واسطة الأعوان، والأعوان يأخذون بعضها، وإن كان أخذهم أخذ ملك الموت، وأخذه أخذ الله، كما أنّه تعالى يقدر علي الخلق والرزق بدون الأسباب ومع الأسباب.

الأمر الثالث: أنّ هنا إشكالات يجب دفعها:

أحدها: أنّ ملك الموت كما قلت جسم وشخص معيّن، فكيف يأخذ في آن واحد النفوس المتعدّدة الكثيرة في أقطاع الأرض؟

ثانيها: أنّ الروح قد تقدّم أنّه جوهر مجرّد لا محلّ له، فكيف يأخذه ويصير

ص: 415

1- سورة الزمر: 42.

2- سورة السجدة: 11.

3- سورة محمّد (صلي الله عليه وآله وسلم): 27.

4- سورة الأنعام: 61.

ثالثها: كيف يكون هذا القبض علي بعض سهلاً وراحةً، وعلي بعض صعباً وعذاباً؟

والجواب: أمّا عن الأوّل، فإنّه لا مانع من أن يكون لملك الموت قدرة وإحاطة علي جميع النفوس، كإحاطة النفس علي جميع أعضاء البدن، بحيث يقدر علي قبضها جميعاً في آن واحد، وإعطاء هذه القدرة من الله تعالى إليه بمكان من الإمكان، و حضوره لدي المحتضر بمعني رؤيته إيّاه، كما يري رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) و سائر الأئمّة (عليهم السلام)، و مكانه في الجنّة أو النار، و ملائكة الرحمة و العذاب، و سائر ما يري عن المعاينة.

و أمّا عن الثاني، فلأن أخذ الروح بمعني قطع علاقة الروح عن البدن المتحرّير فيه جميع العقلاء في كيفية العلاقة، و قد ذكرنا شرطاً من الكلام في ذلك في تفسيرنا (1) فراجع.

و بالجملة إعطاء العلاقة بمعني إعطاء القدرة للنفس علي التصرّف في البدن، و مقهورية البدن تحت مشيتها وإرادتها، و قطع العلاقة سلب تلك القدرة عنها، و خروج البدن عن تصرّفها، و لا مناص عن تعلقّ الروح بعد قطع علاقته عن البدن إلي القالب المثالي كما يأتي بيانه، فيكون متنعماً و معذباً إلي يوم يبعثون.

و أمّا عن الثالث، فإنّ الإنسان عند الاحتضار ربما يصعب عليه قطع علاقته عن هذه الدنيا الفانية من جهة معاينة العذاب و ما أعدّ له في جهنّم، و من

ص: 416

1- و هو تفسير أطيب البيان في تفسير القرآن، و هو تفسير كامل باللغة الفارسية.

جهة توغّله في العلائق الدنيوية من المال والمنصب والأهل والأولاد، ومن جهة بروز أخلاقه الفاسدة والملكات الخبيثة والأعمال السيئة، ومن جهة الحسرة والندامة والتأسّف علي ما فات منه وغير ذلك، فيشتدّ عليه سكرات الموت، بل من أوّل المعاينة يورد عليه العذاب ويأتيه الملائكة يخبرونه بغضب العزيز الجبار ونحوها.

وربما يسهل عليه قطع تلك العلاقة علي عكس ذلك من جهة معاينة ما أعدّ له من الثواب الجزيل، ويرى مكانه في الجنّة، ويسرّه الملائكة بالرضوان، وظهور ملكاته الفاضلة، وأخلاقه الحميدة، وأعماله الحسنة، وتشرفه بخدمة الأولياء من الأنبياء والأئمة وصلحاء المؤمنين، و يصير الدنيا عنده بتمام ما فيها كالمزبلة ويحبّ لقاء الله تعالى، رزقنا الله وإياكم بجاه محمّد وآله (عليهم السلام).

الأمر الرابع: أنّه قد ورد في الأخبار الكثيرة أنّ المحتضر يرى رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين وسائر أئمة الدين (عليهم السلام)، والأخبار في خصوص أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرة جداً، المذكورة في البحار (1) ومعالم الزلّفي وغيرهما، بل فيها أنّ المؤمن يراه حيث يحبّ، والكافر حيث يكره.

وقد استشكل في أنّ الخلق الكثير إذا ماتوا في ساعة واحدة كيف يمكن رؤية جميعهم شخصاً واحداً؟ وكيف يحضر عندهم؟

وقد أُجيب تارة بأنّ حضورهم (عليهم السلام) عند المحتضر بالأجساد المثالية، وأخري بارتسام صورهم في الحسّ المشترك.

أقول: تحقيق الكلام في المقام أنّهم (عليهم السلام) بوجودهم السعي محيطون

ص: 417

بجميع العوالم الإمكانية في كل حين وزمان، وقد استفدنا ذلك من الآيات القرآنية والأخبار المتفرقة في الموارد المختلفة المتواترة المضمون، قال تعالى: {قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (1)، وقال تعالى: {وَ جِئْنَا بِكَ عَلِي هَوْلَاءِ شَهِيداً} (2).

وتقول في صلواتك كل يوم و ليلة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، بنحو التخاطب، و الزيارات المأثورة من الجوامع و غيرها من الزيارات البعيدة و القريبة بنحو التخاطب الذي من شرطه الحضور، و الأوامر الواردة في التوجه إليهم (عليهم السلام)، و التوسل بهم في مهام الأمور.

و هذا لا يختص بزمان حياتهم، بل يعم زمان رحلتهم، بل قبل و ردوهم في هذا العالم كانوا مكملين، كما ورد في الجامعة: «خَلَقَكُمْ اللَّهُ نُورًا، فَجَعَلَكُمْ بَعْرَ شِهِ مُحَدِّقِينَ، حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.» (3) الزيارة، إلي غير ذلك من الأخبار و الآثار.

فإذا معني حضورهم عند المحتضر ليس مجيئهم عنده، بل رفع الحجاب عن عينيه، و إلا فهم حاضرون في كل مكان في جميع الدهور و الأزمان، كما يري الملائكة و غيرهم عند احتضاره. و ممّا يشهد علي ذلك لسان الأخبار في التعبير بالرؤية و المعرفة و الوجدان، كما في حديث الحارث الهمداني من قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَبشُرْكَ يَا حَارِثُ»

ص: 418

1- سورة التوبة: 105.

2- سورة النساء: 41.

3- فقرات من زيارة الجامعة الكبيرة.

ليعرفني والذي خلق الجنة وبرأ النسمة وليبي وعدوي في مواطن شتي عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة، يعني مقاسمة النار، و القصيدة الحميري:

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ

يَرْبِي

مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ

قُبْلَا (1)

و عن صحيفة الرضا (عليه السلام): عن أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ أَحَبَّنِي وَجَدَنِي عِنْدَ مَمَاتِهِ بِحَيْثُ يُحِبُّ، وَ مَنْ أَبْغَضَنِي وَجَدَنِي عِنْدَ مَمَاتِهِ بِحَيْثُ يَكْرَهُ. (2)

و في حديث الأعرور: «حَتَّى يَرَانِي» (3)، و في حديثه الآخر: «لَتَرَانِي فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ» (4) إلي غير ذلك من الأخبار.

و بهذا البيان تقدر علي دفع الاشكال في الموارد الأخر، كحضور علي (عليه السلام) في أربعين مكان في ليلة واحدة، لو فرض كون الخبر صحيحاً.

و كذا الخبر المروي عن كون الحسين (عليه السلام) علي العرش عند جدّه و أبيه و أمّه و أخيه (عليهم السلام)، و ينظر إلي زوّاره و مجالس عزائه و يدعو الله لهم، و يسأل جدّه و أبيه و أخيه و أمّه (عليهم السلام) أن يدعو لهم. (5) فَإِنَّ الْمَرَادَ عَلِي الظاهر منالعرش عرش

ص: 419

1- _ بحار الأنوار، ج6، ص180.

2- _ بحار الأنوار، ج6، ص188، ح25؛ صحيفه الإمام الرضا (عليه السلام)، ص86، ح202.

3- _ بحار الأنوار، ج6، ص192، ح40.

4- _ بحار الأنوار، ج6، ص195، ح46.

5- _ بحار الأنوار، ج44، ص281، ح13.

الإحاطة، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} (1).

ولا يخفي أنّ هذه المرتبة في الممكنات من خصائص هؤلاء دون سائر الأنبياء والأولياء والملائكة، وإن كان بينهم (2) مراتب من الاختلاف في التوسعة والضيق، ولذا تقول بنحو الغيبة في زيارتهم: السَّلَامُ عَلَيَّ أَدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، إِلَيَّ قَوْلِكَ: وَعَلَيَّ عَيْسَى رُوحَ اللَّهِ، إِلَيَّ أَنْ تَقُولَ فِي زِيَارَةِ نَبِينَا (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِنَحْوِ التَّخَاطُبِ. نَعَمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ تَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِنَحْوِ التَّخَاطُبِ، فَافْهَمُوا وَاعْتَمِدُوا.

حضور إبليس عند المحتضر

الأمر الخامس: في حضور إبليس عند المحتضر، وهذه المسألة من العويصات.

و توضيح الكلام فيه: أنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم، كما ورد في الخبر، (3) وهو اسم جنس يقع علي طائفة من الجنّ وكبيرهم إبليس، وهو المتبوع وهم تابعوه، ويطلق عليهم الشياطين والأبالسة وفسقة الجنّ.

و الكلام في ذلك طويل الذيل، قد ذكرنا شرطاً صالحاً منه في تفسيرنا عند قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ} (4) الآية من جهات:

الأولي: في وجود الجنّ واختلاف بعض الحكماء فيه و دفع شبهاتهم.

ص: 420

1- سورة الأعراف: 54 وغيرها.

2- أي: سائر الأنبياء والأولياء «منه».

3- بحار الأنوار، ج6، ص18، ح2.

4- سورة البقرة: 14.

و الثانية: في حقيقتهم.

و الثالثة: في كونهم مكلفين مثابين أم معاقبين.

و الرابعة: في بعث نبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) عليهم، و تشرّفهم عنده و عند الأئمة.

إلي غير ذلك من أرادها راجعها.

و الذي يهتّمنا في المقام أنّ مقتضى الآيات الشريفة و الأخبار الكثيرة أنّ الشياطين كان تسلّطهم علي ابن آدم ليس إلّا إلقاء الوسوسة و الشبهات في قلب ابن آدم، نظير الملك حيث يلهم ابن آدم، و الفرق بين الوسوسة و الإلهام من جهات ثلاث ذكرناها هناك، و ليس لهم تسلّط آخر، كما ينادي بذلك قوله تعالي حكاية عنه: {و ما كان لي عليكم من سلطانٍ إلّا أنّ دعوتكم فاستجبتم لي}، (1) و منشأ إغواء الشيطان الصفات الخبيثة، و الأعمال السيئة.

و لعلّ حضوره عند المحتضر أنّ المحتضر لما كان قواه في غاية الضعف، فيمثل الشيطان عنده بمثال يحبه و يميل إليه و يطمئنّ به، فيلقي إليه بعض الشبهات في بعض العقائد التي يكون المحتضر فيها ضعيف العقيدة، فيزيل ذلك الاعتقاد، أو يصير متزلزلاً فيه، و لعلّ حضوره عنده نظير حضوره في حال الصحة من إلقاء الشبهة في القلب و الوسوسة فيه، كما هو ليس ببعيد.

و لا مناص إلّا من تقوية الإيمان بالبراهين القطعية، و الأعمال الصالحة، و الأخلاق الحسنة، و سدّ أبواب الشيطان من الرذائل و المعاصي، و التعوذ بالله تعالي منه، و إيداع الإيمان عنده تعالي أمانةً، و التوسّل إلي المعصومين لدفعه عنه.

ص: 421

و ينبغي لمن حول المحتضر أن يذكره بالعقائد، وإلقاء الشهادات، والإقرار بالأئمة (عليهم السلام)، و تلقينه كلمات الفرج، و التوبة من الذنوب، و حسن الظنّ باللّه، و قراءة القرآن، و دعاء العديلة، و الذكر عنده، حتّى يعصمه اللّه تعالى منه، عصمنا اللّه و إيّاكم عن شروره بحقّ محمّد و آله (عليهم السلام).

حضور الأعمال و الأموال و الأولاد عند المحتضر

الأمر السادس: فيما ورد من حضور الأعمال و الأموال و الأولاد عند المحتضر، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه مثلّ له ماله و ولده و عمله، فيقول للمال: مالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، و يقول لولده: مالي عندكم؟ فيقولون: نردّك إليّ حفرتك، و لعمله: فمالي عندك؟ يقول: أنا قرينك. (1) الخبر.

أقول: لعلّ الظاهر أن تمثّل هذه الثلاثة تذكرة و تخيلة في الحسّ المشترك، فيراها في نظره كحالة النوم و الغشوة، بل حالة الموت أشدّ بمراتب من النوم و السكر و الغشوة، فيتكلّم معها و يجاب عنها، و اللّه العالم.

المقام الثالث: في الهول المظّل

إشارة

و ما ورد عليّ الميت بعد الموت في حمله عليّ السرير و تغسيله و سلبه و تكفينه، و الصلاة عليه، و إدخاله في قبره، و دخول الملائكة عليه، كفنان القبور و رومان، النكير و المنكر، و ثواب القبر و عذابه، إليّ غير ذلك، و الأخبار الواردة في ذلك فوق حدّ التواتر من حيث المجموع، و قد نقلها أئمة الحديث في كتبهم، كالمجلسي (قدس سره) في بحاره، و البحراني في معالم الزلفي و غيرهما، و في كفاية الموحّدين نقل شرطاً صالحاً منها في مقامات و فصول، و نحن

ص: 422

1- بحار الأنوار، ج6، ص225، ح26؛ تفسير القمي، ج1، ص370؛ الكافي، ج3، ص231، ح1.

نتكلّم في بعض الأمور المتعلقة بذلك إن شاء الله تعالى:

الأمر الأوّل: أنّ الروح الإنساني الذي تقدّم أنّه المجرد ولا فناء له ولا ينعدم بالموت، إذا مات الإنسان ينقطع عنه العلاقة الكائنة بينه وبين البدن بقطع تصرّفه وتدييره؛ لا أنّه ينقطع علاقته بالكليّة بحيث لا يدرك ولا يفهم ما ورد علي البدن من الآلام واللذائذ والمثوبات والعقوبات.

غاية الأمر لا بهذه الحواسّ الظاهرة التي من شؤون الحياة الحيوانية، فيتكلّم مع أهله وأولاده وحامله وغاسليه، ومع الملائكة والنكيرين وغيرهم، لا بحركة هذا اللسان المادّي العنصري، ويصير جميع ما يرد عليه لا بهذا العين، ويسمع لا بهذا السمع، ويحسّ لا بهذا البدن وهكذا؛ لزوال تلك الحياة عنه.

بل يمكن أن يقال: إنّه يبصر ويسمع ويدرك أقوى وأشدّ ممّا في هذه النشأة؛ لعدم احتياجه إلي الأدلّة والواسطة، فلا وجه لإنكار شيء من تلك الأخبار، ولا محال له، ولا يحتاج إلي تأويل وصرف عن ظواهرها، وليس في شيء من تلك الأخبار علي كثرتها واختلاف مضامينها دلالة علي تكلمه بهذا اللسان، وإبصاره بهذا البصر، واستماعه بهذا السمع، وإن تخيّل جماعة من المتكلّمين؛ لعدم تفرقتهم بين الروح الحيواني والنفس الملكوتية القدسية الإلهية، ويندفع بذلك جميع الشبهات الواردة من بعض الملحدين في تلك الأخبار، فتدبر.

الأمر الثاني: أنّ الأخبار الواردة في أنّ الروح يرجع إلي البدن في القبر للسؤال والجواب، الظاهر كون المراد منها رجوع هذا الروح الملكوتي لا الروح الحيواني، وليس فيها دلالة علي رجوع الحيواني إليه، فلا مانع من حضور إنسان عند جسد الميت في قبره، وهو في مقام السؤال والجواب مع الملكين، وورود الملائكة عليه، ودخول النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمّة (عليهم السلام) عند رأسه وتعذيبه أو

تنعيمه، ولا يشاهد هذا الإنسان شيئاً من ذلك، ولا يتحرك جسده أصلاً، ولا يده ورجله ولسانه.

وما ترى في بعض الأخبار من جلوسه وكتبه بقلم يده ومداد فمه وصفحة كفته جميع ما صدر منه في هذه النشأة، وإقائه في عنقه إلى يوم القيامة، وكذا ما ورد في فشار القبر، (1) إلى غير ذلك، فهو وارد علي باطن هذا البدن لا ظاهره، (2) ويتألم أو يتنعم الروح منه أشد تألم و تنعم.

والعجب من صاحب الكفاية في دعواه تواتر الأخبار في كون هذا البدن العنصري مورداً للسؤال والعذاب، بل دعوي ضرورة الدين. أقول: إن كان المراد هذا البدن بباطنه (3) مع تعلق الروح الإنساني به، فنعم الوفاق وهو حق. وإن كان هذا البدن بظاهره مع الحس والحركة الحيوانية، فلا دليل عليه فضلاً عن التواتر والضرورة.

ص: 424

1- كلمة فارسية بمعنى العصر والتضايق في القبر.

2- أقول: تأويل الأخبار الدالة علي دخول الروح في البدن العنصري الديني وجود ضعطة القبر علي هذا البدن مع عدم إمتناعه، لشبهة موهوم، بعيد عن دأب المتقين والعلماء المتمسكين بالقرآن والعترة. فبالرجوع إلي مجاميع الحديثية يظهر دلالة الأخبار علي خلاف ما ذهب إليه المصنّف (رحمة الله). (عا)

3- توضيح الكلام فيه: أنّ تعلق الروح الإنساني بالبدن له معنيان: الأول: التصرف التدبيري، وهو مقطوع عنه؛ لتوقفه علي الحياة الحيوانية الزائلة بالموت. الثاني: التعلق الإدراكي، بمعنى تألمه بآلامه، والتذاذه بنعمائه، فهو باقٍ علي ما كان يدرك ما يرد عليه، ويسأل ويجاب ويرى ويسمع «منه» غفر له.

تعلّق الروح بعد مفارقة البدن إلي القالب المثالي

الأمر الثالث: أنّ الروح قد تعلّق بعد مفارقة هذا البدن إلي القالب المثالي الذي هو شبيه هذا البدن، لكن الصورة فقط بلا مادّة عنصرية،⁽¹⁾ و الإنسان مادام في هذه النشأة لا يري بهذا العين هذه الصورة.

نعم قد يري نفسه الملكوتية بدون تلك الآلة كما يري في المنام في الرؤيا الصادقة، أو بتصرّف من نبي أو إمام أعجازاً، أو ببعض الرياضات الحقّة مثلاً؛ لأنّه من عالم آخر غير مناسب مع عالم الطبيعة.

وأما إذا تعلّق بهذا القالب المثالي يري من كان مثله، فيري أرواح المؤمنين و الكفّار، و يحشر معهم و يؤنس بهم، و يري ما في هذا العالم الطبيعي، فيري أولاده و عياله و أمواله و دوره و أصدقائه و يتكلّم معهم، لكنّهم لا يسمعون، فهم محشورون مع المؤمنين إن كانوا منهم في وادي السلام، و مع غيرهم إن كانوا غيرهم في برهوت.

و يدخل قبره و يري جسده و يتألّم و يحزن ممّا يرد علي بدنه أو أهله و أولاده و من يحبّه من المكاره، و يفرح ممّا يرد عليهم من المحاسن، و يري زائري قبره.

نعم مراتب نشأة البرزخ مختلفة توسعةً و ضيقاً بمقدار سعة مقامه و إيمانه و أخلاقه و أعماله و صفاته الحسنة أو الخبيثة، فليس كلّ ميّت يري جميع ما يري الآخر.

ص: 425

1- أقول: قد تقدّم سابقاً بطلان هذا الإدّعاء أي الصورة بلا مادّة فلاحظ. (عا)

ما يرد علي الإنسان في عالم البرزخ

الأمر الرابع: أنّ ما يرد علي الإنسان في عالم البرزخ من المثوبات أو العقوبات ما يناسب ذاك العالم من الصور بلا مادّة، فلا مانع من كون قبره روضة من رياض الجنّة، ويوسّع بمقدار مدّ بصره، ويدخل عليه كلّ يوم سبعون ألف ملك مع كلّ تحفة وهدية، ولكنّا إذا نري قبره لا نري إلاّ تلك الحفرة، ويكون قبره مفروشاً بالفرش البرزخية، ومنوراً بالسرج المضيئة، ويدخل معه عمله و خلقه يؤنسه إلي يوم القيامة، فكان عند ربّه مرزوقاً، و يلتذّ بهذه الأمور.

أو كان قبره حفرةً من حفر النيران، و يصير قبره مملوئاً من النار، و يسلّط عليه التّنين و العقارب و الأفاعي، و يضيق عليه و يدخل عليه كلّ يوم ملائكة العذاب معهم سفود و سوط من النار، و يؤلم و يعدّب بسببهم، و لكنّا لا نري قبره إلاّ كقبر المؤمن مثلاً. تنبيه: إنّ ما ذكر مختصّ بعالم البرزخ. و أمّا القيامة، فلما كان البعث مع هذا البدن العنصري، فالمثوبات و العقوبات جسمية مناسبة مع البدن الجسماني؛ لصريح الآيات و نصّ الأخبار كما تقدّم.

حال ضعفاء العقول و المجانين و القاصرين في البرزخ

الأمر الخامس: أنّه لم يثبت من الأخبار أنّ كلّ ميت يكون إمّا متنعماً أو معدّباً، بل يمكن أن يكون بعض ضعفاء العقول و المجانين و القاصرين و من يحذو حذوهم مهملين متروكين إلي يوم الدين، كما في بعض الأخبار إشارة إليه، و صريح كلام بعض الأساطين يدلّ عليه.

الأمر السادس: أنّه لم يثبت أنّ كلّ من صار معدّباً في البرزخ يكون كذلك

إلي يوم القيامة، بل ربما يعذب مقداراً من الزمان، ثم يدركه الشفاعة والمغفرة والرحمة، فيصير متنعمًا.

الأمر السابع: أنّ ما ذكرنا من القالب المثالي و مشوبات عالم البرزخ وعقوباته مباين كمال التباين مع ما ذكره صدر المتألهين من أنّها عالم الخيال، والنفس لها خلاقية، فتتخيّل تلك المشوبات فتلتدّ بها، أو العقوبات فتتألم منها؛ لأنّنا نقول: عالم المثال و البرزخ بجميع ما فيه موجود مخلوق من الله له حقيقة و واقعية برزخ بين العالمين.

السؤال في القبر

الأمر الثامن: أنّ الأخبار الواردة في سؤال القبر، ففي بعضها إشارة إلى أنّ مورد السؤال هو الإيمان، فيسألان عن ربّك، وعن دينك، وعن نبيك، وعن كتابك، وعن إمامك، وعن قبلك، بل عن بعض الفرائض، كما ينادي به الأخبار الواردة في تلقين الموتي.

وقد اختلفت كلمات العلماء في أنّ السؤال يقع عن كلّ أحد، أو لا يسأل عن بعض، كما ورد أنّ من يلقنه لا يسألان عنه، وقد ذكر بعض أنّ الضعفاء والقاصرين أيضاً لا يسألان عنهم.

و أمّا وقت السؤال، فهل هو ليلة الموت، أو ليلة الدفن، أو حين الدفن ولو كان يوماً، العلم عند الله.

ما يجب الاعتقاد به

الأمر التاسع: أنّ ما ورد في تفاصيل هذه الأمور علي أقسام ثلاثة:

ص: 427

قسم منها ما يكون قطعي الصدور، واضحة الدلالة، فيجب الاعتقاد به، ولا يجوز رده وإنكاره.

وقسم منها ما يقوم دليل قطعي من النقل أو العقل علي خلافه، يجب رده أو تأويله، ولا يجوز الاعتقاد به.

وقسم لا يكون كذلك ولا كذلك، بل محتمل الصدق والكذب من حيث السند أو الدلالة أو هما معاً، ولم يتم دليل علي خلافه، فهذا يجب الاعتقاد الاجمالي به.

وأما التفصيل، فمكول علمه إلي الله تعالي ورسوله وأولي الأمر، ولا يجوز رده ولا قبوله، ولم يثبت حجبة الأخبار الآحاد في هذه الأمور مثل حجيتها في الفقه.

الأمر الثابتة بضرورة الدين

الأمر العاشر: أن الأمور الثابتة بضرورة الدين أو المذهب علي قسمين:

قسم يكون له دخل في الإيمان والاسلام، فلا يعذر الجاهل به، بل يجب تحصيل الاعتقاد به، ولو لم يحصل يصير: إما كافراً، أو ضالاً علي اختلاف فيه.

وقسم لا يكون كذلك، بل لو أطلع عليه يجب تصديقه، ولا يجوز رده وإنكاره.

أما ما لم يطلع لو لم ينكر يكون معذوراً، غاية الأمر يكون ناقص الإيمان، هذا ما أدّي إليه نظري، والتفصيل أزيد من ذلك، ونقل الأختيار الواردة فيها يطلب من المطوّلات، والله الهادي إلي الحق والصواب، والعاصم عن الخطأ والزلل، اللهم اهدنا واحفظنا واعصمنا بحق محمد وآله (عليهم السلام).

المستفادة من بعض الآيات القرآنية، والأخبار المأثورة عن الأئمة (عليهم السلام)، وهي كثيرة:

منها: خروج دابة الأرض، من قوله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}. (1)

أقول: لا دلالة في الآية علي كونه من أشراط الساعة، وقد فسّر في الأخبار الكثيرة بأمر المؤمنين (عليه السلام)، وأنه يخرج في آخر الزمان و معه عصا موسى (عليه السلام)، و خاتم سليمان (عليه السلام)، و ينقش بين عيني المؤمن و الكافر أنه مؤمن حقاً أو كافر حقاً.

و منها: ظهور الدخان، من قوله تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}، {يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (2)

أقول: هذا أيضاً لا يدلّ بنفسه علي كونه من أشراط الساعة، و لعلّ المراد في يوم القيامة من أنحاء العذاب. و يمكن أن يكون في هذه النشأة.

و منها: نفخ الصور، من قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}، (3) و قوله تعالى: {وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا

ص: 429

1- سورة النمل: 82.

2- سورة الدخان: 10 _ 11.

3- سورة النمل: 87.

هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (1).

ثم إنَّ الكلام في كون نفخ الفزع و نفخ الصعق نفخة واحدة أو نفختين، فمع نفخ القيام يصير ثلاثة، وفي كيفية الصور، و كيفية النفخ، وأنَّ النفخ هو إسرافيل، و كيفية خروج الأرواح و تعلّقها ثانياً بالأبدان، فقد أُشير إليها في بعض الأخبار و كلمات المفسّرين، لكن لمّا لم تكن دلالتها و سندها قطعية، فالسكوت عنها أولى، و إيكال علمها إليهم صلوات الله عليهم، و الاعتقاد الإجمالي بها.

و منها: الصيحة من قوله تعالى: { مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا - صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ }، {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} (2).

أقول: لعلّ الصيحة و النفخة الأولى واحدة، بقرينة قوله تعالى: بعد تلك الآية { وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } (3).

و منها: الزلزلة من قوله تعالى: { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } (4)، و قوله تعالى: { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا }، { وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } (5)، و لعلّ المراد من الأثقال خروج الأبدان المودعة فيها.

ص: 430

1- _ سورة الزمر: 68.

2- _ سورة يس: 49 _ 50.

3- _ سورة يس: 51.

4- _ سورة الحجّ: 1.

5- _ سورة الزلزلة: 1_ 2.

ومنها: الرجفة من قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}، {تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ} (1).

ومنها: انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وانكدار الشمس، وانخساف القمر، وتسيير الجبال، وصيرورتها كالعهن المنفوش، وتبدل الأرض غير الأرض، وطَيِّ السماء كالسجل، وتفجير البحار، وغير ذلك من الآيات الإلهية المستفادة من الآيات القرآنية.

أقول: ينبغي في المقام الاشارة إلي أمور:

الأول: أنه قد ذكر جماعة من أشرط الساعة خروج يأجوج ومأجوج، تمسكاً ببعض الأخبار غير المعتمدة، وقد صار ذلك سبباً لطعن بعض المعاندين من المسيحيين والكروبيين وأشباههم علي القرآن الكريم.

ولا يخفي أنه لا دلالة في القرآن علي أن المراد من ذيققرنين من هو؟ واليأجوج والمأجوج من هم؟ والسد الذي بني لدفع فسادهم في أي موضع من الأرض؟ والمراد من مغرب الشمس ومطلعها أي موضع من الأرض؟ لأنهما نسبي، والمراد من عين حمئة ما هي؟ فهذه من الآيات المتشابهة التي يجب السكوت عنها وغير مربوطة بأشرط الساعة.

وإن كان ولا بدّ لدفع الشبهة نقول فيه ما استفدنا من أستاذنا البلاغي (قدس سره) في الهدي، وما نقل عن الشهرستاني في انتشارات الأنجمن التبليغاتي الإسلامية في آيات ذي القرنين، وما نقل فيه عن السعيدي عن تفسير المولوي محمدعلي الهندي.

وحاصل المرام: أنه من الممكن أن يكون المراد من ذي القرنين غير اسكندر

ص: 431

اليوناني؛ لأنَّ سيره لم يكن إلاَّ من يونان إلي الروم و إيران و العراق و الشام و المصّر و الهند و الأفغان، و مات في العراق، و مدّة ملكه عشر سنين تقريباً، و مدّة عمره ثلاث و ثلاثين سنة، و إطلاق ذي القرنين عليه بلا أصل، و لم يصل إلي مغرب الشمس في المعمورة و لا مطلعها.

بل المراد منه السلطان اليميني من آل أذواء الذي كان قبل الرومي بقرون عديدة، و قد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ اسمه صعب بن عبدالله، و قيل: اسمه شمربرعش، و هو من ملوك تبع، مثل ذو يزن و ذو همدان و ذو غمدان، و إنّما سمّي بذي القرنين للبياضين النابتين من شعره في مقدّم رأسه الشبهتين بالقرنين.

و المراد من يأجوج و مأجوج الطوائف الوحشية من الروسية في حدود القفقاز و هم من التاتار، و قد طلب منه أهل چین _ أي: الصين _ أن يجعل لهم سدّاً لمنعهم من حملاتهم و غاراتهم و فسادهم، فبني لهم سور الصين، أو كان السور مبنية سابقاً و إنّما هو سدّ ثغورها و عمّر خرابها، كما هو غير بعيد.

و المراد من عين حمئة البحر الأسود في الأقيانوس الكبير، و إطلاق العين علي البحر و الماء الكثير ليس ببعيد؛ لأنّها من الألفاظ المشتركة، و هو منتهي المعمورة قبل كشف الأمريكا.

و المراد من مطلع الشمس منتهي المعمورة من الروسية.

و لا يخفي أنّ الآية لا تدلّ علي غروب الشمس في ذاك البحر حقيقةً، بل تدلّ علي أنّه وجدها كذلك، أي تخيّل كما نتخيّل عند ركوب البحر من أنّ الشمس تخرج من الماء و تدخل فيه، و التعبير عن التخيّل بالوجدان، كما يقال في الفارسي «يافت» ليس ببعيد.

هذا ملخص الكلام في ذلك، و التفصيل أزيد من ذلك يطلب من محالّه.

الأمر الثاني: أنّ المراد من طيّ السماء و انشقاقه و انقطاره ليس ما يخالف الهيئة الجديدة من إنكار السماء رأساً؛ لأنّ إطلاق السماء علي جهة العلوّ من الكرات العلوية و طيّه و انشقاقه و انقطاره فناء تلك الكرات و زوالها و اضمحلالها، و إن كان من الممكن أن يكون السماء جسماً لطيفاً ألطف منالهواء؛ لما ثبت في محلّه من تناهي العالم الطبيعة و امتناع الخلاء، غاية الأمر من غير تلك العناصر بل عنصر بسيط، فلا وجه للإشكال علي تلك الآيات.

الأمر الثالث: قد ذكر جماعة من أشراف الساعة رجعة الأئمة (عليهم السلام)، و أصل الرجعة من الأمور القطعية التي قد ادّعي المجلسي (قدس سره) كون الأخبار الواردة فيها أكثر من مائتين، بل ادّعي جماعة كونها من الضروريات، و لكن كونها من أشراف الساعة غير ثابت، و تفصيل الكلام فيها في مسألة الإمامة، و الله العالم.

المقام الخامس: في أسامي يوم القيامة المذكورة في القرآن المجيد

تصريحاً أو تلويحاً أو توصيفاً، و هي كثيرة:

1_ يوم القيامة؛ لقوله تعالى: {يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} (1)، لقيام الناس لربّ العالمين.

2_ يوم الساعة؛ لقوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا}، (2) لأنّ الساعة عبارة عن مقدار محدود من الزمان و لو كان خمسين ألف سنة.

ص: 433

1- _ سورة القيامة: 6.

2- _ سورة غافر: 59.

تنبيه: لا يقال: إنَّ الزمان عبارة عن الحركة، و المفروض أنَّ في القيامة لا حركة للكرات العلوية و السفلية.

لأنَّ نقول: إنَّ الزمان في هذا المقام مجرد فرض، أي: لو فرض الحركة الطبيعية لكرة الأرض وغيرها كما في هذا العالم تكون هذا المقدار.

وكذا لا يقال: إنَّ في القيامة لا يوم و لا ليل، فإطلاق اليوم عليه غير مستقيم. لأنَّ نقول: اليوم أيضاً فرضي، أي: قطعة من الزمان.

3_ يوم البعث؛ لقوله تعالى: {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ}، (1) لبعث الناس من قبورهم.

4_ يوم الحشر؛ لقوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً}، (2) لحشر الناس بعضهم مع بعض.

5_ يوم الجمع؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ}، (3) لاجتماع الناس في عرصة واحدة.

6_ يوم الحساب؛ لقوله تعالى: {بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، (4)، لمحاسبة الناس.

7_ يوم التلاق؛ لقوله تعالى: {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ}، (5)، لملاقاة الناس بعضهم بعضاً.

ص: 434

1- _ سورة الروم: 56.

2- _ سورة الأنعام: 22.

3- _ سورة التغابن: 9.

4- _ سورة ص: 26.

5- _ سورة غافر: 15.

- 8_ يوم التناد؛ لقوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} (1)، لنداء الناس بعضهم بعضاً.
- 9_ يوم الآزفة؛ لقوله تعالى: {وَ أَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ} (2)، والأزف بمعنى القرب و الدتو لقرب الناس للحساب.
- 10_ يوم التغابن؛ لقوله تعالى: {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} (3)، لغيب الناس و حسرتهم في أعمالهم.
- 11_ يوم الفصل؛ لقوله تعالى: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} (4)، أي: فصل القضاء والحكم، أو بمعنى التفرقة بين المطيع و العاصي.
- 12_ يوم الطامة الكبرى؛ لقوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى} (5)، و هي الداهية العظيمة.
- 13_ يوم الموعود؛ لقوله تعالى: {وَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودِ} (6)، لأنه ممّا وعد به الله تعالى.
- 14_ يوم المشهود؛ لقوله تعالى: {وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} (7)، الشهود بمعنى

ص: 435

-
- 1- _ سورة غافر: 32.
- 2- _ سورة غافر: 18.
- 3- _ سورة التغابن: 9.
- 4- _ سورة الصافات: 21.
- 5- _ سورة النازعات: 34.
- 6- _ سورة البروج: 2.
- 7- _ سورة هود: 103.

الحضور، أي: حضور الخلائق، أو مشاهدتهم ما وعدهم ربهم، أو شهادة بعضهم في حق بعض، أو شهادة الجوارح علي الأفعال الصادرة منها.

15- يوم الدين؛ لقوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (1)، أي: الجزاء.

16- يوم القارعة؛ لقوله تعالى: {القَارِعَةُ}، {مَا الْقَارِعَةُ} (2)، لأنه يقرع القلوب.

17- يوم الواقعة؛ لقوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} (3)، لأنه مما يقع قطعاً.

18- يوم الحاقة؛ لقوله تعالى: {الحَاقَّةُ}، {مَا الْحَاقَّةُ} (4)، لكون وقوعه حقاً.

19- يوم الحسرة؛ لقوله تعالى: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ} (5) 20- يوم النداء؛ لقوله تعالى: {وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} (6).

21- يوم الأفكة؛ لقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} (7)، لإنكارهم القيامة.

22- يوم الجزاء؛ لقوله تعالى: {فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي

ص: 436

1- سورة الفاتحة: 4.

2- سورة القارعة: 1 _ 2.

3- سورة الواقعة: 1.

4- سورة الحاقة: 1 _ 2.

5- سورة البقرة: 167.

6- سورة يونس: 54، و سورة سبأ: 33.

7- سورة الروم: 55.

23_ يوم النفخة؛ لقوله تعالى: {ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (2).

24_ يوم الرجف؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} (3).

25_ يوم الرادفة؛ لقوله تعالى: {تَتَّبِعَهَا الرِّادِفَةُ} (4).

26_ يوم النشر؛ لقوله تعالى: {كَذَلِكَ الشُّورُ} (5).

27_ يوم العرض الأكبر؛ لقوله تعالى: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا} (6).

28_ يوم الخزي.

29_ يوم السوء؛ لقوله تعالى: {إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} (7).

30_ {يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} (8)، القمطرير شدة العبوس.

ص: 437

1- _ سورة الأنبياء: 29.

2- _ سورة الزمر: 68.

3- _ سورة النازعات: 6.

4- _ سورة النازعات: 7.

5- _ سورة فاطر: 9.

6- _ سورة الكهف: 100.

7- _ سورة النحل: 27.

8- _ سورة الإنسان: 10.

31_ يوم المهل؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}. (1).

32_ يوم العهن؛ لقوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}. (2).

33_ يوم تقلب القلوب و الأبصار؛ لقوله تعالى: {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ}. (3).

34_ يوم تبدل الأرض؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ}. (4).

35_ يوم الطي؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ}. (5).

36_ يوم الصف؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا}. (6).

37_ يوم التكوير؛ لقوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}. (7).

38_ يوم الانكدار؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ}. (8).

39_ يوم برق البصر؛ لقوله تعالى: {فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ}. (9).

ص: 438

1- _ سورة المعارج: 8.

2- _ سورة المعارج: 9.

3- _ سورة النور: 37.

4- _ سورة إبراهيم: 48.

5- _ سورة الأنبياء: 104.

6- _ سورة النبأ: 38.

7- _ سورة التكوير: 1.

8- _ سورة التكوير: 2.

9- _ سورة القيامة: 7.

40_ يوم الانحساف؛ لقوله تعالى: { وَحَسَفَ الْقَمَرُ } .(1)

41_ يوم الجمع بين الشمس و القمر؛ لقوله تعالى: { وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ } .(2) 42_ يوم الانفطار.

43_ يوم الانتثار.

44_ يوم الانفجار؛ لقوله تعالى: { وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } ، { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَبَثَتْ } ، { وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ } .(3)

45_ يوم العنت؛ لقوله تعالى: { وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } .(4)

46_ يوم التخشع؛ لقوله تعالى: { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } .(5)

47_ يوم كشف الساق؛ لقوله تعالى: { يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ } .(6)

48_ يوم الأخذ؛ لقوله تعالى: { فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ } .(7)

ص: 439

1- _ سورة القيامة: 8.

2- _ سورة القيامة: 9.

3- _ سورة الانفطار: 1 _ 3.

4- _ سورة طه: 111.

5- _ سورة طه: 108.

6- _ سورة القلم: 42.

7- _ سورة الرحمن: 41.

49_ يوم تشخص الأبصار؛ لقوله تعالى: {لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}. (1)

50_ يوم التبييض.

51_ يوم التسود؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}. (2)

52_ يوم العص؛ لقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}. (3)

53_ يوم العسير؛ لقوله تعالى: {وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}. (4) 54_ يوم ختم الأفواه.

55_ يوم تكلم الأيدي.

56_ يوم شهادة الأرجل؛ لقوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. (5)

ثم إنه قد ذكر في الأخبار أسامي أخرى الدالة على عظمة ذلك اليوم.

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه ما استفاد منه: إنه يوم تشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، إلى قوله (عليه السلام): لِيُرْهَبُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَا ذَنْبَ لَهُمْ، وَتَرْعُدُ مِنْهُ السَّبْعُ

ص: 440

1- _ سورة إبراهيم: 42.

2- _ سورة آل عمران: 106.

3- _ سورة الفرقان: 27.

4- _ سورة الفرقان: 26.

5- _ سورة يس: 65.

الشَّدَادُ، إِي قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وَ تَكُونُ الْجِبَالُ سَرَابًا مَهِيلاً. (1) الخبر.

و كَذَا قَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي بَعْضِ خُطْبَةٍ أُخْرَى: يَوْمَ الْعَرْضِ وَالسُّؤَالِ وَالْحِجَابِ وَالنِّكَالِ، يَوْمَ تُقَلَّبُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْأَنْامِ، وَ تُحْصَى فِيهِ جَمِيعُ الْأَنْدَامِ، يَوْمَ تَذُوبُ مِنَ النَّفُوسِ أَحْدَاقُ عُيُونِهَا، وَ تَضَعُ الْحَوَامِلُ مَا فِي بُطُونِهَا، وَ تَفْرُقُ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ وَ حَبِيبِهَا، وَ يَحَارُ فِي تِلْكَ الْأَهْوَالِ عَقْلُ لَيْبِهَا، إِي قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ إِذْ عَايَنُوا الْهَوَلَ الشَّدِيدَ فَاسْتَكَانُوا، وَ عَرَفَ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمْ فَاسْتَبَانُوا، إِي قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وَ جِيءَ بِهِمْ عُرَاةَ الْأَبْدَانِ، إِي آخِرُ الْخُطْبَةِ. (2)

وَ إِنَّمَا لَمْ نَنْقُلْ بَعْضَ فِقْرَاتِهَا؛ لِأَنَّ مَفَادَهَا مَذْكُورَةٌ سَابِقًا مِنَ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ شُرُورِ الْقِيَامَةِ. وَ لَا يَخْفَى أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْآيَاتِ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقَعُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ انْقِلَابٌ عَظِيمٌ، مِنْ الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَ كَسُوفِ الشَّمْسِ، وَ انْخِسَافِ الْقَمَرِ، وَ انْكَدَارِ النُّجُومِ، وَ تَنَاثُرِهَا، وَ انشِقَاقِ الْأَرْضِ، وَ تَفْجِيرِ الْبِحَارِ، وَ صَيْرُورَةِ الْجِبَالِ كَالْعِهْنِ، وَ تَغْيِيرِ أَوْضَاعِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِهَا.

وَ قَدْ اسْتَفَدْنَا جَدِيدًا سَرَّ هَذَا الْانْقِلَابِ مِنْ بَعْضِ الْكَشْفِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ فِي الْهَيْئَةِ الْجَدِيدَةِ، مِنْ أَنَّ كُرَةَ الشَّمْسِ وَ كُرَةَ الْأَرْضِ، وَ جَمِيعَ الْكُرَاتِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ لَهَا حَرَكَةٌ أُخْرَى مُسْتَقِيمَةٌ إِلَى مَرْكَزٍ مُعَيَّنٍ، وَ كَوْكَبٌ يُسَمَّى بِالْعَرَبِيَّةِ النَّسْرِ الْوَاقِعِ، وَ عِنْدَ الْأُورُبَانِيِّينَ «وَكَا» وَ يُعْبَرُ عَنْهُ «آبُ كَس» وَ هَذِهِ

ص: 441

1- _ بحار الأنوار، ج7، ص103، ح16 و ج74، ص389.

2- _ الأمالي (للطوسي)، ص653، ح1353؛ بحار الأنوار، ج7، ص99، ح2.

الحركة سريعة مهمّة في كلّ ثانية عشرين كيلومتر، و كان البعد بينه وبين هذه الكرات إلي ما شاء الله.

والذي أظنّ أنّه لمّا وصلت تلك الكرات إلي هذا الكوكب تقع تلك الانقلابات دفعةً، و تقع القيامة، و يقف الكلّ عن الحركة التي كانت له، و بذلك ينحلّ كثير من المشكّلات، مثل قوله تعالى: {وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} (1)، حيث إنّ الحركة الدورية لا مستقرّ لها و لو علي الهيئة القديمة، بل يبطل كلام الهيومن و الطبيعيين من كون تلك الحركات دائمية.

و يستفاد من ذلك عظمة القرآن و الاسلام، و ممّن نقل عنه هذه الدعوي عن الكتاب الكبير في الهيئة الفرانسوي المطبوعة في مكتبة لاروس في الصفحة التاسع و الثلاثين.

و حاصل ترجمته التي ترجمها في مجموعة الانتشارات التبليغات الإسلامية في نور دانش، و هذه عين عبارته: يك حركت مهمّي است كه زمين را به تكان مي آورد، و آن حركتي است كه كره ماه به همراه تمام ستاره هاي منظومه شمسي و آفتاب دارد، اين حركت همان است كه اين منظومه را در ميان فضاي لا يتناهي بسوي ستاره «وكا» مي كشاند، اين حركت سرعتي فوق العاده دارد كه در ثانيه به بيست كيلومتر مي رسد، چنانچه گفته شد آفتاب با سرعت تمام به طرف يك نقطه از آسمان، كه بدانجا «آپ كس» داده تند حركت مي كند. انتهى.

و أيضاً يمكن أن يقال: إنّ الجنّة و النار موجودان بضرورة الدين و نصوص

ص: 442

1- _ سورة يس: 38.

الآيات و الأخبار، كما يأتي بيانها إن شاء الله تعالى، يكون طبقاً للقواعد الطبيعية أنّ الجنة كما ورد في بعض الأخبار أنّها في السماء السابعة موجودة فعلاً في بعض تلك الكرات، وعند وصول تلك الكرات كلّ إلى ذلك المستقرّ تقرب إلى كرة الأرض، ويمكن الدخول فيها، و النار تكون في باطن الأرض كما استكشف فعلاً علي ما في تفسير الطنطاوي(1)، وإذا انشقت الأرض يبرز الجحيم، و يؤيّده قوله تعالى: {وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} (2).

و أيضاً وصول تلك الكرات إلى ذلك الكوكب دفعي؛ لكون الاتصالات و الانفصالات آنية تعرف أنّ أمر الساعة كلمح البصر، إلى غير ذلك من الأمور.

ثمّ إنّ الفلك في لسان الآيات هي مداراة تلك الكرات، و قد قال تعالى: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (3)، أي: كلّ كوكب، و لم يقل كلّ فلك يسير، كما هو مقتضى الهيئة القديمة.

و السماء عبارة عن جهة العلوّ، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} (4)، و قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ} (5)، و هذه الكرات كلّها في جهة العلوّ بالنسبة إلى سطح كرة الأرض، و الله أعلم بحقائق الأمور.

ص: 443

1- _ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للطنطاوي، ج 23، ص 206.

2- _ سورة الشعراء: 91.

3- _ سورة يس: 40.

4- _ سورة الفرقان: 48.

5- _ سورة الذاريات: 22.

المقام السادس: في ذكر مقدار يوم القيامة و موافقه

وقد قال الله تعالى: { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } (1).

وفي الحديث المروي عن أمالي الطوسي، عن الصادق (عليه السلام): فَإِنَّ لِلْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا، كُلُّ مَوْقِفٍ مِثْلُ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (2).

وفي خطب أمير المؤمنين (عليه السلام): إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُودًا، وَمَنَازِلَ مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْمَمَرِّ بِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا، فَإِمَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ نَجَوْثُمْ، وَإِمَّا بِهَلَكَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا انْجِبَارٌ (3).

وعن الصدوق في الفقيه عن الصادق (عليه السلام): إِنَّ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَلْفَ عَقَبَةٍ أَهْوَنُهَا وَأَيْسَرُهَا الْمَوْتُ (4) أقول: أما طول مقدار القيامة، فليس لأجل طول المحاسبة؛ لأنَّ الله تعالى أسرع الحاسبين، لا يشغله شأن عن شأن، بل لأجل العقوبة و أنحائها وأقسامها، ولذا ليس علي كل أحد، بل ربما يدخل المؤمن الجنة بغير حساب حين خروجه من القبر، ولو فرض وقوفه في القيامة لأجل ظهور شؤوناته و مقاماته علي أهل المحشر، أو لأجل مشاهدته أحوال القيامة الواردة علي أعداء الدين وفرحه و سروره و تشكره نعم الله عليه، و نجاته و خلاصه منها، وربما يدخل الكافر

ص: 444

1- سورة المعارج: 4.

2- الأمالي (للطوسي)، ص 36، المجلس 7، ح 7؛ بحار الأنوار، ج 7، ص 126، ح 3.

3- بحار الأنوار، ج 7، ص 129.

4- من لا يحضره الفقيه، ج 1، ص 134، ح 359.

النار بمجرّد خروجه من قبره، أو كان وقوفه لتعذيبه، وقد تقدّم كون هذا المقدار فرضاً.

وأما مواقفه وعقباته، فعن اعتقادات الصدوق (قدس سره): اعتقادنا في ذلك أنّ هذه العقبات اسم كل عقبة منها علي حدة اسم فرض، أو أمر، أو نهْي.

واسم عقبة منها: المرصاد، وذلك قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ} (1).

وَيَقُولُ تَعَالَى: «وَعَزَّيْتِي وَجَلَّالِي لَا يَجُوزُنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ» (2)، واسم عقبة منها: الرحم، واسم عقبة منها: الامانة، واسم عقبة منها: الصلاة، وباسم كل فرض أو أمر أو نهْي عقبة (3).

وهذه العقبات كلّها علي الصراط، والإنسان يحبس عند كلّ عقبة ويسأل عمّا قصّر في هذا الفرض أو الأمر أو النهْي، فإن سلم من جميعها بعمل صالح أو رحمة تدركه إنتهى إلي دار البقاء، وإن زلّت قدمه في واحد منها يهوي في جهنّم (4) إنتهى كلامه ملخصاً.

وقد أورد عليه: تارةً بأنّ كلّها علي الصراط ممنوع مخالف لظواهر الأخبار، وأخري بما أفاده المفيد بأنّ تلك العقبات كناية عن نفس الأعمال، فيسأل الإنسان عن كلّ عمل صدر منه، وليس المراد جبال يقطع، كما هو ظاهر

ص: 445

1- سورة الفجر: 14.

2- الكافي، ج2، ص443، ح1.

3- اعتقادات الإماميه (للصدوق)، ص71_72.

4- بحار الأنوار، ج7، ص129.

الصدوق (قدس سره)؛ لأنه لا معني له، ولا تقتضي الحكمة، ولم يرد خبر صحيح دالّ علي خلق جبال يقطع الإنسان راكباً أو ماشياً.

وقد أجاب المجلسي (قدس سره) و صاحب الكفاية وغيرهما: بأنّ تأويل ظواهر الأخبار بمحض الاستبعاد بعيد عن الرشاد. (1)

أقول: ليس في كلام الصدوق (قدس سره) صراحة ولا ظهور في كون تلك العقبات جبال يقطع، بل لا يأتي عن حملة علي ما أفاده المفيد، والمفيد (قدس سره) أيضاً ليس في مقام الردّ و الاعتراض علي الصدوق (قدس سره)، بل في مقام شرح مراده و كلامه.

وأمّا ما اعترض عليه المجلسي (قدس سره)، فهو غير وارد عليه؛ لأنه يدّعي عدم قيام دليل معتبر و نصّ صحيح علي ذلك، و الأخبار قابلة لذلك الحمل؛ لأنه ينكر ظهور الأخبار حتّي يكون بعيداً عن الرشاد.

والذي ينبغي أن يقال في هذا المقام و ما يشبهه، كالميزان و الصراط وغيرهما ممّا يأتي: وجوب الاعتقاد بوجودها بنحو الإجمال. و أمّا خصوصيتها و كفياتها، فهي موكولة إلي الدليل القطعي، و هو مفقود، و الله العالم.

المقام السابع: في كيفية خروج الخلائق من القبور و ورودهم في المحشر و أوضاعه

لا يخفي أنّ الإنسان في عالم الدنيا متّصف بصفات مختلفة، و عقائد متفاوتة، و أعمال متباينة، و هذه الصفات و العقائد و الأعمال لكلّ منها تأثيرات في باطن الإنسان، و القيامة يوم تبلي السرائر، فيتأثّر في ظاهر البدن و الصورة،

ص: 446

كما يتأثر في باطنه وروحه، فلذا يكون ورودهم مختلفة.

أما الكفار والمنافقين والمخالفين وأهل البدع والضلالة، فيتفاوت مراتبهم يكونون في كمال السوء والشدة.

وأما الأنبياء والأولياء وصلاح المؤمنين في كمال المسرة والبهجة يتفاوت مراتبهم، وأن هذين الفريقين في منتهي التباين.

وأما فسقة المؤمنين، فإن أدركهم الرحمة أو الشفاعة قبل الورود في القيامة يصيرون من حزب الثاني، وإلا فمن الحزب الأول، إلي أن ينجو الأجل إيمانهم برحمة الله وشفاعة الشافعين.

ولا بأس بالإشارة الإجمالية إلي مضمون بعض الأخبار الواردة في ذلك علي كثرتها واختلافها. أما المؤمنون، فيخرجون من قبورهم مبيضة وجوههم يسعي نورهم بين أيديهم، عليهم ثياب من نور جرد مرد، كانت وجوههم كالبرق في ليلة تمامه، وبعض مع أكفانهم، وبعض مع ثيابهم، كالشهداء يركبون علي نجائب من نور، أو نوق من الجنة علي رؤوسهم تاج مكلل بالدرّ والياقوت، تستقبلهم الملائكة، يدخلون في يمين المحشر تحت ظلّ عرش الرحمن حول الكوثر، عند منبر الوسيلة، تحت لواء الحمد، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، يبشّرهم الملائكة بالرحمة والرضوان، وربّ غير غضبان، يكتب في وجوههم هذا مؤمن حقاً.

إلي غير ذلك من الشؤون والمقامات، رزقنا الله وجميع المؤمنين بحقّ محمّد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

وَأَمَّا الكفرة و الفجّار، فيخرجون عرياناً ذليلاً مسودّةً و جوههم، مغلولةً أيديهم علي أعناقهم، منكوسةً علي وجوههم، و بعضهم عليهم ثياب من نار علي أعناقهم سلاسل من النار، يضربون بسياط من النار، و بعض بصورة الكلب و الخنزير و القردة و النمل و غيرها، و يسلّط عليهم الأفاعي و الحيات و العقارب في يسار المحشر، في مكان ضيق، لا يقدرّون علي التنفس، و علي أطرافهم زبانية من النار، و ملائكة السبع الشداد، يسقون من الحميم و الغساق، يأخذهم العرق إلي ساق أرجلهم أو أكثر أو أقلّ، إلي غير ذلك من الشدائد و النكبات.

فَعَن النَّبِيِّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): يُحْشَرُ عَشْرَةُ أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي: الْيَقُولُ: وَ أَمَّا الَّذِينَ عَلَي صُورَةِ الْقِرَدَةِ، فَالْقَتَابُ مِنَ النَّاسِ، وَ أَمَّا الَّذِينَ عَلَي صُورَةِ الْخَنَازِيرِ، فَأَهْلُ السُّحْتِ، وَ أَمَّا الْمُنْكَسُونَ عَلَي وَجُوهِهِمْ فَآكِلَةُ الرِّبَا، وَ أَمَّا الْعُمِيُّ فَالَّذِينَ يَجُورُونَ فِي الْحُكْمِ، وَ أَمَّا الصُّمُّ وَ الْبُكْمُ، فَالْمُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَ أَمَّا الَّذِينَ قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ، فَهَمُّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْحَيْرَانَ، وَ أَمَّا الْمُصَلَّبُونَ عَلَي جُدُوعِ مَنْ نَارٍ، فَالسَّعَاءُ بِالنَّاسِ لِسُلْطَانٍ، وَ أَمَّا الَّذِينَ أَشَدُّ نِتْنَاءً مِنَ الْجَيْفِ، فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَ اللَّذَاتِ وَ مَنْعُوا حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَ أَمَّا الَّذِينَ يُلْبَسُونَ الْجِبَابَ، أَهْلُ الْكِبْرِ وَ الْفُجُورِ وَ الْبُخْلَاءِ. (1)

و عنه (صلي الله عليه و آله و سلم): من تعلّم القرآن ثمّ نسيه متعمداً لقي الله يوم القيامة مجذوماً مغلولاً، و من تعلّم القرآن فلم يعمل به و أثر عليه حبّ الدنيا و زينتها، استوجب سخط الله (عزوجل)، و كان في الدرجة مع اليهود و النصارى، ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، و من تعلّم القرآن يروه رياءً و سمعةً ليماري به السفهاء و يباهي به العلماء و يطلب به الدنيا، رضّ الله (عزوجل) عظامه يوم القيامة، و من ملأ عينيه امرأة

ص: 448

حراماً حشاهما الله (عزوجل) بممارين من نار، و حشاهما ناراً، و من قرأ القرآن يريد به السمعة و التماس الناس لقي الله (عزوجل) و وجهه مظلم.

و من شهد شهادة بزور علي مسلم أو ذمي، أو من كان من الناس علق بلسانه يوم القيامة، و هو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

و من قرأ القرآن و لم يعمل حشره الله يوم القيامة أعمي، و من مشي في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً يحرقه إلى يوم القيامة، فإذا خرج منقبره سلط الله عليه تيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار، و من لطم خدّ مسلم لطمه بدد الله عظامه يوم القيامة، ثم سلط الله عليه النار، و حشر مغلولاً حتى يدخل النار.

و من بغي علي فقير و تناول عليه و استحققره، استحققره الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة الرجل حتى يدخل النار، و من تعلق سوطاً بين يدي سلطان الجائر جعله (عزوجل) حية طولها ستون ألف ذراع فتسلط عليه، و من رمي محصناً أو محصنةً أحبط الله عمله و جلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه و من خلفه، و من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله (عزوجل) من الأساور و من سم العقارب شربةً يتساقط لحم وجهه في الإناء.

و من فجر بامرأة و لها بعل تفجر من فرجهما من صديد يتأذي أهل النار من نتن ريحهما، و من زنا بامرأة فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النار يخرج منها حيات و عقارب و شهب من النار.

إلي أن قال: فيعرف به يوم القيامة حتى يؤمر به إلى النار، و من نكح رجلاً أو غلاماً حشره يوم القيامة أتنن من الجيفة، و لا يقبل منه صرف و لا عدل، و

أحبط الله عمله، ويدعه في تابوت مشدود بمسامير من حديد، و من خان جاره شبراً من الأرض، طوّقه الله يوم القيامة إلي سبع أرضين ناراً. (1) الخطبة.

أقول: وفي هذا بلاغ لمن تبصّر، أعادنا الله من جميع ذلك بمحمّد وآله (عليهم السلام)، و الأخبار في عقوبات المعاصي كثيرة جداً يطلب من مظاهرها.

المقام الثامن: في تطاير الكتب و نشر الصحف

قال تعالى: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا }، { اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (2).

وقال تعالى: { إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ }، { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (3)، وقال تعالى: { وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (4).

وقال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ }، { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا }، { وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا } (5).

وقال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهْ } (6).

ص: 450

1- بحار الأنوار، ج73، ص361؛ ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص282، نقل المصنف رحمه الله هذه الخطبة اختصاراً.

2- سورة الإسراء: 13 _ 14.

3- سورة ق: 17 _ 18.

4- سورة التكوير: 10.

5- سورة الانشقاق: 7 _ 9.

6- سورة الحاقة: 19.

وقال تعالى: {إِنَّ كِتَابَ الْأُبْرَارِ لَفِي عَلَيِّينَ}. (1)

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ}. (2)

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}، {فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا}. (3)

وقال تعالى: {إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ}. (4)

وقال تعالى: {يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَدَّغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}. (5) هذا مضافاً إلي الأخبار الكثيرة الواردة في تفسير تلك الآيات وفي مقامات أخر، وقيام ضرورة الدين عليه، فكون هذا من أحد المواقف العظيمة في القيامة ممّا لا شكّ فيه، ولا شبهة تعتريه، و يكون من العقائد الذي يجب الإقرار به، بأن نشهد بأن تطاير الكتب حق، وإثما الكلام في أمور:

الأول: أنّ المكتوب في هذا الكتاب هل هو خصوص الطاعات و المعاصي أم جمع ما صدر من الإنسان من قول أو فعل من المباحات و المكروهات؟

الثاني: أنّ كتاب الحسنات هل يغير مع كتاب السيئات أم هما في كتاب واحد؟

الثالث: هل كتاب آخر فيه النعم التي أعطي الله إليه أم منحصر بالحسنات

ص: 451

1- _ سورة المطففين: 18.

2- _ سورة الحاقة: 25.

3- _ سورة الانشقاق: 10.

4- _ سورة المطففين: 7.

5- _ سورة الكهف: 49.

أقول: مقتضى قوله تعالى: { مَا يَلْفِظُ { (1) الآية، العموم حتّى ورد في الخبر حتّى النفخ بالنار، (2) إلا أن يحمل علي الأقوال المحرّمة أو الممدوحة.

و مقتضى قوله تعالى: { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ } إلي قوله تعالى: { رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (3)، تعدّد السيئات و الحسنات، و مقتضى قوله تعالى: { ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } (4)، أن النعم أيضاً مورد السؤال، كما في الأخبار يسألون عن العمر و المال و الفراغ و الشباب و الصحّة و نحوها، بل عن أعظم النعم نعمة الولاية.

ثم إن مقتضى بعض الأخبار أنه قد يكتب حسنات بعض في كتاب آخر و سيئات بعض في كتاب آخر لأجل غيبته إيّاه أو ظلمه، أو نحو ذلك، و قد يكتب بعض الحسنات غير الصادرة منه في كتابه لأجل تسببه أو تمنّيه أو حبه أهله، و كذا السيئات.

و قد يمحو سيئاته و يبذل بالحسنات، كما قال تعالى: { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } (5)، و الواجب الاعتقاد الإجمالي كما ذكرنا غير مرّة، اللهم أعط كتابي بيمينتي، و حاسبني حساباً يسيراً، بحق محمّد و آله، صلّ علي محمّد و آله.

المقام التاسع: في محاسبة يوم القيامة

إشارة

ص: 452

1- سورة ق: 18.

2- بحار الأنوار، ج70، ص44.

3- سورة ق: 17 _ 18.

4- سورة التكاثر: 8.

5- سورة الفرقان: 70.

و هو أهمّ المواقف و أصل الغرض، و الكلام فيه يقع في مطالب:

المطلب الأول

فيمن يحاسب المستفاد من مجموع الأخبار أنّ الناس في يوم القيامة علي أصناف أربعة:

صنف يدخلون الجنة بغير حساب، و صنف يدخلون النار من دون حساب، و صنف يحاسبون حساباً يسيراً، و صنف يحاسبون حساباً شديداً عسيراً.

أمّا الصنف الأول، فهم المؤمنون الذين لا ذنب لهم عند لقاء الحساب، بأن لم يصدر منهم ذنب في هذه النشأة، كالمعصومين و من يحدو حدوهم، أو صدر منهم الصغائر دون الكبائر الموعود، في قوله تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفَّرْ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ} (1)، أو صدر منهم الكبائر لكن وقفوا بالتوبة قبل موتهم، أو تدارك ذنوبهم بالبلبات الدنيوية، أو سكرات الموت، أو في عالم البرزخ، أو نالهم الشفاعة و الرحمة و المغفرة قبل المحاسبة، و بالجملة لم يكن له ذنب عند الحساب، فلا يحتاج إلي الحساب.

و أمّا الصنف الثاني، فهم الكفار و المخالفون، و أهل البدع و الضلال و منكرو الضروري، و بالجملة غير المؤمن؛ لأنّه لا عمل له حتّي يستحقّ المثوبة؛ لاشتراط كلىة العبادات العملية و الأخلاقية بالإيمان، فمن لا إيمان له لا عمل له حتّي يستحقّ بذلك الثواب.

و أمّا الصنف الثالث، فهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً، و لهم درجات مختلفة من جهة قلة الذنوب و كثرتها، و من جهة قلة الأعمال

ص: 453

الصالحة وكثرتها، أو قبولها أو ردّها، و من جهة التخلّق بالأخلاق الحميدة أو الرذيلة، وربما يصدر منهم فعل يوجب رضا الله، فالرجاء الكلّي أن يدركهم المغفرة و الصفح عن الذنوب و شفاعة الشافعين، فيحاسبون حساباً يسيراً، و يتقلبون إلي أهلهم مسروراً.

و أمّا الصنف الرابع، فهم المؤمنون المنهمكون في الذنوب، المقصّرون في الفرائض، المرتكبون للقبائح، الظالمون في حقوق الناس، فيشتدّ عليهم الحساب، أعاذنا الله منه، كأصحاب الخمر و الفروج و التغنّي و الانهماك و التكالب علي الحطام الدنيوية، و الظلمة، و أعوانهم المعرضين عن العلماء، و التاركين للتقليد كأكثر أهل زماننا.

و لولا النهي عن القنوط و اليأس عن روح الله، لكان حقّاً لهم الخلود في العذاب، إلاّ أنّهم ربما يصدر عنهم فعل يوجب رضا الله، أو خدمة في دين، أو توسّل إلي أهل بيت العصمة، أو إحسان في حقّ مؤمن بل كافر بل حيوان يوجب النجاة و العفو و المغفرة و الشفاعة.

و بالجملة لو كان إيمانهم باقياً لكان النجاة لهم مرجوّاً، و أمّا لو كانت تلك الذنوب موجباً لزوال الإيمان، فيدخلون في الصنف الثاني، اللهمّ أمّتي علي الإيمان و الولاية مغفوراً.

المطلب الثاني

إنّ جعل المحاسبة نوع تفضّل، و إلاّ لو فرض أنّ الإنسان لو كان مؤمناً مطيعاً في تمام عمره، و لم يصدر منه إلاّ ذنب واحد، لاستحقّق بذلك العقاب، و لا يحتاج إلي الحساب؛ لأنّ كلّ ما صدر منه من الطاعة، فإنّما هو طبق لوظيفته.

وأما الذنب الواحد، فهو خروج عن تحت العبودية، كما لو فرض في العبيد و الموالى الظاهرية أن العبد لو أطاع مولاه في جميع أوامره لا يستحقّ بذلك شيئاً؛ لأنه قد أدّى حقوق العبودية، وأما لو خالفه في أحد من أوامره لاستحقّ العقوبة منه.

هذا مضافاً إلي أن كلّ من أطاع الله كان مقصّراً؛ لأنه لم يؤدّ حقّ الإطاعة و العبادة، حتّى قال سيد الرسل (صلى الله عليه و آله و سلم): مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. (1)

و مضافاً إلي أن جميع الطاعات لا يقابل قليلاً من نعم الله، و لا يؤدّي بها شكر نعمة من نعمائه التي لا تحصى، إلاّ أنّه تعالى تفضّله و كرمه تقابل المعاصي معالطاعة، مع أن كلّ طاعة يكتب له عشرًا، و المعصية لا يكتب إلاّ واحدة.

المطلب الثالث

إنّ أصل الحساب إنّما هو لمعرفة العباد أنّهم لا يستحقّون شيئاً من الثواب في عباداتهم، بل معرفة أنّ شيئاً من عباداتهم ليس كما ينبغي؛ لفقد شرائط القبول فيها، بل و شرائط الصحّة أيضاً، أو لمعرفة غيره من الناس مرتبته و مقامه، و إلاّ فإنّ الله عالم بجميع أفعاله، خبير ببواطنه و ظواهره، ليس لأحد المعارضة و المناقشة في حكمه، و لا يحتاج إلي شهود و حساب و ميزان.

المطلب الرابع

إنّ الاستفادة من الأخبار الكثيرة أنّ الله تعالى يولي حساب الخلائق إلي أئمتنا (عليهم السلام)، كما في الزيارة الجامعة: (وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ

ص: 455

عَلَيْكُمْ»، وفي خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَنَا الْمَحَاسِبُ لِلخَلْقِ»⁽¹⁾، وقد ورد في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}⁽²⁾، أَنَّ حساب الشيعة علي رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) و سائر الأئمة (عليهم السلام).⁽³⁾

و كذا في قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}⁽⁴⁾، أَنَّ شيعة زمان كلِّ إمام يحشر معه، وهو يحاسبهم. إلي غير ذلك من الأخبار.

أقول: لعل ذلك نوع من الشفاعة منهم (عليهم السلام) في حق شيعتهم؛ لئلا يطلع الناس علي قبائح أعمالهم، ونوع تفضّل من الله تبارك و تعالي في حق الأئمة (عليهم السلام)؛ لإظهار شؤونهم علي أهل المحشر، كما عند الميزان، وعند الصراط، وعند مقاسمة أهل الجنة و النار، بل جميع موافق القيامة، رزقنا الله شفاعتهم، و حشرنا معهم بحقهم صلوات الله عليهم.

المطلب الخامس

إنّ المحاسبة في يوم القيامة من ضروريات الدين، قد دلّ عليها نصوص الكتاب و تواتر الأخبار، قال تعالى: {وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ}⁽⁵⁾، و قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}، {عَمَّا كَانُوا

ص: 456

1- _ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص 260.

2- _ سورة الغاشية: 25 _ 26.

3- _ بحار الأنوار، ج 7، ص 202 و ص 203 و ص 251 و ص 264 و ص 274 و غيرها.

4- _ سورة الإسراء: 71.

5- _ سورة الأنبياء: 47.

يَعْمَلُونَ {1} إلي غير ذلك من الآيات.

وعن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا. {2}

وعن الصادق (عليه السلام) : أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، فَإِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا، كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامٌ أَلْفِ سَنَةٍ. {3}

إلي غير ذلك، فالمنكر لها خارج عن المسلمين.

المقام العاشر: في الميزان

إشارة

والكلام فيه أيضاً يقع في مطالب:

المطلب الأول

إِنَّ نَصَبَ الْمَوَازِينِ فِي الْقِيَامَةِ أَيْضًا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ، قَالَ تَعَالَى: {وَالْوِزْنَ يُؤَمِّدِ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} {4}، وَقَالَ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} {5}، وَقَالَ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ،

ص: 457

1- _ سورة الحجر: 92 _ 93.

2- _ بحار الأنوار، ج 7، ص 126، ح 3 وج 67، ص 73، ح 26.

3- _ بحار الأنوار، ج 67، ص 64، ح 4.

4- _ سورة الأعراف: 8 _ 9.

5- _ سورة الأنبياء: 47.

{فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ}، {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}، {فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ}. (1)

إلي غير ذلك من الآيات، والأخبار في ذلك متواترة معناً.

المطلب الثاني

إنَّ المراد من الموازين ما هي؟ وقد اختلفت فيه كلمات المفسرين وأقوال المتكلمين، ولسان بعض الأخبار علي معانٍ كثيرة:

ف قيل: عدل؛ لقوله تعالى: {الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}. (2)

وفي الخبر المروي عن الاحتجاج، عن الصادق (عليه السلام) حيث سئل عنه في معني الميزان، قال (عليه السلام): العَدْل. (3)

وقيل: كالموازين المتعارفة لها لسان وكفتان.

وقيل: المجازات، كما عن تفسير القمّي. (4) وقيل: الحساب، كما عن الاحتجاج عن الصادق (عليه السلام): فَهُوَ قَلَّةُ الْجِسَدِ بَابٍ وَ كَثْرَتُهُ. (5)

وقيل: ظهور قدر المؤمن وإهانة غيره، كما يقال لمن لا قدر له: لا قيمة له و

ص: 458

1- _ سورة القارعة: 6 _ 9.

2- _ سورة الأنبياء: 47.

3- _ الاحتجاج للطبرسي، ج 1، ص 244.

4- _ تفسير القمّي، ج 2، ص 71.

5- _ الاحتجاج للطبرسي، ج 1، ص 244.

لا وزن.

وقيل: هم الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، كما عن الكافي وغيره عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} (1)، قال (عليه السلام): هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ. (2) وفي حديث: نحن الموازين.

وقيل: موازنة النفوس والأشخاص، عن تفسير العامة.

أقول: الذي يجب علينا الاعتقاد هو ثبوت الموازين، وأما كقيمتها وخصوصيتها، فلا يجب التفتيش والفحص، بل نعتقدها إجمالاً.

والذي ينبغي أن يقال: إنَّ ميزان كلِّ شيء بحسبه، فميزان القضايا علم المنطق، ولذا يعبر عنه بعلم الميزان، و ميزان الحقِّ والباطل أمير المؤمنين (عليه السلام)، و ميزان البناء الشاقول.

وبالجملة لكلِّ شيء ميزان، فيمكن إطلاق الميزان علي القرآن و الاسلام و الإمام و العدل و غير ذلك، فميزان الأعمال في يوم القيامة ما يناسبها بحيث يمتاز بها الأعمال الحسنة عن السيئة، والأخلاق الحميدة عن الرذيلة، والعقائد الحقّة عن الباطلة، وأهل الجنّة عن النار، و أهل السعادة عن الشقاوة، وهكذا.

المطلب الثالث

قد يشكل بأنَّ العمل فعل صادر عن فاعله، و هو من الأعراض غير القابلة للبقاء، بل يتصرّم أناً فأنّاً، كالحركة و الزمان، و غيرهما من الأمور التدريجية،

ص: 459

1- _ سورة الأنبياء: 47.

2- _ بحار الأنوار، ج 7، ص 249، ح 6.

فكيف يكون في القيامة؟ وكيف يوازن؟ وكيف يؤتي به؟

وقد أجب: تارةً بأنّ الأعمال الحسنة يتصوّر في القيامة بصور حسنة كالإنسان الجميل، و القبيحة بصور قبيحة كالكلب العقور، فيوازن تلك الصور.

وأخري بأنّ الصحف المكتوبة فيها الأعمال الحسنة توازن مع ما فيها السيئات.

و ثالثة بأنّ الأعمال الحسنة تصير جواهر بيضاء مشرقة، و السيئة سوداء مظلمة، فتوزن تلك.

أقول: قد تقدّم أنّ ميزان كلّ شيء بحسبه، فلا مجال لهذا الإشكال حتّى يحتاج إليّ الجواب.

هذا، مضافاً إليّ أنّ الإشكال مبني عليّ القول الثاني من الأقوال المتقدّمة في معني الميزان دون غيره.

المطلب الرابع

إنّ ظاهر الآية الشريفة في قوله تعالى: {فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ} (1)، أنّ كلّ إنسان له موازين متعدّدة، و هذا مورد عليه لما تقدّم من أنّه يمكن أن يكون للعقائد ميزان، و للأخلاق ميزان، و للأعمال ميزان.

بل يمكن أن يكون لكلّ نوع أو صنف أو فرد ميزان عليّ حدة، مثلاً للصلاة ميزان، و للصوم ميزان، بل لصلاة الظهر مثلاً ميزان، و للعصر ميزان، بل لكلّ صلاة ميزان، و لا بعد فيه، فلا وجه لما ذكره بعض من أنّ تعدّد الموازين

ص: 460

بحسب أفراد المكلفين؛ لأن الآية صرّح بأن من ثقلت موازينه من إضافة الموازين إلى شخص واحد، و جعل «ثقلت» صلة من أيّ كلّ فرد فرد.

المطلب الخامس

إنّ ظواهر الآيات تدلّ علي أنّ ما يوزن في القيامة خصوص الحسنات دون السيئات؛ لأنّ ثقل الموازين عبارة عن ثقل الحسنات، وكذا خفتها عن خفتها، فليس فيها إشارة إلى السيئات. نعم في بعض الأخبار (1) «فإن ثقلت كفة حسناته علي سيئاته، أو خفت عنها». (2)

المطلب السادس

إنّ الناس في هذا الموقف علي حسب الأخبار علي أصناف:

منهم: من لا ينصب لهم الموازين، بل يدخل النار بلا ميزان، وهم غير أهل الإيمان؛ لأنّه ليس لهم عمل صالح حتّي يوازن، لما تقدّم في المقام المتقدّم؛ لبطان جميع أعمالهم من جهة فقد الإيمان.

وعن الكافي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام): «اعلموا عباد الله أنّ أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين، ولا ينشر لهم الدواوين، و إنّما يحشرون إلي جهنّم زمرّاً، و إنّما نصب الموازين و نشر الدواوين لأهل الإسلام». (3)

و عن الاحتجاج في حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أئمة الكفر و قادة»

ص: 461

1- _ منقول بالمعني «منه».

2- _ بحار الأنوار، ج 68، ص 227.

3- _ الكافي، ج 8، ص 75، ح 29.

و منهم: من لا- ينصب لهم الموازين ويدخلون الجنة، و هم المؤمنون الصالحون المغفورون ذنوبهم المحببون لأهل البيت (عليهم السلام).

كما روي عن الصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): فَإِنَّ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عَشْرِينَ خَصْلَةً، عَشْرٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، وَعَشْرٌ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا: فَالزُّهْدُ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعَمَلِ، وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ، وَالرَّعْبَةُ فِي الْعِبَادَةِ، وَ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَ الشَّاطُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَ الْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَ الْحِفْظُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ (عز وجل)، وَ التَّاسِعَةُ بُغْضُ الدُّنْيَا، وَ الْعَاشِرَةُ السَّخَاءُ.

وَ أَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ: فَلَا يُشَدُّ لَهُ دِيْوَانٌ، وَ لَا يُنْصَبُ لَهُ مِيزَانٌ، وَ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَ يُكْتَبُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ، وَ يُكْسَى مِنْ حُلْلِ الْجَنَّةِ، وَ يَسْفَعُ فِي مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَ يَنْظُرُ اللَّهُ (عز وجل) إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَ يُتَوَجَّحُ مِنْ تَيْجَانِ الْجَنَّةِ، وَ الْعَاشِرَةُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَطُوبَى لِمُحِبِّي أَهْلِ بَيْتِي. (2) و منهم: من ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون.

و منهم: من خفت موازينه، فأولئك هم المعدَّبون، إلا أن ينالهم رحمة من الله، أو شفاعة أهل الشفاعة.

المطلب السابع: في الإحباط و التكفير

و القدر المسلم من الإحباط الكفر و الضلالة، فإنَّهما يحبطان جميع

ص: 462

1- _ الإحتجاج علي أهل اللجاج (للطبرسي)، ج 1، ص 244.

2- _ بحار الأنوار، ج 27، ص 163، ح 14؛ الخصال، ص 515، ح 1.

الحسنات، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا} (1).

وقال تعالى: {فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} (2).

وقال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} (3) إلى غير ذلك من الآيات.

فإن قلت: مقتضى قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}، {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (4)، وقوله: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» (5)، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار، بطلان الإحباط؛ لأنه لو فرض أن الكافر أو غير المؤمن صدر منه بعض الأعمال الحسنة، فيجب علي العادل الحكيم جزاؤه بالإحسان إليه، فما معني الإحباط؟ سيّما إذا فرض صدور تلك الأعمال عنه في زمان إيمانه وصحة عقائده، فإنه علي فرض كون الإيمان شرطاً للصحة وقعت تلك الأعمال صحيحة، ولا معني للبطلان بعد الوقوع، فلا معني للإحباط. قلت: المستفاد من الأخبار القطعية، بل الآيات أيضاً أن الموافقة أيضاً شرط في الصحة، بمعني بقاء الإيمان إلي آخر العمر، فجميع العبادات الصادرة عن الإنسان وقعت مراعي، فإن مات علي الإيمان كانت صحيحة وإلا فلا، وإشكال الشرط المتأخر قد حَقَّق الكلام فيه في مسألة الفضولي والإجازة في باب البيع،

ص: 463

1- _ سورة الفرقان: 23.

2- _ سورة البقرة: 217.

3- _ سورة الزمر: 65.

4- _ سورة الزلزلة: 7 _ 8.

5- _ تفسير القمّي، ج 1، ص 224.

و الآيات الدالّة علي الإحباط دليل علي هذا الشرط، فلا تنافي بين الآيات.

و أمّا سائر المعاصي، فلم يقد دليل قطعي علي حبط الأعمال الصالحة بها. (1)

نعم يمكن أن يكون ترك بعض المعاصي شرطاً في قبول العبادات، كما ورد في الأخبار أن ترك الزكاة و فعل الإباق و النسوز و العقوق و الكبر و البخل و غيرها مانعة من قبول الصلاة، بل قوله تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (2)، عام لجميع العبادات، و هذا غير الحبط، بل موجب لقلة الثواب، كما حَقَّقناه في محلّه، لا أنه موجب لردّ العبادة مطلقاً بعد فرض وقوعها صحيحة، و كان العبد ممثلاً مطيعاً.

و أمّا التكفير، فلا مانع منه، بأن يكون بعض العبادات أو البليات مكفّرة لبعض المعاصي، كما أن التوبة مكفّرة لها، كل ذلك تفضلاً من الله تعالى، و الآيات و الأخبار الواردة في عقوبة المعاصي من قبيل الوعيد، و لا مانع من التخلف، عكس الوعد الذي لا يجوز تخلفه، هذا ما خطر بالبال في هذا المجال، و التفصيل في علم الكلام.

المقام الحادي عشر: فيما يسأل عنه يوم القيامة

و الأخبار الواردة في ذلك كثيرة جدّاً، و مجمل الكلام فيه أن الأمور التي

ص: 464

1- أقول: قد ورد بعض الأخبار في أن إتيان بعض المعاصي يوجب حبط بعض الطاعات كقوله (عليه السلام): «إِنَّ الْحَسَدَ دَأْبٌ يُكُلُّ الْحَسَدَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» و ... كما أن إتيان بعض الطاعات يوجب تكفير بعض السيئات، فلاحظ الأخبار في ذلك حتّي تظهر لك ما ذكرناه و قد إعترفه المصنّف في التكفير دون الإحباط فتأمل. (عا)

2- سورة المائدة: 27.

تسأل عنها عبارة عن عدة أمور:

أحدها: يسأل عن الرسل في تبليغ رسالاتهم، قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلْنَ الْمُرْسَلِينَ} (1)، وقال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} (2)، وقد ورد بعض الأخبار في ذلك.

ثانيها: السؤال عن النعم الإلهية، كما مرّ أنّ من الدواوين ديوان فيه النعم، وقد قال تعالى: {ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} (3)، ولا ينافيه ما ورد في بعض الأخبار من تفسير النعيم بنعمة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لما ذكرناه غير مرّة أنّ الأخبار الواردة في تفسير الآيات لبيان المصاديق، (4)

فلا مانع من الأخذ بإطلاقها، ومن المعلوم أنّ الولاية أعظم مصاديق النعمة.

ثالثها: عن الصلاة، كما ورد أنّ أوّل ما يسأل عنه أو ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة، إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها. (5)

وعن الصادق (عليه السلام): إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلًّا

ص: 465

1- _ سورة الأعراف: 6.

2- _ سورة المائدة: 109.

3- _ سورة التكاثر: 8.

4- _ أقول: كلامه لا يصحّ علي إطلاقه بل قد يكون لبيان المصاديق وقد يكون تفسيراً له ولا يشمل غيره. (عا)

5- _ الكافي، ج 3، ص 268، ح 4.

رابعها: عن القرآن في تلاوته، والعمل به، والتمسك به؛ لأنه كتاب قانون إلهي.

خامسها: عن المحارم الكبار، أي: المحرمات الكبيرة.

سادسها: عن السمع والبصر والفؤاد فيما صدر عنها، قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}. (2)

سابعها: عن العمر فيما أفناه، وعن المال ممّا اكتسب وفيما أنفق، وعن جسده فيما أبلاه.

ثامنها: عن حقوق الله تعالى من واجباته وفرائضه.

تاسعها: عن بعض المعاصي بالخصوص، كالزنا، واللواط، وشرب الخمر، وأكل الربا، والنظر إلى الأجنبية، وعن اتباع الهوي، وحب الدنيا، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، وقتل النفس.

عاشرها: عن حقوق الناس سيّما حقّ الوالدين والأهل والأولاد والأرحام والجار، وسائر الناس سيّما عن حقّ العلماء والمتعلّمين والسادات والفقراء، والمظلومين في نفوسهم، أو أعراضهم، أو أموالهم.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِهِ، وَارْضَ عَنَّا وَأَدِّ دِيُونَنَا، وَلا تَجْعَلْنَا تَحْتَ ظِلَامَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا، فَانصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

ص: 466

1- _ بحار الأنوار، ج 27، ص 167، ح 2.

2- _ سورة الإسراء: 36.

المقام الثاني عشر: في الصراط

وهو في الدنيا عبارة عن طريق السعادة والفوز والنجاة.

وقد أطلق في الأخبار علي معاني كثيرة، كلّها يرجع إلي المعني الواحد: طريق معرفة الله، والإسلام، والدين، والولاية، وكتاب الله تعالى، والنبى (صلي الله عليه وآله وسلم)، وأمير المؤمنين (عليه السلام)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام).

والمرور عنه عبارة عن تحصيل المعرفة، والاعتقاد بالإسلام، والعمل بالوظائف الدينية، وقبول الولاية، والعمل بالكتاب، وإطاعة النبى (صلي الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) في جميع أوامرهم ونواهيهم.

وقد يطلق الصراط في كلمات علماء الأخلاق بالحدّ المتوسّط بين الإفراط والتفريط علماً وأخلاقاً وعملاً ومعاشرةً، بل في جميع حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله وأخلاقه وعقائده، وهذا أيضاً يرجع إلي المعاني المتقدمة.

ومن الواضح أنّه بجميع معانيه أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف.

ويمكن أن يقال: إنّ غير المعصومين (عليهم السلام) خارج عن الصراط المستقيم، إلّا أنّ المراتب مختلفة، وهذا الصراط في الدنيا مرآة للصراط في الآخرة، فمن عبر عنه يعبر عنه، ومن ضلّ فيه يضلّ فيه.

وأما في الآخرة، فهو جسر ممدود علي جهنّم لا بدّ من المرور عنه، فمن عبر عنه نجى ويدخل الجنّة، ومن لم يعبر عنه هوى في جهنّم وهلك، والأخبار في ذلك متواترة معني غير قابلة للتأويل، والتصرف الذي تصدّي بعض أرباب الحكمة من حملها علي توسّط الأخلاق الذي عبارة عن الأخلاق الحميدة المتوسّطة بين الرذيلتين من طرفي الإفراط والتفريط، ولا فائدة في نقل

كلماتهم بعد ما حَقَّقناه في الأمر السادس في حقيقة المعاد في يوم المعاد، وقلنا هناك بعض كلماتهم وأجبنا عنه، فراجع.

والصراط في القيامة بهذا المعنى من ضروريات الدين، وعليه عامّة المسلمين، وقد فسّر به في الأخبار الصادرة عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وكثير من الآيات الكتاب المبين، مثل قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}، {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا} (1)، وقوله تعالى: {فَلَا أَفْتَحَمُ الْعُقَبَةَ} (2) إلي غير ذلك.

ثم لا يخفى أنّ هذا الصراط بمقتضى الطبيعة علي ما احتملناه في آخر المقام الخامس من كون جهنّم في باطن الأرض، يبرز ويظهر عند انشقاق الأرض، وكون الجنة في بعض الكرات العلوية، وعند تقارب كرة الأرض بتلك الكرة، لا بدّ لأهل القيامة المرور من تلك الكرة الأرضية إلي هذه الكرة التي فيها الجنة، والمفروض أنّ الأرض قد انشقت وبرزت الجحيم، فلا مناص إلاّ من جسر علي ذلك الانشقاق حتّى يعبر عنها إليها، فلا ينافي الصراط مع القواعد الطبيعية، فتدبر.

ثم إنّ الأخبار (3) الواردة في كونه أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فإنّما هو علي الكفّار و من يحذو حذوهم، وأمّا علي أهل السعادة فهو وسيع، كما ورد في بعض الأخبار.

ص: 468

1- سورة الفجر: 14.

2- سورة البلد: 11.

3- بحار الأنوار، ج8، ص64؛ الكافي، ج8، ص312.

ثم إنه قد ورد في الأخبار (1) أن علي الصراط قناطر وعقبات يسأل فيها عن بعض الفرائض:

الأولي: عن الولاية، والإيمان، والعقائد الحقّة.

والثانية: عن الصلاة.

والثالثة: عن الزكاة والخمس.

والرابعة: عن الصوم.

والخامسة: عن الحجّ.

والسادسة: عن الطهارة، والمراد منها: إمّا الطهارات الثلاث، وإمّا طهارة الباطن عن الرذائل، وإمّا طهارة البدن عن النجاسات، أو القلب عن نجاسة المعاصي، أو عن غير الله، ولعلّ المراد جميع مراتب الطهارة.

والسابعة: عن مظالم الناس، وفي بعض الأخبار: يسأل عن الرحم والأمانة والصلاة والعدل.

إن قلت: قد تقدّم أنّ موقف السؤال قبل الصراط، فلا معني لتلك السؤال.

قلت أولاً: لا مانع عن كون بعض الفرائض مسؤولاً عنه في مواقف. وثانياً: يمكن أن يقال: من لم يأت بالجواب الصحيح في موقف السؤال يمنعونه من العبور في تلك العقبات إلا أن تناله الرحمة أو الشفاعة.

ثم إنّ الناس مختلفون في كيفية العبور عن الصراط باختلاف مراتبهم في

ص: 469

صراط الدنيا بمعانيه المتقدّمة، فمنهم من يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم كعدو الفرس، ومنهم راكباً، ومنهم راجلاً، ومنهم ماشياً، ومنهم بالأيدي والأرجل، ومنهم كالمقعد، ومنهم علي بطنه، ومنهم معلقاً علي شعرة في جهنّم.

اللّهمّ ثبت أقدامنا علي الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، بحقّ محمّد وآله الكرام الفخام، صلّ عليهم إلي يوم القيام.

المقام الثالث عشر: في أصحاب الأعراف والأطفال والمستضعفين والمجانين وأولاد الزنا والمرجّين لأمر الله

في سورة الأعراف، قال تعالى: { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ }، { وَإِذَا صَدَّرْتُمْ أَبْصَارَهُمْ تَلَقَّاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }، { وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ }، { أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } (1).

أقول: هذه الآية الشريفة من المشكلات، لا يمكن تفسيرها بالرأي، ولا اعتماد علي قول المفسّرين أصلاً، وإنّما المرجع الأخبار الواردة من أهل بيت العصمة في ذلك المقام، والمستفاد من مجموعها أنّ أصحاب الأعراف قسمين:

ص: 470

قسم وهم الأنبياء وأوصياء الأنبياء، كما في بعض الأخبار، ونبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) كما في بعض، و صدر الآية راجع إلي هذا القسم؛ لأن الأعراف سور بين الجنة والنار، وهو مكان عال مشرف علي أهل الجنة والنار، وهؤلاء يعرفون أهل الجنة بسماهم، وكذا أهل النار بسماهم.

وقسم آخر وهم المؤمنون المذبذبون الذين لم يدخلوا الجنة لكثرة ذنوبهم، ولم يدخلوا النار لأجل إيمانهم. ومن قوله تعالى: {وَنَادِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} (1)، راجع إلي هذا القسم، حيث إنهم لم يدخلوا الجنة، ولكن يرجون ويتمعون دخولها، وسلموا علي أهل الجنة، و ادعوا ربهم أن لا يجعلهم من أهل النار مع القوم الظالمين.

والذي يخطر بالبال أن قيام الأنبياء والأوصياء والأئمة (عليهم السلام) في هذا المكان العالي المشرف علي أهل الجنة والنار لشفاعة هؤلاء المؤمنين المذبذبين، فيعرف علو مرتبتهم عند الله أهل الجنة والنار، فيزيد حسرة أهل النار أن هؤلاء المذبذبين مع كثرة ذنوبهم نالوا بشفاعة هؤلاء الجنة لإيمانهم، ولو كان أهل النار من المؤمنين لنالوا بشفاعة هؤلاء الشفعاء ولو بلغ ذنوبهم ما بلغ، ولزاد بذلك فرح أهل الجنة لإلحاق هؤلاء المؤمنين بهم فيها.

وهؤلاء الذين نالوا بالشفاعة هم الذين أقسم أهل النار أنهم لا ينالوا الرحمة، فإذا قبل الشفاعة في حقهم يخاطبون بقوله تعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} (2)، والله العالم بكلامه، هذا في أصحاب الأعراف.

ص: 471

1- سورة الأعراف: 44.

2- سورة الأعراف: 49.

وَأَمَّا الْأَطْفَالُ، فَإِنْ كَانُوا أَطْفَالًا مُؤْمِنِينَ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَا لِأَجْلِ اسْتِحْقَاقِهِمْ؛ لِعَدَمِ ثُبُوتِ قَلَمِ التَّكْلِيفِ عَلَيْهِمْ وَعَدَمِ إِيمَانِهِمْ، بَلْ كَرَامَةً لِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَتَسْلِيَةً لَهُمْ فِي مَصَابِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا يَصِيرُونَ وَسِيلَةً لِنَجَاةِ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، كَمَا يَنَادِي بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ، وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ تَفَضُّلاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا أَطْفَالُ الْكُفَّارِ، فَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لِعَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، وَعَدَمِ كَرَامَةِ لِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَلَا يَدْخُلُونَ النَّارَ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَعْذِّبُ أَحَدًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلْعَذَابِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُمْ فِي مَكَانٍ غَيْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَتَنَعَّمُونَ بِبَعْضِ النِّعَمِ.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الدَّالَّةُ عَلَيَّ أَنَّهُمْ يُؤْمَرُ بِهِمْ فِي دُخُولِ النَّارِ، فَإِنْ أَطَاعُوا يَصِيرُ النَّارُ لَهُمْ بَرْدًا وَسَلَامًا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ خَالَفُوا فَيَدْخُلُونَ النَّارَ، لَا يَنَاسِبُ مَعَ الْقَوَاعِدِ الْعَدْلِيَّةِ بِظَاهِرِهَا، (1) وَلَيْسَتْ مِنَ الْأَخْبَارِ الْقَطْعِيَّةِ، فَالْأُولَى السَّكُوتُ وَإِحَالَةُ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْأُثْمَةُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وَأَمَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ الْقَاصِرُونَ بِحَيْثُ لَمْ يَتِمَّ لَهُمُ الْحِجَّةُ: إِمَّا لِضَعْفِ قَوْلِهِمْ، وَإِمَّا لِعَدَمِ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِمْ، وَإِمَّا لِإِغْفَالِ آبَائِهِمْ وَأَهْلِ مِلَّتِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَإِمَّا لِصُمِّمْ أَوْ بَكْمٍ أَوْ عَمِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَذَا الْمَجَانِينُ وَمَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَإِنْ كَانُوا قَابِلِينَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَلَوْ لِكَرَامَةِ لَغَيْرِهِمْ، فَلَا مَانِعَ مِنَ التَّفَضُّلِ فِي حَقِّهِمْ.

وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَابِلًا لِذَلِكَ التَّفَضُّلِ، فَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لِعَدَمِ الْقَابِلِيَّةِ، وَلَا

ص: 472

1- _ أقول: إذا أعطاهم الله تعالى في يوم القيامة ما كان للمكلفين في الدنيا من الشرائط وأتم حجته عليهم ثم إختبرهم هناك فهو لا ينافي قواعد الإمامية. (عا)

النار لعدم التقصير، والكلام فيهم والأخبار الواردة في حقهم ما تقدّم في أطفال الكفار طابق النعل بالنعل.

نعم فيهم كلام آخر صغروي، وهو تعيين مصداق المستضعف، وقد ورد في ذلك أيضاً أخبار لا يهمنّا التعرّض لذلك؛ لأنّ الله يعلم القاصر والمقصّر، فيفعل مع كلّ ما يليق به.

وأما أولاد الزنا، فقد ورد في بعض الأخبار أنّه يدخل النار ولا يدخل الجنّة، لكن مقتضى القواعد العدلية أنّ نفس كونه ولد الزنا ليس تقصيراً منه بل من أبويه: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} (1)، فإن آمن وعمل صالحاً فله الجنّة، وإن كفر وعصي فله النار، إلا أن يحمل تلك الأخبار بأنّ ولد الزنا لم يوفّق بالإيمان، ومن المعلوم علي هذا الحمل أنّ المراد القضية الغالبية لا الدائمة، والقول بعدم إمكان الإيمان في حقّه خلاف الوجدان والبرهان.

وأما المرجون لأمر الله، كما قال تعالى: {وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (2)، وهم علي الظاهر من لم يكن مسلماً ولا مؤمناً ولا كافراً ولا مشركاً ولا جاحداً ولا معانداً، فأمرهم إلي الله يمكن تعذيبهم لتامة الحجّة عليهم؛ لأنّ المفروض أنّهم ليسوا بمستضعف، ومن لم يؤمن فهو كافر يستحق العذاب.

ويمكن عفوهم؛ لعدم جحودهم وعنادهم مع المسلمين، وقد ورد في

ص: 473

1- سورة الأنعام: 164.

2- سورة التوبة: 106.

بعض الأخبار أنهم قوم مشركون قاتلوا المسلمين مثل حمزة و جعفر، ثم أخرجوا من الشرك و آمنوا، لكن لم يدخل الإيمان في قلوبهم.(1)

أقول: قد مرّ غير مرّة أنّ الأخبار الواردة في تفسير الآيات غالباً لبيان المصاديق لا تفيد الإنحصار، فهؤلاء أيضاً في آخر عمرهم ليسوا بمشرك ولا مؤمن.

ثم إنّ قوله تعالى: {وَأِمَّا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}، لعلّ المراد عدم تعذيبهم لا دخولهم الجنة؛ لأنّه مشروط بالإيمان.

المقام الرابع عشر: في الجنة و النار

إشارة

و الكلام فيه في مباحث:

المبحث الأول: في كونهما مخلوقان الآن

و تعيين موضعهما، و كونهما مع ما فيهما من المحسوسات الجسمية لا الأمور الخيالية، أو المثالية، أو العقلية الروحية.

أمّا كونهما مخلوقين، فمضافاً إلي ضرورة الدين، و إجماع المسلمين، قولته تعالى: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}، {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} (2)، و قوله تعالى: {أَعَدَّ

ص: 474

1- بحار الأنوار، ج20، ص114، ح44؛ الكافي، ج2، ص407، ح1. عَنْ ذُرَّازَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِهَا قَوْمًا مُّشْرِكِينَ»، قَالَ: قَوْمٌ كَانُوا مُّشْرِكِينَ، فَقَتَلُوا مِثْلَ حَمْزَةَ وَ جَعْفَرَ وَ أَشْبَاهَهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَوَحَّدُوا اللَّهَ وَ تَرَكُوا الشُّرْكَ، وَ لَمْ يَعْرِفُوا الْإِيمَانَ بِقُلُوبِهِمْ، فَيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَجِبَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَ لَمْ يَكُونُوا عَلَي جُحُودِهِمْ، فَيَكْفُرُوا فَتَجِبَ لَهُمُ النَّارُ، فَهُمْ عَلَي تِلْكَ الْحَالِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ.

2- سورة النجم: 14 - 15.

اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ {1}، وقوله تعالى: {أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} {2}، وقوله تعالى في حق أهل النار: {أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} {3}، الظاهر كلها بلفظ الماضي الدالة على كونهما مخلوقين، والأخبار في ذلك متواترة بالتواتر الإجمالي، وهي علي طوائف:

منها: ما ورد من رؤية النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) ليلة المعراج الجنة والنار، ودخوله الجنة وأكله من فواكهها، ورؤيته قصر الأخضر للحسن (عليه السلام)، والأحمر للحسين (عليه السلام)، وطبقات العذاب في جهنم، وبناء الملائكة في الجنة، وربما يسكون ينتظرون النفقة، ونفقتهم التسيحات الأربعة، وهي كثيرة جداً.

ومنها: ما ورد من كون طينة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) بل وشيعتهم مأخوذة من الجنة.

ومنها: نزول الحوريات في ولادتهم (عليهم السلام)، سيما لعا في ولادة الحسين (عليه السلام).

ومنها: إهداء كافور الجنة للنبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وقسمه بأقسام ثلاثة لنفسه ولعلي ولفاطمة (عليهم السلام).

ومنها: نزول الموائد والفواكه في موارد عديدة لهم (عليهم السلام)، بل للأنبياء (عليهم السلام) أيضاً. ومنها: كون الجنة مخلوقة من نور الحسين (عليه السلام).

ومنها: ما ورد في شهر رمضان من كون أبواب الجنة مفتحة وأبواب النيران مغلقة.

ص: 475

1- سورة التوبة: 89.

2- سورة الحديد: 21.

3- سورة آل عمران: 131.

و منها: ثياب الجنة أتى بها رضوان خازن الجنة للحسين (عليهما السلام) .

و منها: ما ورد في أن حجر الأسود من الجنة.

و منها: ما ورد في بكاء أهل الجنة و النار في شهادة الحسين (عليه السلام) .

إلي غير ذلك، مضافاً إلي تصريح بعض الأخبار بأنه ليس ممّا من أنكر خلقة الجنة و النار.

و أمّا موضعهما، فلم نجد في الآيات و الأخبار شيء يدلّ علي ذلك، إلاّ قوله تعالى: { وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَىٰ }، { عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ }، { عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ } (1)، و إلاّ النبوي المروي عن أنس بن مالك «فوق السماوات السبع تحت العرش» (2) و العلوي المروي عن أبي هريرة و سلمان عنه (عليه السلام) في جواب الجاثليق «الجنة تحت العرش في الآخرة، و النار تحت الأرض السابعة السفلى» (3). (4).

ص: 476

1- سورة النجم: 13 _ 15.

2- بحار الأنوار، ج8، ص83 و ص84.

3- البرهان في تفسير القرآن، ج4، ص728 و ج5، ص297.

4- أقول: يمكن أن يستدلّ بقوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا»، (بقرة، 37، 38) فأخبر الله تعالى عن أنه أهبطهم بعد تلقي الكلمات و التوبة و هو يدلّ علي أن آدم (عليه السلام) هبط من فوق الأرض إليها. و قد ورد عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: «... اهْبِطًا مِنْ سَمَاوَاتِي إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَا يُجَاوِزُنِي فِي جَنَّتِي عَاصٍ وَلَا فِي سَمَاوَاتِي...» (تفسير العياشي، ج2، ص11) و ورد أيضاً أن آدم (عليه السلام) هبط علي جبل صفا... اللهم إلا أن يقال: إن هذه الأدلة و ما ذكره المصنّف (رحمة الله) في خلق الجنة و النار بعضها ورد في جنة الدنيا و البحث في موضع جنة الخلد. قال العلامة المجلسي (رحمة الله عليه) في مرآة العقول: و اختلف في أن جنة آدم (عليه السلام) هل كانت في الأرض أم في السماء؟ و علي تقدير كونها في السماء هل هي الجنة التي هي دار الثواب و جنة الخلد؟ أم غيرها، فذهب أكثر المفسرين و أكثر المعتزلة إلي أنها جنة الخلد، و قال أبو هاشم: هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد، و قال: أبو مسلم الأصبهاني و أبو القاسم البلخي، و طائفة هي بستان من بساتين الدنيا في الأرض كما يدلّ عليه هذا الخبر، و استدلّ أكثرهم بالوجه المذكور في الخبر و أورد عليه بأن عدم الخروج إنّما يكون بعد دخولهم بجزء العمل لا مطلقاً و الخبر يدلّ علي أنه لا يخرج من يدخله مطلقاً، و يشكل بدخول الملائكة و دخول الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) ليلة المعراج. إلا أن يأول بالدخول علي وجه الإسكان و النزول، لا علي وجه المرور و العبور، و الحق أن الجمع بين الآيات في ذلك مشكل، إذ ظاهر أكثر الآيات و الأخبار كونها في السماء و كونها جنة الخلد و هذا الخبر و بعض الأخبار النادرة صريحة في كونها في الأرض، و للتوقّف فيه مجال، و ظاهر الشيخ في التبيان و الطبرسي في مجمع البيان اختيار أنها دار الخلد و الله يعلم. (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج14، ص230).

(عا)

أقول: أما الآية الشريفة، فلا دلالة لها؛ لأنّ الكلام في موضع سدرة المنتهى كالكلام في موضع الجنّة.

و أما الخبران، فمضافاً إليّ ضعف سندهما كونهما أخبار آحاد لا يفيد في المقام شيئاً.

والذي أظنّ طبقاً للهيئة الجديدة أنّ كرة الأرض قطعة منفصلة من الشمس، وكانت عند انفصالها عنها محترقة في غاية الحرارة، لكن لما بعدت عنها و مضت مدّة بردت سطح ظاهرها و الهواء المجاور لها، و أحاطت الأبخرة التي حولها ثلاثة أرباعها، و تبدّلت الأبخرة ماءً، و بقي ربعها باردةً، و انجمدت بعض قطعاتها، فصارت جبلاً، لكن بقي تحت الأرض علي الحرارة التي كانت لها، كما نشاهد في أعماق الأرض في كلّ ثلاثين متراً يزيد فيها درجة من الحرارة، فإذا بلغ عمقها ستين ألف متراً تبلغ درجة الحرارة ألفين، و عند

ص: 477

ذلك لا يبقى فيها جسم إلا ذاب واحترق، فيمكن أن تكون النار تحت الأرض، كما دلّ عليه العلوي المتقدم.

وأما الجنة، فقد تقدّم سابقاً أنه يمكن أن تكون في بعض الكرات العلوية، ولا بعد في كونها في كوكب الوكا المسمّي بالنسر الواقع، والمعبر عنه في لسان الخارجة «آب كس» فعند اقتراب تلك الكرات بالحركة المستقيمة التي تقدّمت إليها تشقّ الأرض وتنحدّ الجبال، وبرزت الجحيم من أعماقها.

ولا يخفي أنّ الهيئة الجديدة وإن اعتقدت كون الفضاء غير متناهية، و الهيئة القديمة أيضاً اعتقدت أنّ سطح محدب الفلك الأطلس المعبر بالعرش لا يمكن معرفة بعده، ولا يعلم إلا خالقه. ونحن بعد ذكر البراهين القاطعة علي تناهي الأبعاد نقول: إنّه متناهٍ، لكن لا يمكن معرفة مقدار تناهيه، فإذاً لا مانع من الالتزام بكون «وكا» تحت العرش فوق الكرة العلوية، فتطبق مع الخبرين النبوي والعلوي، وتكون سدرة المنتهي التي هي مكان جبرئيل أيضاً في تلك الكرة، كما في الآية الشريفة. (1)

ص: 478

1- _ ويمكن أن يستدلّ لبعض ما ذكرنا بقوله تعالى في سورة العنكبوت: «يَوْمَ يَعْسَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» وبقوله تعالى: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ». بأن نقول: إنّ جهنّم هذه الكرة الأرضية، والعذاب من فوق حرارة الشمس بعد قرب الأرض إلي كرة الشمس كما ذكرنا، والعذاب من تحت الحرارة التي في تخوم الأرض، فتصيب الأرض بتمامها محترقة، وهي محيطة بالكافرين؛ لعدم تمكّنهم الخروج من تلك الكرة إلي كرة أخرى، بخلاف أهل الجنة حيث يخرجون بتوسط الصراط إلي كرة أخرى، ولعلّه لذا قال الله تعالى: «لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا». ومما يؤيد ما ذكرنا أو يدلّ عليه، قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَي رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»، «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا»، حيث يكون تمام أفراد البشر في هذه الكرة يخرجون من الأجداث، فأهل التقوي يخرجون منها وينجون، وأهل العذاب يبقون فيها، بل من تأمل في الآيات والأخبار المتفرقة يظهر له شواهد ومؤيدات كثيرة لما ذكرنا، فتأمل «منه» غفر له.

وأما كون ما فيهما من المحسوسات الحسّية الجسمية لا الخيالية المثالية، أو الروحية العقلية، فقد تقدّم الكلام فيه المستفاد من نصوص الآيات الشريفة الكثيرة، والأخبار المتواترة القطعية، والضرورة الإسلامية، وقد تقدّم الجواب عن شبهات الصدرية والشيخية، فلا نحتاج إلي أعادتها وتكرار البحث فيها، فراجع.

المبحث الثاني: في أوصاف الجنّة و نعمائها و لذائذها و أهلها

و الكلام فيه يقع في ضمن أمور:

الأول: لا يخفي أنّه لا يمكن في مقدرة البشر توصيف هذه، وكيف يقدر من لا خبرة له في هذه النشأة الفانية الدائرة، إلاّ ظواهر بعض ما شاهده بالحواسّ الظاهرة أو الباطنة، ولا يطلع علي العوالم التي خلق الله تعالى من العوالم العلوية والسفلية والملائكة والجنّ، و ما في السماوات و ما في الأرض، و ما في البحار و ما في الجبال، و ما في تخوم الأرض، و لا يطلع علي عالم العقول والنفوس والأرواح والأنوار و السرادقات وغيرها، و ما حقيقة اللوح والقلم وغيرهما.

فكيف يمكن أن يدرك عالم الآخرة، و ما أعدّ الله لعباده في دار ضيافته، مع أنّ الجنّة و ما فيها محلّ بروز رحمة الله و جوده و كرامته و إحسانه، و فهم هذه فوق حدّ العقول المحدودة.

و لا يمكن لنا أن نقول فيها إلاّ ما بيّن الله لنا في كتابه و بلسان نبيه (صلي الله عليه و آله و سلم) و

خلفائه (عليهم السلام) ، هذا مع قوله تعالى في كتابه: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (1)، حيث نفي علم كلِّ أحد؛ لأنَّ النكرة في سياق النفي يفيد العموم، سيِّما مع التعبير بـ«ما أخفي» فكيف يمكن كشف ما أخفي الله تعالى؟ وقال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَسْتَهْيِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ} (2)، وعن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في أخبار كثيرة: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَيَّ قَلْبٍ بَشَرٍ». (3)

الثاني: أنَّ الآخرة دار الحيوان، قال تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (4)، فكلَّ ما في الجنة والنار بل نفس الجنة والنار حيٌّ له حسٌّ وحركة مأمور بأمر، فربما يكون شيئاً واحداً يلتذُّ به كلُّ فرد بمقدار درجاته مرتبة فوق مرتبة أخرى لمن دون درجته، أو دون مرتبة أخرى لمن فوق درجته، وكذا التآلم من النار كلِّ بمراتبه ودرجاته.

الثالث: أنَّ النعم التي في الجنة كما كانت باقيةً دائمةً ثابتةً لا فناء لها ولا زوال، مثلاً الطعام الذي يؤكل لا ينعدم بل هو موجود ولو أكل ألف مرّة، وكذا غيره من النعم.

الرابع: أنَّ أهل الجنة لا يكون لهم جوع وعطش وألم، ولا يتحلَّل من أبدانهم شيء، ولا يدفع عنهم فضول حتَّى يحتاجوا إلي دفع الجوع والعطش والألم وبدل ما يتحلَّل، بل الأكل والشرب والنكاح وغيرها كلُّ التذاذ وهي دائمية؛

ص: 480

1- _ سورة السجدة: 17.

2- _ سورة الزخرف: 71.

3- _ بحار الأنوار، ج 81، ص 125؛ من لا يحضره الفقيه، ج 1، ص 295.

4- _ سورة العنكبوت: 64.

لأنه كما لا جوع لا شبع، حتّى لا يميل بعده إلى الأكل، بل لو أكل دائماً يلتدّ دائماً، كما قال تعالى: {أكلها دائماً}. (1)

الخامس: أنّ دار الآخرة ليست كهذه النشأة دار التزاحم و التمانع و التخالف لا بين أهل الجنة بعضهم مع بعض، و لا بين نعمها بعضها مع بعض، فالمؤمن في حال كونه آكلاً للأطعمة و الفواكه شارباً للأنهار جامعاً مع الحور مثلاً، ففي حالة واحدة أي دائماً ملتدّاً بجميع أنواع اللذائذ، بل يمكن أن يكون في شيء واحد جميع أنحاء اللذة، كما أنّ أهل النار يتألّمون دائماً بجميع أنحاء الآلام و البليات، بل يكون في عذاب واحد جميع أنحاء العذاب.

السادس: أنّ في الجنة لذائذ روحية فوق مراتب اللذائذ الجسمية، و هي كثيرة:

منها: و هي أعظمها كون الإنسان في جوار ربّ العالمين، و في مقام القرب إلى الله، و مشاهدة أنوار جلال الله، و شمول رحمته و فضله و عنايته و كرمه و جوده، و أيّ لذة فوق ذلك، كما ورد أنّه إذا اشتغل أهل الجنة بالجنة اشتغلوا بالله.

و منها: الحشر مع الأنبياء و الأولياء و الصالحاء، و سيّما مع النبي الأكرم (صلي الله عليه و آله و سلم) و الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

و منها: كون الجنة دار خلود، و هذه كافية في التذاذ الروح.

و منها: كونه مورد رضا الله، فهو راض مرضي، كما قال تعالى: {يا أيّها

ص: 481

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}، {اِزْجِعِي إِلَيَّ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} (1)، وقال تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} (2).

ومنها: دخول الملائكة عليهم بالتحيات والكرامات والتسليمات.

ومنها: السلطنة التي تكون لهم، وهي علي قسمين: قسم يكون لجميع المؤمنين؛ لأنه يكون لكلّ منهم خدام و حجب و غلمان و ملائكة و حور عدد ما شاء الله، وكلّ تحت أوامره و مشغول بخدمته، و له سلطنة عليهم.

وقسم يكون لبعضهم علي بعض، وهو أنّ من دخل الجنة بشفاعته له سلطنة عليهم، فإذا لتلك السلطنة مراتب كثيرة، فدرجة أعلاها لنبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) و أوصيائه (عليهم السلام)، فهم سلاطين علي جميع الأنبياء و الملائكة و الناس أجمعين؛ لاحتياج الكلّ بشفاعتهم و دخولهم الجنة بوساطتهم، ثمّ الأدون فالأدون.

ومنها: إلتذاذهم بالمعارف الإلهية، و العقائد الحقّة الإيمانية، و العلوم الدينية، و الملكات النفسانية، و الأخلاق الحميدة الإنسانية، و تشبّههم و تخلّقهم بالملائكة القدسية، و قبول أعمالهم الحسنة، و عفو الله و مغفرته عنهم، و دخولهم في حزب الأولياء و المقربين، و تخلّصهم عن النكبات الدنيوية، و العقوبات الأخروية، و نجاتهم عن أيدي الكفرة و الفجرة و الجبابرة، و رؤية أعدائهم و ظالمهم و معانديهم في جهنّم معذّبين مخلّدين، و رؤية أحبائهم و أوليائهم و آبائهم و أمهاتهم و أبنائهم و ذراريهم و أقربائهم و أصدقائهم

ص: 482

1- سورة الفجر: 27 _ 28.

2- سورة التوبة: 72.

وإخوانهم من المؤمنين بنعم الله متتعمين.

ومنها: زيادة أطف الله عليهم زيادةً بعد زيادة، كما قال تعالى: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} (1).

إلي غير ذلك ممّا لا يخطر بالبال، ولا يمكن أن يدرك أو يوصف، مع أنّ جميع اللذائذ الجسمية أيضاً لذائذ روحية؛ لأنّ الروح يلتذّ منها بتوسّط الجسم، رزقنا الله وإياكم دار كرامته بحقّ كرام خلقه محمّد وآله (عليهم السلام).

السابع: وأمّا اللذائذ الجسمية، فهي ممّا لا تعدّ ولا تحصى، ونذكر منها بعض ما أشير إليها في الكتاب العزيز، والأخبار المروية عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام).

فنقول مقدّمة: لا يخفي أنّ في تلك الآيات والأخبار ذكر أوصاف الجنّة بما نراه في الدنيا من الذهب والفضّة، والدرّ والياقوت، والزعفران والعنبر، والرمان والعنب، والخمر واللبن، والعسل والماء، والحريير والاستبرق والسندس، إلخ، وهذه ليس إلاّ لعدم إدراكنا فوق ذلك، ولا يمكن التعبير بغير ذلك.

فهذه مثل قولك في تعريف العلم: إنّ العلم أحلي من العسل، وأنور من الشمس، وأطيب من المسك؛ لأنّنا لا ندرك الدرجة الأعلى من الحلاوة إلاّ في العسل، والنور إلاّ في الشمس، والطيب إلاّ في المسك، وإلّا فأين حلاوة العلم ونورانيته وطيبه مع ما ذكر، فكيف يمكن مقايسة ما في الجنّة مع ما في الدنيا؟

آنچه مي گویم بقدر فهم توست

مردم اندر حسرت فهم درست

ص: 483

1- سورة ق: 35.

و كما تري في المحاورات سيما في ألسنة الشعراء في تشبيه وجه المحبوبة بالبدر ليلة تمامه، و شعره بالمسك الأذفر و نحوها، و كذا تشبيه الشجاع بالأسد حتّي قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) : أسد الله و أسد رسوله. إلي غير ذلك. و هذه ليست مجازات، أو ارتكاب خلاف الظاهر منها، بل ذلك متداول في جميع الألسنة و اللغات.

إذا عرفت ذلك، فنقول: قال الله تعالى في وصف أطعمتها: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} (1)، و قال تعالى: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} (2)، و قال تعالى: {أَكُلْهَا دَائِمًا} (3)، و قال تعالى: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (4). و في وصف أشربتها قال تعالى: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} (5)، و قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} (6).

و في عيونها قال تعالى: {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً} (7)، و قال تعالى: {إِنَّ

ص: 484

1- سورة الزخرف: 71.

2- سورة الزخرف: 73.

3- سورة الرعد: 35.

4- سورة مريم: 62.

5- سورة الإنسان: 21.

6- سورة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم): 15.

7- سورة الإنسان: 18.

الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا {1}، وقال تعالى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} {2}، وقال تعالى: {مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} {3}، وقال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} {4}، وقال تعالى: {وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} {5}، وقال تعالى: {وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} {6}.

وفي ألبستها قال تعالى: {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} {7}، وقال تعالى: {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} {8}.

وفي منازلهم قال تعالى: {لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} {9} وقال تعالى: {وَ مَسَاكِينَ طَيِّبَةً} {10} وقال تعالى: {مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَيَّ}

ص: 485

1- _ سورة الإنسان: 5.

2- _ سورة الإنسان: 17.

3- _ سورة المطففين: 25.

4- _ سورة الكوثر: 1.

5- _ سورة الواقعة: 18.

6- _ سورة المطففين: 27 _ 28.

7- _ سورة الكهف: 31.

8- _ سورة الحج: 23.

9- _ سورة الزمر: 20.

10- _ سورة التوبة: 72.

الأرائكِ {1}، وقال تعالى: {مُتَكِّينَ عَلَي فُرْشٍ بَطَانِئُهَا مِنِ اسْتَبْرَقٍ}. {2}

وفي زوجاته قال تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} {3}، وقال تعالى: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} {4}، وقال تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} {5}، وقال تعالى: {وَزَوْجَانَّهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} {6}، وقال تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}، {كَانَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}. {7}

وفي غلمانها قال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ}. {8}

وفي فرشها قال تعالى: {عَلَي سُرُورٍ مُّتَقَابِلِينَ} {9}، وقال تعالى: {عَلَي الأرائكِ مُتَكِينُونَ} {10}، وقال تعالى: {فُرْشٍ بَطَانِئُهَا مِنِ اسْتَبْرَقٍ} {11}، وقال تعالى:

ص: 486

-
- 1- _ سورة الكهف: 31.
 - 2- _ سورة الرحمن: 54.
 - 3- _ سورة الرحمن: 56.
 - 4- _ سورة الرحمن: 70.
 - 5- _ سورة الرحمن: 72.
 - 6- _ سورة الدخان: 54 و سورة الطور: 20.
 - 7- _ سورة الصافات: 48 _ 49.
 - 8- _ سورة الطور: 24.
 - 9- _ سورة الصافات: 44.
 - 10- _ سورة يس: 56.
 - 11- _ سورة الرحمن: 54.

{عَلِي سُرِّرَ مَوْضُونَةً} (1)، وقال تعالى: {سُرِّرَ مَرْفُوعَةً} (2).

وبالجملة قال تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (3).

وأما الأخبار، فغير محصورة في ذلك الباب، ونكتفي بذكر قليل منها:

فمنها: ما عن أمالي الصدوق (قدس سره)، بسنده عن البلال، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): {إِنَّ سُورَ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَ لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَ لَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ، وَ مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَ شِدْرُهَا الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ وَ الْأَخْضَرُ وَ الْأَصْفَرُ} (4) ومنها: ما عن الصافي، عن الأمالي، عن ابن عباس: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَي رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم): {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثُرَ}، قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَا هُوَ الْكُوْثُرُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: نَهْرٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهِ.

قَالَ عَلِيُّ (عليه السلام): {إِنَّ هَذَا لَنَهْرٌ شَرِيفٌ، فَانْعَتَهُ لَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ، يَا عَلِيُّ! الْكُوْثُرُ نَهْرٌ يَجْرِي تَحْتَ عَرْشِ اللَّهِ، مَائُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَاللَّيْنُ مِنَ الزُّبْدِ، حَصَاةُ الزُّبْرَجْدِ وَالْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ، حَشِيئَتُهُ الرَّعْفَرَانُ، تَرَابُهُ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، قَوَاعِدُهُ تَحْتَ عَرْشِ اللَّهِ (عز وجل)، ثُمَّ صَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) يَدَهُ عَلَي جَنْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَقَالَ: يَا عَلِيُّ! إِنَّ هَذَا النَّهْرَ لِي وَ

ص: 487

1- _ سورة الواقعة: 15.

2- _ سورة الغاشية: 13.

3- _ سورة السجدة: 17.

4- _ الأمالي (للصدوق)، ص 213؛ بحار الأنوار، ج 8، ص 116، ح 1 و ج 81، ص 125؛ من لا يحضره الفقيه، ج 1، ص 295.

ومنها: ما في الكفاية قال: وفي الرواية، إن طويبي شجرة في الجنة أصلها في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي كل منزل من منازلها له غصن من أغصانها، وفي ذلك الغصن جميع أنوار الثمار، فإذا خطر بخاطر المؤمن رمانة من الرمان مثلاً تدلّي ذلك الغصن إلي قربه، و تكلم الرمان وقالت: كل واحدة منه، كلني يا ولي الله، فتأتي إليه واحدة منهم، فإذا أكلها ارتفع القشر إلي مكانها فصارت رمانة، فثمارها لا تنقص أبداً.

وقد شبه الصادق (عليه السلام) بالسراج في الدنيا، فإنه لو أخذ منه ألف سراج لم ينقص من ناره و ضوئه شيء.

وروي أن أهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا و أكلهم و جماعهم، فإذا أكل ما شاء سقي شراباً طهوراً، فيذهب ما أكل، و يصير عرقاً كالمسك يرشح من بدنه، فتطهر بطنه و تعود شهوته. (2) انتهى كلامه (قدس سره).

ومنها: ما عن البحار، عن الكنز، عن محمد بن عباس مسنداً عن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) عن تفسير قوله تعالى: { وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً }، فقالا: علي الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فقال: قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرّدة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، علي كل سرير سبعون فراشاً، من كل لؤلؤ، علي كل فراش امرأة

ص: 488

1- _ الأماي للشيخ المفيد، ص 294، المجلس 35، ح 5؛ الأماي (للطوسي)، ص 69، ح 102؛ بحار الأنوار، ج 8، ص 18، ح 2 و ج 39، ص 299، ح 106.

2- _ بحار الأنوار، ج 8، ص 113.

مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً، عَلَيَّ كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَامِ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصَيْفًا وَوَصَيْفَةً، وَقَالَ: فَيُعْطِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْقُوَّةِ فِي عِدَاةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ كُلَّهُ. (1)

أقول: الخبر المروي عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) في فضائل كل يوم من شهر رمضان وصيامه ودعائه قريب من هذا الحديث، فراجع.

ومنها: ما عن البحار، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ رَأَيْتُ فِيهَا شَجَرَةً طُوبَى، أَصْلُهَا فِي دَارِ عَلِيِّ (عليه السلام) وَمَا فِي الْجَنَّةِ قَصْرٌ وَلَا مَنْزِلٌ إِلَّا وَفِيهَا فُتْرٌ مِنْهَا، وَأَعْلَاهَا أَسْفَاطٌ حُلَلٍ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، يَكُونُ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَلْفُ أَلْفِ سَفَطٍ، فِي كُلِّ سَفَطٍ مِائَةٌ أَلْفِ حُلَّةٍ مَا فِيهَا حُلَّةٌ يُشْبِهُ الْأُخْرَى عَلَيَّ أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهُوَ ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (2)

ومنها: ما عن البحار، عن كتاب العدة، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): لَوْ أَنَّ نُوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أُلْقِيَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، لَمْ يَحْتَمِلْهُ أَبْصَارُهُمْ، وَلَمَاتُوا مِنْ شَهْوَةِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. (3)

قال في الكفاية: وقد ورد عنهم (عليهم السلام): كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ. (4)

ومنها: ما عن الكافي، عن الصادق (عليه السلام)، عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى:

ص: 489

1- بحار الأنوار، ج8، ص149، ح84؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص665؛ تفسير كنز الدقائق، ج13، ص236.

2- بحار الأنوار، ج8، ص137، ح49.

3- بحار الأنوار، ج8، ص191، ح168؛ عدة الداعي و نجاح الساعي، ص109.

4- بحار الأنوار، ج8، ص191، ح168.

{ وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ } (1)، قال: فِيهَا فُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الْحَرِيرِ وَالدَّبِجِ بِاللَّوَانِ مُخْتَلِفَةٍ، وَحَشْوُهَا الْمِسْكُ وَ الْكَافُورُ وَ الْعَنْبَرُ، وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (عزوجل): { وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ }، الي ان قَالَ: وَ الْأَسَسَ سَبْعِينَ حُلَّةً حَرِيرٍ بِاللَّوَانِ مُخْتَلِفَةٍ، وَ صُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ مَنْسُوجَةً بِالذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ اللَّوْلُؤِ وَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. (2)

و منها: ما عن البحار، عن الصادق (عليه السلام): إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا يَتَلَذَّذُونَ بِشَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ أَشْهَى عِنْدَهُمْ مِنَ النِّكَاحِ. (3)

و منها: ما عن الاحتجاج، عن الصادق (عليه السلام)، حيث سأله زنديق قَالَ: فَكَيْفَ تَكُونُ الْحَوْرَاءُ فِي جَمِيعِ مَا أَتَاهَا زَوْجُهَا عَذْرَاءً؟ قَالَ (عليه السلام): لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطَّيِّبِ لَا يَعْتَرِبُهَا عَاهَةٌ وَلَا يَخَالِطُ جَسْمَهَا آفَةٌ وَلَا يَجْرِي فِي ثَقْبِهَا شَيْءٌ وَلَا يُدْنَسُهَا حَيْضٌ فَالرَّحِمُ مُلْتَزِقَةٌ مِلْدَمٌ إِذْ لَيْسَ فِيهَا لِسْوِي الْإِحْلِيلِ مَجْرِي، قَالَ: فَهِيَ تَلْبَسُ سَبْعِينَ حُلَّةً وَ يَرَى زَوْجَهَا مَخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّلِهَا وَ بَدَنِهَا؟ قَالَ (عليه السلام): نَعَمْ كَمَا يَرَى أَحَدُكُمْ الدَّرَاهِمَ إِذَا أَلْقَيْتَ فِي مَاءٍ صَافٍ قَدْرَهُ قَدْرُ رُمْحٍ. (4)

إلي غير ذلك من الأخبار، و من أراد فراجع إلي المطولات.

المبحث الثالث: في أوصاف جهنم و عقوباتها أعادنا الله منها برحمته

و الكلام فيها من حيث كونها مخلوقة الآن، و من حيث مكانها، و من حيث كونها محسوسة جسمانية قد تقدم، و من حيث إنَّها و ما فيها من طعامها و شرابها

ص: 490

1- _ سورة الواقعة: 34.

2- _ بحار الأنوار، ج 8، ص 158، ح 98؛ الكافي، ج 8، ص 97، ح 69. عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام).

3- _ بحار الأنوار، ج 8، ص 139، ح 53؛ الكافي، ج 5، ص 321، ح 10.

4- _ الاحتجاج، ج 2، ص 351؛ بحار الأنوار، ج 8، ص 136، ح 48 عنه.

وحياتها وعقاربها ولبستها ونارها وسلسلها وأعمدتها وكلابها، وغيرها ممّا ذكر الله تعالى في كتابه، أو ورد في لسان الأخبار، خارج فهم حقيقتها عن مقدرة البشر، وإنّما القدر الممكن منها تشبيهاً والتعبير عنها بما في عالم الدنيا نظير ما تقدّم في نعماء الجنّة، ونحن نذكر في المقام بعض الآيات الواردة فيها، ونشير إلى قليل من أخبارها، ونحيل التفصيل فيها إلى المطوّلات.

قال تعالى: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} (1).

وفي أطعمتها قال تعالى: {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ} (2)، وقد فسّر ذا غُصَّةٍ بذي شوكة يأخذ الحلق، فلا يدخل فيها ولا يخرج.

وقال تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ} (3)، قيل: هو نوع من الشوك إذا يبس، وهو أخبث طعام. وقال تعالى: {لَا يَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ}، {فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} (4)، وقال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ}، {طَعَامُ الْأَثِيمِ}، {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}، {كَغَلِي الْحَمِيمِ} (5)، وقال تعالى: {وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ}، {لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا

ص: 491

1- سورة الحجر: 44.

2- سورة المزمل: 13.

3- سورة الغاشية: 6.

4- سورة الواقعة: 52 _ 53.

5- سورة الدخان: 43 _ 46.

الْخَاطِطُونَ {1}، وفسّر الغسلين بمدفوعات أهل النار بعد أكل الزقوم.

وفي أشربتها قال تعالى: {لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ} {2}، وفسّر بالماء الشديد الحرارة.

وقال تعالى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} {3}.

وقال تعالى: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ}، {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} {4}، وفسّر الصديد بالقيح و الدم الخارجين من فروج الزواني، وقد روي عن الصادق (عليه السلام) {5}.

وقال تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًا} {6}.

وقال تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا}، {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} {7}، الحميم: الماء الشديد الحرارة، والغساق: شديد البرودة، كما عن ابن عباس.

ص: 492

1- سورة الحاقة: 36 _ 37.

2- سورة الأنعام: 70.

3- سورة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم): 15.

4- سورة إبراهيم: 16 _ 17.

5- تفسير القمي، ج 1، ص 368.

6- سورة الكهف: 29.

7- سورة النبأ: 24 _ 25.

وقال تعالى: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَّةٍ} (1)، وقد فسّر بعين لها أنين و ضجّة تشتعل منها نار جهنّم.

وفي البستها قال تعالى: {قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ}. (2)

وقال تعالى: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ}. (3)

وفي سلاسلها وأغلالها قال تعالى: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ}، {فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}. (4)

وقال تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}. (5)

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا}. (6)

وقال تعالى: {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}. (7)

وقال تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}، {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ}، {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}. (8)

ص: 493

1- سورة الغاشية: 5.

2- سورة الحج: 19.

3- سورة إبراهيم: 50.

4- سورة غافر: 71 _ 72.

5- سورة إبراهيم: 49.

6- سورة سبأ: 33.

7- سورة الرحمن: 41.

8- سورة الحاقة: 31 _ 33.

وفي مقامها وأعمدتها قال تعالى: {وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ}، {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا}. (1)

وفي أقرانها قال تعالى: {نَقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}، الي قوله: {قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ}. (2)

وفي كيفية صور أهل النار قال تعالى: {وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ}. (3)

وقال تعالى: {كَانَّمَا أَغْشَيْتَ وُجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا}. (4)

وقال تعالى: {يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}. (5)

وقال تعالى: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}. (6)

وفي الملائكة الموكلين عليها قال تعالى: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}. (7)

وقال تعالى: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}. (8)

ص: 494

1- سورة الحج: 21 _ 22.

2- سورة الزخرف: 36 _ 38.

3- سورة الزمر: 60.

4- سورة يونس: 27.

5- سورة الرحمن: 41.

6- سورة المؤمنون: 104.

7- سورة التحريم: 6.

8- سورة المدثر: 30.

وفي صعوبة عذابها قال تعالى: { وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } (1).

وقال تعالى: { وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } (2).

وقال تعالى: { فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ } (3).

وفي سعتها قال تعالى: { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ } (4).

وفي دركاتهما قال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (5) وفي آلامها الروحية قال تعالى: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } (6).

وقال تعالى: { أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (7).

وقال تعالى: { الْيَوْمَ نَسْأَلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } (8).

وقال تعالى: { وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (9).

ص: 495

1- _ سورة إبراهيم: 17.

2- _ سورة الحجر: 50.

3- _ سورة ق: 26.

4- _ سورة ق: 30.

5- _ سورة النساء: 145.

6- _ سورة المطففين: 15.

7- _ سورة آل عمران: 77.

8- _ سورة الجاثية: 34.

9- _ سورة السجدة: 14.

وقال تعالى: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ}. (1)

وقال تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}. (2)

وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}. (3)

وقال تعالى: {وَنادَوْا يَا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ}. (4)

وقال تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}. (5)

وقال تعالى: {وَنادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين}. (6)

وقال تعالى: {قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين}، {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، {قال احسوا فيها ولا تكلمون}. (7) وقال تعالى: {وقال الذين في النار ليخزنه جهنم}، إلي قوله {وما دعاء

ص: 496

1- سورة البقرة: 167.

2- سورة الزمر: 56.

3- سورة الفرقان: 27.

4- سورة الزخرف: 77.

5- سورة الدخان: 49.

6- سورة الأعراف: 50.

7- سورة البقرة: 106 _ 108.

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}. (1)

وقال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ - إِي قَوْلُهُ - فَلَا تَلُومُونِي وَرُؤْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}. (2)

وقال تعالى: {وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا - إِي قَوْلُهُ - سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ}. (3)

وقال تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَي بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ}. (4)

وقال تعالى: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}. (5)

وقال تعالى: {هَذَا فَوْجٌ مُتَّحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ}، إِي قَوْلُهُ: {عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ}. (6)

وقال تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ}، {عَلَي الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}. (7)

ص: 497

1- سورة غافر: 49 _ 50.

2- سورة إبراهيم: 22.

3- سورة إبراهيم: 21.

4- سورة القلم: 30.

5- سورة الزخرف: 67.

6- سورة ص: 59 و 61.

7- سورة المطففين: 34 _ 35.

وقال تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} (1) وقال تعالى: {فَمَ لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} (2).

وقال تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ} (3).

إلي غير ذلك من الآيات.

وأما الأخبار، فكثيرة جداً، ونحن نشير إلي قليل منها، وفيه كفاية لمن استبصر:

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) لأحنف بن قيس، قال (عليه السلام): لَتَتَرَكَنَّ فِي سَرَائِلِ الْقَطْرَانِ وَ لَتَطُوفَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ أَنْ، وَ لَتُسَقَيْنَّ شَرَاباً حَارّاً الْغَلْيَانِ فِي إِنْصَاحِهِ، فَكُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّارِ مِنْ صَدْلِ مَحْطُومٍ، وَ وَجْهِ مَهْشُومٍ، وَ مُشَوِّهِ مَصْرُوبٍ عَلَيِ الْخُرْطُومِ، قَدْ أَكَلَتِ الْجَامِعَةُ كَفَّهُ، وَ التَّحَمَ الطُّوقُ بِعُنُقِهِ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ يَا أَحْنَفُ يَنْحَدِرُونَ فِي أَوْدِيَّتِهَا، وَيَصِدَّ عَدُونَ جِبَالِهَا، وَ قَدْ أُلْسُوا الْمُقَطَّعَاتِ مِنَ الْقَطْرَانِ، وَ أَقْرَنُوا مَعَ فُجَّارِهَا وَ شَدَّ يَاطِينِهَا، فَإِذَا اسْتَتَعَاثُوا بِأَسْوَأِ أَخَذِ مِنْ حَرِيْقٍ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ عَقَارِبُهَا وَ حَيَاتُهَا، وَ لَوْ رَأَيْتَ مُنَادِيّاً يُنَادِي وَ هُوَ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ وَ نَعِيمِهَا! يَا أَهْلَ حُلِيِّهَا وَ حُلَلِهَا! خَلِّدُوا فَلَا مَوْتَ، فَعِنْدَهَا يَنْقَطِعُ رَجَاؤُهُمْ، وَ تُعْلَقُ الْأَبْوَابُ، وَ تَنْقَطِعُ بِهِمُ الْأَسَدُ بَابُ، فَكُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ شَيْخٍ يُنَادِي: وَ شَيْبَانَاهُ! وَ كَمْ مِنْ شَابٍّ يُنَادِي: وَ شَبَابَاهُ! وَ كَمْ مِنْ امْرَأَةٍ تُنَادِي: وَ فَضِيحَتَاهُ! هَتِكْتُ عَنْهُمْ السُّتُورَ، فَكُمْ

ص: 498

1- _ سورة البقرة: 15.

2- _ سورة فاطر: 37.

3- _ سورة غافر: 18.

يَوْمِنِدٍ مِنْ مَّغْمُوسٍ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا مَحْبُوسٍ. (1)

وعنه (عليه السلام): وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَ قَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطْرَانِ وَ مَقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَ بَابٍ قَدِ أُطْبِقَ عَلَيَّ أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ (2) وَ لَجَبٌ (3) وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيْفٌ هَائِلٌ لَا يَطْعَنُ مُقِيمَهَا، وَ لَا يُفَادِي أَسِيرَهَا، وَ لَا تُفَصِّمُ كُبُولَهَا، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَنِّي، وَ لَا أَجَلَ لِلقَوْمِ فَيُقْضَى. (4)

وعنه (عليه السلام): نَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٌ لَهَبُهَا مُتَعَيِّظٌ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٌ سَعِيرُهَا بَعِيدٌ خُمُودُهَا ذَاكٌ وَ قُودُهَا مَخُوفٌ وَعِيدُهَا عَمٍ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا. (5)

وعن الصدوق، عن الباقر (عليه السلام) لعمر بن ثابت، قال (عليه السلام): مَا ظَنَنْتُكَ يَا عَمْرُو بِقَوْمٍ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا، وَ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، عِطَاشٍ فِيهَا جِيَاعٌ، كَلِيلَةٌ أَبْصَارُهُمْ، صَمٌّ بِكُمْ عُمِّي، مُسْوَدَّةٌ وَجُوهُهُمْ، خَاسِئِينَ فِيهَا نَادِمِينَ، مَغْضُوبٍ عَلَيْهِمْ فَلَا يَرْحَمُونَ، وَ مِنَ الْعَذَابِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ فِي النَّارِ يَسْجَرُونَ وَ مِنَ الْحَمِيمِ يَشْرَبُونَ وَ مِنَ الرَّقُومِ يَأْكُلُونَ وَ بِكَالَائِبِ النَّارِ يُحْطَمُونَ وَ بِالْمَقَامِعِ يُضْرَبُونَ وَ الْمَلَائِكَةُ الْغَلَاظُ الشَّدَادُ لَا يَرْحَمُونَ وَ هُمْ فِي

ص: 499

1- بحار الأنوار، ج7، ص220 _ 221، ح133 و ج65، ص172، ح31؛ صفات الشيعة (للصدوق)، ص43.

2- الكلب بالتحريك: الشدة.

3- أي: الصوت.

4- بحار الأنوار، ج7، ص114، ح49؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص162، خطبة109.

5- بحار الأنوار، ج7، ص207، ح96؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص162، خطبة190.

النَّارِ يُسَدُّ حَبُونَ عَلِيٍّ وَجُوهِهِمْ، وَمَعَ الشَّيَاطِينِ يُقَرَّرُونَ، وَفِي الْأَنْكَمَالِ وَالْأَغْلَالِ يُصَدُّ مُدُونٍ إِنْ دَعَوْا لَمْ يُسَدَّ تَجَبُّ لَهُمْ، وَإِنْ سَأَلُوا حَاجَةً لَمْ تُقْضَ لَهُمْ، هَذِهِ حَالٌ مَنْ دَخَلَ النَّارَ. (1)

إلي غير ذلك من الأخبار، وفي ذلك كفاية لمن اتَّعظ، أعادنا الله وجميع المؤمنين منها بفضله وكرمه ورحمته بحق نبيه وخلفائه صلِّي الله عليهم.

المبحث الرابع: في الخلود والتسرد

قد ثبت بنص القرآن المجيد وتواتر الأخبار الناصّة وضرورة من الدين أنّ أهل الجنّة بمعني كلّ من دخل فيها مخلّد فيها، متنعم بنعيمها أبداً سرمداً، لا فناء لها ولا زوال.

وأما أهل النار، فعلي قسامين، فإن كانوا من أهل التوحيد بالمعني الذي سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه، فيمكث فيها ما شاء الله علي اختلاف أمدهم وطول مكثهم.

وأما الكفّار والمشرّكين والمنافقين ومن يحدو حدوهم، فهم فيها خالدون معدّبون أبداً سرمداً، لا يقضي عليهم ولا يخفّف عنهم.

وقد خالف في ذلك جماعة من الحكماء والعرفاء الصوفية والشيخية لشبهات وردت عليهم علي اختلاف أقوالهم وشبهاتهم، ونحن لا بدّ من أن نذكر أقوالهم وشبهاتهم، ثمّ نجيب عنها بعون الله تعالى، متمسكاً بحبل أوليائه صلوات الله عليهم متوكّلاً عليه، فإنّه ولي ذلك.

ص: 500

فنقول: الشبهة الأولى: ما ذكره بعض العرفاء والمتصوفة: إنَّ الممكن من حيث إنَّه ممكن يكون في الحركة الجوهرية في طريق الكمال و السير إلى الله تعالى، و العلة الغائية في إيجاد الممكنات عين العلة الفاعلية، و هو الله كما بدأكم تعودون، إنَّا لله و إنَّا إليه راجعون.

وقد قال المولوي: «از جمادي مردم و نامي شدم» إلى قوله: بعد از آن هم از ملك پران شدم

آنچه اندر وهم ناید آن شدم

پس عدم گردد عدم چون ارغنون

گویدم کائنًا إليه راجعون

فعلي هذا يطوي الجنة و النار و ما فيهما بعد تكامل السير و الحركة.

أقول: هذا الكلام مبني علي أصلهم الفاسد، و هو القول بوحدة الوجود و كثرة الموجود، بمعنى كثرة التعلقات و الماهيات، و ليس في دار التحقُّق إلاَّ الوجود الواحد، فالماهيات إنَّما هي لها ربط و إضافة بالعرض، و كلَّما بالعرض يزول، و قد قال المولوي أيضاً:

چون كه بي رنگي اسير رنگ شد

موسئي با موسئي در جنگ شد

چون دو رنگي از میان برداشتي

موسي و فرعون کردند آشتي

و هذا الأصل فاسد جدًّا؛ لما حقَّق في محلِّه أنَّ الأصل هو الوجود، و الماهية أمر اعتباري، و الوجود مقول بالتشكيك، له مراتب غير متناهية من حيث الكمال و النقص، و الشدَّة و الضعف، و أفراد متفاوتة أعلا مراتبه وجود الحقِّ غير المتناهي شدَّةً و عدَّةً و مدَّةً، و أدني مراتبه وجود مادَّة الموادِّ الهيولي

فأين التراب وربّ الأرباب، وأين الممكن مع الواجب والفقير والغني والناقص والكامل.

الشبهة الثانية: ما ذكره بعض الحكماء الطبيعي، من أنّ الحياة الحيوانية المنبعثة من البخار الغليظة إنّما هي باقية مادام بقاء الرطوبة في البدن، فإذا ورد الإنسان في النار سيما في نار جهنّم، جفّ ويسس البدن، فيزول الحياة، ومن هنا ننكر خلود أهل النار في النار.

والجواب: أنّ القادر المتعال يقدر علي إبقاء الحياة والبدن، كما نري في بعض الأجسام، كالكرات الجوّية، والأجسام الفلكية، سيّما علي القول الطبيعي القائل بدوامها، وقد أخبر في كتابه بقوله تعالي: { وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ } (2)، وقوله تعالي: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } (3).

الشبهة الثالثة: لغوية الخلود والتسرمد في العذاب؛ لأنّ الأفعال الصادرة عن الله لا بدّ أن يكون لحكمة وغرض وفائدة، وأيّ فائدة في خلود العذاب؛ لأنّ الفائدة إن كانت راجعة إلي الله، فهو غني بالذات، وإن كانت راجعة إلي العبد، فالمفروض أنّه ليس له إلا الضرر، فيوجب اللغوية، بل قد يدّعي أنّه قبيح عقلاً؛

ص: 502

1- أقول: قد تقدّم ممّا في بحث التوحيد أنّ هذا القول أيضاً فاسد وكاسد ومآله إلي وحدة الوجود التي اعترف المصنّف بفسادها ويلزم منه السنخية والمشابهة بينه تعالي وبين خلقه بل العينية وغير ذلك من التوالي الفاسدة التي في القول بوحدة الوجود فلاحظ كتابنا «تنزيه المعبود في الردّ علي وحدة الوجود». (عا)

2- سورة إبراهيم: 17.

3- سورة النساء: 56.

لأن الإضرار إلي الغير من دون مصلحة وفائدة ظلم قبيح.

و الجواب أما أولاً: أنه لو تمّ يوجب إنكار العذاب رأساً لا الخلود فقط.

و ثانياً: أن عدم معرفة الحكمة و المصلحة لا يدلّ علي عدم الحكمة و المصلحة، كما نري بالوجدان أننا لا نعرف مصالح كثير من أفعال الله مع أنها تكون عن مصلحة قطعاً.

و ثالثاً: أنه تعالي عدل في فعله، و معني العدل إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، فإذا فرض أنّ الكافر مثلاً يستحقّ العذاب الأبدى، كما سنبينه إن شاء الله تعالي، فإعطاء حقّه عدل حسن لا قبح فيه و لا لغوية يعتريه.

الشبهة الرابعة: أنّ الكفّار و الفجّار إنّما عصوا الجبّار في مدّة أعمارهم، فيقتضي تعذيبهم طبقاً لتلك المدّة؛ لقوله تعالي: { وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } (1)، فيكون التعذيب زائداً عن هذا المقدار ظلم عليهم، تعالي الله عنه علواً كبيراً.

و الجواب: أنّ عمدة العذاب في القيامة يكون لأجل الملكات و الصفات الرذيلة و الأخلاق السيئة، بل العقوبة علي الأفعال و المعاصي لكشف تلك الأفعال عن تلك الملكات، سيّما ملكة الكفر و الشرك و الطغيان، و تلك الملكات إنّما تتغيّر في هذه النشأة، أمّا الآخرة فهي معهم دائماً، و تقتضي تعذيبهم دائماً، وقد أشار إليه في كتابه العزيز: { وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } (2).

ص: 503

1- سورة الشوري: 40.

2- سورة الأنعام: 28.

ولعلّ هذا هو المراد في الأخبار، مثل ما عن الصادق (عليه السلام): **إِنَّمَا خُلِدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خُلِدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ أَوَّلًا، ثُمَّ تَمَسَّكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ} (1)**، قال (عليه السلام): **أَيُّ عَلَيَّ نِيَّتِهِ. (2)**

ومثل قوله (عليه السلام): **إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَيَّ نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (3)**

وقولهم (عليهم السلام): **نِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ. (4)**

أقول: البحث في نية السوء هل تكتب أو لا تكتب، و هل تكون ذنباً مغفوراً عنه أم لا، أو التفصيل بين أقسام النيات، كما حقّقناه في محلّه، موكول الي محلّه، فلا بدّ من حمل تلك الأخبار علي ما ذكرنا.

الشبهة الخامسة: ما نسب إلي بعض الحكماء، كالشيخ ابن عربي في الفتوحات، والقيصري في شرح الفصوص، و صدر المتألّهين في الأسفار و العرشية، من أنّ لا ننكر الخلود في العذاب، وإنّما ننكر ترمد العذاب.

بل نقول: إنّ أهل النار في النار بعد مكثهم فيها مدّة تحصل لهم طبيعة مناسبة مع النار بحيث يلتذّون بها، فلو أخرجوا منها يكون تعذيباً لهم، نظير الملائكة الموكّلين في النار و الحيّات و العقارب التي فيها حيث إنّهم لا يتأذّون و لا يتألّمون منها، كالجعل يتضرّر بريح الورد و يلتذّ بالنتن، و كالحروري

ص: 504

1- سورة الإسراء: 84.

2- بحار الأنوار، ج 67، ص 209، ح 30؛ المحاسن، ج 2، ص 331، ح 94.

3- بحار الأنوار، ج 67، ص 209، ح 29؛ المحاسن، ج 1، ص 262، ح 325.

4- بحار الأنوار، ج 67، ص 189، ح 2؛ الكافي، ج 2، ص 84، ح 2.

يتأذي بريح المسك.

و الجواب: مضافاً إلي أنّ ذلك مجرد تخمين و حدس لا يساعد عليه البرهان. أولاً: أنّ عذاب الجحيم ليس نوعاً واحداً، بل يتجدد و يضعف لهم العذاب، كما قال تعالى: {لِكُلِّ ضِعْفٍ} (1)، و هم دائماً ينقلبون إلي الحالة الأولى ليدوقوا العذاب، قال تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}. (2)

و ثانياً: نمنع كون كلّ عذاب يصير ملائماً للطبع، كما نري بالوجدان في كثير من البليات الدنيوية، مثلاً من ابتلي بوجع الرأس و العين و غيرهما يكون دائماً متأدياً و لا يصير الوجع مثلاً كالطبيعة، و كالفقر و أمثاله من البليات.

الشبهة السادسة: ما ذكره هؤلاء أيضاً من أنّ الأشياء كلّها لاسيّما الإنسان تكون بذاتها مشتاقاً إلي لقائه و محبباً له، و الكراهة و العداوة طارئة بالعرض، و كلّ ما بالعرض يزول، فإذا عذب مدّة برأ من المرض، و يعود إلي ما بالذات، فإذا أحبوا لقاءه تعالى و اشتاقوا أحبّ الله لقاءهم، فيزول عنهم العذاب.

و الجواب: أنّه قد حقّق في محله أنّ الملكات النفسانية من مراتب النفس، سيّما علي القول باتّحاد العاقل و العقل و المعقول لا العوارض، سيّما علي قول هؤلاء من الحركة الجوهرية، غاية الأمر في عالم الآخرة نمنع الحركة الجوهرية؛ لأنّها دار باقية، فكلّ باقٍ علي ملكاته التي اكتسبها في هذه النشأة لا يتغيّر و لا يتبدّل و لا يزول، فعدوّ الله و الكاره لقائه يكون دائماً عدوّه و كاره لقاءه، فيكون معدّباً دائماً.

ص: 505

1- _ سورة الأعراف: 38.

2- _ سورة النساء: 56.

الشبهة السابعة: أنّ الرحمة العامة التي وسعت كلّ شيء لا بدّ وأن تشمل الكفّار وأهل النار، وقد ورد في الأخبار أنّ رحمته سبقت غضبه، فلا بدّ أن ينتهي العذاب ويتبدّل الغضب بالرحمة.

أقول: لا شبهة ولا إشكال في أنّ العنايات الإلهية والتفضّلات الربّانية والرحمة الواسعة وإن كانت لا قصور فيها، لكنّها إنّما تشمل من له القابلية، فإذا لم يكن الكافر قابلاً للشمول، فالقصور من طرفه لا من طرف الفاعل.

وبالجمله كما هو أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، هو أشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة. وكما يكون أرحميته غير متناهية، يكون أشدّية عقوبته أيضاً غير متناهية.

الشبهة الثامنة: أنّه قد ورد في قوله تعالى: {لَا يَثِينَنَّ فِيهَا أَصْحَابًا} (1)، وقوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ سَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَسَهَيْقٌ}، {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} (2)، ومقتضى الآيتين محدودية العذاب، وبهما يقيّد الاطلاقات الواردة في القرآن والأخبار الدالّة على الخلود، كما هو مقتضى الاطلاق والتقيد، فليس دليلاً على الخلود.

والجواب أولاً: أنّه قد حقّق في محلّه أنّ تقيد المطلق إنّما هو فيما إذا كانا متنافيين، وأمّا المتوافقان كالمثبتين فلا، مثلاً إذا قال المولي: أكرم زيدا، ثمّ قال: أكرم العالم، لا يوجب تقيد العالم بخصوص زيد، والمقام من هذا القبيل.

وثنانياً: يمكن أن يكون الإتيان كناية عن الدوام لا المحدودية، كما هو

ص: 506

1- سورة النبأ: 23.

2- سورة هود: 106 _ 107.

المتعارف في الألسنة. وثالثاً: يمكن أن يكون هذا لبعض أهل النار، كما تقدّم سابقاً، لا الكفار والمنافقين مثلاً، وإن كان هذا الجواب ينافي مع قوله تعالى: في حق أهل الجنة أيضاً: { خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } (1).

فالأولي أن يقال: بعد الاتفاق بخلود أهل الجنة، فلا مناص إلا عن القول بكونها كناية عن الدوام، والسياق واحد.

ورابعاً: أن كثيراً من الآيات والأخبار ناصّة في الخلود، بحيث لا يقبل التقييد، فلا بد أن يحمل الآيتين علي ما لا ينافيها، أو الالتزام بإجمالهما، مثل قوله تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } (2)، وقوله تعالى: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } (3)، وقوله تعالى: { لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا } (4) إلي غير ذلك.

وأما الأخبار، فمنها: ما تقدّم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله (عليه السلام): فعندها ينقطع رجاءهم، وينغلق الأبواب، و ينقطع بهم الأسباب.

وقوله (عليه السلام): لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَمْنِي وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضِي. (5)

ص: 507

-
- 1- سورة هود: 107.
 - 2- سورة آل عمران: 88.
 - 3- سورة النساء: 56.
 - 4- سورة فاطر: 36.
 - 5- بحار الأنوار، ج7، ص114، ح49؛ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص162، خطبة109.

وقول الباقر (عليه السلام): لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا(1). (2)

ومنها: ما في دعاء الكميل: وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَ سَخَطِكَ. (3) فانظر إلي العلة كيف تدل علي المطلوب.

وأصرح من الكلّ كلام علي (عليه السلام): قَدْ أُطْبِقَ عَلَيَّ أَهْلِيهَا، فَلَا يُفْتَحُ عَنْهُمْ أَبَدًا، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ رِيحٌ أَبَدًا، وَلَا يَنْقُضِي مِنْهُمْ الْغَمَّ أَبَدًا(4)

الْعَذَابُ أَبَدًا شَدِيدٌ، وَالْعِقَابُ أَبَدًا جَدِيدٌ، لَا الدَّارُ زَائِلَةٌ فَتُنْفِي، وَلَا آجَالُ الْقَوْمِ تُقْضِي. (5)

إلي غير ذلك من الأخبار. مضافاً إلي قيام ضرورة الدين وإجماع المسلمين و اتفاق العلماء العاملين، فمع هذا كيف يبقي شبهة، ولولم تكن ما ذكر مفيداً للقطع و دفع الشبهات المذكورة، فأَيُّ دليل يقتضي القطع سيّما مع ما تقدّم من برهان العقل علي كون هؤلاء مع تلك الملكات دائماً، فيقتضي دوام العذاب كما لا يخفي.

نعم يظهر من بعض الأخبار أنّ جماعة من أهل النار الذين لا يستحقّون عذاب الأبد يخرجون من النار و تنالهم الرحمة الواسعة، و شفاعة نبينا (صلي الله عليه و آله و سلم) و الأئمة (عليهم السلام) فيدخلون الجنّة و يتنعمون فيها، و هذا ممّا لا كلام فيه.

ص: 508

1- سورة فاطر، 36.

2- الأُمالي (للصدوق)، ص 557، المجلس 82، ح 14؛ بحار الأنوار، ج 8، ص 281، ح 3.

3- مصباح المتعبد و سلاح المتعبد، ج 2، ص 847.

4- في بحار الأنوار: وَلَا يَنْقُضِي مِنْهُمْ عُمْرٌ أَبَدًا.

5- بحار الأنوار، ج 8، ص 292، ح 34؛ تفسير القمّي، ج 2، ص 289.

و لم يقم دليل قطعي علي خلود جميع أهل النار، إنّما الكلام في تعيين الموضوع، ففي بعض الأخبار و كلمات بعض الأصحاب أنّهم العصاة من أهل الإيمان إذا كانت معاصيهم كثيرة، بحيث لم تدركهم الرحمة و الشفاعة قبل دخول النار، إلاّ أنّه ينافي مع ما سيأتي في الخاتمة إن شاء الله تعالى أنّ من مات مؤمناً نجي ببركة أهل بيت العصمة و لو بلغ ما بلغ من المعصية، و عمدة الخوف عن المعاصي صيرورتها موجبا لزوال الإيمان، و عقوبات عالم البرزخ و عقبات القيامة. و في بعض الأخبار أنّهم العصاة من أهل التوحيد، و هذه بإطلاقها يشمل أهل الخلاف، إلاّ أنّه حينئذ لا بدّ من حملها علي من لم يبغض الأئمة (عليهم السلام) و لم يعاندهم، و لم يكونوا مقصّرين في ترك تحصيل الإيمان؛ لأنّ عقوبة هؤلاء أشدّ من الكفّار و المشركين بنصّ الأخبار.

و يمكن أن يقال بل لا يبعد أن يكون ذلك لكلّ مستضعف من النساء و بعض الرجال البعيده الذين لا يستطيعون حيلة، سواء كانوا من الكفّار أو المخالفين، بل الشيعة القاصرين في تكميل العقائد و معرفتها بالمقدار اللازم.

ثمّ إنّ هؤلاء إن كانوا بعد خروجهم من النار قابلين لدخول الجنة لأجل إيمانهم و محبّتهم أئمة الدين يدخلون الجنة، و إلاّ فلا، و الله العالم بأحوال عباده و ما يفعل بهم و ما يستحقّون.

اللّهم لا تجعلنا من أصحاب النار، و احشرنا مع الأبرار الأخيار، بحقّ محمّد و آله الأطهار صلواتك عليهم ما دامت الليل و النهار.

فيما يوجب الخوف والرجاء

وقد بسطنا الكلام فيها في رسالتنا الأخلاقية طبقاً لما استفدنا من كتب الأخلاق من أراها راجعها، وإنّما نتعرّض الآن في هذا المقال ما يساعدنا المجال و يقتضي الحال.

فنقول: إنّ ما يورث الخوف ويستحسن ويمدح أمور ثلاثة: الخوف من الله تبارك وتعالى جلّت عظمته، والخوف من ملكاته وأخلاقه وأعماله وتقصيره وطغيانه، والخوف من سوء الخاتمة.

أمّا الخوف من الله، فهو إنّما يحصل بعد المعرفة بعظمته وكبريائه وجبروته وقهره، فكلّ من كان برّبه أعرف كان من الله أخوف، كما عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): «أنا أخوفكم من الله»⁽¹⁾، و حكايات خوف الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) والأمثلة فالأمثلة مسطورة في محالّها، سيّما أمير المؤمنين (عليه السلام) وغشواته و حكاياتهم في صلواتهم، والأدعية الواردة عنهم، مثل دعاء الكميل وأبي حمزة الثمالي وغيرهما مشحونة بذلك.

وقد ورد في مدح هذا الخوف ما ورد من الآيات والأخبار، مثل قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ⁽²⁾، وقوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ

ص: 510

1- في الأمالي (للطوسي)، ص 119: فَإِنِّي أَخَوْفُكُمْ عِقَابَ اللَّهِ.

2- سورة فاطر: 28.

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ {1}، وقوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} {2}، وقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} {3}، وقوله تعالى: {وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {4}، وقوله تعالى: {سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى} {5}، وقوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ}، {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} {6}، وقوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} {7}، إلی غیر ذلك من الآيات.

و مثل ما ورد عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): رأس الحكمة مخافة الله. (8)

و عنه (صلي الله عليه وآله وسلم): أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً. (9)

و عن سيد الساجدين (عليه السلام) في مناجاته: سبحانك عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك. (10)

ص: 511

1- _ سورة الأعراف: 154.

2- _ سورة البيئة: 8.

3- _ سورة الأنفال: 2.

4- _ سورة آل عمران: 175.

5- _ سورة الأعلي: 10.

6- _ سورة النازعات: 40 _ 41.

7- _ سورة الرحمن: 46.

8- _ بحار الأنوار، ج 21، ص 211 و ج 74، ص 133، ح 43؛ الخصال، ج 1، ص 111، ح 83.

9- _ بحار الأنوار، ج 67، ص 233.

10- _ بحار الأنوار، ج 83، ص 227.

وعن الباقر (عليه السلام): مَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَ اللَّهَ. (1) إلي غير ذلك من الأخبار.

وأما الخوف من معاصيه وملكاته، فهو إنما يحصل بعد المعرفة بمضارّها، وهي كثيرة:

منها: استحقاق العقوبة والعذاب في كلّ واحد منها ممّا عيّن في الأخبار والآيات.

ومنها: البعد عن الرحمة، كما أنّ العبادة توجب القرب.

ومنها: اسوداد القلب.

ومنها: ضعف الإيمان.

ومنها: سلب التوفيق.

ومنها: حبس الدعاء.

ومنها: عدم الالتذاذ بالمناجات والعبادات.

ومنها: نزول البليات والمصائب.

ومنها: زوال النعم.

ومنها: إيذاء النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمّة (عليهم السلام) وشينهم.

ومنها: وهي أعظمها مخالفة أمر الله، فعن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْبَسُ

ص: 512

1- بحار الأنوار، ج67، ص357، ح3؛ الكافي، ج2، ص68، ح4. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام).

وعن الباقر (عليه السلام): الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ، ذَنْبٌ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ، وَعُمْرٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ. (2)

وعنه (عليه السلام): مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطِيئَةٍ. (3) وعن الصادق (عليه السلام): رَبِّمَا عَمِلَ الْعَبْدُ السَّيِّئَةَ، فَيَرَاهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا. (4)

وأما الخوف من سوء الخاتمة، فهو إنما يحصل بأمر ثلاثة:

أحدها: زوال الإيمان بالشبهات الواردة عليها من شياطين الإنس والجنّ ولو عند الاحتضار بما يورث الجحود أو الشكّ.

ثانيها: ضعف الإيمان، وحبّ الشهوات، وشدّة العلاقة بالدنيا وما فيها من المال والجاه والعيال والأولاد، فيصعب عليه مفارقتها، ويكره لقاء الله، فيحدث في قلبه بغض الله؛ لأنّه يرى أنّه قد قطع منه تلك الأحبة فيموت كافراً.

ثالثها: رسوخ الملكات الذميمة والمعاصي التي صارت عاداته، و من المعلوم ظهور العادات عند الغشوة والنوم والجنون، وعند الموت أشدّ من جميعها.

ص: 513

1- بحار الأنوار، ج70، ص331، ح16 وص348، ح38؛ الكافي، ج2، ص272، ح19.

2- بحار الأنوار، ج67، ص365، ح10؛ الكافي، ج2، ص71، ح12، هذه الرواية في الكافي: منقولة عن الصادق (عليه السلام).

3- بحار الأنوار، ج67، ص54، ح22 وج70، ص312، ح1؛ الكافي، ج2، ص268، ح1.

4- الكافي، ج2، ص272، ح17؛ وسائل الشيعة، ج15، ص303، ح20579.

ثم لا يخفي أنّ الخوف بجميع مراتبه بمنزلة السوط من الله تعالى يسوغ العبد إليّ تحصيل العلم والعمل المورثين لصالح الدارين وسعادة النشأتين، نظير السوط الذي يسوغ به البهيمة والضرب الذي يؤدّب به الصبي، فالسوط الغير المؤلم للبهيمة الضرب غير المؤثر في التأديب لا فائدة فيه، كما أنّ السوط الذي يقتل البهيمة أو يكسر رجله، وكذا الضرب إذا كان بحدّ الإفراط أيضاً لا يحصل به الغرض، فالخوف إذا كان بحدّ يورث البكاء فقط ولا ينبعث منه العلم والعمل كرقّة النساء ليس ممدوحاً، وكذا الخوف الذي يورث اليأس ويمنعه عن تحصيل السعادة أيضاً لا يفيد، فالممدوح منه حدّ الوسط الذي يحصل به الغرض.

ولا يخفي أيضاً أنّ الخوف لا يتحقّق إلاّ بأمر ثلاثة: علم، وحال، وعمل.

أمّا العلم، فمعرفة عظمة الله وقهره ومضارّ سيئات أخلاقه وأعماله، وشدة عقوبة الله ومخاطرات خاتمته، وكلّما زاد هذه المعرفة زاد الخوف.

وأمّا الحال، فهو أن يظهر أثره في القلب بقمع الشهوات، وتكدر اللذات، وكراهة المعاصي، وإزالة الذمائم من الأخلاق، مثل الكبر والحقد والحسد وغيرها، والاشتغال بعيوب نفسه عن غيره، والضمتة بالأنفاس، والمراقبة والمحاسبة والمجاهدة، ومؤاخذه نفسه في الخطرات والخطوات والكلمات وغيرها، والخضوع والخشوع وغيرهما، وبالجملة يكون همّه الاشتغال بباطنه وظاهره عمّا يخاف عنه.

وأمّا العمل، فهو الكفّ عن المحظورات بدرجاته الأربع:

الاولي العفّة، وهي المنع عن الشهوات.

الثاني الورع، وهو الاجتناب عن المحرّمات.

الثالث التقوي، وهو ترك المحتملات مخافة الوقوع في المحرّمات.

الرابعة الصدق، وهو التجرد للخدمة، فلا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلي ما يفارقه.

ثم إنّ الاستفادة من بعض الأدلّة من الآيات والأخبار أنّ الإنسان يجب له أن يكون بين الخوف والرجاء، بحيث لو وزن لم يترجّح أحدهما علي الآخر، والمستفاد من بعض آخر ترجيح الرجاء وحسن الظنّ باللّه، وقد جمع الأصحاب بين هاتين الطائفتين بوجوه:

أحدها: أنّ الأولي قبل ظهور سكرات الموت، والثانية بعده.

ثانيها: أنّ الأولي قبل العمل، والثانية بعده.

ثالثها: أنّ الأولي في حقّ المنهمك في المعاصي، والثانية في غيره.

رابعها: أنّ الأولي في حقّ من غلب عليه الرجاء، والثانية في حقّ من غلب عليه الخوف.

أقول: كلّ ذلك لم يكن، بل الأولي بملاحظة نفسه والنظر إلي أعماله من عباداته ومعاصيه، والثانية بالنظر إلي اللّه تعالي وكرمه وإحسانه. هذا كلّه في الخوف.

وأما الرجاء، فهو يحصل بأمر اثناعشر:

الأول: النهي عن القنوط واليأس، وكونه من الكبائر.

الثاني: الأخبار الواردة في الرجاء.

الثالث: استغفار الملائكة والأنبياء والصلحاء من المؤمنين.

الرابع: ما ورد في تأجيل المذنب.

الخامس: البشارات الواردة للشيعة.

السادس: ما ورد في أنّ النار إنّما أعدت للكفار و إنّما يخوف بها أوليائه.

السابع: ما ورد من كون ابتلاء المؤمن بالبلايا كفارة لذنوبه. الثامن: ما ورد أنّ الإيمان لا يضّرّ معه السيئة.

التاسع: ما ورد من حسن الظنّ بالله، و أنّ الله عند ظنّ عبده المؤمن.

العاشر: ما ورد في كون الكفار و النصاب فداءً للشيعة من مائة إلى مائة ألف لواحد.

الحادي عشر: سعة رحمة الله و عفوه و مغفرته.

الثاني عشر: الشفاعة.

و ينبغي أن نذكر قبل الشروع في أدلّة هذه الأمور الاثني عشر مطالباً ثلاثة:

الأوّل: أنّ الرجاء كالخوف إنّما يحسن إذا صار باعثاً عليّ تحصيل السعادة و العمل عليّ ما يرجو؛ لأنّ الرجاء مقود، يقود الإنسان إليّ سعادة الدارين و الفوز بالنشأتين، فالرجاء الذي لا يورث العمل ليس برجاء بل غرور و حماقة، قال تعالى: {وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ}. (1)

و قال تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَصَ هَذَا

ص: 516

وعن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) : الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَيَّ اللَّهُ. (2) وروي أنه قيل للصادق (عليه السلام) : قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَقُولُونَ: نَرْجُو، أَلَيْسَ انْ قَال: كَذَبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ، إِنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ. (3)

وعنه (عليه السلام) : لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً، وَلَا يَكُونُ خَائِفاً رَاجِياً، حَتَّى يَكُونَ عَامِلاً لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو. (4)

أقول: قايس نفسك مع التاجر والزارع، فالتاجر الذي يعمل ويتجر بجميع ما يلزم في التجارة، ثم يرجو النفع، يصدق في حقه أنه راجٍ، وأما من لم يتجر ولم يعمل ويقول أرجو النفع، يقال في حقه: إنه يتمني و مترجٍ، ويصدق أنه مغرور وأحمق، وكذا الزارع إذا زرع وعمل جميع ما يلزم في الزراعة من تنقية الأرض والزرع والسقاية، فيرجو الحصاد فهو صادق، وأما من لم ينق الأرض ولم يزرع ولم يسق و يرجو الحصاد، فهو أحمق متمني.

فالقلب أرض، و تنقيته إزالة الذمائم وترك المعاصي، وزرعه الإيمان، و سقايته الطاعات، و حينئذ يكون راجياً، وبدون ذلك مغرور و أحمق.

المطلب الثاني: أن الناس مختلفون، فلا بد أن ينظر إلي نفسه، فإن كان

ص: 517

1- سورة الأعراف: 169.

2- مجموعة الورام، ج1، ص 215 و ص 235 و ص 243.

3- بحار الأنوار، ج 67، ص 357، ح 4؛ الكافي، ج 2، ص 68، ح 5.

4- بحار الأنوار، ج 67، ص 365، ح 9؛ الكافي، ج 2، ص 71، ح 11.

الباعث علي العمل الخوف يكون الخوف له أحسن، وإن كان الرجاء يكون له الرجاء أحسن، وكذا إن رأي أنّ الخوف يمنعه من العمل، فالرجاء له أحسن، أو أنّ الرجاء يمنعه فالخوف أحسن.

وبالجمله الممدوح من الخوف و الرجاء هو المنبعث منه الإيمان و الطاعة و ترك المعاصي، و المذموم منها هو المانع عنها، فهما دوآن يتداوي بهما المرضي، و المرضي مختلفون، فينبغي للواعظ الذي يريد مداواة المرضي أن يلاحظ أولاً حال المرضي و يتداوي بمقتضي مرضه، مثلاً- من كان آمناً من مكر الله، أو غلب علي نفسه الرجاء و اطمئنّ به يجب تخويفه، فلو بين له موجبات الرجاء لأهلكه، و من كان آيساً من روح الله، أو غلب علي نفسه الخوف يجب ترغيبه، فإنّ خوفه أهلكه.

لكن أطباء زماننا كانوا علي عكس من ذلك، و يتكلّمون علي منابر المسلمين ما يحبّونه و يفرحون به، فضلّوا و أضلّوا، عصمنا الله تعالي بمحمّد و آله صلّي الله عليهم.

المطلب الثالث: أنّ الخوف و الرجاء من الصفات القلبية، لا يحصلان إلاّ بالإيمان و الاعتقاد، فمن لا يخاف الله و لا يخاف عذابه لم يكن مؤمناً بالله و لا باليوم الآخر، و لا يعتقد بما أخبر الله و نبيّه و أولياؤه من شدّة العقوبة، و ما أعدّ الله للعصاة في يوم القيامة، و من لا يرجو الله و الجنة لم يكن مؤمناً بالله و اليوم الآخر، و ما أعدّ الله لأولياؤه و ما أخبروا به من ثوبات الطاعات، فكّلما كان إيمانه أقوى و كان أعرف بالله و باليوم الآخر كان خوفه و رجاءه أكد.

ثمّ إنّ لهما آثاراً يظهر علي القلب و علي الجوارح، كما تري في حالات الأنبياء و الأولياء، فليس كلّ من يدّعي أنّه راجٍ أو خائف بصادق ما لم يظهر

آثارهما، كسائر الملكات الحميدة و الرذيلة كل لها آثار.

ثم لا يخفي أنه يجب أن لا يتكل العاملون بأعمالهم؛ لأن العمل الصحيح الخالص عن جميع العيوب الباطنية و الظاهرية الواحد لجميع شرائط الصحة و القبول الفاقد لجميع موانعهما، قليل في الغاية، نادر في النهاية، بل يتكلمون بفضله و كرمه و رحمته، مضافاً إلي أنه لو عبد جميع عمره بجميع جوارحه و قلبه لا يمكن له تدارك نعمة واحدة من نعمائه غير المتناهية، فكيف يستحق بها النعيم الأبد.

فعن النبي (صلي الله عليه و آله و سلم) أنه قال: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: لَا يَتَّكِلُ الْعَامِلُونَ عَلَيَّ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي فَإِنَّهُمْ لَوْ اجْتَهَدُوا وَ اتَّعَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَعْمَارَهُمْ فِي عِبَادَتِي كَانُوا مَقْصَرِينَ غَيْرَ بِالْغَيْنِ فِي عِبَادَتِهِمْ كُنْهَ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كَرَامَتِي وَ النَّعِيمِ فِي جَنَاتِي وَ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي جَوَارِي وَ لَكِنْ بِرَحْمَتِي فَلْيَتَّقُوا وَ فَضَّلِي فَلْيَرْجُوا وَ إِلَيَّ حُسْنُ الظَّنِّ بِي فَلْيُطْمَئِنُّوا فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تُدْرِكُهُمْ وَ مِنِّي يُبَلِّغُهُمْ رِضْوَانِي وَ مَغْفِرَتِي تُلْبِسُهُمْ عَفْوِي فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَ بِذَلِكَ تَسَمَّيْتُ. (1)

إذا عرفت ذلك كله، فنقول: أمّا الأول و هو النهي عن القنوط و اليأس، قال الله تعالى: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً } (2)، و قال تعالى: { وَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

ص: 519

1- الكافي، ج2، ص71، ح.1.

2- سورة الزمر: 53.

إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} (1)، و من هنا عدّ في الأخبار و الفتاوي من الكبائر ذلك.

و أما الثاني و هو ما دلّ علي الرجاء، فقد ورد في الخبر أنّ الله تعالى أوحى إلي داود: أَحَبَّنِي وَ أَحَبَّ مِنْ يَحَبَّنِي، وَ حَبَّبَنِي إِلَي خَلْقِي، فقال: كيف أحببتك إلي خلقك؟ قال: أذكرني بالحسن الجميل، و اذكر آلائي و إحساني و ذكرهم ذلك، فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل.

وقيل: رأي بعض الأكابر في النوم و كان يكثر ذكر أبواب الرجاء، فقال: أوقفني الله بين يديه، فقال: ما الذي حملك علي ذلك؟ فقلت: أردت أن أحببتك إلي خلقك، فقال: قد غفرت لك.

و من المعلوم أنّ الله تبارك و تعالى خلق الخلق لإفاضة الجود و الاحسان إليهم، و هو غني عنهم، و أنّه لم يترك لهم في الدار الدنيا مع كونها دار هوان و محنة و بلية شيئاً ممّا يحتاجون إليه ممّا هو أصلح لهم من الزينة و الجمال و غيرهما ممّا يحبّ و يحسن لهم، و لم يرض أن يفوتهم شيء من المزايد و المزايا في الحاجة و الزينة، و هو تعالى جواد كريم، فكيف بدار الآخرة، و هو تعالى خير محض لا شر فيه.

از خير محض جز نكوئي نايد

خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد

و أما الثالث، فقد قال الله تعالى: { وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ } (2)، و قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ

ص: 520

1- سورة يوسف: 87.

2- سورة الشوري: 5.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا {1} إلى آخر الآيات. وقال تعالى مخاطباً لنبيه (صلي الله عليه وآله وسلم) في حق المؤمنين: {وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {2}، وقال تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} {3}، وقال تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} {4}، الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وأمّا الأخبار، فكثيرة جداً سيّما في الخطب والأدعية، وما ورد في القنوتات والتعقيبات والصلوات، سيّما في صلاة الموتى، وما صدر من النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) والصلحاء وجميع المؤمنين من صدر الاسلام إلى زماننا هذا، بل إلى يوم القيامة في قولهم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَمَنْ غَبَرَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فكيف يمكن أن يدعي أنه لا يستجاب شيء من تلك الاستغفارات العامة لا من الملائكة، ولا من نبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم)، ولا من الأئمة (عليهم السلام)، ولا من أحد من المؤمنين، فإذا استجاب واحد منها في حق عامة المؤمنين، كفي في نجاتهم أجمعين إلا من لم يكن مؤمناً، فهذا دليل قطعي على نجات المؤمن بلغ ما بلغ.

وأمّا الرابع وهو تأجيل المذنب، فعن الباقر (عليه السلام): إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَدْنَبَ ذَنْبًا أُجِّلَ

ص: 521

1- _ سورة غافر: 7.

2- _ سورة الممتحنة: 12.

3- _ سورة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم): 19.

4- _ سورة آل عمران: 159.

مِنْ غُدْوَةِ إِلَيَّ اللَّيْلِ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ. (1)

وعن الصادق (عليه السلام): مَنْ عَمِلَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِيهَا سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، فَإِنْ قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ. (2)

هذا مضافاً إلي أن الذنب لا يكتب إلا واحداً، والحسنة يكتب عشرة، وإلي أنه لو تاب بعد الكتب يمحو ويبدل الله سيئاتهم حسنات، كما هو مفاد الآية، وإلي أن التوبة مقبولة ببرهان العقل ونص الآيات والأخبار المتواترة، وللکلام في حقيقة التوبة وجوبها وشرائطها وفوائدها محل آخر.

وأما الخامس وهو بشارات الشيعة.

ففي الوافي: عن الكافي في حديث طويل، عن الصادق (عليه السلام) يخاطب فيه أبو بصير، ونحن نذكر بعض فقراته:

منها: قوله (عليه السلام): يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْرِمُ الشَّبَابَ مِنْكُمْ وَيَسْتَحْيِي مِنَ الْكُهُولِ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَكَيْفَ يُكْرِمُ الشَّبَابَ وَيَسْتَحْيِي مِنَ الْكُهُولِ؟ فَقَالَ (عليه السلام): يُكْرِمُ اللَّهُ الشَّبَابَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي مِنَ الْكُهُولِ أَنْ يُحَاسِبَهُمْ. (3)

ومنها: قوله (عليه السلام): فَأَبْشِرُوا ثُمَّ أْبْشِرُوا، فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ الْمَرْحُومُونَ، الْمُتَقَبَّلُونَ مِنْ

ص: 522

1- _ الكافي، ج 2، ص 437، ح 1.

2- _ الكافي، ج 2، ص 438، ح 5.

3- _ الكافي، ج 8، ص 33، ح 6.

مُحْسِنِكُمْ، وَ الْمُتَجَاوِزُ عَنْ مُسِيئِكُمْ. (1)

و منها: قوله (عليه السلام): إِنَّ لِلَّهِ (عز وجل) مَلَائِكَةً يُسَدُّ قَطُونَ الذُّنُوبِ عَنْ ظُهُورِ شَيْعَتِنَا، كَمَا يُسْقِطُ الرِّيحُ الْوَرَقَ فِي أَوَانِ سُقُوطِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ (عليه السلام) آيَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} (2)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِخْوَانًا عَلَيَّ سَرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (3)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (4)، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ بِهَذَا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ (عليه السلام) قَوْلَهُ تَعَالَى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (5)، فَنَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَعَدُوُّنَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَ شَيْعَتُنَا هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ. (6)

و منها: قوله (عليه السلام): لَقَدْ ذَكَرَكُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ: {يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا} (7) الْآيَةَ، وَاللَّهُ مَا أَرَادَ بِهَذَا غَيْرَكُمْ. (8)

و منها: قوله (عليه السلام) لَقَدْ ذَكَرَكُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

ص: 523

1- _ الكافي، ج 8، ص 34.

2- _ سورة الأحزاب: 23.

3- _ سورة الحجر: 47.

4- _ سورة الزخرف: 67.

5- _ سورة الزمر: 9.

6- _ الكافي، ج 8، ص 34 _ 35.

7- _ سورة الزمر: 53.

8- _ الكافي، ج 8، ص 35.

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} (1)، وَاللَّهِ مَا أَرَادَ بِهِدَا إِلَّا الْأُيْمَةَ (عليهم السلام) وَشِيعَتَهُمْ. (2)

ومنها: ما ذكره (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} (3) فقال (عليه السلام): فَرَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله وسلم) فِي الْآيَةِ النَّبِيُّونَ، وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَأَنْتُمْ الصَّالِحُونَ. (4)

ومنها: قوله (عليه السلام): مَا مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ تَقُودُ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا تَذْكُرُ أَهْلَهَا بِخَيْرٍ إِلَّا وَهِيَ فِينَا وَفِي شِيعَتِنَا، وَمَا مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ تَذْكُرُ أَهْلَهَا بِشَرٍّ وَلَا تَسُوقُ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَهِيَ فِي عَدُوِّنَا وَمَنْ خَالَفَنَا. (5)

و من الأخبار ما فيه أيضاً عن الكافي من قول الصادق (عليه السلام) ليحيى بن سابور: أَمَا وَاللَّهِ! إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ، وَإِنَّ مَنْ خَالَفَكُمْ لَعَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَاللَّهِ! مَا أَشْكُ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُعَيِّرَ اللَّهُ لِأَعْيُنِكُمْ عَنْ قَرِيبٍ. (6)

و من الأخبار ما فيه أيضاً عن الكافي، بسنده عن ميسر، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)، فَقَالَ (عليه السلام): كَيْفَ أَصْحَابُكَ؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! لَنَحْنُ عِنْدَهُمْ أَشْرُّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، قَالَ: وَكَانَ

ص: 524

1- سورة الحجر: 42 و سورة الإسراء: 65.

2- الكافي، ج 8، ص 35.

3- سورة النساء: 69.

4- الكافي، ج 8، ص 36.

5- همان.

6- الكافي، ج 8، ص 145، ح 119.

مُتَكِنًا، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ قُلْتُمْ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ! لَنَحْنُ عِنْدَهُمْ أَشَدُّ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، فَقَالَ (عليه السلام): أَمَا وَاللَّهِ! لَا تَدْخُلُ النَّارَ مِنْكُمْ اثْنَانِ، لَا وَاللَّهِ! وَلَا وَاحِدٌ، وَاللَّهِ! إِنَّكُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ (عز وجل): {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} (1) الآية، ثُمَّ قَالَ: طَلَبْتُكُمْ وَاللَّهِ فِي النَّارِ، فَمَا وَجَدُوا مِنْكُمْ أَحَدًا. (2)

أقول: الأخبار في هذا الباب كثيرة قريبة من التواتر، نقلها في الوافي، وهي كافية في دعوي القطع بنجاة كل العصاة من الشيعة وعدم دخولهم النار إلا أن الخوف أن كثرة الذنوب يورث زوال الإيمان، اللهم اجعلنا من الشيعة و من أهل الإيمان، واحشرنا مع موالينا بحقهم صلواتك عليهم.

و أمّا السادس، فقد قال الله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ} (3)، وقال تعالى: {وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (4)، وقوله تعالى: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى}. (5)

أقول: أي دليل أقوى من تلك الآية، حيث دلت علي أن دخول النار ليس لأحد سوي الأشقي، وقد انحصر به، وقد عيّنت الموضوع بمن كذب و تولي، اللهم لا تجعلنا منهم بحق ساداتنا صلواتك عليهم.

ص: 525

1- _ سورة ص: 62.

2- _ الكافي، ج 8، ص 78، ح 32.

3- _ سورة الزمر: 16.

4- _ سورة آل عمران: 131.

5- _ سورة الليل: 15 _ 16.

وَأَمَّا السَّابِعُ، فَالْأَخْبَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ:

منها: ما عن الصادق (عليه السلام): إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَهْوَلَ عَلَيْهِ فِي نَوْمِهِ، فَيُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنَّهُ لَيَمْتَنُّ فِي بَدَنِهِ، فَيُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُهُ. (1)

و منها: ما عن الباقر (عليه السلام)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): مَا يَزَالُ اللَّهُمَّ وَالْغَمُّ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى مَا يَدْعُ لَهُ ذَنْبًا. (2)

و منها: ما عن الصادق (عليه السلام) يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَيَهْتَمُّ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا وَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِ. (3)

و منها: ما عن النبي (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: الْحَمِّيُّ مِنْ قِيحِ جَهَنَّمَ، وَهِيَ حِطَّةُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ. (4)

إلي غير ذلك في الأبواب المتعددة من أنحاء البليات الواردة علي المؤمنين.

وَأَمَّا الثَّامِنُ، فَمِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْهَا ذَلِكَ مَا فِي مَعَالِمِ الزُّلْفِيِّ، عِنْدَ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَِّّي سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ: كُلُّ شَيْعَتِنَا فِي الْجَنَّةِ عَلَيَّ مَا كَانَ فِيهِمْ؟ قَالَ: صَدَقْتُكَ، كُلُّهُمْ وَاللَّهِ! فِي الْجَنَّةِ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنَّ الذُّنُوبَ كَثِيرَةً كِبَارًا، فَقَالَ: أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّكُمْ

ص: 526

1- _ الكافي، ج 2، ص 445، ح 4.

2- _ الكافي، ج 2، ص 445، ح 7.

3- _ الكافي، ج 2، ص 445، ح 8.

4- _ الكافي، ج 3، ص 111، ح 3، الْحَمِّيُّ رَائِدُ الْمَوْتِ وَهُوَ سَجْنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ حِطَّةُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ.

فِي الْجَنَّةِ بِسَمَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ، أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَ لَكِنِّي وَ اللَّهُ! اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ، قُلْتُ: وَ مَا الْبَرْزَخُ؟
قَالَ: الْقَبْرُ مُنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (1)

قال مؤلف الكتاب: الروايات في أنّ شيعة آل محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) في الجنة، وقد تقدّم في الأبواب السابقة بما لا تحتاج إلي إضافة غيرها لها لكثرتها. إنتهي.

ومنها: ما عن أمالي الشيخ (قدس سره)، عن الصادق (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ
لِلذُّنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. (2)

ومنها: ما عن ابن بابويه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث قال: وَ لَقَدْ سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
يَقُولُ: لَوْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَعَلَيْهِ مِثْلُ ذُنُوبِ أَهْلِ الْأَرْضِ، لَكَانَ الْمَوْتُ كَفَّارَةً لِتِلْكَ الذُّنُوبِ. (3)

ومنها: ما عن ابن بابويه بإسناده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى حَرَّمَ أَجْسَادَ الْمُؤَحِّدِينَ عَلَيَّ
النَّارِ. (4)

ومنها: ما عنه بإسناده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم): وَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ بِالنَّارِ مُوَحِّدًا
أَبَدًا. (5)

أقول: المراد بالموحد من اعتقد بكلمة «لا إله إلا الله» بشرانطها، كما صرح

ص: 527

1- الكافي، ج3، ص242، ح3.

2- الأمالي للشيخ الطوسي، ص110، ح167؛ بحار الأنوار، ج6، ص151، ح3.

3- من لا يحضره الفقيه، ج4، ص411، ح5896.

4- بحار الأنوار، ج3، ص4، ح9؛ التوحيد (للصدوق)، ص20، ح7.

5- الأمالي (للصدوق)، ص296، ح10؛ بحار الأنوار، ج3، ص1، ح1.

بذلك ثامن الحجج في حديث سلسلة الذهب، من قوله (عليه السلام): «وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا».(1)

هذا مضافاً إلي ما ورد في محبة علي (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام): حُبُّ عَلِيٍّ حَسَنَةٌ لَا يَصُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ، وَآثُهُ: لَوْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ حُبُّ عَلِيٍّ (عليه السلام) لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، وَأَنْ مَنْ كَانَ: فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خُرْدٍ مِنْ حُبِّ عَلِيٍّ (عليه السلام) إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

إلي غير ذلك من الأخبار في الأبواب المتفرقة، جعلنا الله منهم ببركتهم بحقهم صلوات الله عليهم أجمعين.

وأما التاسع، فمثل ما عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم): لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ.(2)

وعنه (صلي الله عليه وآله وسلم): يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ يَجِدْنِي عِنْدَهُ.(3)

وعن الرضا (عليه السلام): أَحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ (عز وجل) يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.(4)

وعن الصادق (عليه السلام): حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَرْجُوَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَخَافَ إِلَّا الذُّبْنَكَ.(5)

وأما العاشر، أما الكفار فلما عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، قال: أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَا عَذَابَ

ص: 528

1- بحار الأنوار، ج3، ص7، ح16.

2- بحار الأنوار، ج67؛ ص395، ح65.

3- بحار الأنوار، ج67، ص390.

4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج2، ص20، ح44.

5- الكافي، ج2، ص72، ح4.

عليها في الآخرة، وعجل عقابها في الدنيا الزلازل و الفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلي كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب، فقيل: هذا فداك من النار.

وأما النصاب، فلما ورد عن الأئمة (عليهم السلام) أن النصاب يجعلون فداءً لشيعتنا بظلمهم إياهم و وقيعتهم فيهم.

وعن الصادق (عليه السلام): سَيُؤْتِي بِالْوَاحِدِ مِنْ مَقْصِرِي شَيْعَتِنَا فِي أَعْمَالِهِ بَعْدَ أَنْ صَانَ الْوَلَايَةَ وَ التَّيَّيَّةَ وَ حُقُوقَ إِخْوَانِهِ، وَ يُوقَفُ بِإِزَائِهِ مَا بَيْنَ مِائَةٍ وَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ النَّصَابِ، فَيَقَالُ لَهُ: هُوَ لَاءِ فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ، فَيَدْخُلُ هُوَ لَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَ أَوْلَيْكَ النَّصَابُ النَّارَ، وَ ذَلِكَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا - يَعْنِي بِالْوَلَايَةِ - لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} (1)، فِي الدُّنْيَا مُنْقَادِينَ لِلْإِمَامَةِ لِيُجْعَلَ مُخَالَفُوهُمْ مِنَ النَّارِ فِدَاءً لَهُمْ. (2)

إشكال و دفع

أما الإشكال، فهو أن الله تبارك و تعالي عادل لا يظلم أحداً، وَ لَا تَرَّرُ وَازِرَةً وَرَزْرُ أُخْرِي، وَ النَّاسَ مَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَ إِنْ شَرًّا فَشَرٍّ، وَ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، فَمَا الْوَجْهَ فِي جَعْلِ الْكُفَّارِ وَ النَّصَابِ عَوْضًا وَ فِدَاءً لِلشَّيْعَةِ فِي النَّارِ وَ التَّعْذِيبِ؟ وَ هَلْ هَذَا إِلَّا الظلم و العدوان؟

و أما الدفع، فقد ثبت في محله أن الله تبارك و تعالي يحكم يوم القيامة بين الظالم و المظلوم، وَ قَدْ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ وَ جَلَالِهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُنِي ظَلَمَ ظَالِمٍ، فَيُعْطِي إِلَيَّ الْمَظْلُومَ مِنْ حَسَنَاتِ الظالم مَا يَفِي مِقْدَارَ ظَلْمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظالم

ص: 529

1- سورة الحجر: 2.

2- بحار الأنوار، ج8، ص44، ح45.

حسنات أو كانت ولم يكن وافية، يحمل من سيئات المظلوم علي الظالم حتى يفي، وإن لم تكن للمظلوم سيئات، أو لا تفي ظلمه، فيحمل من سيئات أقارب المظلوم وأحبائه ومواليه، وكل من أراد المظلوم حتى تفي.

ومن المعلوم بالحسّ والوجدان أنّ الكفّار والنصّاب كانوا ظالمين في حقّ الشيعة، ولا سيّما في حقّ أئمّة الدين، والمفروض أنّه ليس للكفّار والنصّاب حسنة حتى يعطي الأئمّة المظلومين، وليس للأئمّة (عليهم السلام) سيئات حتى يحمل عليهم، فلا مناص إلاّ من حمل من أرادوا من سيئات شيعتهم، علي هؤلاء الكفّار والنصّاب حتي يفي مقدار ظلمهم، فرّما يزيد من مائة ألف فداء لواحد، وهذا عين العدل، وخلافه ظلم في حقّ الشيعة وفي حقّ أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، اللّهم احشرونا معهم بحقّهم (عليهم السلام).

وأما الحادي عشر، فالبراهين العقلية القطعية، والآيات الشريفة القرآنية، والأدعية، والأخبار الدالّة علي سعة رحمة الله، وفور كرمه و عفوّه ومغفرته وإحسانه ولطفه، وكثرة عناياته وتفصّدلاته، خارجة عن حيطة عقول الأنبياء والملائكة فضلاً عمّن دونهم، قال الله تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } (1). وقال تعالى: { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا } (2)، وقد عنون كتابه الشريف بالتسمية بقوله: { بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }.

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } (3).

ص: 530

1- _ سورة الأعراف: 156.

2- _ سورة غافر: 7.

3- _ سورة النساء: 48 و 116.

أنظر إلي ما دون الشرك كيف يشمل جميع الذنوب، ولذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ. (1)

وورد عنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: ما في القرآن آية أرجي عندي من هذه الآية.

ولا يخفي دلالة الآية الشريفة علي مغفرة ما دون الشرك من دون التوبة، وإلّا فمع التوبة يغفر الشرك أيضاً قطعاً.

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} (2)، فأبي عموم أقوى من ذلك، بل لسانه أب عن التخصيص، فهو نص في العموم، ولذا عدّ في الأخبار هذه الآية أوسع، والتأكيدات المذكورة في الآية من التعبير بـ«يا عبادي» والنهي عن القنوط من رحمة الله، والتعقيب بالتعليل أنه هو الغفور الرحيم، والتأكيدات في نفس تلك الجملة، غير خفية علي المتدبر، وفي الأدعية «يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ» (3).

وعن الصادق (عليه السلام): يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَلَاذِمِينَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا فَاعْفُوا. قَالَ: فَيَعْفُو قَوْمٌ وَيَبْقَى قَوْمٌ مُتَلَاذِمِينَ. قَالَ: فَتُرْفَعُ لَهُمْ قُصُورٌ بَيْضٌ، فَيَقَالُ: هَذَا لِمَنْ عَفَا، فَيَتَعَاَفَى النَّاسُ. (4)

وعن أبي محمد (عليه السلام): إِنَّ اللَّهَ لَيَعْفُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَفْوَاً يُحِيطُ عَلَي الْعِبَادِ، حَتَّى

ص: 531

1- التوحيد (للسدوق)، ص 409، ح 8.

2- سورة الزمر: 53.

3- مصباح المتهجد و سلاح المتعبد، ج 2، ص 696.

4- الأمالي للشيخ الطوسي، ص 663، ح 1384؛ بحار الأنوار، ج 7، ص 121، ح 62.

يَقُولُ أَهْلُ الشَّرِكِ: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. (1)

وعن الصدوق، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه، عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، عن جبرئيل، قال الله جل جلاله: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ لِي أَنْ أَعَذِّبَهُ بِهِ أَوْ أَعْفُو عَنْهُ لَا غَفْرَتَ لَهُ ذَلِكَ الذَّنْبَ أَبَدًا، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لِي أَنْ أَعَذِّبَهُ وَأَنْ أَعْفُو عَنْهُ عَفْوَتُ عَنْهُ. (2)

وعن الباقر (عليه السلام): إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَيَّنَ عُقُوبَةَ اللَّهِ مِنَ النَّارِ. (3)

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ كُنْتَ لَا تَغْفِرُ إِلَّا لِأَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، فَإِلَيَّ مَنْ يَفْرَعُ الْمَذْيُوبُونَ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُكْرِمُ إِلَّا أَهْلَ الْوَفَاءِ بِكَ، فَبِمَنْ يَسْتَعِيثُ الْمُسِيئُونَ. (4)

وفي الصحيفة العلوية: إِلَهِي إِنْ كُنْتَ لَا تَرْحَمُ إِلَّا الْمُجِدِّينَ فِي طَاعَتِكَ، فَإِلَيَّ مَنْ يَفْرَعُ الْمُقْصِرُونَ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، فَإِلَيَّ مَنْ يَلْتَجِي الْمُفْرَطُونَ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُكْرِمُ إِلَّا أَهْلَ الْإِحْسَانِ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْمُسِيئُونَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَقُورُ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ، فَبِمَنْ يَسْتَعِيثُ الْمُجْرِمُونَ، إِلَهِي إِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ عَلَيَّ الصِّرَاطُ إِلَّا مَنْ أَجَارَتْهُ بَرَاءَةُ عَمَلِهِ، فَأَنِّي بِالْجَوَازِ لِمَنْ

ص: 532

1- بحار الأنوار، ج 6، ص 6، ح 12.

2- الأُمالي (للصدوق)، ص 287، المجلس 42، ح 2؛ بحار الأنوار، ج 70، ص 348، ح 36؛ التوحيد (للصدوق)، ص 410، ح 10.

3- الأُمالي (للطوسي)، ص 180، المجلس 7، ح 2؛ بحار الأنوار، ج 6، ص 5، ح 5.

4- بحار الأنوار، ج 95، ص 92؛ مصباح المتهجد و سلاح المتعبد، ج 2، ص 596.

وفي دعاء الكميل: فَيَا يَتِيمِينَ أَقْطِعْ لَوْ لَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْدِيهِ جَاهِدِيكَ وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مُعَانِدِيكَ لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَا كَانَتْ لِأَحَدٍ فِيهَا مَقْرًا وَلَا مُقَامًا، لَكِنَّكَ تَقْدَسَتْ أَسْمَاؤُكَ أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ، وَأَنْتَ جَلَّ تَنَاؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِنًا وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكْرِمًا أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ.

حيث دلَّ بصراحته باختصاص النار بالجاحد والمعانِد والكافر دون غيرهم كائنًا من كان.

وقد ورد أن إبليس اللعين يطمع يوم القيامة في شموله الرحمة، وأن الله يغفر مغفرةً ما خطر علي قلب بشر.

فإن قلت: نسلم سعة الرحمة، بل أوسع ممّا يمكن أن يتصوّر، لكن من الواضح المسلم أن شمول الرحمة مشروط بقابلية المحلّ، نظير سائر أفعاله تعالي، والعصيان مانع وحاجب عن الشمول، كما ينادي به الأخبار، مثل قوله (عليه السلام) في دعاء الكميل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنَزِّلُ النَّعْمَ. إلي آخر الفقرات الستة. قلت: الذي يثبت من شرطية الإيمان فقط، وعبارات الدعاء علي خلاف المطلوب أدلّ؛ لأنّ هذه الذنوب إن كانت مورثة لمنع الرحمة لم يصحّ طلب مغفرتها، كما لا يصحّ ولا يجوز أن يقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكَفَّارِ وَالْمُعَانِدِينَ و

ص: 533

المخالفين، بل المناسب أن يقال: اللَّهُمَّ اَعْنَهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا، وَعَذَابُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَاعْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

فإن قلت: مقتضى قوله تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (1)، أن جميع الأعمال سواء كانت قلبية أو نفسانية أو جوارحية من الملكات و الأخلاق و العبادات لا تقع موردًا للقبول إلا بالتقوي.

قلت أولاً: أن المراد من القبول يمكن أن يكون الدرجات العالية الكاملة، وإلا فلو فرض وقوع عمل جامع لجميع شرائط الصحة طبقاً للمأمور به لا يمكن عدم قبولها.

و ثانياً: قد حققنا في محلّه أن التقوي يكون ذا مراتب، فأعلي درجاته ما وصفه أميرالمومنين (عليه السلام) في نهج البلاغة في أوصاف المتقين، وأول درجاته و مراتبه التقوي من العقائد الباطلة، وهذه يساوق الإيمان، و يصدق في حقّ المؤمن أنه متّقي من الكفر و النفاق و الشرك و الضلالة و الجحود و العناد و نحوها.

فإن قلت: الآية المتقدمة التي كانت من الأدلة، و هي قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (2)، عقبه بقوله تعالى: {فَسَاءَ كُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}، فهي دالة علي أن التقوي غير الإيمان، و كلاهما شرط، كما في كثير من الآيات من عطف التقوي بالإيمان.

قلت أولاً: أن العطف في الآيات قرينة علي إرادة مرتبة أخري من التقوي لا

ص: 534

1- _ سورة المائدة: 27.

2- _ سورة الأعراف: 156.

أن هذا ليس من مراتبه.

و ثانياً: يمكن أن يكون العطف في المقام عطفاً تفسيرياً.

و ثالثاً: قد تقرر في محله أن إثبات الشيء لا ينفي ماعداه.

و بالجملة كون المؤمن في القيامة و لو بلغ ما بلغ من الذنوب قابلاً لشمول الرحمة و المغفرة من ضروريات المذهب بل الدين و المستفاد من النصوص.

نعم أسباب المغفرة و الرحمة كثيرة من التوسلات إلى أئمة الدين من إقامة العزاء و التشرف بزياراتهم، و من الإحسان إلى الفقراء و السادة و الأرحام و التوبة، و من الخدمات بالدين و إعلاء كلمة الاسلام، و إتيان النوافل، و البكاء من خشية الله بل جميع العبادات، اللهم اغفر لنا و لجميع المؤمنين و المؤمنات من سلف منهم و من غير إلى يوم القيامة.

و أما الثاني عشر و هو الشفاعة، فيقع الكلام في مقامات:

المقام الأول: في إثبات الشفاعة

قد يقال: إن مقتضي بعض الآيات عدمها، مثل قوله تعالى: { وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ } (1)، و مثل قوله تعالى: { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } (2)، و قوله تعالى: { وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } (3)، و قوله تعالى: { فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةٌ

ص: 535

1- سورة البقرة: 48.

2- سورة غافر: 18.

3- سورة البقرة: 270.

الشَّافِعِينَ {1}، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} {2}.

أقول: أمّا الآية الأولى، فلا دلالة فيها علي نفى الشفاعة رأساً، بل تدلّ علي أنه يمكن أن لا يقبل الله شفاعة في حقّ بعض، كما ثبت ذلك في حقّ الكفّار والمخالفين، لا أنه لا يقبل شفاعة أحد في حقّ أحد؛ لما ثبت أن الشفاعة أيضاً يعتبر فيها قابلية المحلّ، نظير الرحمة التي قد تقدّم أنه لا يشمل غير المؤمن، سيّما مع ملاحظة الآيات الآتية.

والحاصل أنّ مفاد الآية أنه يمكن أن لا يكون أحد مشمولاً للشفاعة، كما يمكن أن لا يكون مشمولاً للرحمة، فلا يطمئنّ نفس أنه ناج بالشفاعة، بل يكون بين الخوف والرجاء.

وأمّا الآية الثانية والثالثة، فيختصّ بالظالم، وظاهر الظالم الظلم بالغير، وهو بمقتضى الحديث القدسي «لَا يَجُوزُنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ» {3}،

وبمناسبة الحكم والموضوع أي في ظلمه، فشمول الآية للظالم بالنفس يحتاج إلي نوع عناية وقرينة، وهو خلاف الظاهر.

وأمّا الرابعة، فيختصّ بالكفار بقرينة صدر الآية في قوله تعالى حكاية عنالمجرمين: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}، {وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}، {وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ}، {وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ}، {حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ} {4}.

ص: 536

1- سورة المدثر: 48.

2- سورة الأنبياء: 28.

3- الكافي، ج 2، ص 443، ح 1.

4- سورة المدثر: 43 _ 47.

وأما الخامسة، فالمراد مَمَّن ارتضى من ارتضى دينه، وإلا فمن كان مرضياً مطلقاً ديناً وأخلاقاً وعملاً، فهو من أهل النجاة قطعاً من دون الشفاعة إلا لارتفاع الدرجة.

وأما ما دلّ علي ثبوت الشفاعة، فهو كثير:

منها: الآيتان الأخيرتان، حيث دلّتا علي وجود الشافعين، وتحقّق الشفاعة لمن ارتضى.

ومنها قوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً} (1)، وقد ورد في أخبار (2) كثيرة أنّه مقام الشفاعة، وقد حقّقنا في شرح زيارة العاشور أنّ الحمد يختصّ بالله تعالى، وبعد التنزّل أنّ المقام المحمود مقام يمدحه جميع الأنبياء والملائكة والناس أجمعين، ومن المسلّم أنّه لا بدّ أن يصل منه (صلي الله عليه وآله وسلم) إلي جميع الملائكة والأنبياء ومن دونهم لطف وعناية وإحسان حتّى يستحقّ بذلك حمدهم، فالكلّ محتاجون إلي شفاعته، ولو لارتفاع درجاتهم، أو تخفيف عذابهم.

ومنها قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} (3)، وقد ورد في الأخبار أنّه (صلي الله عليه وآله وسلم) لا يرضي مادام أحداً من أمته يكون في النار. (4)

ص: 537

1- سورة الإسراء: 79.

2- بحار الأنوار، ج 8، ص 48 و 49 و ج 16، ص 129؛ تفسير العياشي، ج 2، ص 314، ح 148؛ تفسير القمّي، ج 2، ص 25؛ الكافي، ج 4، ص 569.

3- سورة الضحى: 5.

4- بحار الأنوار، ج 8، ص 43 و 57 و ج 16، ص 143.

و منها: ما ورد عنه (صلي الله عليه وآله وسلم): إني أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وإن لكل نبي دعوة مستجابة، وأنا أدخرتها للشفاعة. (1)

وبالجملّة الأخبّار في شفاعّة سيد الرسل (صلي الله عليه وآله وسلم) وأوصيائه الطاهرين (عليهم السلام) والصديقة الطاهرة (عليها السلام) ومن دونهم من العلماء والشهداء والسادات والفقراء والقرآن والمساجد وأولاد المؤمنين، وكلّ من نجى من المؤمنين في حقّ الآخرين، حتّى أنّ أقلّ المؤمنين شفاعّة يشفع في سبعين، فوق حدّ التواتر، بحيث لا يبقى مجال لإنكاره، بل صار من ضروريات المذهب بل الدين، وقد ورد في أخبار كثيرة أنّ من أنكر الشفاعّة ليس ممّا ولا يناله الشفاعّة.

المقام الثاني: في معني الشفاعّة و حقيقتها و مراتبها

لا يخفي أنّ الشفاعّة المصطلحة عبارة عن السؤال عن الله تعالى و التوقّع منه في عفو المقصّر، و التجاوز عنه و مغفرته، أو ارتقاع مقامه، و هذا أمر ممدوح مرغوب فيه بالنسبة إلي جميع المؤمنين، كما تقول: اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات، الأحياء منهم و الأموات، من سلف منهم و من غبر إلي يوم القيامة، اللهم اشف مرضاهم، و أصلح مفاسد أمورهم، و غير ذلك من الأدعية في حقّ الغير.

نعم يختصّ ذلك بالمؤمن دون الكافر و المخالف و نحوهما، فإنّ الدعاء في حقّهم مرغوب عنه، كدعاء نوح (عليه السلام) في حقّ ولده، إلّا الدعاء لطلبهدايتهم و إيمانهم إن كانوا قابلين لذلك.

و من هنا يعلم أنّه لا تختصّ الشفاعّة بيوم القيامة، بل الدنيا و الآخرة و عوالم البرزخ كلّها في جميع الأمور من رفع البليات و إعطاء النعم و غيرها كلّ

ص: 538

محتاج بشفاعة الكلّ، غاية الأمر ظهوره وبروزه بأعلي مراتبه في القيامة، و الشفاعة الكبرى للنبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وعترته المعصومين (عليهم السلام) .

هذا مضافاً إلي كونهم (عليهم السلام) علّة غائية في إفاضة الوجود، و جميع النعم علي جميع الممكنات، و كونهم (عليهم السلام) وسائط النعم و أولياء النعم، بهم يمسك السماء أن تقع علي الأرض، و بهم ينزل الغيث، و بهم يكشف الضرّ، و بهم ينفس الهمّ. إلي غير ذلك، فالمرتبة الأعلى للشفاعة لهم، ثمّ الأمثل فالأمثل.

المقام الثالث

إنّ كلّ شفيع يوم القيامة يكون خصماً أيضاً، فبيننا (صلي الله عليه وآله وسلم) يخاصم الذين بدّلوا سنّته، و هجروا كتابه، و خالفوا أحكامه، و الأئمّة (عليهم السلام) يخاصمون الذين ظلموهم و قتلوهم و غصبوا حقوقهم، و أنكروا ولايتهم و موذّتهم، و العلماء يخاصمون من أعرضوا عنهم و تركوهم، و القرآن يخاصم من أبان به و خالف أحكامه و تركه، و المسجد يخاصم من لا يصلّي فيه أو يعصي فيه، و هكذا.

فالويل ثمّ الويل لمن كان شفاعؤه خصماًؤه، و الأخبار في مخاصمة النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) و الأئمّة (عليهم السلام) و سائر الخصماء كثيرة جدّاً، غير قابل للإنكار، منارادها راجع المطوّلات.

المقام الرابع: في شرائط الشافع و المشفّع له

أمّا الشافع، فمن الواضح أنّ مقام الشفاعة مقام منيع لا يعطي إلاّ لمن كان له قرب و منزلة عند الله تعالى، فكلّ من كان أقرب إلي الله تعالى و أعلي منزلة عنده و أرفع درجةً لديه، يكون مقام الشفاعة له أعلي، فأقرب الخلق إلي الله تعالى نبينا (صلي الله عليه وآله وسلم) ، ثمّ عترته الطاهرون (عليهم السلام) ، ثمّ الأنبياء، ثمّ أوصياؤهم، ثمّ

العلماء، ثم الشهداء، ثم الصالحاء، ثم سائر المؤمنين، واختلاف مراتبهم في الشفاعة باختلاف درجاتهم.

وأما المشفّع له، فله شرائط:

الأول: الإيمان، كما تقدّم، فغير من كان دينه مرضياً عند الله غير قابل للشفاعة، نعم لو صدر منه خدمة وعمل في حقّ الشافع يمكن شفاعته في تخفيف عذابه، كما يستفاد من بعض الأخبار.

الثاني: أن يكون له ارتباط إلي الشافع في إظهار خدمة إليه، أو إلي من يتعلّق به، أو إحسان إليه، كالتشرّف بزيارة الأئمة (عليهم السلام) ، أو إقامة عزائهم، أو البكاء عليهم، أو العمل بأوامرهم، والتستّن بسنتهم، والإحسان بذرائعهم، بل وحبّهم وموالاتهم، وغير ذلك من أنحاء التوسّلات، وكذا من تعلّم من العلماء وأخذ بفتاويهم، وأحسن إليهم وأعانهم، وكذا القرآن والسادة والفقراء والمساجد وغيرها. وبالجملة قبول شفاعتهم في حقّ هؤلاء مثوبة لهذه الخدمة من الله تعالى.

الثالث: أن يكون له عمل أو صفة عند الله تبارك وتعالى خالصاً لوجه الله مقبول عند الله، بحيث يصير قابلاً لهذه الرتبة والعناية والتفضّل؛ لأنّ كلّ فعل من الله حسن لا بدّ أن يكون في محلّ قابل.

اللهم صلّ علي محمد وآل محمد، واغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وأدخلنا في شفاعة موالينا، وأعطنا في الدنيا والبرزخ والآخرة فوق طمعنا وآمالنا، بحقّ محمد وآله الطاهرين، صلواتك عليهم أجمعين.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

هذا آخر ما أردنا إيراده في الخاتمة، ويكون ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأنا العبد الآثم الجاني المحتاج، والراجي إلي رحمة ربّه وشفاعة أجداده، الحاج السيد عبدالحسين بن محمّد تقي المدعوّ بالطيّب، و كان الفراغ من تأليفه و تحريره ليلة الأحد السابع عشر من ربيع الثاني من سنة ألف و ثلاثمائة و تسعة و ستّين (1369) هـ. ق. (1)

و تمّ استنساخ هذا الكتاب الشريف تحقيقاً و تصحيحاً في اليوم الأوّل من شهر صفر المظفر من سنة (1440) هـ. ق، علي يد العبد الفقير السيد مهدي الرجائي عفي عنه، في بلدة قم المقدّسة حرم أهل البيت و عشّ آل محمّد (عليهم السلام).

ص: 541

1- _ وقد تمّ بحمد الله تعالي التعليقة المختصرة علي هذا الكتاب في ثالث عشر رجب المرجّب سنة 1441 هـ. ق، في بلدة قم المقدّسة علي يد العبد الفاني الفقير المحتاج إلي ربّه الغنيّ السيّد قاسم علي أحمددي عفي عنه. (عا)

1_ القرآن الكرم.

2_ إاثبات الهداة بالنصوص و المعجزات / 5مجلد / الحرّ العاملى، محمّد بن الحسن / مؤسسة الأعلمى للمطبوعات / بىروت / تاريخ الطبع: 1425 ق.

3_ الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسى) / 2مجلد / الطبرسى، احمد بن على / التحقىق: الخرسان، السىد محمّد باقر / نشر المرتضى / مشهد المقدّسة / تاريخ الطبع: 1403 ق.

4_ إحقاق الحق و إزهاق الباطل / 34مجلد / القاضى نور الله الشوشترى / مكتبة آية الله المرعشى النجفى العامة / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق.

5_ الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد / 2مجلد / المفىد، محمّد بن محمّد / مؤتمر الشىخ المفىد / قم / تاريخ الطبع: 1413 ق.

6_ اعتقادات الإمامىة (للصدوق) / 1مجلد / ابن بابوىة، محمّد بن على / مؤتمر الشىخ المفىد / قم / تاريخ الطبع: 1414 ق.

7_ إعلام الورى بأعلام الهدى / 2مجلد / الطبرسى، الفضل بن الحسن / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / قم / تاريخ الطبع: 1417 ق.

8_ إقبال الأعمال (ط - قديمة) / 2مجلد / ابن طاووس، على بن موسى / دار الكتب الإسلامىة / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق.

9_ إلزام الناصب فى إاثبات الحجّة الغائب (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / 2مجلد / اليزدى

الحائري، علي / مؤسسة الأعلمي / بيروت / تاريخ الطبع: 1422 ق.

10_ الأمالي (للصدوق) / 1 مجلد / ابن بابويه، محمد بن علي / كتابجي / طهران / تاريخ الطبع: 1418 ق.

11_ الأمالي (للطوسي) / 1 مجلد / الطوسي، محمد بن الحسن / دار الثقافة / قم / تاريخ الطبع: 1414 ق.

12_ الأمالي (للمفيد) / 1 مجلد / المفيد، محمد بن محمد / مؤتمر الشيخ المفيد / قم / تاريخ الطبع: 1413 ق.

13_ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ط- بيروت) / 110 مجلد / المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / تاريخ الطبع: 1403 ق.

14_ البرهان في تفسير القرآن / 5 مجلد / البحراني، السيد هاشم بن سليمان / مؤسسة البعثة / قم / تاريخ الطبع: 1416 ق.

15_ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (عليهم السلام) / 1 مجلد / الصفار، محمد بن حسن / مكتبة آية الله المرعشي النجفي / قم / تاريخ الطبع: 1404 ق.

16_ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة / 1 مجلد / الاسترآبادي، علي / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق.

17_ التفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) / 1 مجلد / الحسن بن علي (عليهما السلام)، الإمام الحادي عشر / مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق. 18_ تفسير العياشي / 2 مجلد / العياشي، محمد بن مسعود / المطبعة

العلمية/ طهران/ تاريخ الطبع: 1422 ق.

19_ تفسير القمي / 2 مجلد/ القمي، علي بن إبراهيم/ دار الكتاب/ قم/ تاريخ الطبع: 1404 ق.

20_ تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب/ 14 مجلد/ القمي المشهدي، محمّد بن محمّد رضا/ وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة و النشر/ طهران/ تاريخ الطبع: 1410 ق.

21_ تنزيه الأنبياء (لسيّد المرتضي)/ 1 مجلد/ علم الهدى، علي بن الحسين (السيّد المرتضي)/ مطبعة الشريف الرضي/ قم/ 1403 ق.

22_ التوحيد (للصدوق)/ 1 مجلد/ ابن بابويه، محمد بن علي/ جامعة المدرسين/ قم/ تاريخ الطبع: 1398 ق.

23_ تهذيب الأحكام (تحقيق الخراسان)/ 10 مجلد/ الطوسي، محمّد بن الحسن/ التحقيق: الخراسان، السيد حسن/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ تاريخ الطبع: 1407 ق.

24_ ثواب الأعمال و عقاب الأعمال/ 1 مجلد/ ابن بابويه، محمد بن علي/ دار الشريف الرضي للنشر/ قم/ تاريخ الطبع: 1406 ق.

25_ جامع الأخبار (للشعيري)/ 1 مجلد/ الشعيري، محمد بن محمد/ المطبعة الحيدرية/ النجف/ بي تا. 26_ الجواهر في تفسير القرآن الكريم (للطنطاوي)/ 25 مجلد/ الشيخ طنطاوي جوهرى/ مصطفى الباني الحلبي و اولاده بمصر/ مصر_ قاهرة/ تاريخ الطبع: 1350 ق.

ص: 544

27_ الخرائج و الجرائح / 3مجلد/ قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله / مؤسسة الإمام مهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق.

28_ دلائل الإمامة / 1جلدي / الطبري الأملي الصغير، محمد بن جرير بن رستم / البعثة / قم / تاريخ الطبع: 1413 ق.

29_ دلائل الصدق لنهج الحق / 6مجلد / المظفر النجفي، محمد حسن / مؤسسة آل البيت / قم / تاريخ الطبع: 1422 ق.

30_ الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) (لابن شاذان القمي) / 1مجلد / ابن شاذان القمي، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل / مكتبة الأمين / قم / تاريخ الطبع: 1423 ق.

31_ سفينة البحار و مدينة الحكم و الآثار / 8مجلد / القمي، الشيخ عباس / الأسوة / قم / تاريخ الطبع: 1414 ق.

32_ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل / 2مجلد / الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله / مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي / طهران / تاريخ الطبع: 1411 ق.

33_ صحيح مسلم / 8مجلد / مسلم بن حجاج النيسابوري / دار الطباعة العامة / تاريخ الطبع: 1329 ق.

34_ الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المخرقة / 1مجلد / الشوشتري، نور الله بن شريف الدين / مطبعة النهضة / طهران / تاريخ الطبع: 1367 ق.

35_ الصواعق المخرقة في الرد علي البدع و الزندقة / 1مجلد / الهيثمي المكي، احمد بن حجر / بي تا / طهران.

36_ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف/ 2مجلد/ ابن طاووس، علي بن موسى / الخيام/ قم/ تاريخ الطبع: 1400 ق.

37_ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار/ 1مجلد/ ابن بطريق، يحيى بن الحسن/ جماعة المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ تاريخ الطبع: 1407 ق.

38_ عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية/ 4مجلد/ ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين/ دار سيد الشهداء للنشر/ قم/ تاريخ الطبع: 1405 ق.

39_ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) / 2مجلد/ ابن بابويه، محمد بن علي/ نشر جهان/ طهران/ 1420 ق.

40_ غاية المرام و حجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص و العام/ 7مجلد/ البحراني، السيد هاشم بن سليمان/ مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت/ تاريخ الطبع: 1422 ق.

41_ الغيبة (للنعماني)/ 1مجلد/ ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم/ نشرالصدوق/ طهران/ تاريخ الطبع: 1397 ق.

42_ فرائد السمطين/ 2مجلد/ حموي جويني، إبراهيم بن محمد/ مؤسسة المحمودي/ بيروت/ 1398 ق.

43_ الفضائل (لابن شاذان القمي)/ 1مجلد/ ابن شاذان القمي، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل/ الرضي/ قم/ تاريخ الطبع: 1404 ق.

44_ الكافي/ 8مجلد/ الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق/ دار الكتب

- 45_ كامل الزيارات/ 1مجلد/ ابن قولويه، جعفر بن محمد/ دار المرتضوية/ النجف الاشرف/ تاريخ الطبع: 1397 ق.
- 46_ كتاب سليم بن قيس الهلالي/ 2مجلد/ الهلالي، سليم بن قيس/ الهادي/ قم/ تاريخ الطبع: 1405 ق.
- 47_ كتاب الغيبة (للطوسي)/ الطوسي، محمد بن الحسن/ 1مجلد/ دار المعارف الإسلامية/ قم/ تاريخ الطبع: 1411 ق.
- 48_ كشف الغمة في معرفة الأئمة (عليهم السلام) / 2مجلد/ الإربلة، علي بن عيسى/ بني هاشمي/ تبريز/ تاريخ الطبع: 1423 ق.
- 49_ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) / 1مجلد/ العلامة الحلي، حسن بن يوسف بن مطهر/ وزارة الإرشاد/ طهران/ تاريخ الطبع: 1411 ق. 50_ كفاية الأثر في النصّ علي الأئمة الإثني عشر / 1مجلد/ الخزاز الرازي، علي بن محمد / بيدار/ قم/ تاريخ الطبع: 1401 ق.
- 51_ كمال الدين و تمام النعمة/ 2مجلد/ ابن بابويه، محمد بن علي/ الإسلامية/ طهران/ تاريخ الطبع: 1395 ق.
- 52_ كنز الفوائد/ 2مجلد/ الكراجكي، محمد بن علي/ دار الذخائر/ قم/ تاريخ الطبع: 1410 ق.
- 53_ مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين و الأئمة/ 1مجلد/ ابن شاذان، محمد بن احمد/ مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) / قم/ تاريخ الطبع: 1407 ق.

- 54_ مجمع البيان في تفسير القرآن/ 10 مجلد/ الطبرسي، الفضل بن الحسن/ منشورات ناصر خسرو/ طهران/ تاريخ الطبع: 1413ق.
- 55_ المحاسن/ 2 مجلد/ البرقي، أحمد بن محمد بن محمد بن خالد/ دار الكتب الإسلامية/ قم/ تاريخ الطبع: 1371 ق.
- 56_ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء/ 8 مجلد/ الفيض الكاشاني، محمد محسن بن الشاه مرتضي/ جامعة المدرسين في قم مؤسسة النشر الاسلامي/ تاريخ الطبع: 1417 ق.
- 57_ مختصر البصائر/ 1 مجلد/ الحلّي، حسن بن سليمان بن محمّد/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ تاريخ الطبع: 1421 ق.
- 58_ مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر/ 8 مجلد/ البحراني، السيد هاشم بنسليمان/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم/ تاريخ الطبع: 1413 ق.
- 59_ المزار الكبير (لابن المشهدي)/ 1 مجلد/ ابن مشهدي، محمد بن جعفر/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم/ قم/ تاريخ الطبع: 1419 ق.
- 60_ مسند أحمد بن حنبل/ أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل/ 50 مجلد/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ تاريخ الطبع: 1416 ق.
- 61_ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) / 1 مجلد/ الحافظ البرسي، رجب بن محمد/ الأعلمي/ بيروت/ تاريخ الطبع: 1422 ق.
- 62_ مصباح الزائر/ ابن طاووس، علي بن موسي/ 1 مجلد/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاهياء التراث/ قم/ تاريخ الطبع: 1417 ق.

63_ المصباح للكفعمي (جنة الأمان الواقية و جنة الإيمان الباقية) / 1 مجلد / الكفعمي، ابراهيم بن علي العاملي / دار الرضي (زاهدي) / قم / تاريخ الطبع: 1405 ق.

64_ مصباح المتهدّد و سلاح المتعبّد / 1 مجلد / الطوسي، محمّد بن الحسن / مؤسسة فقه الشيعة / بيروت / تاريخ الطبع: 1411 ق.

65_ معاني الأخبار / 1 مجلد / ابن بابويه، محمّد بن علي / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم / قم / تاريخ الطبع: 1403 ق.

66_ مقتضب الأثر في النصّ علي الأئمة الإثني عشر / 1 مجلد / الجوهرى بالبصري، أحمد بن عبد العزيز / مكتبة الطباطبائي / قم / تاريخ الطبع: بي تا.

67_ مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي / 2 مجلد / اخطب خوارزم، موفق بن احمد / دار أنوار الهدى / قم / تاريخ الطبع: 1423 ق.

68_ مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) (لابن شهر آشوب) / 4 مجلد / ابن شهر آشوب المازندراني، محمّد بن علي / العلامة / قم / تاريخ الطبع: 1421 ق.

69_ مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / 1 مجلد / ابوالحسن علي بن محمد جلابي (ابن مغازلي) / دار الأضواء / بيروت / تاريخ الطبع: 1424 ق.

70_ المناقب (الخوارزمي) / 1 مجلد / الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي / مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة / قم / تاريخ الطبع: 1411 ق.

71_ من لا يحضره الفقيه / 4 مجلد / ابن بابويه، محمّد بن علي / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم / قم / تاريخ الطبع: 1413 ق.

ص: 549

72_ نهج البلاغة (للصبيحي صالح) / 1 مجلد / الشريف الرضي، محمد بن حسين / الهجرة / قم / تاريخ الطبع: 1414 ق.

73_ نهج الحقّ وكشف الصدق / 1 مجلد / العلامة الحلي، الحسن بن يوسف / دار الكتاب اللبناني / بيروت / تاريخ الطبع: 1982 م.

74_ وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) / 30 مجلد / الشيخ الحر العاملي، محمّد بن حسن / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / قم / تاريخ الطبع: 1409 ق.

75_ الهدى إلي دين المصطفى / 2 مجلد / البلاغي، الشيخ محمد جواد / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / تاريخ الطبع: 1405 ق.

76_ الهداية الكبرى / 1 مجلد / الخصيبي، حسين بن حمدان / البلاغ / بيروت / تاريخ الطبع: 1419 ق.

77_ ينابيع المودة لذوي القربى / القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم / منظمة الاوقاف و الشؤون الخيرية، دار الأسوة للطباعة و النشر / قم / تاريخ الطبع: 1422 ق.

ص: 550

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

